منبر الإسلام

العدد ١٢ ـ السنة ٢٢ ـ ذو الحجة ١٣٨٤ ـ ٢ ابريل ١٩٦٥

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

جلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد ١٢ - السنة ٢٢

ذو الحجة ١٣٨٤ - ٣ ابريل ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* معالم الطريق
* زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
* خطاب السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية فى عيد الوحدة السابع
* خليل الله ابراهيم بمناسبة موسم الحج ـ **فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى**
* من حضارة الاسلام ـ **الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل**
* سياستنا تجاه اسرائيل ـ **الاستاذ محمود كمال**
* الاسلام والقومية العربية ـ **الدكتور أحمد الحوفى**
* من معالم الهدى فى قصة الرسول يونس عليه السلام ـ **فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى**
* أيهما الذبيح اسحق أم اسماعيل ـ **الدكتور على عبد الواحد وافى**
* الى وفد الله فى مؤتمر الحج ـ **فضيلة الشيخ عبدالله المشد**
* مظاهر الوحدة فى الحج ـ **فضيلة الشيخ عبد الله المراغى**
* خواطر مستشار ـ **المستشار على على منصور**
* من قصص القرآن « نوح عليه السلام » ـ **الاستاذ البهى الخولى**
* دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام ـ **الاستاذ حسنى عبد المجيد**
* **شعر ـ فن اسلامى ـ قصة ـ علم ـ المرأة المسلمة ـ أنت تسأل والمفتى يجيب ـ مواقيت الصلاة ـ لماذا أسلمت ؟ مع القراء ـ بريد التعارف ـ ندوة الشهر ـ التحقيقات**

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الاخرى

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

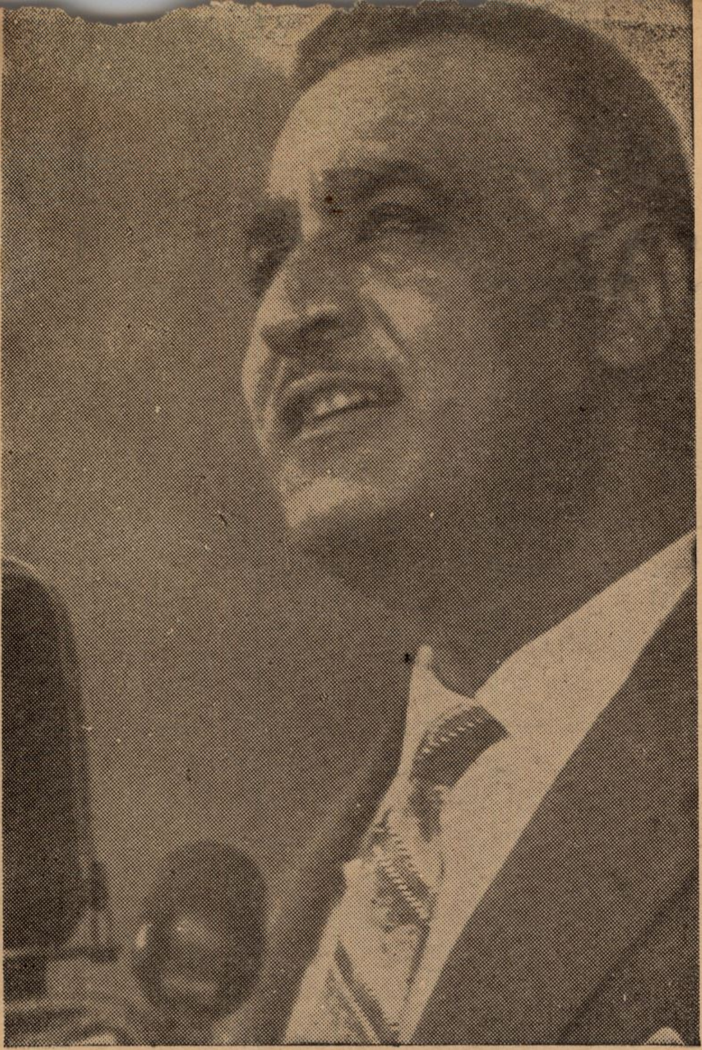

معالم الطريق

رسالة تاريخية من عبد الناصر
إلى الشعب
يوم ١٦ / ٣ / ١٩٦٥

عبد الناصر يقول للشعب العربي الذي أجمع على انتخابه

أريدكم جميعاً معي

نص رسالة عبد الناصر

أيها الأخوة المواطنون ..

لقد رأيت الاشارة .. وسمعت الكلمة .. فتلقيت ارادة الشعب القائد .. كما عبر عنها فى نتيجة الاستفتاء على رياسة الجمهورية يوم أمس .. وسأقف بعون الله ومشيئته حيث طلب الى أن أقف .

وانى لأشعر بعرفان غير محدود لجماهير شعبنا العظيمة المناضلة التى تمنحنى فى كل يوم من رضاها ما يفوق طاقتى على الوفاء ولست أملك غير عملى .. وحياتى .. وأحس مخلصا أن عطاء الأمة أغلى من عمل وحياة أى فرد مهما صدق وتفانى .

وانه ليريحنى ادراكى لحقيقة أن الشعب منح وأعطى لهدف .. ولعمل .. ولمسئولية .. فلقد كانت تحديات المرحلة المقبلة فى النضال الوطنى .. هى فى واقع الأمر موضوع الاستفتاء ومضمونه .. ولقد كان حرصى كله قبل الاستفتاء على أن تكون الحقيقة فى كمالها وجلالها أمام الجماهير بأقصى ما يمكن من الصفاء والوضوح .

المرحلة الحاسمة

ان المرحلة القادمة هى المرحلة الحاسمة لأنها التثبيت النهائى لكل ما بدأناه .. فالتدعيم القوى لكل الخطط المحققة لآمال أجيال كافحت وضحت لتكوين الحرية القادرة على بناء التقدم والقادرة على حماية السلام . هى مرحلة بناء الصناعات الثقيلة .. قاعدة للتحول والبناء الاشتراكى .. هى مرحلة الرد والردع لأخطار العدوان الاستعمارى والصهيونى على اختلاف وسائل العدوان .. هى مرحلة التمكين للحتمية التاريخية للوحدة العربية لتؤدى دورها خلاقا وتقدميا .

الجيل رسم لنفسه الطريق

أيها الاخوة المواطنون ..

ان الاشارة والكلمة والارادة الشعبية التى أظهرتها نتيجة الاستفتاء كانت لهذا كله ومن أجله .. ولم تكن تأييدا أو تقديرا لفرد واذا كنت اسائل نفسى احيانا .. الا يتحمل هذا الجيل أمانة لم يتحملها جيل من قبل ؟ فلقد كانت حركة النضال اليومى للجماهير تؤكد لى فى كل لحظة أن هذا الجيل هو الذى اختار قدره بالثورة ، وهو الذى رسم لنفسه الطريق وحدد الهدف ..

كانت الآمال طموحة وكان طموحها هونفسه مسافة الرحلة اليها. وهو نفسه سبب التعرض الطويل للأخطار لكن هذا الجيل عقد عزمه منذ صنع الثورة على أنه لا بد من اللحاق بالأحلام الطامحة ، ولا بد من الوصول الى مستوى التقدم المقبول عالميا بل وانسانيا . ولقد كانت نتيجة الاستفتاء تأكيدا جديدا لذلك كله أمامنا وأمام أمتنا العربية وأمام الأصدقاء والأعداء على حد سواء .

أريدكم جميعا وبغير استثناء معى

احتاج فكركم مع فكرى وضمائركم مع ضميرى وأيديكم مع يدى فى كل يوم

عهد ووعد

أمامنا وامام أمتنا العربية كانت نتيجة الاستفتاء عهدا ووعدا بالاستمرار فى الاداء المسئول والخلاق بدور الطليعة والقاعدة لأمة عربية واحدة تعيش وتجاهد بالحق وبالخير لمكانها الطبيعى الشرعى تحت الشمس .

ورسالة أخوة وتضامن

وامام الاصدقاء فان نتيجة الاستفتاء كانت رسالة أخوة وتضامن بأننا حيث كنا دائما وحيث سنكون ابدا انصارا للحرية ودعاة للسلام وحمله لرسالة التقدم .

قبول التحدى

وامام الاعداء فان دلالة نتيجة الاستفتاء لا تخفى على أحد .. دلالتها الأولى والأخيرة أمامهم ان هذا الشعب لا يتردد ولا يخاف وانه على استعداد لقبول التحدى فى أى ميدان يفرض عليه فيه القتال دفاعا عن وطنيته وقوميته . دفاعا عن مجتمعه الذى يقيمه على دعائم الكفاية والعدل ... دفاعا عن قيمه الروحية والحضارية.

أمانة كبيرة

أيها الأخوة المواطنون ..

أريدكم أن تعرفوا فى نفس الوقت معنى هذه النتيجة التى اسفر عنها الاستفتاء بالنسبة لى وانى لأرجوكم عذرا فى هذا الحديث عن النفس .

ان هذه النتيجة تضع على كتفى أمانة كبيرة وغالية واذا كنت اشعر بأن ثقتكم سند وعضد فانى أريد أمانة ومكاشفة أن أطلب اليكم الا تكون هذه النتيجة تفويضا مطلقا لى أريدكم معى فى كل يوم بل أكثر من ذلك أقول لكم اننى فى حاجة اليكم معى فى كل يوم ، ان طبيعة المرحلة القادمة وآمالها ومخاطرها تفرض ذلك ، كذلك تفرضه الضمانات التى يجب ان أوفرها للدوام والاستمرار خصوصا وابعاد العمل الوطنى تتسع ـ كذلك فان بعض مهام المرحلة الجديدة تقتضى تغييرات ثورية داخل البشر تتلاءم مع التغييرات الضخمة التى حدثت فى مواقع القوى فى المجتمع

المرحلة الجديدة

ان المرحلة الجديدة كما قلت ، ليست مجرد استمرار لمراحل سبقت ، وانما هى ثورة بعدها ، فى تعزيز الديمقراطية ، وتحقيق أكبر قدر ممكن من كفاءة الانتاج والخدمات تحت الادارة والرقابة الشعبية . لذلك أريدكم جميعا وبغير استثناء معى .. احتاج فكركم مع فكرى .. وضمائركم مع ضميرى وايديكم فى أيدى .. ويا وطن الحرية والأحرار سلمت دائما .. وظللتك الى الأبد رايات العزة والعدل والتقدم والسلام عليكم ورحمة الله..

زعماء العالم الاسلامى ...

جلالة الملك الحسن الثانى ملك المغرب

كان جهاد شعب المغرب الشقيق فى التحرر من نير الاستعمار الفرنسى من أشق ما منى به الاستعمار منذ اعلان الحماية عام ١٩١٢ حتى تم للقطر الشقيق الحصول على استقلاله ، على يد مليكه الراحل الملك محمد الخامس ..

كما لقى الاسبان فى الريف من بسالة المغاربة فى المعارك الدامية ما لقيه الفرنسيون منهم فى جبال أطلس ، وتاريخ حرب الريف التى شنها البطل المغفور له الأمير عبد الكريم الخطابى ملىء بأروع آيات البطولة والأعمال الوطنية .

واستمر النضال ضد المستعمرين ، وأثارت الدول العربية قضية المغرب أمام الأمم المتحدة عامى ٥٠ – ١٩٥٢ . وفى ٢٠ أغسطس ١٩٥٣ نفى الفرنسيون الملك محمد الخامس وأسرته الى جزيرة كورسيكا ثم الى مدغشقر – وكانت نتيجة هذا العمل الاخرق ثورة جامحة اجتاحت القطر المغربى كله ، وشمل الاستياء العالم العربى .

وفى ١٦ نوفمبر ١٩٥٥ اضطرت فرنسا الى اعادة الملك محمد الخامس الى عرشه ،

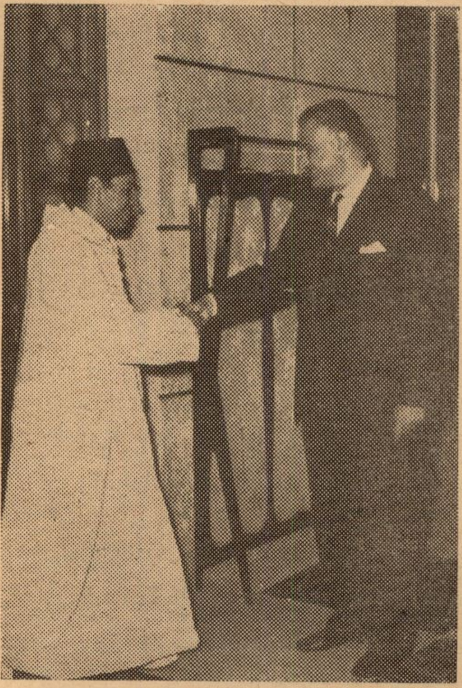

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يرحب بالضيف الكبير

وانتهت المفاوضات بينه وبينهم الى اعلان الحكومة الفرنسية فى ٢ مارس ١٩٥٦ الغاء الحماية والاعتراف باستقلال المغرب وسيادته. وحذت اسبانيا حذو فرنسا واعترفت فى ٧

فى القاهرة

ابريل ١٩٥٦ بالغاء معاهدة ١٩١٢ وباستقلال المغرب ووحدة أراضيه — وفى خريف ١٩٥٦ دخلت المملكة المغربية الأمم المتحدة . وفى ٢١ أكتوبر ١٩٥٨ دخلت المملكة المغربية جامعة الدول العربية .

أما جلالة الملك الحسن الثانى فقد نودى به وليا للعهد فى ٩ يوليه ١٩٥٧ . واعتلى العرش فى ٢٦ فبراير ١٩٦١

***

وفى هذا الشهر وبناء على دعوة من الرئيس جمال عبد الناصر .. قام صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى ملك المملكة المغربية بزيارة للجمهورية العربية المتحدة فى المدة ما بين اليوم الحادى عشر واليوم السادس عشر من مارس ١٩٦٥ . وخلال هذه الزيارة جرت بينهما مباحثات تبودلت خلالها الآراء فى القضايا العربية التى تهم الدولتين بوجه خاص وفى المسائل الدولية بشكل عام .

وقد ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا فى مأدبة العشاء التى أقامها تكريما لجلالة الملك فى قصر عابدين .. وقال فيها أن الأمة العربية كلها ما زالت متحمسة للقرار الذى اتخذه منذ بضعة أيام بالغاء زيارته لالمانيا الغربية بسبب الطعنة التى وجهتها للامة العربية كلها بهدايا السلاح لاسرائيل .

ورد الملك بكلمة قال فيها : اننا سنغتنم فرصة وجودنا فى القاهرة لنتبادل الرأى فى المشاكل والقضايا العربية لاتخاذ القرارات الضرورية بشأنها ..

الملك الحسن الثانى فى المنصورة :

وفى المنصورة ، وفى ختام جولة الرئيس جمال عبد الناصر فى المحافظات .. تحدث الملك الحسن وكانت كلمته رسالة ود وصداقة ومحبة دائمة .. وفى بداية حديثه أشار الملك الحسن الى احساسه بالسعادة وهو يزور مدينة المنصورة خاصة وانها :

— كانت الحصن الحصين للديانة الاسلامية والقومية العربية .

— ان الملك الأيوبى الكافى مؤسس المنصورة كان له أستاذ يحبه كثيرا درس عليه هو ابن دحية الكلبى وقد كان من مواليد المنصورة .

— ان شيخ الناحية ووليها سيدى أحمد البدوى من مواليد المغرب فى فاس . وبعد هذا الحديث عن احساس الفرحة بزيارته للمنصورة روى الملك الحسن حكاية وقعت منذ ٩ سنوات فى يوليه عام ١٩٥٦ .

وقال الملك الحسن انه فى ذلك الوقت كان فى زيارة مصر عندما انتخب شعب مصر جمال عبد الناصر رئيسا بالاجماع . وكان الملك الحسن مدعوا الى تناول الشاى مع الرئيس يومها ، وكان أول من هنأه بذلك . وقال الملك الحسن : انه فى يوم الاثنين —١٥ مارس— يوم الاستفتاء — سوف يشرب الشاى مع جمال عبد الناصر أيضا ويكون — للمرة الثانية — أول المهنئين .

وانتقل الملك الحسن بعد ذلك الى الحديث عن القضايا العربية وأهمها قضية فلسطين. وقال ملك المغرب ان ملوك ورؤساء الدول العربية اتخذوا فى اجتماعاتهم قرارات ترمى الى أهداف معينة أولها قضية فلسطين ادراكا منهم لما لهذه القضية من خطورة « ولنا اليقين بأننا سوف لا نضيع قضية فلسطين بل سوف نجند قوانا ونوحد أهدافنا لحل هذه المشكلة » .

السيد الرئيس جمال عبد الناصر والملك الحسن الثانى يحييان جماهير الشعب فى المنصورة

وقال الملك الحسن ان الله عندما قال « ان تنصروا الله ينصركم » كان يقصد من نصرنا لله ان نكون أمة واحدة يدا فى يد ، قلبا على قلب ، روحا مع روح .

وقال الملك : انه يجب على سياستنا أن تكون سياسة منطقية مع نفسها واعية لما تريد ، مدركة لأهدافها ولبعد مداها ، حتى يمكننا — سواء كنا فى شرق بلاد العرب أو فى غربها — أن نضرب على وتر واحد وأن ندرك ادراكا واحدا ونسير فى طريق واحد ..

الملك الحسن الثانى فى جامعة القاهرة :

وفى جامعة القاهرة احتفل باهداء الدكتوراه الفخرية فى الآداب للملك الحسن الثانى ملك المغرب .

وقد حضر الرئيس جمال عبدالناصر الحفل مع ضيفه العظيم . والقى الملك الحسن كلمة فى الحفل فى هذه المناسبة وعن دور المغرب فى النهضة العلمية . ودعا الله أن يحفظ الأمة العربية ويجمع كلمتها على الحق . وأشار الى تكريم الجامعة لوالده الملك الراحل وقال ان هذا التكريم يمثل اليوم لدى المغرب رمزا خاصا فهو تكريم للمغرب كله وتتويج لكفاحه كجناح من العالم العربى ما زال شديد الحرص على عروبته .

وقال : لقد اعتنق المغاربة الاسلام طوعا واختيارا .. وما لبثوا ان لمسوا ما فيه .. ولم يكتفوا بما دلف اليهم من ثقافة الاسلام بل اضفوا عليها حتى أصبحت لهم مدارس مذكورة ومذاهب مأثورة فى علوم الدين وفنون اللغة والمنطق والفلسفة والطب والرياضيات والتاريخ والفنون الشعبية .

وقال الملك الحسن : ((هل يمكن أن يذكر اعلام فكرنا العربى وتراثنا الاسلامى دون أن يذكر فى طليعتهم الحافظ الجدلى بن حزم ،

السيد الرئيس جمال عبد الناصر والملك الحسن الثانى يردان تحية الشعب العربى

والمؤرخ ابن خلدون ، والفيلسوف ابن رشد ، والطبيب ابن زهر ، والرياضى ابن البناء ، والجغرافى الادريسى ، والرحالة ابن بطوطه ، والنباتى الفسانى ، والمفسر ابو حيان، والمحدث ابن رشيق ، والفقيه عياض » .

وأعلن الملك أنه طلب وضع خزائن المكتبة الملكية بالمغرب فى متناول الباحثين والمنقبين لدراسة دواوين أشهر علماء العرب وطالب الملك الحسن بمضاعفة جهود جامعاتنا ومعاهدنا وأساتذتنا وعلمائنا لربط ماضينا بحاضرنا ونشر ثقافة الأمة العربية ومواصلة اداء رسالتها » .

***

وفى حفل العشاء الذى أقامه ملك المغرب تكريما للرئيس جمال عبد الناصر قال فيه جلالة الملك : سمعت الشعب يبايعك .. وان ثقة الشعب هى الحصن الحصين وتكاتف الشعب حول قائده هو الضمانة الكبرى .

ورد الرئيس جمال عبد اناصر بكلمة جاء فيها ان الشعب مؤمن كل الايمان بالقومية العربية والوحدة العربية والعمل العربى الواحد .

نتائج المباحثات الرسمية :

وقد صدر البيان المشترك عن مباحثات الرئيس جمال عبد الناصر والملك الحسن الثانى ملك المغرب وقد أكدا فيه تصميمهما على العمل لازالة كل عقبة فى طريق الوحدة تجاوبا مع أهداف الأمة العربية وتحقيقا لآمالها . وأكد البيان المشترك كذلك تأييدهما التام بحق شعب فلسطين فى استرداد بلاده ومعاونة منظمة التحرير الفلسطينية فى كفاحها المشروع . وحرصهما على أن يتحرر الوطن العربى جميعه من السيطرة والاستغلال الاجنبى وتأييدهما لكفاح الشعب العربى فى عمان وعدن والجنوب العربى .

في عيد الوحدة السابع

السيد حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية

بسم الله الرحمن الرحيم ـ والحمد لله رب العالمين ـ والصلاة والسلام على سيد المرسلين

السيد الرئيس .. أيها السادة . أيها الاخوة المواطنون ..

باسم الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى ، أرحب بكل وأحييكم وليأذن لى السيد الرئيس أن أقدم أجمل الترحيب والتحية الى ضيفنا العربى السيد الوزير شامل السمرائى رئيس الوفد العراقى الذى قدم للمشاركة معنا فى احتفالنا بعيد الوحدة

السيد الرئيس .. أيها السادة ..

لقد اعتدنا أن نجتمع معا فى مثل هذا اليوم من كل عام لنتذاكر فى أول صورة عملية لتضامن الامة العربية فى وحدة مصر وسوريا واليوم وقد فرضت الوحدة نفسها بين البلاد العربية فى عديد من الجهود أصبح هذا اليوم من كل عام ، يوما نلتقى فيه لنتأمل واقع الوحدة وحقيقتها فى سنة كاملة من خلال مجموعة الاعمال العربية الموحدة .. ولنتعرف نحن قوى الشعب العاملة حساب الوحدة فى عام ، ونتأمل منجزاتها تأملا يزكى روح النضال فينير الطريق ويضاعف الهمة ويزيد فى جمع الشمل بين أمة العرب .. أمة واحدة الاهداف

منذ هذا اليوم من العام الماضى ، أضاف العرب رصيدا جديدا الى جهودهم فى مجال

التضامن والتحرر ، وفى مجال القضاء على الحواجز المصطنعة التى أقامها الاستعمار .

فلقد اجتمع الملوك والرؤساء فى الاسكندرية بعد اجتماعهم فى القاهرة . وتحقق من لقاء الملوك والرؤساء اتخاذ مقررات أساسها دعم العلاقات العربية ، والتعهد باتخاذ العمل العربى الجماعى أساسا لخدمة قضايا الحرية والتقدم فى الوطن الكبير وللسلام والتعاون العالميين كما تحققت الآمال فى قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، واقرار منظمة انشاء جيش التحرير ووجوب استخدام جميع امكانيات العرب وحشد طاقاتهم ومقدراتهم لمواجهة تحدى الاستعمار والصهيونية ..وفى خلال هذا العام أيضا تمت اتفاقية التنسيق بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق واتخذت شكلها العملى ، وعقدت روابط الوحدةباليمن الشقيق ، وتمت لقاءات رسمية عربية على أعلى مستوى فى بغداد والجزائر وصنعاء وتونس والرباط ، وتوالى انعقاد المؤتمرات بين رجال السياسة والاقتصادوالمال والبترول والتعليم والصحة والاجتماع ، والتقى العرب قوة واحدة فى مؤتمر القمة الافريقى وفى مؤتمر عدم الانحياز بالقاهرة ، وكان الاتحاد الاشتراكى العربى مركزا للبعوث والوفود التى قدمت اليه من مختلف العواصم العربية فى دراسات ومباحثات سياسية وتنظيمية أكدت أواصر الصداقة وروابط الود والتقاء وجهات النظر على صعيد واحد من ضرورة الكفاح بقوى الشعب من أجل الشعب فى مختلف البلاد العربية ..

أيها السادة ..

ان فى لقاء الملوك والرؤساء والقادة العرب وفى لقاء العسكريين ورجال السياسة وغيرهم خطوات فعالة نحو وحدة الهدف الحقيقية ، وأعمال تحقق فى كل بلد عربى الامن والسلام والتقدم وهى ضرورات الحياة الرغدة فى كل دولة من دول العرب .. كما أنها خطوات ثابتة للقضاء على الحواجز المصطنعة ، وتحديات للمستعمر الذى يحاول دائما أن يفرض المباعدة والفرقة فرضا بين البلاد العربية حماية على مصالح الاستعمار ولاضعاف قوة العرب فى مختلف الميادين ..

ونحن نقول للاستعمار فى هذا اليوم ، ماقاله الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه بمجلس الامة ان سلامة الامة العربية الواحدة لا تتجزأ ، والعدوان على أى جزء منها هو عدوان على الكل .. وأن الاستعمار لن يحمل عصاه على كاهله ويرحل من الارض العربية بالاقناع وبالمنطق . كذلك فان اسرائيل لن تنزاح من مكانها فى وسط الامة العربية رضا وسلاما .

ان ما يثار اليوم حول اضعاف قوة العرب وان ما يحدث عمليا فى تسليح اسرائيل وتزويدها بالمهمات والمعدات لتحويل مجرى نهر الاردن عنوة ومضاعفة الصهاينة سريعا على الارض العربية وان الاعتداءات المتكررة على حدود الدول العربية .. لدليل على أن القوة الحقيقية لوحدة العرب هى ضرورة حياتها وحقيقة وجودها .. ولن يكون ذلك الا فى قوتها الذاتية واعتمادها على مقدراتها فى يومها وفى غدها وفى يقظتها الدائبة شعوبا وحكاما .

اننا نحن العرب نملك من الثروات والامكانيات ما يزيد النماء والرخاء فى بلادنا عندما نعمل معا ، وما يجنبنا تآمر الدول الاستعمارية علينا ، وتربصهم بنا ، واتحادهم ضدنا ، ووقوفهم صفا واحدا ظاهرا أو مستترا يسلحون اسرائيل قاعدة الاستعمار من أجل أن تلعب دورها ضد قوى الثورة العربية وللقضاء على تماسك العرب ووحدة العرب .

أيها الاخوة أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ..

لقد كتب للجمهورية العربية أن تكون قاعدة النضال .. والجمهورية العربية المتحدة بمسئولياتها .. ومن أجل ذلك تمضى فى سبيلها العملى لدعم الحياة الديموقراطية تحرص داخليا على أن تكون قاعدة جديرة والاشتراكية فيها على أساس من مضاعفة الدخل القومى وتوفير الخدمات للمواطنين.. ان خطة السنوات الخمس التى تم تنفيذها كانت ضرورية لخطة السنوات الخمس التى

سيبدأ تنفيذها بعد شهور .. لقد أتمت البلاد بناء المرحلة الاولى من السد العالى التى كانت مجرد تمهيد للمرحلة القادمة ، مرحلة الزراعة الفعلية لقرابة مليونى فدان ، ومرحلة الكهرباء الكاملة لكل الجمهورية العربية المتحدة .

ان منجزات الثورة فى الزراعة والصناعة والتجارة والخدمات والارتفاع بامكانيات المواطن ومقدراته .. هى دعامات العمل الثورى على أساس من الكفاية والعدل .. وها نحن شعبا وحكومة نؤازر خطة العمل ، وندعو الى الادخار ، ونتجنب الاسراف يقينا منا بأن الوطن العربى يتعين أن يكون قويا فى مقدراته وبأن الآمال لا تتحقق الا بالعمل .. لكى يتم اللقاء العربى دائما على أساس من اتحاد الاقوياء الثوار .

السيد الرئيس جمال عبد الناصر ..

باسم الاتحاد الاشتراكى العربى ــ وباسم الملايين التى تتجمع اليوم من حوله فى بلادنا متأملة معانى هذا اليوم واكتمال الآمال فيه . متتبعة بثبات وايمان وفهم للجهود العربية من أجل وحدة العرب وعزة العرب .

باسم هؤلاء .. نتقدم اليكم معلنين أننا نحن قوى الشعب العاملة من فلاحين وعمال وجنود ومثقفين ورأسمالية وطنية ، ندرك ما قلته ياسيادة الرئيس حق الادراك بأنه علينا أن نروض النفس على أن هناك تضحيات مازالت تنتظرنا ، مادام هذا الجيل قد اختار أن يحمل رسالته التاريخية ، وأنه يتعين علينا أن نمكن لقيم المجتمع الاشتراكى من أن تستقر فى الارض وترسخ ، وتصل بجذورها الى أعماق حياتنا ..

لقد وعى الشعب كله بيانك التاريخى فى مجلس الامة .. وأنت تعلن فيه برنامج عملك المقبل . وانت القائل فيه : اننا جزء لا يتجزأ من أمة عربية واحدة تاريخها واحد ، ونضالها واحد ، ومصيرها واحد .. وأن الامة العربية ليست مقطوعة عن دنياها . وانما هى القلب تماما من هذه الدنيا .. وانها كانت منذ فجر التاريخ ، رسالة حرية وحضارة .. جاهدت فى سبيلها لكى تنشر الامل والنور ، وتحمل ألويتها الى أقاصى الارض .

واليوم ياسيادة الرئيس ، وفى عيد الوحدة ، يشد الشعب على يديك ، ويقف وراءك صفا واحدا ، ويعاهدك بأن يجعل برنامج عملك .. دستوره فى عمله فى يومه وفى غده : فى حقله وفى مصنعه وفى مكتبه . متجها الى الله أن يرعاك وأن ينصرك ..

والله ولى التوفيق .

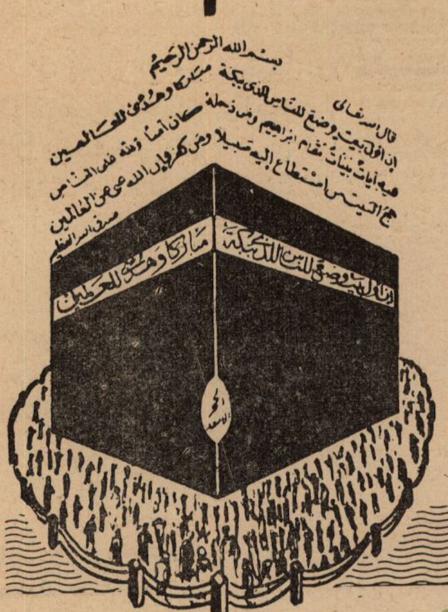

خليل الله ابراهيم

بمناسبة موسم الحج

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

١ ــ سيدنا ابراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ هو الجد الأعلى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما هو الجد الأعلى لكثير من الانبياء والرسل من قبله ، وفى هذا يقول الله عز وجل فى سورة الانعام :

« ووهبنا له اسحق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود ، وسليمان ، وأيوب ، ويوسف ، وموسى ، وهرون ، وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، والياس ، كل من الصالحين ، واسماعيل ، واليسع ، ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ، ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم : واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم » .

الضمير فى قوله تعالى « ومن ذريته » لابراهيم ــ عليه السلام ــ عند أكثر العلماء ، لا لنوح عليه السلام .

ولوط ــ وان كان ابن أخى ابراهيم ــ قد ذكر فى الذرية تغليبا .

ومحمد صلى الله عليه وسلم يمتاز فى هذه النسبة بأمر يلفت النظر ، هيأه الله له ، واختصه به من بين هؤلاء الأنبياء أجمعين : ذلك أن ابراهيم كان له ولدان : اسماعيل من هاجر ، ثم اسحق من سارة ، فأما اسحق فقد كثرت ذريته من الأنبياء ، فكل من نسب الى ابراهيم فى هذه الآيات ، فهو من ذرية اسحق وأما اسماعيل فهو أبو العرب على اختلاف قبائلهم ، وليس له ذرية من الأنبياء الا محمد خاتمهم ــ عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام ــ **فكأن الشجرة الابراهيمية قد أنبتت فرعين عظيمين وازن أحدهما الآخر جلالة وشرفا ،**

وكان محمد صلى الله عليه وسلم وحده وزان هذه السلالة الطاهرة كلها من الأنبياء .

وابراهيم عليه السلام هوبانى البيت الحرام، ورافع قواعده بأمر الله ، ومطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وواضع المناسك والمشاعر ، وهو الذى دعا لهذا البلد الحرام أن يجعله الله آمنا ، تهوى اليه أفئدة من الناس ، وتجبى اليه ثمرات كل شيء ، كما دعا ربه أن يبعث فى العرب رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم .

فبين ابراهيم خليل الرحمن ، ومحمد خاتم الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهما – صلة وثيقة : نسبا ، ووطنا ، وقوما .

وهى ناحية بارزة من غير شك فى حياة هذين الرسولين الكريمين .

٢ – وابراهيم – عليه السلام – كان منذ صغره مائلا عن الشرك ، متنزها عن أرجاسه ، فلم يشرك بالله قط على كثرة ما كان حوله من بواعث الشرك ، فأبوه مشرك ، وقومه مشركون ، وللأصنام عندهم منزلتها وحرمتها ومعابدها ، ومع ذلك لم يمل قبل بعثته طرفة عين الى جانب الشرك ، ولم يعبد الا الله ، ولم يخشع الا لله .

وقد حدثنا القرآن الكريم انه لما جادل أباه وقومه فيما يعبدون من دون الله، استصغروه وقالوا له **«أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين»** ولما حطم الأصنام قالوا : **«سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم »** . كل هذا يدل على أنه اعرض عن الشرك ، وأخلص التوحيد لله ، وهو فى سن مبكرة لم تعد طور الفتوة والشباب ، ولهذا يقول الله عز وجل :

« ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين » .

ويقول :

« ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » .

وكذلك كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد تولاه ربه برعايته ، منذ طفولته ، وبرأه مما كان يسود قومه وعشيرته الأقربين من الشرك ، والفحش ، والشعر ، واللهو ، وسائر أنواع المجون ، وأدبه فأحسن تأديبه ، حتى كان يعرف فى قومه بالصادق الأمين ، ولم يسجد لصنم قط ، ولا استقسم بزلم قط ، ولا استطلع كاهنا ، ولا استعان بعراف، وقد حبب اليه أن يعتزل الناس ، ويبتعد عن مظاهر الشرك والوثنية، وهوالعربى الذىنشأ فوجد قومه زعماء الشرك .

فهذه ناحية ثانية فى تحقيق الصلة بين الرسولين الكريمين : هى اتفاقهما أو تشابههما فى النشأة .

٣ – وابراهيم عليه الصلاة والسلام ، كانت له طريقة بارعة فى محاجة الخصوم ، ومقارعة المبطلين بالدليل تلو الدليل ، على نحو من الاستدراج المنطقى ، أو ما يسمونه فى البحث والمناظرة بارخاء العنان للخصم حتى يفاجأ بما ليس فى حسابه فيرتبك ويتلعثم ويضطر الى التسليم .

وأمثلة هذا فيما حكاه الله فى القرآن الكريم عن ابراهيم كثيرة ، حسبنا أن نعرض لبعض منها بشيء من التفصيل :

– « ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك » .

محاجة دارت بين ابراهيم وجبار عنيد غره ملكه، حتى نازع ربه الذى يملك ناصيته، فادعى الربوبية ، وقد ناقشه خليل الله مناقشة ابطل فيها افكه وسفسطته ، وبين كثرة جهله ، وضعف عقله ، والزمه الحجة حتى انقطع وتحير :

– « اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت » .

لم يقل له : ربى يحيى ويميت، لأنه لايريد أن يصف الله بالاحياء والاماتة فحسب ، ولكنه يريد أن يثبت له الانفراد بالاحياء والاماتة ، فقال « ربى الذى يحيى ويميت » أى هو وحده الذى يفعل ذلك ، فهو يستدل بالاحياء والاماتة اللذين ينفرد الله بهما فى هذا الكون ،

ويراهما الناس كل يوم ، على أنه هو وحده رب الكون فيقول : أنا لا أعبـــد ، ولا أدين بالربوبية الا لمن بيده الاحياء والاماتة والتصرف فى الخلق بما يشاء ، لأنه هو الذى يستحق عبادتى وخضوعى، أما من كان مثلى فى خضوعه لهذا الرب وما يصنعه به ، فليس جديرا بأن يكون ربا لى !.

فماذا قال له الكافر ؟

« **قال : أنا أحيى وأميت** » ـ لم يستطع أن يقول : أنا الذى أحيى وأميت ، والا لكان مكابرا صريح العناد ، ولكنه تحايل بهـــذا اللفظ ليخدع السامعين، ولا ينكشف أمام الحاضرين، فأسند لنفسه نوعا من الأعمال سماه احياء واماتة ، على نحو من الحيلة والسفسطة ـ قالوا : كان يؤتى بالرجلين قد تحتم قتلهما لجرم قد ارتكباه ، فاذا أمر بقتل أحدهما ، وعفا عن الآخر ، فكأنه قد أحيا هذا ، وأمات ذاك ـ فكان ابراهيم يستطيع أن يزيف له هذا الرد ، ويبين له أنه فى واد غير واديه ، ولكنه لم يفعل ، بل أعرض عن هذه الحجة ، لأنه يعلم أن صرف الوقت فى ردها والنقاش فيها غير لازم ، وانتقل الى حجة أخرى :

ـ « **قال ابراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذى كفر** » .

وانما بهت لأنه لم يستطع مع هذه الحجة الساطعة أن يتبجح ويتلاعب بالألفاظ والمعانى، كما فعل فى مسألة الاحيـــاء والاماتة « **والله لا يهدى القوم الظالمين** » .

ـ وابراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان قويا فى معالجة قلبه ، لكيلا يطغى على عقله ، فكان لا يعبأ بأى اعتبار من الاعتبارات التى تصرف الضعفـــاء عن النظر الصحيح ، أو تلويهم عن تعرف الحق ، أو تفت فى عضدهم حتى يظلعوا اليه ظلعا ، كما يغمز البعير فى مشيته .

لم تزل قضية احياء الله للموتى أمرا عجيبا حتى مع الايمان بقدرة الله وسبق انشائه لكل ما فى الوجود ، ومن فى الوجود ، ولم يزل أهل الشكوك والعابدون للطبيعة والمادة يثيرون بها على الناس شبها ، ويتوصلون بها الى انكار الحياة الأخرى وما فيها من جزاء على الخير بالخير وعلى الشر بالشر .

وقد أراد ابراهيم مع ايمانه بالله وثقتـــه بقدرته أن يرى من أمرها رأى العين ، وهـو يمثل فى هذا الطلب كل متطلع الى معـــرفة الحق ، حريص على اجتلائه ، فطلب من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى : « **واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا ، واعلم ان الله عزيز حكيم** » .

ومن نافلة القول أن نذكر أن ابراهيم لم يكن مترددا فى قدرة الايمان بقدرة الله ايمانا طبعه الله عليه ، ويسره له ، وصاغه على نهجه منذ كان فتى ينازع قومه على الأصنام حتى يحطمها ويدعو أباه الى التوحيد ، ويجادل المشركين على الحق المبين ، ولكنه طلب صورة أخرى من صور اليقين والاطمئنان، بعد الايمان بالقدرة ، وتطلع الى ما يتطلع اليه المرء الوسط الذى ليس نبيـــا ولا مؤيدا بوحى ، فسأل : « **كيف يحيى** » ولم يسأل : « **هل يحيى** » لأن « **كيف يحيى** ؟ اذا تجلت كانت أكبر دليل على صدق « يحيى » وكانت لكـل من يأتى بعده ومن يفكر بمثـل عقله نبراسا مضيئا ، وآية واضحة، فهو فيها متحدث باسم العقل ، متلق للجواب باسم العقل . متمتع بالطمأنينة والرضا باسم العقل فكأنه فى ذلك نائب عـن الانسانية المفكرة كلها فى أهم قضية من قضايا العقل .

ليس كل الناس يجرؤ على هذا الطلب ، وليس كل الناس يرضى بأن يذاع عنــه أنه يتطلب علما محسوسا ، وشاهدا ملموسا ، على قدرة الله الذى آمن به ، ولكن ابراهيم يجرؤ ويطلب ويدعو ربه ليصـــل الى الاطمئنان ،

ويسد على كل من تحدثه نفسه بالشك منافذ الشيطان فذلك مثل واضح من أمثلة اتجاهه العملى فيما يعتقد .

ـ ومثل آخر يتجلى لنا فى صنيعه حين تدرج بقومه الى ابطال رأيهم وميراثهم الذى ورثوه عن آبائهم فى تأليه الكواكب من شمس ويسد على كل من تحدثه نفسه بالشك منافذ أو قمر أو سواهما ، وذلك قوله تعالى :

« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون » .

هذا الاسلوب جدير بكل اعجاب ، كما هو جدير بالتأمل والنظر ، وفى بعض ما يقوله الناس تفسيرا للقرآن الكريم ، أو بيانا لقصصه أن ابراهيم كان أول الأمر متحيرا لم يستقر له فى أمر الألوهية قرار ، وانه تنقل من تأليه كوكب الى تأليه آخر حتى اهتدى الى ان هذه الكواكب كلها لا تصلح آلهة ، وأن الله هو الاله الحق ، ويؤيدون ذلك بأن الله قدم بين يدى ذلك انه يرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين ، أى انه تعالى يريد أن يكون ايمان خليله ايمان اليقين، لا ايمان التلقين .

وليس ذلك بصحيح ، فما كان ابراهيم بمتحير ولا مضطرب فى أمر الالوهية ولكنه واثق مطمئن القلب ثابت اليقين ، بيد أنه لم يشأ أن يقول لقومه باللسان والشفتين : ان ما أنتم عليه هو الباطل ، ويكتفى بهذا القول ، بل حاكمهم الى العمل وملابسة الفعل ، بعد أن حاجهم وناقشهم بالمنطق والعقل ، ليبين لهم عمليا ضلالهم وماهم عليه من الجهل والتخبط، فقال : تعالوا ننظر هذه الآلهة ، فلعلى انا المخطىء المتجنى على الحق ، فلفت بذلك انظارهم ، وسد منفذا مما عسى أن يقوله المفترون من أن ايمانه تلقينى كايمانهم بما يؤمنون ، وانتهى الأمر به الى أن زيف لهم هذه الآلهة المزعومة واحدا بعد واحد ، لأنه لفت أنظارهم الى ما يلابسها مما ينافى الربوبية ، فهى تغيب وتحضر ، وتخفى وتظهر ، دون أن تملك لما أجريت عليه من سنة تبديلا أو تحويلا، ودون أن تهدى متبعيها الى الخير والرشاد .

وكيف يكون ابراهيم متحيرا ، وهو يرمز الى قومه فى أثناء تظاهره باعتقاد القمر **«لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين»** فقد تضمن هذا القول البارع قاعدة ، هى ان الاله الذى يعتقد هو الذى يهدى ، وتضمن أن هناك قوما ضالين منحرفين عن جادة الحق وسواء السبيل ، وفيه تلميح اليهم ، وظاهره مع كل هذا يحتمل أن يكون المراد به القمر ، وأن هذا الرب لا يهدى فلا يكون جديرا بالألوهية .

وقد صورت لنا هذه الآيات الكريمة تلك الصورة الرائعة تصويرا بارعا ، فبدأت بذكر حال ابراهيم ، وكأنه يشد مئزره ، ويعقد خنصره ، ويتطلع الى السماء باحثا منقبا ، بل الى الوجود كله ، حتى يعثر على هذا النجم العجيب اللامع المتلألىء ، فيراه فى عالم غير عالمه ، وعلى حالة غير حالته ، فيتوجه اليه بالايمان والاذعان ، ويقول : هذا ربى ! حتى اذا غاب وأفل ، بدت عليه دلائل التحسر والحيرة ، وعاد يبحث وينقب ، فتوجه الى القمر تارة ، والى الشمس تارة أخرى ، وهو فى كل مرة يفجأ فى الظاهر بما لم يكن يعلم ، ويفاجىء فى الحقيقة بما يعلم ، ثم رفض ذلك كله ، وواجه بالحقيقة قومه قائلا **« ياقوم انى برىء مما تشركون ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين »** .

فهذه أيضا احدى « عمليات » ابراهيم وهو بصدد ايصال الحقيقة الى قومه ، وتكوين معتقد سليم فى نفوسهم ، فهل ترى يستطيع كثير من الناس أن يقتحموا فى سبيل الايمان حصنا من حصون الكفر والضلال ، فى صورة المذعنين المؤمنين بما يؤمن به أصحابه، ليخرجوا منه بعد قليل وقد قوضوا بنيانه ، وصدعوا أركانه ؟ ؟

من حضارة الإسلام

مآثر الأنصار

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

دخل الاسلام فى ضمان النصر حين بايعت الأوس والخزرج رسول الله فى سوق مكة وفى المدينة : فى السوق لمن لقيه منهم وفى المدينة لمن بلغته دعوته قبل من يراه . وكانت وحدة الاسلام الجامعة قد شدت القبيلتين برباطها شدا وثيقا وامتدت يدها مع الدعوة الرحيمة فاطفأت عصبية الجاهلية فيهما واستلت السخائم من قلبيهما .

وأمر مدهش كأنه المعجزة أن تنقلب الفرقة العريقة والعداوة الموروثة بين هذين الشعبين اتفاقا واتحادا يتحول به الصراع الى حب وامتزاج وتتحول به أفكار المتعادين من تعصب ذميم الى مودة ورحمة . وكان من حق هذه المعجزة أن توجب على من حولتهم أن يتعجبوا لها وعلى من استمتعوا بنعمتها أن يشكروها وكان من حق القرآن أن يمن عليهم قائلا « **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** » .

ومبايعة الأنصار لرسول الله بعد قليل من السابقين من أهل مكة أفضى الى أن يتخذ النبى قاعدة لدعوته غير القاعدة الاولى التى تشبث أهلها بمعاداته بغيا وعدوانا ، ومع أن الأنصار كانوا أبعد اتصالا بالنبى من أهل مكة وأقل معاشرة له فقد قدموا بما فعلوا دليلا من الاسلام ذاته على قوته وصلاحيته للأمكنة المختلفة مع فروق ما بينها من معايش وأحوال .

وأهل المدينة كانوا يساكنون فى بلدهم أهل ديانات اخرى منذ أزمنة بعيدة ، وكان بين أهل هذه الديانات علماء بها حراص عليها ، فحين بايع أهل المدينة دينا مكيا أفسحوا له فيما بينهم أن يحقق دعوته بالاستعلاء على الدين كله حين حققوا له أن ينبعث صوته فى وسط يعج بأصوات تنبعث من أديان اخرى .

وقد فارقت الدعوة بهذا كله طريقة الحنفاء الذين ظلوا يعكفون على الظن باله واحد دون أن تكون لهم قوة ظاهرة بين الموحدين أو تكون لهم شريعة مفصلة ، وانما كانوا أشبه بمن وقعوا فى حيرة ثم مالوا فى هذه الحيرة الى النجاة .

البيعة الشاملة :

والأوس والخزرج الذين شرفهم الله في كتابه باسم الأنصار اكتسبوا لأنفسهم حين بايعوا رسول الله فى أسواق مكة ربحا رابحا اذ بايعوا للنبى فى مزدحم البيع والشراء والتفاخر بالأحساب والأنساب فاختاروابذلك لأنفسهم أن يذهب الناس الى رحالهم بمكاسب الدنيا ويعودوا هم بها أيضا ومعها مرابح الآخرة فكانوا أربح سفر ذهب فى تجارة واظفر شراة اشتركوا فى بيع .

ولم تفسد ضوضاء التجارة على رسول الله ولا على الأنصار أن يدعو بدعوته وأن يجد مبايعين دون أن يمتنع الناس عن دنياهم . ومن قبل امسك السيد المسيح بهراوته يضرب التجار خارج الهيكل لما كدروا عليه صلاته بضوضائهم ، ولكن محمدا ترك للدنيا سبلها وقصد من الآخرة سبيلها فأوضح للناس فى دعوته ملامح دينه حيث تطلب الآخرة وترجى من حيث لا تهمل الدنيا ولا تنسى .

ثم لم تكن بيعة المدينة للنبى ترضية لهوى أهلها ضد أهل مكة أو اليهود المقيمين بها ، واذن لا نفض الناس عنها اذا شبعت الشهوات حينا ، ولكنها كانت مبايعة ابدية تعيش مع حياة النبى وتمتد الى ما بعده ، يمضى عليها السلف يتولاها الخلف وهكذا كان ابن عن أب فى سلسلة الوجود حتى القيامة .

وكانت بيعة كل من بايع على ما يحب وما يكره فليس لأحد على المبايعة شرط ، وانما هى العقدة التى لا تحل ، ولم يترخص رسول الله فيها لأحد ولم يقبل بعضا دون بعض ولا ظاهرا دون باطن ، اذ لا تستقيم البيعة الا بالاقبال كله وكما دعا الله قائلا **«يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة »**

فلم يكن كافيا للدخول فى الاسلام أن تتبع بعض شرائعه دون بعض أو تستحسن منه وجوه دون أخرى . وكل ما يسار المرء به نفسه من باطل أو نكوص فانما اثمه على من يخفيه فى نفسه أو ينكص به من حيث يبقى حق البيعة قائما واوامر الولى مطاعة معمولا بها ونواهيه متروكة مبعودا عنها .

واعظم ما شرف المدينة أنها أقبلت على الاسلام راضية به كله من غير اكراه حتى فضلت فيه سائر البلدان ، لا يستثنى بلد حتى مكة ، فقد فتحت المدينة وحدها بالقرآن حتى أن الآباء الذين ارادوا أن يكرهوا أولادهم على الاسلام منعهم الله ورسوله من ان يكرهوهم عليه وتركوهم لأنفسهم ، فقد صار لهم أن لا يتخلفوا وهم أبناء الأنصار وقد تبين لهم الحق من الباطل حيث يقول سبحانه **« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .**

الطاعة والانقياد :

وازمعت الأوس والخزرج ومن بايع معهما ان يقتدوا برسول الله ويتبعوا سنته من قول وفعل ، ويمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه ، ومهما أدبهم بأدب تأدبوا به ، وأقروا فى ظاهرهم وباطنهم أنه لا حلاوة لتعزيز رسول الله وتوقيره الا ان يكون الله ورسوله احب الى قلوبهم من أنفسهم فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، ولم يكن لهم غير أن يلبوا داعى الله الذى نادى قبلهم أهل مكة يقول : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بأمره » . ثم أقبل بعض أهل مكة وتاخر بعضهم فعد من الفاسقين .

ورؤية رسول الله او الشوق اليه بالعين أو القلب كانا كما قال على بن أبى طالب – رضى الله عنه – احب من الماء البارد بعد الظمأ .

ومهما صور هذا الحب فى بلاغة فان المسلمين انتصروا به حين التفوا حول رسول الله ذاته وانتصروا به حين التفوا حول شريعته واول دليل على صدق هذا القول ما حدث من اصحاب رسول الله فانهم لم يخرجوابعد احد فى عسكر مع النبى الا ظفروا ، ولم يخرج عسكر بعد رسول الله وفيه واحد من الصحابة الا ظفر ، **وهذه البلدان كلها انما**

افتتحت على عهود الصحابة فلما انقرضوا لم تفتتح بلدة على الوجه الذى كانوا يفتتحون ».

وقد تبين أن أهم شئون المبايعة بالتقدير كان العهد ببذل الأرواح فى نصرة الداعى ، أما ما وراء الأرواح فكله أدنى منها قيمة وقدرا . وقد وضع هذا العهد فى ميثاق الأنصار أول ما واثقوا النبى ثم اقبلوا على الوفاء به اقبال الليوث فتكسروا على الموت افرادا وجماعات حتى تفرقت الأوس والخزرج اشلاء كريمة تتناثر فى بقاع الأرض كلها طهرا وطيبا .

وفى الحق انه لا قيمة للأموال الا اذا كانت الأرواح ناكصة والنفوس مخذولة ، فهناك يظهر الغنى وتصلصل الأصوات ، أما اذا شجعت الأرواح على البذل فلا ضعف مع الضنك والفقر مهما بلغا واشتدا .

وهكذا كانت مبايعة المدينة ، بل هكذا كانت وتكون كل مبايعة ينتصر فيها دعاة الأديان والمبادىء ، اما اذا تلكأ الناس وتلمسوا القوة المادية وحسب ولم يدبروا لهم امرا حتى ترخى عليهم ظلالها فانه لا أمان للمعركة التى تخاض ولا مطمع فى النصرة التى تراد .

ولم يكن المال ولا الملك مطلب النبى ، واذن لوجدهما فى مكة ، فقد عرضا عليه والتمس المشركون رضاه فابى الا ما يكرهون من الاقرار بالله ورسوله ، وهذا الذى أباه اهل مكة رضيه أهل المدينة مع أنهم كانوا أفقر من أولئك حالا وأقل مالا .

ومنذ قبول المبايعة بالأرواح على ما يحب الناس من النبى وما يكرهون تمت كل الأجزاء فتركب الميزان من كفتيه : كفة راجحة موزونة من ايمان وفقر ، وكفة شائلة خاسرة من كفر ومال .

استقبال المهاجرين :

وباستقبال الرسول فى المدينة دخل الأنصار نور الايمان والعمل بعد دور الاسلام والقول . ووشيكا توالت نوائب الامتحان الشاق والابتلاء المرير ، وتمخض الزمن عن صدق ايمانهم وبذل أرواحهم فلم يقولوا قولا الا حققوه ولم يعدوا وعدا الا وفوا به .

والاخاء الذى صنعه رسول الله بين الأنصار والمهاجرين كان عبؤه الأكبر على الأنصار اذ قسمت ماكلهم ومساكنهم وأرزاقهم ، ثم ما لبثوا أن خضعوا للنبى فى تخطيط مدينتهم من جديد ومد أرجائها وزراعة حواشيها وتثمير ديدانها لتتسع لأفواج المهاجرين الذين وفدوا عليها من مكة ثم من آفاق الجزيرة وخارجها وهى لا ترد مهاجرا بل تعتبر بائسا كل من رجع عن الهجرة أو مات بعيدا عن المدينة فلم يدفن فى بقيعها .

وكان حسب المهاجرين الى المدينة أن يلبسوا ثوب الهجرة الى الله ورسوله ، ورب امرأة أتت النبى مهاجرة فاستحلفها بالله انها ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله حتى يقرها على هجرتها . وكذلك كان حسبهم جميعا وان لم يحملوا معهم زادا أو نفقة ، اذ صارت الهجرة فرضا على كل من آمن بقوله تعالى « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » .

وسواء استطاع المهاجر ان يستخلص من ماله ما يستطيع أن يهاجر به الى المدينة أم لم يستطع فان الأنصار باستقبالهم المسلمين هدءوا كل مرتعب وشجعوا كل متردد فلم يعد لخائف ان يختار بين الهجرة والتخلف فان فى انتظاره الدار والكسوة والطعام .

وقد رأت المدينة فيما رأت من فيالق المهاجرين ألوانا لا حصر لها ، وفى برهة قصيرة من الزمن صارت الهجرة اليها سيلا جارفا وطوفانا طاغيا . ومما رأت وضمت قوم من الفقراء هاجروا اليها بلا مال ولا كساء ولا اداة للتجارة فلما أقاموا لم يجدوا وجها للكسب ولا مكانا للسكنى ، قد أنفدت المدينة كل جهدها من رزق ومكان ، فجمعهم النبى فى صفة كانت فى مسجده وهى سقيفة كانت من جملته فقعدوا فى ظلها ورصدوا أنفسهم لتعلم القرآن والخروج فى سرايا رسول الله عند كل مفزع ومقتل ، وكانوا أربعمائة ، وقد أصاب بعضهم الضعف وأصابت بعضهم الجراحات

فصاروا من الزمنى ، ولكن اهل المدينة لم ينسوهم ، حتى اذا اتسع الاسلام كان منهم الأغنياء وكان منهم الأمراء .

قال أبو ذر : كنت من أهل الصفة وكنا اذا أمسينا حضرنا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيأمر كل رجل فينصرف برجل ويبقى من بقى من أهل الصفة : عشرة أو أقل فيجاء للنبى بعشائه ونتعشى معه فاذا فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ناموا فى المسجد » .

ولم يضق الأنصار بأحد ذرعا وكأنما كانوا أوحد الناس ايمانا بالرزق وأكثرهم توكلا على الله ، وكأنما صار هذا الايمان وهذا التوكل طبعا قائما فتركوا سيول المهاجرين الجارفة تسيل بمدينتهم وضواحيها فى كل مسيل ، ولا سيما حين نزل فى أولئك المهاجرين الفقراء قول الله تعالى : « وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم » فحمل كل مدنى جهده بل فوق ما يطيق وكأنما أصبح على عاتق المدينة أن تحمل وحدها كل الاعباء.

خلق الايثار :

ولم يتخلق أهل بلد بمثل ما تخلق به أهل المدينة الأنصار من ايثار غيرهم على أنفسهم بكل ما سال فى وديانهم من نعمة ورزق . ولقد كان الغالب عليهم العمل فى حدائقهم وأموالهم بأنفسهم فلم يكن معهم لغيرهم كبير فضل، فلما انصبت فى ارضهم سيول المهاجرين أشركهم الأنصار فى أعمالهم وأموالهم وظل ذلك حتى افتتح رسول الله بنى النضير فقال للأنصار : « ان شئتم قسمتها بين المهاجرين وتركتم تصيبكم فيها وخلى المهاجرون بينكم وبين دوركم وأموالكم فانهم عيال عليكم » فقالوا : نعم ، ففعل النبى ما وافقوا عليه ولم يأخذوا من ارض بنى النضير نصيبا .

وكان ما فعله الأنصار مع المهاجرين مثار عجب المهاجرين ذاتهم فقالوا لرسول الله : يا رسول الله ، ما رأينا قوما أبذل من كثير ولا احسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين اظهرهم ، لقد كفونا المئونة واشركونا فى المهنأ حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله . فقال لهم رسول الله : « لا ، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم ».

نعم انه قد تحرك الغضب والأثرة أحيانا فى نفوس الضعفاء منهم فكان ان ذكرهم رسول الله بنبيل مسلكهم فى نصرته والاستئثار به مما لا تقاس به مكاسب ولا تبلغ غنائم فانطفأ الغضب وخمدت أثرة النفوس .

ولعل اكبر غضب حاك فى صدورهم يوم غنائم حنين حين فرقها رسول الله على أهل مكة ولم يعط منها الأنصار فغضبوا ، وما لبثوا أن رجعوا عن الموجدة وغلظ الطبع الى الرقة والايثار حين خطب فيهم رسول الله يقول :

« أوجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليؤمنوا وتركتكم الى ايمانكم ؟ أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير ترجعوا برسول الله الى رحالكم ؟ » قالوا : بلى ، ولله الفضل والمن . فقال لهم رسول الله : « والله لو سلكت الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار » ثم دعا رسول الله لهم ولأولادهم وذراريهم . وقد كان ما قاله الرسول حقا وصدقا فقد بين لهم أنه ليس قوم أقرب الى قلبه منهم وانه لن يبيع موطنه بينهم بالوطن الذى ولد فيه .

ومن قبل هذه المرة راود الحزن قلوب بعض الأنصار حين استشهد بعض رجالهم فى أحد ثم ما لبثوا أن كفوا حين نهاهم النبى عن الاسترسال فلم يسمع بعد ذلك رنة حزن على شهيد . ولقد كان الرجل منهم ومن غيرهم يستبعد ما بينه وبين الجنة لو كان بينه وبين الاستشهاد مسافة أكل ثمرات فى يده فكان يرمى بهن ويقتحم على الموت حتى قال قتادة : ما نعلم حيا من أحياء العرب أكثر شهيدا أعز يوم القيامة من الأنصار .

وهذا الجبل المدنى الذى هزم الانصار عنده لم يلبث أن تغير حاله من جبل كرهت عنده الهزيمة الى جبل يتقدس بحديث رسول الله الذى يقول : « أحد جبل يحبنا ونحبه » ورسول الله وان كان يعنى به أهله على المجاز

ـ وهم أهل المدينة ـ فان الجبل ذاته قد أصابه ما أصاب أهله من عزة وتقديس .

ولكن هذه المرات التى بدت فيها باديات غضب أو حزن من الأنصار أو بعضهم لم تكن غير موجات عابرة لم تمس قلوبهم أو تكدر نفوسهم فكانوا أحق الخلق بثناء الله عليهم فى قوله « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

تيسير التحول :

ولم يكن الدين الا تحولا سريعا أو بطيئا عن الماضى الذى توارثه الناس ، وانما يظهر هذا التحول عنيفا حينا وهينا حينا آخر . وهو يعنف حين يكون تغييرا فى جذور الحياة التى ألفها الناس ، وأعنف اذا مس العبادات التى اعتادوها . ولكن المدينة سهلت كل صعب ويسرت كل شاق فى كل تحول عنيف فمضى الاسلام قدما شجاعا فى كل تغيير .

وكان حادث التحول الى القبلة فى المدينة ابتلاء للناس ليعلم الله من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وهو وان كان استجابة لرغبة رسول الله من ربه وتخلصا من شبهة مسايرة دين آخر ورجوعا الى قبلة ابراهيم التى صلى اليها النبى من قبل وهو بمكة ـ الا أنه كان فى مظهره اتجاها الى مكة وانتباها من النبى الى موطنه الذى ولد فيه ، فأثار السفهاء من يهود المدينة والمنافقين والمشركين فأجلبوا فيه .

ولكن سرعان ما تحول الانصار فى كل مسجد لهم عند ما سمعوا أن رسول الله قد تحول الى الكعبة دون أن ينتظروا أمرا مؤكدا اذ خرج رجل ممن كان صلى مع النبى الظهر أو العصر فى مسجدبنى سلمة فمرعلى مسجد قباء وهم راكعون فنادى قائلا : اشهد بالله لقد صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت :

قالت نويلة بنت أسلم ـ وكانت من المبايعات ـ : كنا فى صلاة الظهر فأقبل عباد ابن بشر بن قيظى فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل القبلة . فتحول الرجال مكان النساء وتحول النساء مكان الرجال .

وهذا التحول العظيم الذى قبله أهل المدينة من خبر الواحد وجعلوا فيه الظن يقينا يدل على مقدار استباقهم الى الخيرات وتلهفهم على اخبار رسول الله وما يفعل حتى يقلدوه فلا يبطئوا . وهو دليل ايضا على أن الرسول وأصحابه ما كانوا يدعون أمرا ذا بال دون أن يطيروا به الى الاسماع ليذيع بين الناس .

وربما يسر هذا التحول العنيف على الناس أن يتحولوا فى يسر الى كل ما يريد رسول الله أن يتحولوا اليه من أمور الدنيا مهما شق التحول ، لأنه ليس أشق على النفوس ولا أعصى عليها من التحول فى أمور الدين .

ولقد بدا فى القرآن انه أكد الأمر باستقبال الكعبة والبيت الحرام أكثر من مرة ، ولم يكن ذلك الا لأن موقع التحويل كان صعبا على كثير من النفوس فأكد القرآن الأمر ليرى الناس الاهتمام به فيخف عليهم وتسكن نفوسهم اليه . وانه انما كان عناية من الله بالمسلمين واتماما لنعمته عليهم .

صخرة الآمال :

وكان على كل عشرة من الانصار مع من هاجر اليهم أن يحفروا فى الخندق حول المدينة أربعين ذراعا قبل أن يعض بهم الكرب الزاحف اليهم ، وفيما بين ستة أيام أو شهر كامل ـ كما اختلف الرواة ـ ثم حفر الخندق ولم يبق الا ان تحاط المدينة بأعدائها ومحاربيها وكانت البلاد كلها ما عدا المدينة كفرا مطبقا .

واستعصت على سلمان الفارسى صخرة عاتية بدت فى بطن الخندق فصعبت على المعاول والفؤوس ونبت عن الأجلاد والحديد ولو تركت لصارت أدنى الى معابر الفرسان من خارج المدينة الى داخلها ، واتجهوا الى رسول الله يستعينونه على الصخرة فان فيه كل الأمل اذا عزت الآمال حتى فى الأمر يحتاج الى قوة البدن فانهم كانوا يستعصمون به ويلجئون اليه .

واقبل القائد حين نودى ليرى رايه فى هذه الصخرة ولم ير شيئا يعوقه دون أن يتم

الحفر قبل أن يحيط بالمدينة كربها . ولعل رسول الله كان يرى من حيث لا يرى الناس أن الله لن يدع المدينة لتقتحم حتى لو تركت بلا خندق حولها ، ولكن أحوال النبوة غير أحوال الناس الذين لا يطمئنهم الا الظاهر الملموس فكان من الحكمة أن يحفر الناس الخندق لتطمئن كل القلوب .

وسرعان ما شمر رسول الله عن ساعديه وضرب الصخرة ثلاث ضربات فتحطمت تحت فأسه وهى تنقدح نارا فتبعث برقا كأنه يلمع فى ليل بهيم ، ورأى رسول الله والصخرة تتقد بفأسه وينقدح برقها أنه لن يغلب بالأنصار قريشا وحدها ولا حلفاءها معها وحسب ، ولكنه وقد رأى قوما صوما يحفرون الخندق فى زمن يسير بهمم شوس أنه ما يلبث أمر هؤلاء الناس أن يمتد الى ما وراء المدينة والجزيرة والآفاق ، وكان صدقا منه وحقا ما رأى فى تحطيم الصخرة أكثر مما أراد سلمان الفارسى من كسرها ليتم تعميق الخندق قبل القتال .

لقد رأى رسول الله ان البرق الذى انقدح بالضربة الأولى يضىء له قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأن برق الثانية يضىء له قصور قيصر من أرض الروم ، وأن برق الثالثة يضىء له قصور صنعاء .

وضجت قلوب المنافقين ترفض أن يكون لقائد ـ حتى ولو كان نبيا يوحى اليه ـ ان يؤول ضربات المعول وتطاير الشرر منه فتوحا فى الآفاق وهم لم يخلصوا بعد من الضيق الذى هم فيه . وقد خفيت عليهم أمور من الوحى او الالهام يلمحها النبى فى الاتجاهات التى ضربت الصخرة فيها ويراها عيانا فى نفوس الأنصار من حوله ، وليس يراها الا هو ولا يقتدر على تأويلها الا الملهم الحكيم .

الحقيقة الأزلية :

ولقد استطاعت المدينة بكل ما فعلت أن تكتل داخلها كل القوى التى ردت عن الاسلام كيد المغيرين وغارة الكائدين من خارج المدينة ومن داخلها ، بل فى المدينة تجهزت كل القوى التى زحفت تحت راية الاسلام تخضع أعداءه وتقهر خصومه ، وفيها تجمعت كل القوى التى زحفت فيما بعد الى خارج الجزيرة لتبيد قوى الشر وتعلى لواء الاسلام .

وليس من شك فى ان تاريخ المدينة أيام الرسول وبعده ، وسيرة الأنصار وأحفادهم وذراريهم كانت دلائل مستقيمة يعتبر كل ما بقى من تاريخ المسلمين بما مضى منها فى كل الديار والأدهار .

والدلائل المستقيمة من حقها ان تتخذ قواعد صادقة تقاس عليها النتائج والآثار . وحتى فى الامور التى لا تمتلك تعود علماء الفلك أن يروا فى كل حدث مفرط فى الجو خارجا عن العادة يحدث فى الكون كيفيات مفرطة . وقد كان الأنصار كالحدث المفرط فأحدثوا فى الكون ما لم يحدثه غيرهم من الناس . وكذلك من اراد النصرة فعليه أن يكون أنصاريا فى مبايعته وصدقه وتضحيته وبغير هذه جميعا لا تكون البيعة الا لهوا ولعبا .

وانها لحقيقة أزلية . وقد كانت الرسالات المؤيدة من السماء فى حاجة الى أن تظاهرها المحبة الخالصة لتنتصر وتعم ، فلا يتخلى المبايعون عن أعبائهم التى تحملوها ولا ينفكون عن مواثيقهم التى ارتبطوا بها بحجة تأييد السماء .

وكما لم يتخلف انصارى عن اداء واجبه فانتصر الاسلام وبقى فانه يجب على المسلمين فى كل مطارح الأرض ومباعد الزمن أن لا يتخلف أحد منهم عن مبايعة المخلصين والوفاء بمواثيقهم حتى ينتصر الاسلام ويبقى . وسواء فى ذلك من دنا من رسول الله وأسكنه فى داره كأبى أيوب الأنصارى أو جاء فى أقصى الأرض وآخر الدهر قصيا مجهولا متى بايع على الحق وأخلص فى الصدق ولم يضن بروحه على الفداء .

الإسلام والقومية العربية

« ٦ »

الدكتور أحمد الحوفى

عرفنا أن الشعراء نوهوا بآثار الاسلام فى توثيق الروابط العربية ، وأنهم أشادوا بالنبى عليه الصلاة والسلام ، وجاء فى اشادتهم ما يتصل بتوحيد العرب ، ونشر لواء العروبة فى الاقليم الكبير الذى صار وطنا عربيا .

٣ ـ خصائص الاسلام :

وقلما خلا ديوان من الاشـادة بخصائص الاسلام ، سواء أكان الموضوع الأصيل اسلاميا أم كان غير اسلامى ولكنه متصل بالاسلام .

ثم ان دواوين الشعراء حافلة بصور اسلامية شتى مستمدة من تشريعه وتعاليمه ، أو من حضارته ومثله العالية ، أو من بطولة رجالاته .

فشوقى يشيد بالوحدانية الخالصة الصافية التى جاء بها الاسلام ، فى وقت كان الناس فيه قد ترددوا الى درك الضلالة والجهالة والوثنية ، حتى صاروا أصناما تعبد أصناما .

ويشيد بالحرية والعدالة والكرامة التى كفلها الاسلام للبشر ، حيث أشرف عليهم ، وهم يرسفون فى أغلال الاستبداد والاستعباد والطغيان ، ويفتك قويهم بضعيفهم .

ويباهى بالشريعة الاسلامية شريعة العقل والحكمة ، وتقدير العلم ، والسمو بأهليها الى العلا ، والصلاحية لكل زمان ومكان .

ويضرب الأمثلة على هذا من أن المسلمين لما اهتدوا بنورها امتلكوا العالم ، فصار البدو الضعاف سادة على ملك كسرى وقيصر .

من اشادته قوله :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
الا على صنم قد هام فى صنم
والأرض مملوءة جورا مسخرة
لكل طاغية فى الخلق محتكم

مسيطر الفرس يبغى فى رعيتـــه
وقيصر الروم من كبـر أصم عم

يعذبان عبـــاد الله فى شبـه
ويذبحان كمـا ضحيت بالغنـم

والخلق يفتك أقواهم بأضــعفهم
كالليث بالبهم أو كالحوت بالبلـم

شريعة لك فجرت العقـــول بها
عن زاخر بصنوف العلم ملتطـم

يلوح حول سـنا التوحيد جوهرها
كالحلى المسيف أو كالوشى للعلم

نور السبيل يســاس العالمون بها
تكفلت بشباب الدهر والهـــرم

ويمجد الحكم الشورى فى الاسلام ، لأن البشرية كانت مفتقرة الى دواء يطب لهـا من أدوائها فلما جاءت الشريعة الاسلامية كانت هى الطب والطبيب ، اذ رسمت للنـاس حكما شوريا قائما على الاخاء والمســاواة والحرية والعدل •

قال شوقى :

داء الجمـــاعة من أرسطاليس لم
يوصف لـه ـ حتى أتيت ـ دواء

فرسمت بعدك للعبـــاد حكومة
لا ســـوقة فيهـــا ولا أمراء

الله فوق الخلق فيها وحـــده
والناس تحت لوائهـــا أكفـــاء

والدين يسر والخــلافة بيعــة
والأمر شورى والحقـــوق قضـاء

وينوه بسماحة الاسلام فى معاملة أهـل الكتاب ، وهى ســماحة تقوم عليها العقيدة الاسلامية ، اذ أن الله تعالى بعث محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ خاتما للنبيين ، ومصدقا لسابقيه من المرسلين ، وأنزل عليـــه القرآن الكريم مؤيدا للكتب السماوية المنزلة، ولا يكمل اسلام المرء ان لم يصدق بالأنبيـاء السابقين وبما أنزل عليهم •

والآيات القرآنية كثيرة فى هذا ، كقـوله تعالى : « **قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحـــد منهم ، ونحن له مسلمون** » •

ودعوات الاسلام الى التسامح مع أهل الكتاب كثيرة متنوعة ، وتطبيقها العملى متصل لم ينقطع •

لهذا كان جوستاف لوبون صادقا فى قوله : « **ان القوة لم تكن عاملا فى نشر القرآن ، وان العرب تركوا الناس أحرارا فى أديانهم • واذا كان بعض النصارى قد أسلموا ، واتخذوا اللغة العربية لغةلهم ، فذلك لما كانيتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذى لم يكن للناس بمثله عهد • ولقد عاملوا بلطف عظيم أهـل سورية ومصر واسبانيا وكلقطر استولوا عليه، وتركوا لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم ، ولم يفرضوا عليهم سوى جزية زهيدة فى مقـابل حمايتهم لهم ، وحفظ الأمن بينهم •**

والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحمـاء متسامحين مثل العرب »

وقد نوه شوقى بسماحة الاسلام ، وباهى بأن المسلمين فتحوا البلاد ليعمروها ، ولينيلوا ضعاف الناس ما لهم من حقوق ، وليعدلوا فى حكمهم ، ويرتقوا بالمحكومين ، فقال :

أمة ينتهى البيـــان اليهـــا
وتئول العلـــوم والعلمـــاء

كلما حثت الركـــاب الأرض
جاور الرشد أهلهـــا والذكاء

وعلا الحق بينهم وسما الفضـ
ـل ونالت حقوقها الضــعفاء

تحمل النجم والوسيلة والميـ
ـزان من دينها الى من تشاء

وتنيل الوجـــود منه نظاما
هو طب الوجـــود وهو الدواء

(للبحث بقية)

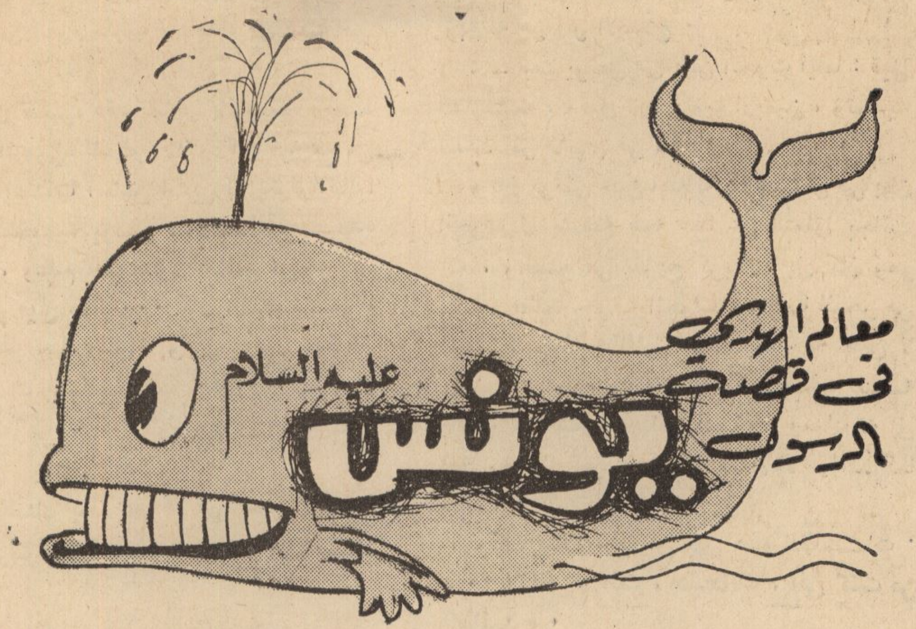

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

١ ـ تحدث القــرآن عن يونس بن متى ـ عليه السلام ـ فى آيات كثيرة ، وأشــاد به فيمن أشاد من رسل الله ٠٠ حتى كانت باسمه سورة مستقلة ، تعرف بسورة ـ يونس ـ وعدد آياتها مائة وتسع آيات ٠

ومع ان يونس مذكور فى ســور أخرى : كسورة النساء ٠٠ والأنعام ٠٠ والأنبياء ٠٠ والصافات ٠٠ والقلم ٠٠ بل كان ذكــره فى بعضها أطول من ذكره فى ســورته تلك فقد سميت السورة باسمه ، دون من ورد فيها من رسل آخرين : تكريما له ، ولأمته ٠٠ ومزيد اهتمام باحياء ذكراه على لسان محمد وأمته ٠٠

ومن قبيل ذلك أن النبى محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فى شأنه ما رواه البخارى ، ومسلم ـ **لا تفضلونى على يونس بن متى** ٠

٢ ـ وحديث القرآن عن يونس يبرز لنا قصة عجبا : فيها علم كان غيبا ماضيا بالنسبة للأمة الاسلامية وفيها توجيهات تربوية ذات شأن فى تقويم النفوس والجماعات ٠

٣ ـ ويروق لى أن أوجز القول فيها متابعا لمراحلها الواقعية ـ بالقدر الممكن ـ وان لم اكن متابعا لترتيب السور التى عرضت لها ٠

فالقرآن يقول فى سورة الصــافات « **وان يونس لمن المرسلين** » ٠ ورسالته أمر لا شــك فيه ، وليس من مواطن الحديث الآن ٠

ثم يقول : « **اذأبق الى الفلك المشحون ، فساهم ، فكان من المدحضين** »

قالوا : ان يونس تلقى من الله أمرا بتوجيــه الدعوة الدينية الى القوم ، فشعر من جانبهم بشىء من التريث ، فأخذه غضب ، وأسرع الى ركوب الفلك ليهاجر عنهم الى ناحية أخرى ٠٠

وفهم أناس من رجال العلم المعاصرين أن هذا كان ارشادا له ، قبل رسالته ، فلم يفهم انه تكليف جازم ٠

وبادر الى التخلص من أولئك ، باعراضه عن مواجهتهم ، مخــافة أن يسيئوا اليه ، ولا يطيعوا له أمرا ٠

وذلك استنتاج لا يشهد له دليل .. والحق أنه كان مرسلا .. وكان الأمر تكليفا ، وكان احساسه من القوم سبب ما أبداه من رغبة فى الهجرة .

وعلى أى تقدير، فقد تظاهر بالغضب، وقصد الى الفلك المتهيىء للسفر .. وركب فيه مع من ركبوا من اشتات الناس الذين لم يكونوا غالبا عارفين بشخصية يونس .. لحداثة عهده بالرسالة ، وعدم الظهور أمامهم فى مواقف الدعوة لهم قبل هذا ... كان الفلك مشحونا بركابه أكثر مما يطيق ، وكان يونس آملا أن ينهض الفلك بهم جميعا .. وأنه سوف لا يصادف تعويقا له عن الوصول الى مهجره المنشود .

ولكن الفلك بعد تحركه فى أحضان الماء ، بدأ يضطرب ، ويكاد يحيد بركابه فى اليم الزاخر .

فاقترع الجميع على واحد يلقونه فى البحر ، ليخف ثقل الحمل ، فكانت القرعة على السهم الذى اسهم به يونس ، ثم طرحوه فى الماء ، واستقام الفلك فى مسيره دون يونس .

وحين ألقوا يونس بين موجات البحر هيأ الله له حوتا من حيتانه فالتقمه حيا قبل أن يتعرض لسوء غير هذا : « **فالتقمه الحوت ،وهو مليم** » وهو يلوم نفسه على اباقه ، وتسرعه الى الفلك ، على غير عادة مألوفة من مثله فى شأن كشأنه هذا .

٣ ــ وهذه اقدار حكيمة ، يجرى بها صنع الله فى عبده ورسوله يونس ، ولعلها تبدو للناس من بعد .. فان يكن سهمه غير محظوظ بالفوز فى الاقتراع ، فلطف الله لم يتخلف عنه ، ورعاية الله له كانت بالتقام الحوت له حيا ، فان ذلك ــ ولا شك ــ أخف ضررا من بقائه بين تقاذف الموجات ، او تعرضه لالتهام الأسماك لجثته لو عرضت لها فى مجرى الماء .

وتعبير القرآن بالتقام الحوت يشف عن ذلك اللطف الخفى .

فانه مجرد التقام ، يجوز بعده أن يطرحه من فيه كما كان حيا ، ولا يلزم ان يكون هناك التهام . يمعنى هلاكه .

كما نرى نحن فى بعض الحيوان : أن يلتقم شيئا ، ثم يقذفه دون مساس به : الا قليلا لا يؤبه له من أثر الابتلاع .

٤ ــ لبث يونس فى بطن الحوت أياما : قيل: انها سبعة ، وقيل انها بلغت أربعين ، وتحديد العدد أمر ثانوى فى هذا .

وكان يونس حين ابتلائه بالاحتباس فى بطن الحوت لم يشغله همه هذا عن التعلق بجانب الله ، والطمع فى تفريج كربته ، بل كان وهو مغمور بظلمة جوف الحوت ، وظلمة البحر من فوقها ، وبظلمة الليل الذى يمتد به حتى لا يميز بين نهار ، وغير نهار : كان يصف نفسه بالندم على تسرعه بالمغاضبة ، ومبادرته الى الخروج على غير عادة مألوفة فى الأنبياء ــ كما سلف .

وكان ينادى ربه من بين هذه الظلمات : « **.. لا اله الا أنت ، سبحانك ، انى كنت من الظالمين** » .

وقد كان ربه عند ظنه ، وكان عليما بما هو فيه من وحشة ، وبما يحتاجه من لطف ، وترفيه ، فتفضل عليه بذلك « **فاستجبنا له ، ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين** » .

ولولا ضراعة يونس ، وما هداه الله اليه من تذكر وندم ، لجرى قدر الله على غير ذلك، ولجاز أن يظل فى بطن الحوت ، وأن يكون هو ميتا مقبورا فيه الى يوم القيامة « **فلولا أنه كان من المسبحين ، للبث فى بطنه الى يوم يبعثون** » .

٥ ــ وفى هذا الجزء من قصة يونس ايحاء لنا بأن الاستقامة على الجادة سبيل النجاة من كل سوء وأن صلة العبد بربه تنقذه من الشر الى حد بعيد ، لا يدركه أهل العصيان .

وهذه سنة الله مع خلقه .

وفى القصة تلميح بأن قدر الله على عبده مهما يكن شديد الوقع ، فبجانبه لطف مستور ، غير مأيوس منه ، وما ينبغى للمرء عند الشدة أن يقنط من تفريج الله لكربته فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

ومن ملامح هذا الجانب فى القصة أن خروج السهم على يونس كان بلاء له، وكان فى مضمونه لطفا من الله بركاب الفلك جميعا .

اذ لو خرج السهم على انسان غيره لما ظفر بهذه الخطوة ، ولا كانت له تلك العجيبة التى قدر الله من أمرها فى الاستفادة منهـــا ما قدر ليونس ، وغيره •

ونحن ندرك من هذا أن الله ينفع الجماعة بسبب واحد منها ، يكون بارا ، مرضيا عند ربه ، كما صنع بيونس ورفاقه ، وكما يصنع دائما مع الأخيار ، والصالحين •

٧ ـ خرج يونس من البطن الضيق ، المظلم ، الخانق : الى العراء الفسيح ، المشرق •• وأنبت الله عليه شجرة من اليقطين ـ القرع ـ فامتدت من حوله سوقها ، وأينعت أوراقها ، وأظلته من لفح الشمس ، وصانته من زعازع الرياح •

حتى استجم من عنائه ، واسـترد قوته ، اذ هيأ له الله دابة لبونا ، يأكل من لبنهـا فى صبحه ومسائه ، حتى عاد الى مثل ما كان •

ثم استأنف رسالته الى قومه من أهـل ـ نينوى ـ ببلاد الموصـل ، أو الأردن ، على ما قيل ••

« فنبذناه بالعراء وهو سقيم ، وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ، وأرسلناه الى مائة ألف ، أو يزيدون •• »

٨ ـ والله سبحانه يشهد لقـوم يونس ، ويزكيهم بما لم يظفر به سـواهم •• فيقول عنهم « **فآمنوا فمتعناهم الى حين** » فهو يذكر أن متاعهم فى الدنيا كان نعمة الرضا عنهم ، ولم يكن بلاء لهم كبلاء المغضوب عليهم •

ويقول عنهم مرة أخرى « **الا قوم يونس** ـ بمعنى لكن ـ **لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ، ومتعناهم الى حين** » •

والمعنى : بسبب ايمانهم باعد الله عنهم عذاب الدنيا ، وأضفى عليهم متاعها ، حتى انتهت حياتهم على ايمان شامل ، وتركوا دنياهم الى نعيم مقيم •

ويقرر العلماء أن قوم يونس امتازوا بحسن الانقياد جميعا ، حتى لم يبق منهم الا من آمن•

وذلك على خلاف المعهـود فى سواهم من الشعوب التى تحدث عنهـا القرآن الكريم ، وأخذهم الله بصنوف من عذابه ، وأبادهم جميعا على شر حال بالصواعق ، والطوفان ، ونحوهما

وان تكن قصة يونس نموذجا حيا تتراءى فيه العبرة الصادقة، والتوجيه الرشيد : فان فى القصص الاخر عن الامم المستعصيه ما يكشف عن مخاريهم وينفرنا من سيرهم ••

ووجهه القرآن من هذه القصص بصفة عامة يكون الاعتبـار به استمدادا من الواقع ، واعتبارا بما هو شاخص فى قضايا القرآن ، أو على صفحة هذا الوجـود من الآيات الكونية والاتجاه الى التـاريخ الواقعى بالنسـبة الى الانسان يكون أقرب الى سمعه ، وبصره ، وقلبه من مجرد التلقين ••

فان من الناس من لا يدرك الا بحسه ، ولا يقتنع بغير ما يستشعره موجودا أو فى قـوة الموجود بظهور آثاره فى مرآى العين •

فالقرآن يعول كثيرا على القصص ، ويعتبره مجالا للادراك العقلى والحسى جميعا •

فيشيد بالقصص عامة فى نحـو قوله تعالى « **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك : هذا القرآن** » ويقـول « **لقـد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثـا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ، ورحمة لقوم يؤمنون** » **الخ ••**

والقرآن كذلك يشدد نكيره ، واستهجانه على من يتغاضى عن القصص ، ويتعـامى عن آثاره ، ومشاهده فى جنبات الدنيا •• أو عن توجيهاته فى الآيات البينات من كتاب الله •

حتى جعل هؤلاء المتغاضين دون منـازل الانسان : عقليته ، وفطنته •

فقال فيهم « **لهم قلوب لا يفقهون بها •• ، ولهم أعيـن لا يبصرون بها •• ولهم آذان لا يسمعون بها** » •• ثم حكم عليهم حكمه الحق فقال « **أولئك كالأنعام •• بل هم أضل** » ••

والحق أن من أغفل مداركه الانسانية فهو دون الأنعام شأنا •

على أن حديث القرآن عن أولئك الأغبياء لم يكن منتهيا بانتهاء زمن سلف •

بل هو وصف جار ، وحديث متتابع بتتابع الأجيال بعد ، ما دامت الوراثة الخبيثة تنحدر من جيل الى جيل •

فان دوافع الناس الى الانصراف عن دينهم لا تزال طاغية على مداركهم .

فحب النفس ، والغفلة، والتعلق بالشهوات ، والاغترار بنعومة العيش لا تزال آخذة مأخذها عند أناس منا .

وان من وراء ذلك شيطانا يحتضن الفتن ، والغواية ، ويبثها بين الجميع ، ويجتذب اليها خفاف الأحلام فى كل جيل .

ومن هذا نعتبر - غير مبالغين - أن تشنيع القرآن مرافق لمن يكون على هذه الشاكلة .

٩ - وأنت ترى دعوة الحق مكفولة فى كتاب الله .. وفى سنة رسول الله ، وقائمة على ألسنة الدعاة فى كل حين .

ومع هذا تراها تواجه عقبات متنوعة، وتكافح بجهود مضنية .. حتى كأن الباطل دين حق.. وكان أهل الحق هم المبطلون .. وبين الجانبين صراع ، ومغالبة ..

وان تعجب لهذا : فاعجب لأن الضلال فى عصرنا أصبح ضلال المثقفين .. وكان من قبل ضلال الجهلاء .

وكان الجهل عذرا محتملا حتى يعالج بالتعليم .

فكيف وقد أصبح التعليم نفسه مثار الداء ؟؟

فاذا كان أملنا فى التعليم قد أخفق فى الجانب الخلقى ، ولم نجد منه الا عقما : بل لم نجد منه الا شر ما وجدنا قديما من جهلاء الأمس : فبماذا نعالج هذا التعليم وقد أصبح هو داء عضالا ؟؟

هل نرضى بهذا التعليم على علاته ، ونحسبه دواء ، وهو مرتع الداء ، ومباءة الفساد فى الخلق ، وفى الدين ؟

ألسنا نسمع اليوم فى أروقة التعليم العالى ، ومن الأمناء على الشباب قولة جيدة بأنهم لا يقرون باله ؟؟ وان ليس فى الوجود سوى ما يقع ماديا تحت أنظارهم من حيوان وجماد مثلا ؟

وانت ترى الى جانب هذا الحمق الجرىء ، والغباء المخزى ، حملة أخرى على التشريعات الدينية ، واعتراضا على ما رسم الله لعباده فى كتبه السماوية، ومجاهرة بأن الاسلام كان لزمن سابق . وأن عصرنا هذا عصر انطلاق فى آفاق الاباحية ، والتحرر من قيود التشريع فيما حرم الله من محظورات ، ومفاسد .

فهذه عداوتهم للدين ، وعداوتهم للاسلام بالذات ، وهى عداوة مأجورة مكشوفة ان الانسان الذى يفقد حياءه من الله ، فيتطاول على دينه الى هذا الحد .. ويفقد كذلك حياءه من الناس أن يجاهرهم بهذه الزندقة لا يكون أمينا على تعليم ، ولا على حقوق وطنية ولا يكون موضع أمل فى سلوكه مسلكا طيبا مع نفسه ، ولا مع أهله : فضلا عن الآخرين ، فمن لا حياء فيه لا خير فيه .

١٠ - هذه النزعات بعينها : هى مزاعم الناس فى حياتهم الأولى ، وهى نغماتهم يوم كانوا لا يعرفون سواها ، ولا يدركون من العلم أقل اثارة تبصرهم بمواطن الزلل فى حياتهم .

ثم جاء العلم زاخرا ، ففرحت به الدنيا فرحة الأرض الجدباء بوابل المطر الغزير ..

فاذا ما تحول هذا المطر العذب الى ملح أجاج : فهل يكون للأرض مجديا ، أو يكون فسادا على فساد ؟؟

نقول هذا ونحن بين صيحات الحادية تشق طريقها الى آذان الناس من كل صوب ، وبكل وسيلة من وسائل الاعلان ، واذا سمعت توجيها صالحا ، أو تذكيرا من مسلم لمسلم ، أو ساهمت فى ارشاد ، وجدت من محترفى الكتابة ، وانصار الباطل ألسنة حدادا عليك وغمزا جارحا فيك .

وقد كان ذلك شأن المكذبين لمحمد فى دعوته « **وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر** » .

ان تعليمنا العام بحاجة الى تلقيح بالثقافة الاسلامية ، حتى لا تتفشى هذه الأوباء بين الشباب جيلا بعد جيل .. وان تركناه ، وحسبناه على حاله علاجا كافيا فنحن كما يقول المتنبى فى شعره :

اذا استشفيت من داء بداء
فأقتل ما أعلك ما شفاكا

لقد كان من حسن حظ الصهيونية العالمية أن اهدافها الرامية الى خلق دولة اسرائيل على أرض فلسطين ، قد تلاقت مع أهداف الاستعمار فى ايجـــاد دولة فى الشرق الاوسط فى موقع يكون فاصلا بين الدول العربية بعضها وبعض .

ورغم أن الغاية التى قصدت اليها الصهيونية ، والغاية التى سعى اليها الاستعمار غاية واحدة ، هى انشاء دولة فى ذلك المكان بالذات ، غير أن الاسباب التى حدت بكل من الطرفين أن يحاول الوصول الى غايته ، ما وســـمته المحاولة ، جد مختلفات .

فالصهيونية ذات أهداف عنصرية ، دينية ، توسعية ، رسمتها التوراة ، فيما يزعمون ، أن وعد الله ابراهيـــم بأرض الميعاد له ولاحفاده من بعده الى أبد الآبدين ، بل ان التوراة ، فى تفهمهم احكامها ، قد أهابت بهم أن يمدوا ملكهم فيما بين النهرين العظيمين ، الفرات والنيل ، ولن يكون ذلك الا على حساب شعوب تلك المناطق ، وان اقتضى الأمر أن تنشب الحروب متواصلة ، وأن تســـفك الدماء غزيرة ، وأن تعمل الصهيونية فى الانفس تقتيلا وتعذيبا ، والغاية تبرر الواسطة .

اما الاستعمار فانه يهدف الى دق اسفين بين البلاد العربية بعضها وبعض ، فيفصلها الواحدة عن الاخرى ، يحدث ذلك الانفصال أثره ، فلا تلتقى على غاية ، ولا تتصل على هدف ، فاذا ما تفرقت سادها المستعمر ، جاثما على صدرها ، مستنزفا دماءها ، مستغلا خيراتها ، ما دامت له القوة والغلبة والسلطان .

وهكذا بدات خيوط المؤامرة تنسجها يد الصهيونية والاستعمار فى دقة ، وأناة ، واتقان ، حتى انتهت باقامة دولة اسرائيل الغاصبة فوق أرض فلسطين المقدسة .

فدولة اسرائيل قائمة ، اذن ، بغرض ازالة الدولة العربية ، ومحوها من خريطة الشرق الاوسط ، وانشاء دولة يهودية دخيلة ، ممتدة من الفرات الى النيل .

ولم يكن بد ، ازاء أهداف الصهيونية واطماعها التوسعية .

ولم يكن بد ، ازاء آمال الاستعمار فى التحكم فى الدول العربية ما بقيت لهم حياة ، نقول لم يكن بد ازاء ذلك كله ، من مقاومة الطرفين معا ، مقاومة عنيدة مثمرة .

ولكن كيف تكون تلك المقاومة ؟

هذا هو السؤال الذى جعلنا الاجابة عليه موضوع هذا المقال .

على انه يتحتم علينا ، قبل أن ندخل فى التفصيلات ، ان نصرح ، دون تردد ، بانه يجب ان لا يغيب عن الاذهان ان الجمهورية العربية المتحدة ، المعقود لها لواء الزعامة العربية ، هى القائمة برسم المخططات الرئيسية فى التصميمات الواسعة النطاق التى تقوم على أساسها تلك المقاومة ، كما انها هى التى تحمل على أكتافها العبء الاكبر فى سبيل تنفيذ تلك المخططات تنفيذا ناجحا محكم لاطراف .

المخطط الأول ـ الوحدة العربية :

وأول مخطط للمقاومة هو جعل الوحدة العربية حقيقة واقعة ، قائمة بالفعل ولو فى نطاق محدود ، وداخل اطار معين ، لان الوحدة هى القوة الجبارة التى تجرف كل مقاصد الصهيونية والاستعمار معا ، وهى الوسيلة الفعالة التى تهدم بناء تلك الدولة الدخيلة على رءوس القائمين على أمرها ، والعاملين على استدامتها واستقرارها ، فى أرض فلسطين .

والاتحاد قوة ، فتلك قاعدة طبيعية ، وظاهرة من ظواهر الحياة العامة والخاصة على سواء ، وهو فى حالتنا الماثلة فى الظروف الحاضرة ، قوة مضاعفة ، يستمد منه العرب زادهم فى مقاومة ألاعيب الاستعمار ، وصلابة الصهيونية العالمية ، وردهما على أعقابهما خاسرين ان شاء الله .

ومن أجل هذه الحقيقة ، فقد عملت الجمهورية العربية المتحدة ، منذ أول لحظة بدرت فيها بادرة الخيانة والغدر من جانب التحالف اليهودى الاستعمارى ، على لم شمل الدول العربية ، متوسلة ، فى ذلك ، بوسائل مختلفات ، ولم تفتر عزيمتها يوما عن متابعة ذلك الأمر ، والسعى فيه ، دون هوادة ، مهما تقم فى طريقه من عقبات وعثرات .

وآخر وسيلة اتبعت فى هذا السبيل ، هى الدعوة التى وجهتها بلسان زعيم العروبة ، الى ملوك ورؤساء الدول العربية ، للاجتماع فى مؤتمر قمة ، برعاية الجامعة العربية ، لتوحيد كلمتها ، والاتفاق على أمثل الطرق لاحباط الاعمال والمشروعات السياسية والاقتصادية والعمرانية القائمة فى اسرائيل على قدم وساق ، بمساعدة الاستعمار ، ماديا ، وأدبيا ، وفنيا .

ومن أهم تلك المشروعات ، مشروع تحويل مياه نهر الأردن التى قطعت فى تنفيذه مراحل واسعة .

والقصد من هذا المشروع ، هو رى صحراء النقب ، بصفة خاصة ، وتعميرها بالزراعة وبانشاء الصناعات المختلفة فى ربوعها ، وبتهجير ما لا يقل عن أربعة ملايين من اليهود اليها من بقاع العالم ، وتكوين قوة جماعية منهم للنهوض بتلك الاعمال ، وليكون هؤلاء المهاجرون عدة حربية فى المعارك المتوقعة فى كل حين بين العرب واسرائيل .

وقد عقد المؤتمر ، لم تتخلف عنه دولة واحدة ، واقر ، فى نهاية ابحاثه ، مخططات معينة ذات أثر حاسم ، وضع بعضها موضع التنفيذ ومنها :

١ ـ تحويل روافد نهر الاردن ، فى سوريا ، ولبنان ، وشرق الأردن ، حتى تمنع بذلك عن اسرائيل كميات هائلة من مياه ذلك النهر ، بحيث يستحيل عليها ، عندئذ الانتفاع بمياهه كلها فى صحراء النقب ، وغيرها ، مما يفوت عليها أغراضها التوسعية التى ذكرناها قبلا .

٢ ـ وانشاء منظمة فلسطين ، مما يضفى عليها الصفة الشرعية الكاملة ، فى مباشرة المهام الادارية ، والحربية ، ويجعلها قادرة على تكوين جيش فلسطينى ، ليكون طليعة القوات المحاربة لاسترداد فلسطين ، عندما يجد الجد ، ويدعو الداعى الى الحرب والجهاد .

٣ ـ وانشاء قيادة موحدة ، تنضوى تحت لواءها القوات العربية المقاتلة ، حتى لا تتكرر ماساة القيادة المؤتمرة بأمر الاستعمار ، فى حرب سنة ١٩٤٨ ، وحتى لا تتكرر أيضا مهزلة الاسلحة الفاسدة المعروف أمرها للخاص والعام فى أنحاء العالم العربى .

٤ ـ واقامة سوق تجارية مشتركة ، على نسق السوق الاوربية المشتركة ، التى تهدد تجارة الشرق الاوسط ، وتجارة الدول النامية فى افريقيا وآسيا ، تهديدا خطيرا ، ينذر بعواقب وخيمة ، ان لم يتداركها أصحاب الشأن فى الوقت المناسب .

٥ ـ وتكوين وفود سياسية من وزراء الخارجية فى الدول العربية ، تكون مهمتها الطواف بالدول الأجنبية لشرح القضايا العربية بصفة عامة ، وقضية فلسطين على وجه أخص ، بغية اقناع تلك الدول بوجهات النظر العربية ، فى تلك الشئون ، واكتساب معاونتها السياسية عند عرضها على المنظمات العالمية ، وفى مقدمتها منظمة الامم المتحدة .

واذا أمكن ، بهذه الوسيلة ، وأمثالها ، ضمان المساعدة السياسية من جانب دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية وبعض الدول الأوربية المتحررة من النفوذ الاستعمارى ، أمكن بالتالى تحطيم هيمنة الولايات المتحدة على هيئة الأمم المتحدة ، وكلنا يعلم كيف أن تلك الهيمنة هى التى مكنت اسرائيل من الفوز بأصوات أعضائها فى تقسيم فلسطين ، ذلك التقسيم الذى يعتبر كارثة اصابت العرب فى الصميم ، واسفرت عن نتائج عميقة الغور ، لا نزال نكابدها ، وسنبقى نكابدها ، حتى يأذن الله بمحو اسرائيل من الوجود .

هذا ولا يخفى ان النتائج الناجمة عن تحويل مياه الروافد داخل الاراضى العربية ، ذات آثار مزدوجة ، فهى

تعوق مشروعات اسرائيل ، وتحد منها الى مدى واسع بعيد ، فى الوقت الذى توفر فيه مياه الرى بكميات اكبر داخل البلاد العربية مما يترتب عليه زيادة مساحة الرقعة الزراعية فيها .

ليس هذا فحسب ، بل ان اسرائيل قد دهمتها تلك الخطة ، فهزتها هزا عنيفا ، وأطارت صوابها الى الدرجة التى جعلتها تهدر بالوعيد ، والتهديد باستعمال القوة فى منع العرب من تنفيذ تحويل مياه تلك الروافد والافادة منها . وقد ذكرت الانباء انها أمرت بتعبئة جيوشها استعدادا لساعة الصفر ، فاذا ركبت راسها ، وكانت البادئة بالعدوان ، فذلك ما كنا نبغى ، وان غدا لناظره قريب .

الثانى ـ مؤتمرات عدم الانحياز :

وقد استقلت الجمهورية العربية المتحدة ، برسم أبعاده ، منذ زمن غير قصير ، بان اخذت تدعو ، او تشترك وتنضم ، الى مؤتمرات مكونة من مجموعات من الدول التى تعتنق سياسة عدم الانحياز الى اى من المعسكرين ، الشرقى ، الذى يضم روسيا والدول الدائرة فى فلكها ، والغربى ، الذى يضم أمريكا وانجلترا ، وغيرهما من دول حلف الاطلانطى ، ذلك لان لدول عدم الانحياز سياسة مستقلة ، ذات أهداف مستقلة ، غايتها محاربة الاستعمار فى كل ميدان من ميادينه الظاهرة والخفية ، والمحافظة على السلام العالمى ، وعدم تعريضه للاخطار الآتية من أى من المعسكرين المتعارضين .

ولعل أول مؤتمر ، من هذه المؤتمرات ، التى كانت ذات قوة فاعلية فى السياسة العالمية ، هو مؤتمر باندونج المنعقد فى سنة ١٩٥٥ ، وقد كسبت مصر منه « ما كسبته جميع الشعوب المعرضة للضغط من جانب الدول الاستعمارية ، كسبت التنديد العالمى بالاستعمار والصيحة القوية بالسلام ، وكل سلام يخسر منه دعاة الاحلاف ، وكل خسارة للاحلاف مكسب للقومية العربية ، ثم كسبت مصر الى جانب هذا مكاسب اخرى كبيرة ، فقد استطاعت أن تعزل اسرائيل عن المجتمع الاسيوى الافريقى ، وأن تتخذ قرارا فى المؤتمر باعادة حقوق عرب فلسطين » .

وتلاه مؤتمر بريونى المنعقد فى يوغوسلافيا سنة ١٩٥٦ والذى لم يكن « اكثر من محاولة لنقل الكثير من مبادىء باندونج من آسيا الى أوربا » اى ان مصر قد استطاعت ان تؤكد فيه عزل اسرائيل عن مجتمع الدول المشتركة فى ذلك المؤتمر ايضا ، كما كسبت اعترافها بحقوق شعب فلسطين فى استعادة بلاده المغتصبة .

وعزل اسرائيل عن تلك المجتمعات ، وغيرها ، كلما أمكن ذلك ، هدف من الاهداف المحققة لآمالنا فى انها ، ان كانت قد خلقت ، فهى قد خلقت « لتفنى » لا « لتبقى » .

وقد تتابعت ، بعد هذين المؤتمرين ، مؤتمرات عديدة ، فى اوقات متقاربة ، عقد اغلبها فى مدينة القاهرة ، واخصها المؤتمرات الافريقية الاسيوية ، المكونة من الدول النامية ، وقد حصلت فيها مصر على المكاسب عينها التى حصلت عليها فى المؤتمرات السابقة .

الثالث ـ ازالة القواعد العسكرية :

وهذا المخطط ليس سوى العمل على ازالة القواعد العسكرية المقامة فى البلاد العربية وبعض البلاد المجاورة ، لان بقاءها هكذا من شانه تهديد سلامتنا ، فكما ان روسيا تحارب القواعد العسكرية الامريكية المنبثة حولها فى قارتى أوربا وآسيا ، بقصد احكام الحصار عليها ، فان مصر تحارب أيضا القواعد القائمة على مقربة منها ، فى ليبيا وقبرص وغيرها ، لانها تؤدى نفس الاغراض التى تؤديها القواعد المقامة ضد روسيا ، بل وتزيد عليها أنها تعتبر مراكز تموينية تمد اسرائيل ، عند الحاجة ، بما تحتاجه من سلاح وعتاد .

وقد برهنت تلك القواعد على فائدتها العظيمة للاستعمار ، أثناء الاعتداء الثلاثى سنة ١٩٥٦ ، اذ كانت الجحافل الاستعمارية تطير منها الى أهدافها فى اقصر وقت .

وجدير بالذكر أن ليبيا ، قد بادرت ، على أثر احدى خطب زعيم العروبة بصدد القواعد العسكرية ، الى اعلان عزمها على ازالتها من بلادها ، وما لبثت أن دخلت فى مفاوضات انشائية مع انجلترا وأمريكا ، والمعنى المستفاد من ذلك ، هو أن الرأى العام العربى قد أصبح يقظا لكل شاردة وواردة بحيث لم يعد يسمح بتحدى الشعور الوطنى على أية صورة من الصور ، كما انه أصبح مؤمنا بالزعامة العربية التى تقوده الى الفخار والى المجد .

الرابع ـ المقاومة الاقتصادية .

ولم يحصر العرب همهم فى المقاومة على النواحى السياسية البحتة ، ولكنهم اهتموا ، أيما اهتمام ، بالمقاومة الاقتصادية أيضا ، لانه كلما كانت اقتصاديات اية دولة متينة كلما قويت شوكتها وعز جانبها ، والعكس صحيح .

وقد عرفت الدول العربية كيف تؤثر فى الاقتصاد الاسرائيلى أسوأ تأثير ، ولولا المساعدات الامريكية التى لا تنقطع ، والهبات الصهيونية المنهمرة ، والتعويضات الالمانية الضخمة لانهار اقتصاد تلك الدولة انهيارا ، ولما صمدت ذلك العمر الذى نحسبه نحن طويلا فى حياتها ، وان لم يتجاوز الستة عشر عاما .

ووسيلتنا فى كيل الضربات لاقتصادياتها ، وسيلة مزدوجة ، عبارة عن المقاطعة التجارية ، والحصار الاقتصادى ، اى أننا نحاربها اقتصاديا بسلاح بتار ذى حدين .

المقاطعة الاقتصادية :

فاما المقاطعة الاقتصادية فامرها ظاهر ملموس ، لان أقرب الاسواق الى اسرائيل وأعظمها فائدة لها ، هى أسواق البلاد العربية ، فاذا ما حرمت من استيراد الخامات اللازمة لها منها ، وحرمت من تصدير منتجاتها اليها ، خسرت تجارتها أعظم خسارة ، وهددت بالبوار ، وليس سبب ذلك هو فقط قرب تلك الاسواق منها مما يوفر عليها مصاريف النقل الباهظة الى الاسواق الاكثر بعدا ولكن أيضا لأن الخامات العربية ، ومنتجاتها ، وعلى الأخص البترول ، أرخص من الخامات والمنتجات المستوردة من بعض البلاد الاخرى ، فحرماننا من تلك الخامات يؤدى الى ضعف المنافسة بينها وبين البلاد الاجنبية وعلى الأخص أسواق الدول النامية فى آسيا وافريقيا .

وقد أحكمت البلاد العربية حلقة المقاطعة حول رقبة اسرائيل حتى لتكاد تخنقها خنقا ، ودليل ذلك ، ما يسمع عن سوء الحالة الاقتصادية عندها مما يحمل الكثيرين من المهاجرين اليها على العودة الى حيث كانوا قبلا .

هذا فضلا عن المنافسة الجدية التى تجرى بيننا وبين اسرائيل فى أسواق الدول النامية المذكورة ، سواء فى التجارة ، أو فى الخدمات التى تشمل المعاونات الفنية كأعمال البناء والتشييد ، كما تشمل مدها بالفنيين فى مختلف الفروع كالمدرسين ، والاطباء ، والمهندسين .

ومن مظاهر المعاونات الفنية قبول البعثات العلمية فى المدارس والمعاهد والجامعات ، بأعداد غير قليلة ، ويكفى أن نلقى نظرة على الدور المعدة للطلبة الغرباء ، ونعلم مدى العناية المبذولة لتوفير وسائل الراحة لهم فى كافة نواحى المعيشة ، وغيرها ، للتأكد من الاهيمة التى نعلقها على تلك البعوث ، حتى اذا ما عادت الى ديارها مزودة بزاد العلم والعرفان كانت عونا للعرب وحربا على اسرائيل والاستعمار فى الميدانين السياسى والاقتصادى معا .

الحصار الاقتصادى :

وهو الذى بموجبه نمنع عن اسرائيل أية بضائع أو مهمات تكون منقولة اليها عن طريق قناة السويس أو عن أى طريق آخر داخل البلاد العربية ، بل ونصادرها أحيانا لصالح شعب فلسطين .

وذلك المنع مستند الى أساس قانونى سليم ، لان علاقاتنا باسرائيل تحكمها الهدنة المعقودة بيننا وبينها سنة ١٩٤٩ ، فحالة الحرب لا تزال قائمة بينها وبين العرب، مما يجعل حقوقها فى فلسطين قاصرة على الحقوق التى تمنح بمقتضى القانون الدولى العام الى الدولة المحتلة ، وتكاد تلك الحقوق أن تكون محصورة فى البلد الواقع عليه الاحتلال فى تنظيم شئونه وتصريفها بما فيه مصلحته الى أن تستقر الأمور على وجه من الوجوه فاما الصلح واما الحرب التى تنتهى الى نتيجة حاسمة معينة ، فنحن اذن ، أصحاب حق قانونى فى منع أى عتاد حربى أو أية بضاعة ذات فائدة فى شئون الحرب كالمواد التموينية وغيرها ، كلما أمكننا أن نستحوذ عليها .

الخامس ـ البترول :

ولعل من أمهات المسائل التى أصبحت متداولة فى المجتمعات العربية ، لاهميتها الحيوية فى محاربة الاستعمار، وبالتالى محاربة اسرائيل ، والزامهما التفكير ، قبل الاقدام على أى عمل من تلك الاعمال التى كانت متبعة فيما مضى من الزمان لاذاقة الدول العربية كاس الهوان دون حساب ، ولاعلان أن اسرائيل باقية وأنف العرب فى التراب ، نقول لعله من أمهات تلك المسائل مسألةاستعمال سلاح البترول ، ذلك لان الاحتياطى منه لدى الدول العربية يمثل أكثر من ٦١٪ من الاحتياطى العالمى ، كما أن أوربا تستمد منه مادة الحياة لصناعتها ، ولغير ذلك من الأغراض السياسية الاخرى التى يستحيل الاستغناء عنه فيها ، بحيث اذا امتنع عنها توقفت الحياة فيها وتجمدت، وليس لدى أمريكا فائض منه يكفى حاجة أوربا لوقت طويل ، ومن أجل هذا السبب فان كفة البترول هى الراجحة اذا ما وضعت فى الميزان ، مهما كانت الرغبات جامحة فى مساندة اسرائيل والابقاء عليها ، ومهما كانت الرغبات جامحة أيضا فى الكيد للدول العربية والافتئات عليها .

وقد فطنت الزعامة العربية الى الهول الذى يخشاه العالم الغربى اذا انقطع عنه يوما سيل المد البترولى من الشرق العربى ، فأعلنوا أن التجربة التى مرت بنا أثناء العدوان الثلاثى قد علمتنا ضرورة استعمال ذلك السلاح ببساطة عند اللزوم لقطع شريان الحياة عن أوربا وتجميد دمها فى عروقها فور الوقت ودون كبير عناء ، وكان هذا الاعلان على رءوس الاشهاد مما أدى الى اضطراب مشاعر الغرب وما زالت مضطربة وان تظاهرت بالاغضاء عنه وعدم الاكتراث له .

السادس ـ الدعاية :

لقد أصبح الرأى العام العالمى فى العصر الحديث على اتصال وثيق بالاحداث فى بقاع الارض وذلك بفضل وسائل الاذاعة والاعلام ، وسهولةالانتقال بين الدول بعضها وبعض للسياحة أو للتجارة أو غيرهما ، فما هو أن تعرف حادثة معينة حتى تعلو صيحاته معربة عن اتجاهاته فى شانها ، والويل لمن يخالف أو يعارض تلك الاتجاهات اذ لا يلبث أن يجرفه التيار ويلقيه فى التيه !

ولعل قوة الرأى العام العالمى هى التى تحفز الدول على تبصيره بمشاكلها على أساس من الحجة والبرهان لاقناعه بصحة وجهات نظرها عنه .

وهكذا فان علينا واجبا نؤديه نحو قضايانا العامة ، وقضية فلسطين خاصة ، هو أن نثابر على طرح تلك القضايا مؤيدة بالاسانيد والوثائق التى تدين اسرائيل والاستعمار وتبرز معالم المؤامرة التى دبرت بليل للافتئات على العرب واغتصاب فلسطين ظلما وقهرا .

وواقع الأمر أن ولاة أمورنا قد قدروا قيمة وسائل الاعلام فى اكتساب الرأى العام العالمى ، وبذلوا من أول وهلة ، ما يمكن بذله فى هذا السبيل ، بل وفوق ما يمكن بذله ، اقتناعا منهم بأن تلك الوسائل هى بمثابة سلاح من اقوى أسلحة المعركة الناشبة على المسارح العالمية بيننا وبين اسرائيل وأعوانها من الاستعمار والصهيونية .

وان كنا لم نكسب المعركة ، فقد أخذنا بأسباب النصر، وعسى أن يكون فى مقدونا أن نزيد من مجهودنا لاحرازه .

ولن يفوتنا فى هذه المناسبة اظهار الاثر الذى تحدثه الخطب التى يلقيها زعيم العروبة بين وقت وآخر، وكذلك أحاديثه الصحفية المتوالية .

وأقرب مثل على قوة الرأى العام العالمى وتأثيره فى الاحداث ، هو مساندة مصر أثناء الاعتداء الثلاثى سنة ١٩٥٦ واطاحته بالدول المعتدية والزامه اياها التقهقر والخضوع لصيحاته المدوية ـ تلك الصيحات التى وصمت المعتدين بالمذلة والعار ، وستبقى تلك الوصمة لاصقة بهم الى أجيال وأجيال .

السابع ـ الجيش :

ولم يفت الزعامة العربية أن الاستعداد للمعركة ، ولو على سبيل الاحتياط ، واجب حتمى تفرضه الاحداث الجارية ، فاخذت منذ أول الأمر بأسباب تقوية الجيش وتسليحه وتدريبه ، حتى لقد أصبح قوة مرهوبة الجانب يمشى النصر فى ركابه أينما حل .

ولم يفت تلك الزعامة أيضا العمل على توحيد القوى العربية ، وتدعيمها ، وقد فازت بثمرة مجهوداتها المخلصة عندما قرر مؤتمر القمة انشاء القيادة الموحدة على التفصيلات التى اسلفنا بيانها .

وهكذا فقد أحكمت الزعامة العربية خططها جميعا ، لم تفتها منها شاردة ولا واردة .

وبعد ...

فليس المقصود من هذا المقال سوى جمع معالم السياسة العربية ازاء اسرائيل فى صعيد واحد ، لامكان الالمام بها فى شتى صورها ، وتبصير الرأى العام العربى بالمجهودات المبذولة فى هذا السبيل ، ولكن الواقع هو أن كل مخطط من المخططات التى تناولنا الكلام عنها هنا بايجاز ينطوى على كثير من الاتجاهات التى قد لا تنكشف للعين المجردة أو لاتستبين بمجرد النظرة العابرة ، وانما هى جديرة بمقال مستقل يتعمق بحثها فان أمكن ذلك يوما كان خيرا .

مواقيت الصلاة

الأيام	ذو الحجة ١٣٨٤	ابريل ١٩٦٥	فجر د	فجر س	شروق د	شروق س	ظهر د	ظهر س	عصر د	عصر س	مغرب د	مغرب س	عشاء د	عشاء س
السبت	١	٣	١٥	٤	٤٣	٥	٥٨	١١	٣٠	٣	١٤	٦	٣٣	٧
الأحد	٢	٤	١٣		٤٢		٥٨		٣٠		١٥		٣٤	
الاثنين	٣	٥	١٢		٤١		٥٨		٣٠		١٦		٣٥	
الثلاثاء	٤	٦	١١		٤٠		٥٨		٣٠		١٦		٣٥	
الأربعاء	٥	٧	٩		٣٩		٥٧		٣٠		١٧		٣٦	
الخميس	٦	٨	٨		٣٨		٥٦		٣٠		١٧		٣٦	
الجمعة	٧	٩	٦		٣٦		٥٦		٣٠		١٨		٣٧	
السبت	٨	١٠	٥		٣٥		٥٦		٣٠		١٩		٣٨	
الأحد	٩	١١	٤		٣٤		٥٦		٣٠		١٩		٣٩	
الاثنين	١٠	١٢	٣		٣٢		٥٦		٣٠		٢٠		٤٠	
الثلاثاء	١١	١٣	٢		٣٢		٥٦		٣٠		٢٠		٤٠	
الأربعاء	١٢	١٤	٠٠	٤	٣٠		٥٥		٣٠		٢٠		٤١	
الخميس	١٣	١٥	٥٩		٢٩		٥٥		٣٠		٢١		٤٢	
الجمعة	١٤	١٦	٥٧		٢٨		٥٥		٣٠		٢٢		٤٣	
السبت	١٥	١٧	٥٦		٢٧		٥٥		٣٠		٢٢		٤٤	
الأحد	١٦	١٨	٥٥		٢٦		٥٥		٣٠		٢٣		٤٤	
الاثنين	١٧	١٩	٥٣		٢٥		٥٤		٣٠		٢٤		٤٥	
الثلاثاء	١٨	٢٠	٥٢		٢٤		٥٤		٣٠		٢٥		٤٦	
الأربعاء	١٩	٢١	٥١		٢٣		٥٤		٣٠		٢٥		٤٧	
الخميس	٢٠	٢٢	٥٠		٢٢		٥٤		٣٠		٢٦		٤٨	
الجمعة	٢١	٢٣	٤٩		٢١		٥٤		٣٠		٢٦		٤٨	
السبت	٢٢	٢٤	٤٨		٢٠		٥٣		٣٠		٢٧		٤٩	
الأحد	٢٣	٢٥	٤٦		١٩		٥٣		٣٠		٢٨		٥٠	
الاثنين	٢٤	٢٦	٤٥		١٨		٥٣		٣٠		٢٨		٥١	
الثلاثاء	٢٥	٢٧	٤٣		١٧		٥٣		٢٩		٢٩		٥٢	
الأربعاء	٢٦	٢٨	٤١		١٦		٥٢		٢٩		٢٩		٥٣	
الخميس	٢٧	٢٩	٤٠		١٥		٥٢		٢٩		٣٠		٥٤	
الجمعة	٢٨	٣٠	٣٩		١٤		٥٢		٢٩		٣١		٥٥	
السبت	٢٩	١ مايو	٣٨		١٣		٥٢		٢٩		٣٢		٥٦	

ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

وقال ملا على القارى الحنفى فى رسالته التى ألفها فى حكم اشارة الاصبع المسبحة فى التشهد .

قال : وقد جاء بالغريب الشيخ الكيدانى ، حيث قال : « العاشرة من المحرمات فى الصلاة الاشارة بالسبابة فى التشهد كما يفعل أهل الحديث » .

وهذا منه خطأ عظيم ، وجرم جسيم ،منشؤه الجهل بقواعد الأصول ، ومراتب الفروع من المنقول ، ولولا حسن الظن به وتأويل كلامه لكان كفره صريحا .

فهل يجوز لمؤمن أن يحرم ما ثبت فعله عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مما كاد نقله أن يكون متواترا ، ويمنع جواز ماعليه عادة العلماء كابرا عن كابر ، والحال ان الامام الأعظم أبا حنيفة قال : لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا مالم يعلم من أين أخذناه ، من الكتاب ، أو السنة ، أو اجماع الأمة أو القياس الجلى فى المسألة ، الى آخر ماقال ملا على ، ليثبت به أن قاعدة أبى حنيفة رحمه الله تعالى فى الاتباع تقتضى رفع السبابة فى التشهد ، لثبوت الحديث .

لكن المتعصبين الذين يقطع بعضهم اصبع من رفع سبابته تقليدا لمن حرم هذا من أهل مذهبهم ، ألا يعلمون أنهم هم الذين يرتكبون المحرم بالاجماع ؟ لأنهم عاقبوا من عمل الواجب أو المندوب ، باجماع المسلمين ، أو بما صح من سنة النبى صلى الله عليه وسلم ، لا على مخالفة سنته صلى الله عليه وسلم ، كما سمعته بأذنى من بعض طلاب العلم الأفغانيين فى مسجد لاهور بالهند ، وقد سألتهم عن صحة مانقله عن بعض أهل بلادهم من أنه كسر اصبع مصل لأنه أشار بها فى التشهد فقالوا : نعم صحيح ، وأنه فعل ذلك عقابا لهذا المصلى على مخالفته الرسول صلى الله عليه وسلم ، وترك سنته ، وعلى استحلال ماحرم الله لأن بعض الفقهاء قال بتحريم رفع السبابة فى التشهد .

ونسى هؤلاء أن التحريم فى عرف علماء الأصول هو خطاب الله المقتضى للترك اقتضاء جازما .

فأين هذا الخطاب الالهى القطعى ؟

هل هو قول مثل الكيدانى المصرح بمخالفة أهل الحديث ؟

ان الأحكام العملية التى هى موضوع الفقه منها ماثبت بالدليل القطعى المجمع عليه كأركان الاسلام ، وتحريم الفواحش ، وهو ما يكون باتباعه المسلم مؤمنا ، وبجحده أو استحلال مخالفته كافرا ، وبمجرد مخالفته فاسقا .

ومنها ماهو محل نظر واجتهاد ، وهو الذى وقع فيه الخلاف بين علمـاء الأمة ، تبعـا للاختلاف فى رواية النصوص ، أو فى دلالتها ، أو لعدم العلم بالنص ، والرجوع فى أخذ الحكم الى القياس مثلا •

وكانوا متفقيـن على أن من خالف مضمون نص لم يبلغـه ، أو معنى نص غيـر قطعى الدلالة لأنه لم يظهـر له هذا المعنى ، وبذل جهده فى استبانة مراد الشارع فى مسالة ، فترجح عنده فيها استبانة شىء فعمل به مخطئا فهو معذور •

فهل يكون المسلم بمخالفتـه لاجتهـاد رجل غيره مأزورا غير معذور ؟

ولمانزل فى الخمـر والميسر قوله تعـالى « واثمهما أكبر من نفعهما » لم يجعلـه النبى صلى الله عليه وسلم نصا فى تحريمهما عـلى جميع الأمة ، ويلزم الناس بالتحريم وانما حرمهما على نفسه من ترجح عنده دلالة الآية على التحريم ، ملاحظا أن الشىء الـذى يكون ضرره أكبر من نفعه يكون محرما •

ولما نزل قوله تعالى فى الخمر انها « رجس من عمل الشيطان » والأمر القطعى بالتحريم فى قوله سـبحانه « فاجتنبوه » أجمع المسلمون جميعا على تركها ، وجعله النبى صلوات الله عليه تشريعا عاما يخاطب كل مؤ من به

فاخذ العلماء من هذا أن التشريع العام ماكان بهذه الدرجة من الصحة ، والصراحة القطعية فى النصوص ، وأن مادونـه مما فيه مجال للاجتهاد فى الرواية ، أو الدلالة ، محل سعة لا يكلف الله كل مؤمن الأخذ به ، وانما يكلفه من ثبت عنـده ، أو وثق بعلم مفتيـه به ودينه ، فقلده فيه •

ولم يكونوا يبيحون أن يكون مثـل هذا مما يجبر عليه أحد ، أو تفرق كلمة المسلمين بسببه •

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقـر كلا من المختلفين فى الفهم على اجتهاده فيما هو محل اجتهاد ، لأنه لا نص فيه ، كمسألة نهيه صلى الله عليـه وسـلم أصحابه عن صـلاة العصر الا فى بنى قريظـة ، وكان ذلك عقب الفراغ من غزوة الخندق ، وأراد الصحابة أن يستريحوا ، وكان يهـود بنى قريظة بجوار المدينة هم سبب كل مصائب الغزوة ، ونزل جبريل عليه السـلام وأمر النبى صلى اللـه عليه وسلم بالهجوم عليهم ، فقال صـلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة ، يريد سرعة مباغتتهم ، فلم يصل بعضهم العصر الا بعد فوات وقتها حينمـا وصل قريظة ، أخذا منه بمنطوق النهى • وبعضهم صلاها عندما حل وقتها فى الطريق ثم أسرع وأدرك الجيش فى قريظة ، لأنه فهم أن المراد من النهى عدم التخلف عن الخروج ، والوصول الى قريظة فى الوقت المبكر المراد له صلى الله عليه وسلم ، فجمع بين المحافظة على صلاة العصر فى وقتها وبين المراد •

وأقر صلوات الله عليه كلا على ما رأى كما تقدم •

وبناء على هذا لم يرض الامام مالك رحمه الله تعـالى لهـارون الرشيد أن يجبر جميع المسلمين على العمل بكتابه « الموطأ » مع شدة تحرى الامام مالك فى روايته له وموافقة علماء المدينة عليه • (١)

ولهذا كان الامام المجتهد ينهى من يستفتونه أن يتخذوا فتواه دينا يقلدونه • أو أن يجعلوه سببا للتفرقة ، وبناء على ذلك كان بعضـهم يعمل باجتهاد غيـره ترخصـا ، أو موافقة لجماعة المسلمين •

ومن هذا ماروى عن الامام احمد رحمه الله انه كان يرى أن الحجامة ، أو الفصد تنقض الوضوء • فسئل عمن رأى الامام احتجم وقام الى الصلاة ولم يتوضأ ، هل يصلى الامام أحمد خلفه ؟

فقال : كيف لا أصلى خلف مالك وسعيد بن المسيب ؟

---

(١) وعلل مالك رفضه هذا بقوله : ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا فى البلاد ، وقد يكون عند بعضهم من الاحاديث مالم يبلغنى ، ولو بلغنى لغيرت شيئا مما دونته •

وكان أبوحنيفة وأصحابه يرون الوضوء من خروج الدم ، ولكن ابايوسف « صاحب أبى حنيفة » رأى هارون الرشيد احتجم وصلى ولم يتوضأ ، وكان مالك أفتى هارون بأنه لاوضوء عليه اذا هو احتجم ، فصلى أبو يوسف خلفه ولم يعد الصلاة .

وروى أن الشافعى ر ـ ى الله عنه ترك القنوت فى الصبح لما صلى مع جماعة الحنفية : فى مسجد امامهم بضواحى بغداد ، فقال الحنفية : فعل ذلك أدبا مع الامام ، وقال الشافعية : بل تغير اجتهاده فى ذلك الوقت .

والظاهر مما تقدم أنه لم يرد أن يخالف جماعة من المسلمين مخالفة عملية فى مسألة اجتهادية ، غير قطعية فان اختلاف الظواهر من أسباب اختلاف البواطن ، كما يؤخذ من حديث « عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم » قال النووى : المراد اختلاف القلوب كما هو صريح رواية أبى داود (١)

ولكن المتعصبين للمذاهب لايفقهون مايفقهه مثل الشافعى من حكم الدين ومقاصده ، لذلك يتحرون مسائل الخلاف ، ويلتزمونهامن حيث يترك بعضهم العمل بكثير من مسائل الاتفاق ، وان كانت مجمعا عليها .

وهم أشد استمسكاكا بمخالفة الذين يعيشون معهم ، منهم بخلاف البعداء عنهم ، لهذا تراهم يقيمون فىالمسجد الواحد جماعتين أو أيثر فى وقت واحد .

بل كان هذا المظهر البشع مما يرى فى المسجد الحرام نفسه الى عهد قريب . حيث كان لكل مذهب امام يصلى بأتباعه فى جماعة خاصة حول الكعبة .

فهل هناك مظهر أشد تفرقا من هذا ؟

ويرسل بعضهم يديه ويقبضها بعض آخر ، فى الصف الواحد ، وبذلك جعلوا اختلاف الاجتهاد بين العلماء نقمة ، على حين كان يعد عند أولئك العلماء نعمة .

وانما سبب ذلك اتباع الأهواء ، وتنازع الزعماء الذين ورد فى وصفهم الأثر بأنهم أشد تغايرا من التيوس فى زروبها (١)

وما أغرى فقهاء المذاهب المعروفة بالتعصب الذى عابه أبوحامد الغزالى فى كتابه الاحياء الا حب الرياسة كما قال .

بل ماأغرى بعضهم بالاشتغال بمذهب معين دون غيره اذ ماقاله المقريزى المؤرخ المشهور من وقف الاوقاف عليها ، والتزام بعض الملوك والامراء لتقليد بعضها ، وجعل الحكم به .

ولولا ذلك لفعلوا بأقوال أئمة المذاهب مافعلوه بأقوال غيرهم من الصحابة والتابعين ، من المزج ، وعدم الافراد بالتاليف ، والتدريس .

وجملة القول أن التفرق بين المسلمين باختلاف المذاهب والآراء ، وتعصب كل شيعة لمذهب منها فى الأصول والفروع ، هو من أكبر الكبائر الثابتة بنصوص الكتاب والسنة القطعية المجمع عليها ولا شىء مما تعصبوا له بقطعى ولا مجمع عليه .

فمن مقتضى أصولهم كلهم وجوب ترك أسباب هذا التفرق والاختلاف حتى قال الغزالى فى كتابه « القسطاس المستقيم » : بالاكتفاء بالعمل بالمجمع عليه ، واعتبار المسائل المختلف فيها كأن لم تكن .

وان ماترتب على التفرق من الضرر ، والفساد المدون فى التاريخ والذى أفضى فى هذه الأزمنة الى ضعف المسلمين ، والى ذهاب ملكهم ، وتمكن الاجانب من الاستيلاء على بلادهم ، واغراء عوامل نفور بعضهم من بعض .

كل ذلك مما يؤكد وجوب تلافى شرور هذا التفريق ، والعمل على جمع الكلمة ، ووحدة الامة .

ثم قال : لا علاج لذلك الا اذا علم الطالب أن مرجع كل المذاهب هو كتاب الله وسنة رسوله . وتمكن من الرجوع اليهما بعناية .

ثانيا : باطلاعه على أقوال أئمة السلف وأصحاب المذاهب المختلفة . وأدلتهم عليها

(١) انظر القرافى فصل ١٥ (نبذ جاءت متفرقة فى الكتب)

(١) زروب بضم اوله : جمع زرب بفتح اوله وهو الموضع الذى تحبس فيه الغنم .

بالطريقة التى كان يتبعها العلماء فى الصدر الاول ، من احترام الجميع وعدم جعل المسائل الخلافية سببا للتفرق • أو التعادى بين المسلمين ، ولا لتفضيل البعض على البعض فانه يؤدى الى هذا التعادى •

ويجب أن يكون قدوة من يقلد واحدا من علماء المذاهب هي سيرته • من احترام غيره • وسعة صدره لمن خالفه • وتلمس العذر له •

وينبغي أن يعلم طالب علم الشريعة عدم صحة قول من زعم أن جميع ما يذكر فى كتب الفقه خصوصا المتأخر منها هو شرع الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، حتى رتب عليه أن من أنكر شيئا منه • او اعترض عليه يكون مرتدا عن الاسلام •

وفى بعض كتب المتأخرين من عمل عملا يعد فى العرف اهانة لشيء من هذه الكتب يحكم بردته ، ويقتل اذا لم يتب ، ولا يصلى عليه ... الخ •

بل قال بعضهم ان اهانة العالم كفر • لانها اهانة للشرع الى آخر هذه التشديدات التى أبطلها المحققون من العلماء •

والحق أن أكثر مافى كتب الفقه هى مسائل اجتهادية ، وآراء ظنية مستنبط بعضها من أقوال فقهائهم أو من علل دقيقة من علل القياس ، ينكر مثلها أكثر علماء السلف •

فهى تحترم مايخالفها من المذاهب الاخرى على سواء •

كان كبار علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من مجتهدى السلف يتحاشون أن يسموا ظنونهم الاجتهادية حكم الله ، أو شرع الله •

بل كان أعظمهم قدرا • وأوسعهم علما يقول : هذا مبلغ علمي واجتهادي ، فاذا كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان •

وكان مما يوصى به النبى صلى الله عليه وسلم أمير الجيش قوله صلوات اله عليه « اذا حاصرت قوما فارادوا أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن انزلهم على حكمك ، فانك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا ؟ » رواه احمد ومسلم وغيرهما •

ولـذا قال ابن القيم فى كتابه « أعلام الموقعين » : لايجوز للمفتى أن يقول : هذا حكم الله ، أو أحل الله كذا ، أو حرم كذا ، تبعا لشىء وجده فى الكتاب الذى تلقاه عمن قلده •

بل يقول : هذا هو قول فلان الخ •

وذكروا أن شيخ الاسلام ابن تيمية حضر مجلسا ذكرت فيه قضية ، وقيل حكم فيها بحكم الله • فقال • كلا بل حكم فيها برأى زفر بن الهذيل •

ثم قال السيد رشيد وهناك أحكام أجمع عليها المسلمون ، هذه يجب أن يحافظ عليها وأن يؤمر من يخالفها باتباعها ، وينهى عن تركها

وهناك أمور خلافية يجب أن لا يتشدد فيها المرشدون ، بل يعلمون الناس مايرونه هم صوابا بالتى هى أحسن

وقد صرح العلماء بأنه ليس للشافعي أن يأمر الحنفي بالوضوء من لمس المرأة أو ينكر عليه الصلاة اذا لم يتوضأ منه وما أشبه ذلك

ويجب أن يعلم الطالب أيضا أن أكثر الاحاديث التى يستدل بها أهل الحديث على أهل القياس هى من أحاديث الآحاد • التى لم تكن مستفيضة فى العصر الأول أو نقل عن عن الصحابة والتابعين خلاف فى موضوعها •

فيعلم بذلك أنها ليست من التشريع العام الذى جرى عليه عمل النبى واصحابه ، وليست مما أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الشاهد فيه الغائب

بل كانت مما يرد كثيرا فى استفتاء مستفت عرضت له مسألة فسأل عنها (١) فأجابه صلى الله عليه وسلم ، ولعله لو لم يسأل لكان فى سعة من العمل باجتهاده فيها ولكان خيرا له للناس

وذلك أنها لم تكن من أمهات الدين التى أراد الله تعالى تكليف عباده بها لبينها لهم صلى الله عليه وسلم من غير سؤال •

وقد كان صلى الله عليه وسلم يكره كثرة السؤال • ونهى عنها • لئلا تكون سببا لكثرة التكاليف ، فتعجز الامة عن القيام بها (٢)

« يتبع »

(١ ، ٢) كما تقدم فى فصل ٦ أسباب الخلاف

خواطر مستشار

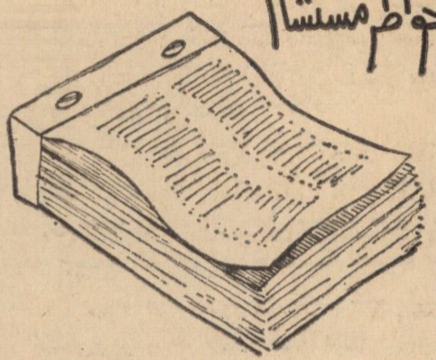

مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

نظم الحكم والادارة في الإسلام

حول السياسة الشرعية والقانون الدستوري والإداري

المستشار علي علي منصور

تناولنا فى المقالين السابقين بالحديث بعض نظم الحكم والادارة فى عهد النبوة وها نحن نتابع الكلام فى باقى النظم فى ذلك العهد الزاهر :

التراجمة فى عهد الرسول : كان زيد بن ثابت ترجمانا للرسول بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية واليهودية .

التعليم فى المسجد والمدارس : كان المسجد فى المدينة متخذاً مدرسة للعامة وكان النبى يأمر حافظى القرآن وجامعيه بتعليمه الناس شفاها وكتابة ومنهم نافع بن ظريف النوفلى وناجيه الطفاوى وكانت شفاء أم سليمان تعلم النساء لكتابة ، وكان عبادة بن الصامت يعلم أهل لصفة ، وكانت دار مخرمة بن نوفل بالمدينة تدعى دار القرآن .

وفى بحث للسير توماس ارنولد عن علاقة سجد باعتباره مقر القيادة بادارة شئون الدولة ال (لم يكن المسجد مكانا للعبادة فحسب ، ل كان أيضا مركز الحياة الاجتماعية والسياسية حيث كان النبى يستقبل الشعراء ويدبر شئون الدولة ، ويخطب المسلمين على لمنبر فى الأمور الدينية والسياسية ... ومن وق منبر المدينة أعلن عمر توقف جيوش المسلمين فى العراق لشدة مقاومة العدو وحث قومه على السير لامداد الجيش . ومن فوق هذا المنبر وقف عثمان يدافع عن نفسه ، كما كان الخليفة عند استخلافه يلقى من فوق هذا المنبر خطبته الأولى وهى بمثابة خطاب العرش فى الأمم الدستورية) .

وكانت المساجد تستخدم منذ ظهور الاسلام لاجتماع العلماء فيها، كما اتخذها فقهاء التفسير والحديث مقرا لهم وكانت مدارس لتعليم الأطفال القراءة والكتابة وأصول اللغة والدين .

واتخذها القضاة مجالس لهم • ولما كانت السياسه والدين فى نهج واحد كانت تداع فى المسجد الأخبار الهامه • ويستطرد السير توماس أرنولد فى الكلام عن المساجد فيقول (انها فقدت اهميتها السياسية والاجتماعية، فلم تعد تمثل عرش الخلافه وكرسي الوالى ولا منصة القاضى وغدا عمل المسجد فى آخر العهد فى الدول الاسلامية مقصورا على اقامه الخطبة وشعائر الصلاة ويكتفى بأن يمجد الله فى الخطبة ويصلى على نبيه ويترحم على الصحابة ويدعى للخليفة باعتباره نائبا عن رسول الله فى المحافظة على الدين ، ولم يبق فيها من مظاهر السياسه الا ذكر اسم الخليفة فكان ذلك اشبه ما يكون باعتراف الولايات الاسلامية بسلطة الخلفاء الاسمية) •

الشعراء وسيلة لنشر الدعوة : ولم يغفل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن أن الشعر ديوان العرب وانه خير وسيلة لنقل الأخبار والتفاخر والمدح والهجاء فاتخذ لنفسه شعراء منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ومن الخطباء ثابت بن قيس •

قيادة الجيش : وأول لواء عقد فى الاسلام لواء عبد الله بن جحش وعقد لسعد بن مالك الأزدى راية على قومه ووصايا الرسول لقواده سبق أن فصلناها فى كتابنا الشريعة والقانون الدولى فليرجع اليها لمعرفة نظام الجيش وكيفية معاملة الجند وان الحرب بين المقاتلين فلا يقتل غير محارب ولا يقتل النساء والأطفال ورؤساء الأديان ولا يهلك الحرث فان الله لا يحب الفساد ، ومنها أيضا وجوب اعلان الحرب قبل البدء باعمالها وتخيير من نقدم على قتاله بين الخصال الثلاث وان الحرب فى الاسلام دفاعية وليست هجومية ، وان المشورة واجبة حتى فى اعمال الحرب وهو ما يسمى اليوم بأركان الحرب بالنسبة للقائد •

تعيين الأمراء : وكان اذا خرج الرسول فى غزوة ترك على المدينة واليا ومنهم ابو دجانة الساعدى وسباع بن عرفطة كما ولى راشد بن عبد الله أميرا على القضاء والمظالم • وسنعقد للامارة بحثا نتناول الكلام عنها فى جميع العهود الاسلامية •

وكان الرسول كثيرا ما يقول أرحم أمتى بامتى أبو بكر واشدهم فى دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم على وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد ابن ثابت واقرؤهم أبى بن كعب ولكل امة امين وأمين هده الامه أبو عبيدة بن الجراح • وقال خذوا القرآن من أربعة ، عن عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفه وجمع القرآن اى حفظه جميعه من الأنصار ابى ومعاذ وزيد بن ثابت وأبو قيس ابن السكن وهؤلاء هم أهم رجال الادارة والقضاء والفقه والقرآن فى عهد الرسول •

تاليف القلوب : ولقد آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار بأخوة الاسلام وأقطعهم القطائع من الأرض الموات لاصلاحها وعمارتها وكان يتألف على الاسلام المؤلفة قلوبهم وهم واحد وثلاثون رجلا من سادة العرب تألفهم وتالف بهم قومهم ليرغبوهم فى الاسلام ولئلا تحملهم الحمية مع ضعف نياتهم على الانقلاب مع الكفار وكان منهم الشريف المسود والعالم والخطيب والشاعر والداهية السياسى وقال الرسول « **انى لأعطى لقوم اتألف ظلعهم وجزعهم واكل قوما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير** » ولما زالت العلة لتأليف القلوب وقوى الاسلام أبطل عمر عطاء المؤلفة قلوبهم •

كتبه الى الملوك والأمراء فيها معنى الطلب بالاعتراف بالدولة :

لما دانت الجزيرة العربية للاسلام ولم يبق فيها مشرك وعظم شأن الدولة الاسلامية بعث الرسول الى الملوك والأمراء كتبا يطالبهم وشعوبهم بالدخول فى الاسلام ومنهم كسرى والنجاشى وهرقل والمقوقس وملك البحرين وامير الغساسنة وملك اليمن وغيرهم وكانى به ـ عليه الصلاة والسلام ـ يطلب الاعتراف بالدين والدولة فمنهم من اعترف وأسلم ومنهم من اعترف بالدولة وبقى على دينه ومنهم من

أساء معاملة حامل الكتاب ومنهم من مزق الكتاب وأرسل من يأتيه برأس الرسول وهو كسرى فمزق الله ملكه ومنهم من قتل حامل الكتاب فكان الحادثان الأخيران سببا فى قيام الحرب بين الفرس والمسلمين من ناحية وبين الروم والمسلمين من ناحية أخرى • وكان تصرف الفرس والروم بمثابة اعلان الحرب من جانبهم على المسلمين على نحو ما شرحناه فى كتابنا الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام •

الاحصاء والتعداد : حدث مرة أن أراد الرسول احصاء المسلمين فقال اكتبوا الى كل من تلفظ بالاسلام فكتبوا ألفا وخمسمائة رجل وكان اذا نودى للزحف وتخلف عنه أحدهم لعذر أو شبهة عذر لديه يلومه الرسول وأصحابه فان تعمد التخلف عوتب من الرسول وقاطعه الصحابة وعوتب من الله حيث نزلت الآيات فى عتاب بعضهم ثم العفو عن البعض . وقصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك معروفة سجلها القرآن فى سورة التوبة وسجلها البخارى فى حديث طويل عن أحد الثلاثة وهو كعب بن مالك فليرجع اليه من أراد التوسع فى معرفة أن المقاطعة سلاح عرفه الاسلام •

اعداد جيش المسلمين بالعتاد اللازم ولو باستيراد الأسلحة الحديثة :

لم يكن للمسلمين أول الدعوة جيش مخصص للحرب بل كانوا ينفرون جميعا كلما دعوا ويجهز كل منهم نفسه بالسلاح والدابة بقدر ما يستطيع كالقوس والنبل والحربة والسيف والدرع ورأى الرسول أن اتساع رقعة الدولة تدعو لتعلم صنعة الدبابات والمنجيق والضبور (نوع من الدبابات) فأرسل بعثات الى اليمن وغيرها ليتعلموا تلك الصناعات الحديثة •

المرأة فى عهد الرسول داعية للاسلام ومعينة فى الحرب بل ومحاربة فى بعض الأحيان :

كان الرسول يحسن معاملة النساء وعلى الأخص زوجاته أمهات المؤمنين وكانت للأمهات أكبر الأثر فى بث الدعوة والتهيج على الحرب والحث على الشجاعة والاستشهاد والحديث فى ذلك يطول وكانت آخر وصية للرسول أن أوصى بالمرأة وهذا من حسن الادارة •

وسمح باستخدام النساء فى الحروب والغزوات فكن يخدمن الجرحى ويقدمن للجيش الطعام والسقاء ويحمسن الأزواج والأبناء • ومنهن امرأة يقال لها رفيدة كانت تتخذ خيمة تداوى فيها الجرحى وكذلك كانت اختها كعبة بنت سعيد الاسلمية ، فكان من النساء فى عهد الرسول ممرضات وطاهيات وساقيات وخياطات ومحمسات وداعيات بل نسيبة بنت كعب المازنية رمت بالنبل وبالسهم دفاعا عن رسول الله يوم أحد لما انكشف عنه الجيش وسقط فى الأرض • وفى فتوى للأستاذ الأكبر الشيخ حسن مأمون يقول ان الاسلام لا يمنع أن تتولى المرأة أى عمل يتفق مع طبيعتها وباذن من زوجها •

بيت المال ـ خزانة الدولة :

كانت تجمع الزكاة وتجبى الأموال التى فرضها الله فى أموال المسلمين وكان الفىء وغنيمة الحروب تقسم بين المستحقين من الفقراء والمساكين والمقاتلين وكان الرسول يعطى الأهل من الفىء حظين ويعطى العزب حظا واحدا فكان ذلك نواة للخزانة العامة وتنظيما للايراد والمنصرف ••

هذا بعض ما يقال عن تدبير الرسول من نظم الحكم والادارة من بث الدعوة وجهاد العدو وأخذ الغنائم والصدقات والعشور وقسمتها بين المجاهدين وأهل البلاء من المهاجرين والأنصار ثم على الفقراء وما كان من توزيع العمل بين عماله ومعاملته لهم وكتبه ووصاياه ومعاملته للمرأة ، أما ما كان من أمر المعاهدات للسلم بينه وبين اليهود وبين المشركين فى الحديبية وغيرها فقد فصلناه فى كتابنا الشريعة والقانون الدولى العام • وفى المقال اللاحق يأتى دور الكلام عن نظم الحكم والادارة فى عهد الخلفاء الراشدين •

أيهما الذبيح
اسحاق أم اسماعيل

الدكتور على عبد الواحد وافى

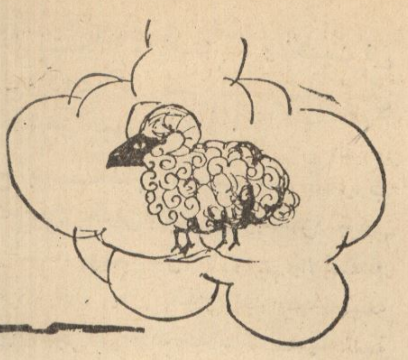

يجزم اليهود والنصارى بان الغلام الذى هم ابراهيم بذبحه امتثالا لأمر ربه هو ابنه اسحاق ، معتمدين فى ذلك على ما ورد فى لاصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين اذ يقول :

« وحدث بعد هذه الأمور أن امتحن الله ابراهيم ، فقال له خذ ابنك وحيدك الذى تحبه ، اسحاق ، واذهب به الى بلاد موريجا (جبل الموريا ، وهو الذى تقع عليه مدينة أورشليم) وقدمه ضحية محرقة (الضحية المحرقة هى ما كانت تحرق فى المذبح تقربا الى الله تعالى ، وكان اليهود يعتقدون - وأسفارهم تؤيد اعتقادهم هذا - أن الالاه يفيد منها ويرتاح الى رائحة الدخان المتصاعد من حرقها) فوق جبل سأحدده لك من جبال هذه المنطقة، فبكر ابراهيم وأسرج حماره وأخذ معه اثنين من غلمانه واسحاق ابنه ، وأعد الحطب للمحرقة ، وشخص الى المكان الذى بينه له الرب ، وفى اليوم الثالث رفع ابراهيم بصره، فاستشرف الموضع عن بعد ، وقال لغلاميه : انتظرا هنا مع الحمار ، لأننى ذاهب مع الغلام الى هذا الموضع لنؤدى عبادة لله ، ثم نعود اليكما .

فعهد ابراهيم الى اسحاق بحمل الحطب للمحرقة ، وحمل هو السكين وشعلة النار ، وسارا معا . وفى طريقهما قال اسحاق لأبيه قد أحضرنا الحطب والنار ولكن أين الحمل (الخروف الصغير) الذى سنقدمه ضحية محرقة ؟ فأجابه ابراهيم أن الله تعالى نفسه سيقدم الحمل للمحرقة . وتابعا سيرهما حتى وصلا الموضع المحدد ، فبنى فيه ابراهيم مذبحا ، ورتب كومة الحطب ، وشد وثاق ابنه اسحاق ، ووضعه فى المذبح فوق الحطب وسل سكينه ، وهم بذبح ابنه . وحينئذ ناداه ملك الرب من السماء أن لا تمد يدك الى الغلام ولا تمسه بسوء ، فقد علمت الآن أنك تسارع فى طاعتى ، ولا تضن على بابنك وحيدك ، فرفع ابراهيم بصره فاذا كبش وراءه قد ربط فى الغابة من قرنيه . فأخذه وقدمه ضحية محرقة بدلا من ابنه » .

ومع أن اليهود والمسيحيين يعتقدون أن سفر التكوين الذى وردت فيه هذه القصة بنصها السابق هو واحد من أسفار خمسة تتألف منها التوراة التى أنزلها الله على موسى « وأربعة الأسفار الأخرى هى سفر الخروج والتثنية والعدد واللاويين » . فانه قد ظهر لمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التى كتبت بها هذه الأسفار ، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع ، والبيئات الاجتماعية والسياسية التى تنعكس فيها ، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت فى عصور مختلفة ولاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير ، وأنها جميعا مكتوبة بأقلام أحبار اليهود ، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التى كانت سائدة لديهم فى مختلف أدوار تاريخهم الطويل . فهى اذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التى يذكر القرآن أنها كتاب سماوى مقدس أنزله الله على موسى . وقد حرف فيها الكلم عن مواضعه لاغراض شتى ، وبدل فيها مما جاء فى توراتهم الصحيحة ، كما ينبئنا بذلك القرآن الكريم .

وقد أوضحنا هذا كله بتفصيل فى الباب الأول من مؤلفنا عن « **الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام** » .

فمن المحتمل اذن أن يكون ما جاء فى سفر التكوين بصدد تخصيص الذبيح بأنه اسحاق من الأمور التى تزيدها اليهود أو حرفوها فى أسفارهم هذه ليثبتوا هذه المكرمة لأبيهم هم وهو اسحاق ، وينفوها عن أبى العرب اسماعيل - عليه السلام - بل ان ثمة شواهد كثيرة ترجح هذا الاحتمال سنعرض لها فيما بعد .

وقد أورد القرآن الكريم هذه القصة فى سورة الصافات ، ولكن بدون أن يحدد اسم الذبيح ، وذلك اذ يقول بعد أن ذكر دعاء ابراهيم ربه أن يهبه غلاما من الصالحين . **« فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا ابراهيم، قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على ابراهيم، كذلك نجزى المحسنين »** .

ولعدم تحديد القرآن الكريم اسم الذبيح ولاحتمال الآيات السابقة أن يكون المتحدث عنه أحد ولدى ابراهيم ، من أجل ذلك اختلف فيه أهل العلم من المسلمين ، **هل هو اسحاق أم اسماعيل** .

فذهب بعضهم الى أنه اسحاق . وانتصر لهذا المذهب من المفسرين العلامة ابن جرير الطبرى فى تفسيره للآيات السابق ذكرها ، معتمدا فى ذلك على أدلة كثيرة . منها أن هذا الرأى ينسب لعدد كبير من جلة الصحابة والتابعين منهم العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وابن مسعود وجابر وعلى بن أبى طالب وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله وسعيد بن جبير وأبوهريرة وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق وعلقمة والشعبى ومجاهد وكعب الأحبار وقتادة وابن سابط ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبى برزة ومكحول بن أبى حاضر وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى والحسن وعبد الله بن أبى الهزيل ومالك بن أنس . ومنها ما روى عن العباس ابن عبد المطلب ، قال قال رسول صلى الله عليه وسلم : « **قال نبى الله داود يا رب أسمع الناس يقولون رب ابراهيم واسحاق ويعقوب فاجعلنى رابعا . قال ابراهيم ألقى فى النار فصبر من أجلى ، وان اسحاق جاد لى بنفسه ، وان يعقوب غاب عنه يوسف . وتلك بلية لم تنلك** » .

وما روى عن ابن مسعود وعن أبى هريرة مرفوعا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « **الذبيح اسحاق** » .

وما روى عن ابن مسعود قال سئل النبى - صلى الله عليه وسلم - من أكرم الناس، قال يوسف بن يعقوب بن اسحاق **ذبيح الله** .

وروى هذا الحديث نفسه موقوفا عن ابن مسعود وعن العباس بن عبد المطلب . **وما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ان الله تعالى لما فرج عن اسحاق كرب الذبيح ، قيل له يا اسحاق سل تعط ، فقال أما والذى نفسى بيده لأتعجلنها قبل نزغات الشياطين : اللهم من مات لا يشرك بك شيئا فاغفر له وأدخله الجنة »** .

وذهب آخرون الى أنه اسماعيل .. وانتصر لهذا الرأى من المفسرين العلامة الحافظ بن كثير فى تفسيره لهذه القصة فى سورة الصافات معتمدا فى تأييده على أدلة كثيرة . منها أن هذا الرأى ينسب لعدد كبير من جلة الصحابة والتابعين منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب ويوسف بن مهران والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظى والكلبى وأبو جعفر محمد بن على وأبو صالح وأبو عمرو بن العلاء ، وينسب كذلك فى بعض الروايات الى ابن عباس وابن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وعلقمة ومجاهد والشعبى وعطاء وسعيد بن جبير والحسن .. **ومنها ما روى عن ابن عباس قال : « فدى اسماعيل بكبشين أملحين أقرنين أعينين »** .

وما روى عن ابن عباس كذلك موقوفا فى وصف الكبش الذى ذبحه ابراهيم فداء اذ يقول :

« واتبع الكبش فأخرجه الى الجمرة الاولى فرماه بسبع حصيات . ثم أفلته عندها فجاء الى الجمرة الوسطى فاخرجه عندها فرماه بسبع حصيات . ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات ، فأخرجه عندها . ثم أخذه فاتى به المنحر من منى فذبحه ، فوالذى نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة حتى وحش ، يعنى يبس » .

ومعروف أن اسماعيل لا اسحاق هو الذى كان بمكة مع أمه هاجر ، أما اسحاق فانما كان ببلاد كنعان من أرض الشام » .

وما روى عن محمد بن اسحاق عن عمرو ابن عبيد ، عن الحسن أنه قال : « ما فدى اسماعيل - عليه السلام - الا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير (وثبير بمنى فى ضواحى مكة) » .

وما روى عن عثمان بن طلحة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « انى كنت قد رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما، فخمرهما فانه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل المصلى » .

وما روى عن سفيان قال : « لم يزل قرنا الكبش معلقين فى البيت حتى احترق البيت واحترقا » .

وما روى عن ابن عباس أنه قال : المفدى اسماعيل ، وزعمت اليهود أنه اسحاق وكذبت اليهود » .

وما روى أن عمر بن عبد العزيز بعث الى رجل كان من علماء اليهود ثم أسلم وحسن اسلامه ، وسأله عن الذبيح ، فقال اسماعيل، والله يا أمير المؤمنين ، وان يهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون اباكم ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحاق لأن اسحاق أبوهم » .

ومنها ما رواه عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل قال سألت أبى عن الذبيح هل هو اسماعيل أم اسحاق ؟ فقال اسماعيل - ذكره فى كتاب الزهد - .

ومنها ما رواه عبد الله بن سعيد عن الصنابحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا الذبيح اسماعيل أو اسحاق ، فقال على الخبير سقطتم .

كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء رجل فقال يا رسول الله عد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين . فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان . فقال ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نزر لله ان سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده ، قال فخرج السهم على عبد الله . فمنعه أخواله ، وقالوا أفد ابنك بمائة من الابل ، ففداه بمائة من الابل . والذبيح الثانى هو اسماعيل .

غير أنه لم تثبت صحة أى حديث من الأحاديث التى وردت مؤيدة لأحد الرأيين السابقين . وكل ما ينسب الى الرسول - عليه السلام - فى هذا الصدد من قول فهو اما ضعيف جدا واما موضوع ، على ما حققه كثير من رجال الحديث . ولا أدل على ذلك من تناقض هذه الأحاديث وتقرير بعضها أن الذبيح اسماعيل وبعضها الأخير أن الذبيح اسحاق . ولم يثبت بدليل قاطع نسبة رأى من الرأيين السابقين الى أحد من الصحابة أو التابعين . ولا أدل على ذلك من أن كلا الرأيين ينسب القول به لابن عباس وابن عمر وأبى هريرة وابن مسعود وعلقمة ومجاهد والشعبى وعطاء وسعيد بن جبير والحسن . وعلى فرض ان أحد الصحابة أو التابعين قد ذهب الى أحد الرأيين السابقين فان هذا لا ينهض دليلا قاطعا على صحته ، اذ من المحتمل أن يكون الصحابى أو التابعى قد تحدث فى هذا الأمر برأيه وبما استنبطه أو بما وصل اليه علمه من أخبار الأولين أو بما كان يسمعه من أهل الكتاب .

ولذلك يرى كثير من علماء المسلمين أنه من الأسلم التوقف وعدم القطع برأى فى هذا الموضوع وتفويض علم ذلك الى الله .

ولكننى مع ذلك أرجح الرأى القائل بأن الذبيح هو اسماعيل ـ عليه السلام ـ لأدلة كثيرة أخرى غير التى سبق ذكرها فى تأييد هذا الرأى ، من أهمها ما يلى :

١ ـ أن الفقرة الثانية من الاصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين تذكر فى صدرها أن الذبيح كان حينئذ الابن الوحيد لابراهيم أى الذى لم يكن له سواه • والغلام الذى كان وحيدا لابراهيم فى مرحلة طويلة من مراحل طفولته هو اسماعيل • أما اسحاق فانه لم يكن وحيدا لابراهيم فى أى مرحلة من مراحل حياته • فقد ولد اسحاق بحسب ما ورد فى سفر التكوين نفسه ، ولاسماعيل نحو أربع عشرة سنة ، وبقى اسماعيل الى ان مات ابراهيم ، وحضر اسماعيل وفاته ودفنه • فيظهر أن الذين حرروا سفر التكوين قد نقلوا صدر هذه الفقرة عن التوراة الحقيقية ثم اقحموا اسم اسحاق ليثبتوا هذا الفضل لأبيهم هم ، بدون أن يفطنوا الى تعارض ما أقحموه مع ما ورد فى صدر الفقرة من وصف الولد بأنه كان حينئذ وحيدا لابراهيم•

٢ ـ أن القرآن الكريم قد بدأ هذه القصة بقوله : « فبشرناه بغلام حليم » • ثم ذكر ما أصاب هذا الغلام الحليم من محاولة ذبحه وفدائه بذبح عظيم ، ثم قال بعد فراغه من هذه القصة مباشرة : **« وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين »** • فتسلسل القصة فى القرآن الكريم على هذا النسق يكاد يكون دليلا قاطعا على أن الغلام الحليم الذى كان موضعا لهذا الابتلاء الالاهى هو غير اسحاق •

٣ ـ أن القرآن الكريم يذكر ان الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى بالبشرى الى ابراهيم، قد بشروا زوجه سارة بأن الله تعالى سيرزقها بولد يسمى اسحاق ، وأن هذا الولد سيولد له ابن يسمى يعقوب ، وذلك اذ يقول :

« ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام ••• وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب»•
ولا يعقل أن يبشر الله تعالى ابراهيم باسحاق وينبئه بأنه سيولد لاسحاق ولد يسميه يعقوب ، ثم يأمره بعد ذلك أن يذبح ابنه اسحاق وهو غلام لم يتزوج بعد ولم يعقب • (يلاحظ أن الأمر كان فى رؤيا منامية ، وأن رؤيا الأنبياء من الوحى ، **وأن قوله تعالى فى سورة الصافات « فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك »** ، معناه أنه بلغ السن التى يساعد فيها أباه فى أعماله ، والعرب تستخدم هذه العبارة حينما يقوى الغلام على العمل ويكون ذلك زهاء الثالثة عشرة من عمره) •

٤ ـ أن الله تعالى يقول فى كتابه الكريم : **« وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين » •• فكيف يأمره بذبحه وهو غلام ، وقد وعده بانه** سيكون نبيا ، ولا تكون النبوة الا فى نحو سن الأربعين •

٥ ـ أن انجيل برنابا ـ وهو أحد الأناجيل غير المعتمدة عند الكنائس المسيحية الحاضرة، ولكن تدل شواهد كثيرة أن كثيرا مما جاء به يحكى العقائد المسيحية فى أصلها النقى قبل أن يدخلها التحريف ـ يقرر بصريح العبارة أن الذبيح هو اسماعيل ، ويروى ذلك عن السيد المسيح نفسه ويستدل عليه بنصوص العهد القديم ، وذلك اذ يقول على لسان السيد المسيح :

« الحق أقول لكم أنكم اذا أمعنتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا • لأن الملاك قال يا ابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟ حقا يجب عليك أن تفعل شيئا يدل على ذلك • فأجاب ابراهيم ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله • فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا خذ ابنك بكرك واصعد الى الجبل لتقدمه ذبيحة » ، (ويظهر هذا أنه فى بعض نسخ توراتهم جاءت كلمة « بكرك » بدلا من كلمة « وحيدك » المذكورة فى النسخ الأخرى) • فكيف يكون اسحاق البكر وهو لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين ••! »

مقارنة الأديان (٦)

اليهودية

الدكتور أحمد شلبي

فى احاديثنا السابقة تكلمناعن منطقة فلسطين ووصفنا سكانها ، وتحدثنا عن الكنعانيين والفينيقيين والفلسطينيين وسكان آمون ومؤاب وادوم ، وهذه تمثل الدائرة الضيقة التى أحاطت بالعبرانيين ، كما تحدثنا عن مصر وآشور وبابل التى تمثل الدائرة الواسعة حولهم ، ثم عرجنا على العبرانيين فوصفنا تحركاتهم وتتبعناهم من اور الكلدانيين حتى دخل بهم ابراهيم ارض الكنعانيين ثم غادرها الى مصر وقفل بعد حين عائدا الى فلسطين ، وجاء بعده ابناه اسماعيل فى الحجاز واسحق فى فلسطين وجاء يعقوب بعد أبيه اسحق ، ثم جاء يوسف ، وسرنا مع قصة يوسف حتى أصبح مديرا لخزائن الطعام بمصر ثم رايناه يستدعى اهله ليلحقوا به فيلحقون ، وشهدنا تكاثر بنى اسرائيل وخيانتهم للحكم الوطنى بعد طرد الهكسوس وتآمرهم ضد سلامة الدولة ، وقيامهم بعدة ثورات فى عهد رمسيس الثانى ، وذكرنا اسباب هذه الثورات ، ثم تحدثنا عن نشأة موسى ودعوته وموقف فرعون منه • وخروج موسى ببنى اسرائيل من مصر وحياة بنى اسرائيل بعد الخروج وخلافهم على موسى وعبادتهم عجل السامرى ، وذكرنا وفاة موسى وهارون واسناد القيادة الى يشوع الذى قاد جماهير بنىاسرائيل الى فلسطين ونواصل فى هذا المقال حديثنا عن بنى اسرائيل فى فلسطين

بنو اسرائيل فى فلسطين

وهكذا بدات قصة اغتصاب اليهود لفلسطين ، ويمكن ان نقسم حياة بنى اسرائيل بفلسطين أقساما ثلاثة متميزة هى :

١ ـ عهد القضاة
٢ ـ عهد الملوك
٣ ـ عهد الانقسام فزوال ملك بنى اسرائيل من فلسطين

وسنتكلم عن كل قسم من هذه الاقسام على حدة :

١ ـ عهد القضاة :

لم يفتح العبرانيون فى ارض الميعاد الا منطقة التلول الداخلية ولم يزيدوا عليها شيئا ، أما مدن الساحل فقد استطاعت أن تصمد لهجوم العبرانيين ، وظل اسباط ابراهام اجيالا عديدة شعبا مغمورا يعيش فى منطقة التلال الخلفية مشغولا بمناوشات لا نهاية لها مع الفلسطينيين وذوى قرباهم من القبائل النازلة حولهم وهم المؤابيون وأهل مدين ، وسفر القضاة يعتبر سجلا يسطر كفاحهم وما اصابهم من نكبات ابان تلك الفترة وهو فى الغالب سجل للنكبات والاخفاقات التى دونت بصراحة وكان حكام اليهود فى هذه الفترة قضاة من الكهنة ينتخبهم كبراء الشعب ومن القضاة نساء احيانا ، ويتكلم سفر القضاة عن دبورة قاضية اسرائيل ولم يكن فى اسرائيل ملوك فى تلك الايام ، ولا كانت اطاعة القضاة واجبة وقد تسبب عن ذلك ـ بالاضافة الى تقسيم الارض المفتوحة بين الاسباط ـ انه لم تتالف من بنى اسرائيل أمة موحدة متماسكة ، بل ظلوا زمنا طويلا يؤلفون اثنى عشر سبطا مستقلين استقلالا واسعا او ضيقا ، لايقوم نظام الحكم عندهم على اساس الدولة بل على اساس الحكم الابوى فى الاسرة ، فكان شيوخ العشائر يجتمعون فى مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل فى شئون القبيلة ، وهو الذى يتعاون مع زعماء القبائل الاخرى اذا ألجأتهم الى هذا التعاون الظروف القاهرة التى لامفر من التعاون فيها ، وقد استمر عهد القضاة حوالى اربعة قرون بناء على حساب سفر القضاة ولكن المحقق محمد عزه دروزة يقرر ان عهدهم لايزيد عن قرن واحد ، فنظام الملك عند بنى اسرائيل قام حوالى سنة ١٠٣٠ ق.م ويوشع مات حوالى ١١٣٠ اذ تزعم هو وموسى بنى اسرائيل قرابة ثمانين عاما بعد خروجهم من مصر حوالى سنة ١٢١٠ ق.م ويرى هذا المحقق ان هذا الرقم من مبالغات السفر شانه شان الاسفار الاخرى فى الارقام

٢ ـ عهد الملوك :

انهار عهد القضاة أمام مطالب الحرب الملحة • فقد كان خطر سيطرة الفلسطينيين على اليهود عاملا عاما فى جمع الاسباط كلهم فى وحدة شاملة مؤقتة بعد مانالهم من اخفاق فى عهد القضاة ، وبعد ماشاع من فسق القضاة واخذهم الرشوة ، ويحكى لنا الاصحاح الثامن من سفر صموئيل الاول قصة الانتقال من عهد القضاة الى عهد الملك وهاك كلماته :

لما شاخ صموئيل جعل أبنية قضاة لبنى اسرائيل ، لكنهما لم يسلكا طريقه ، ومالا وراء المكسب واخذا الرشوة ، وعوجا القضاء ، فاجتمع شيوخ بنى اسرائيل وجاءوا الى صموئيل وقالوا له : انت قد شخت وابناك لم يسيرا فى طريقك فالآن اجعل لنا ملكا كسائر الشعوب ، فصلى صموئيل الى الرب فقال له الرب : اسمع لصوتهم ، انهم لم يرفضوك انت ولكنهم رفضونى انا انهم تركونى وعبدوا آلهة اخرى ، فاسمع لصوتهم ولكن أشهد عليهم • قال صموئيل لبنى اسرائيل : ان الملك الذى سيملك عليكم سياخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه ، لمراكبه وفرسانه فيركضون امام موكبه ، ويحرثون له ويحصدون وياخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات ، وياخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم وياخذ جواريكم وشبانكم الحسان وحميركم •• فابى الشعب ان يسمع لصموئيل وقالوا : لا بل يكون علينا ملك مثل سائر الشعوب يخرج امامنا ويحارب حروبنا ••

واختار لهم صموئيل شاول ليكون اول ملك عليهم ، ويسميه القران الكريم « طالوت » وقد قادهم شاول فى المعارك بشجاعة ، وكان داود احد رجاله فى هذه المعارك ، ويحكى الاصحاح السابع عشر من سفر صموئيل الاول بروز « جليات » قائد الفلسطينيين الذى يسميه القران الكريم « جالوت » ودعوته بنى اسرائيل للمبارزة ، وقد استطاع داود ان يتغلب عليه لسخرية جليات به وعدم تاهبه لمقابلته ، ومنذ ذلك الحين اخذ داود يملا اعين الناس واذهانهم وقلوبهم ، فاثار ذلك حقد شاول عليه ، وجعله يعزم على قتله لئلا يزاحمه على الملك ، ومن ثم اخذ يطارده مطاردة شديدة وينصب له شباك القتل امدا طويلا ولجا داود الى الفلسطينيين مرتين هاربا من شاول وانتهز الفلسطينيون فرصة هذا الخلاف فهاجموا بنى اسرائيل واوقعوا بهم الهزائم العظيمة ، وسقط شاول وابناه فى احدى هذه المعارك بوادى يزرعيل ، واخذت دروعه الى معبد فينوس الفلسطينية ودق جسمه بالمسامير على اسوار بيت شان ، وبعد فترة من الصراع على الملك بين داود واشبوشت بن شاول استقر الملك لداود فاصبح الملك الثانى لبنى اسرائيل وظلت الملكية وراثية فى عقبه .

ويقول Wells ان داود كان اكثر توفيقا . وبتوليه اشرفت فترة الرخاء الوحيدة التى قدر للشعوب العبرانية ان تعرفها على مدى الدهر كله ، وهى تقوم على محالفة وثيقة الاواصر مع مدينة صور الفينيقية التى يلوح ان ملكها حيرام كان رجلا اوتى نصيبا كبيرا من الذكاء والقدرة على المغامرة وكان يبغى ان يكفل للتجارة الى البحر الاحمر طريقا آمنا عبر التلال العبرانية . وكان الاصل ان تسير التجارة الفينيقية الى البحر الاحمر عن طريق مصر ولكن بعض العقبات حالت دون مرور التجارة الفينيقية عن طريق مصر ، ومهما يكن من شىء فان حيرام انشا بينه وبين داود وابنه وخلفه سليمان اوثق العلاقات ، وعند ذلك نشات برعاية حيرام اسوار اورشليم وقصرها ومعبدها ، وفى مقابل ذلك بنى حيرام سفنه على البحر الاحمر وسيرها فيه .

وكان عهد داود ــ بناء على ماجاء فى التوراة ــ غارقا فى دماء الضحايا شديد القسوة ، فيروى ان داود جمع كل الشعب وذهب الى ربه (عاصمة عمون وهى عمان اليوم ، وحاربها واخذها ، واخذا تاج ملك عمون عن راسه ووزنه « قنطار » من الذهب مع حجر كريم ووضعه داود على راسه واخرج غنيمة المدينة كثيرة جدا ، واخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد ، وأمرهم فى اتون آجر ، وهكذا صنع بجميع مدن عمون ، ثم رجع داود وجمع الشعب الى اورشليم .

وقبل ان ندع عهد داود الى عهد ابنه وخليفته سليمان نذكر انه ينبغى الا نبالغ فى تقدير سعة ملك داود ، ونقتبس لذلك خريطة من W. D. Smith توضح اقصى اتساع لمملكة داود

على ان مما وطد ملك داود وهيا له شيئا من الاتساع ان امور مصر فى عهده كانت مرتبكة ، فخفت هيمنتها على فلسطين وبلاد الشام ، وكانت امور الدولة الاشورية مرتبكة كذلك ، وقد منح هذا لداود شيئا من حرية الحركة والنشاط وممارسة السيادة وحكم داود اربعين سنة منها سبع فى حبرون والباقى فى بيت المقدس .

وجاء سليمان بعد ابيه داود ، وقد بدا حكمه بقتل اخيه الاكبر ادونيا وقتل يؤاب رئيس جيش ابيه وعزل ابياثار الكاهن ، وكانت حالة مصر واشور مرتبكة فى مطلع عهد سليمان فنعم بالسلطان فترة من الزمن واستطاع ان يصاهر فرعون مصر « شيشينق » ولكن حالة مصر بدات فى الانتعاش فعادت سيطرتها ــ الاسمية على الاقل ــ على فلسطين ونشط اعداء مملكة سليمان فاستعادوا بعض البقاع التى كانت خاضعة لابيه .

وانكمش ملك سليمان فى آخر عهده فاصبح غرب الاردن فقط ، ويشرح Wells كيف لعب الخيال فصور مملكة سليمان صورة تفوق الواقع بكثير ، قال Wells من الخير الا تغيب عن بالنا التقديرات النسبية للامور ، فسليمان لم يكن وهو فى اوج مجده الا ملكا صغيرا يحكم دولة صغيرة ، وكانت هذه الدولة من الهزال وسرعة الزوال بحيث انه لم تنقض بضعة اعوام على وفاته حتى استولى شيشينق اول فراعنة الاسرة الثانية والعشرين على اورشليم ونهب معظم مافيها من كنوز ، ويقف كثير من النقاد موقف المستريب ازاء قصة مجد سليمان التى توردها أسفار الملوك والايام ، وهم يقولون ان الكبرياء القومى لدى الكتاب المتاخرين هو الذى دعاهم الى اضافة أشياء الى القصة والمبالغة فيها

ويقول ول ديورانت فى قصة الحضارة :

وقسم سليمان بلاده اثنى عشر قسما اداريا ، وتعمد ان تكون حدودها متفقة مع حدود منازل الاسباط الاثنى عشر ، وكان يرجو من وراء هذا ان يضعف النزعة الانفصالية بينهم ، وان يؤلف منهم شعبا واحدا ، ولكنه افلس فى هذا وافلست بلاد اليهود معه .

وتصف التوراة مسالة الهيكل وقصر سليمان ابلغ وصف ، وتصورهما فى حالة رائعة من الجلال والعظمة ، وقد سبق ان اوردنا عبارة Wells التى تفيد ان اسوار اورشليم وقصرها ومعبدها نشات برعاية حيرام ملك الفينيقيين ، على ان Wells يعود مرة اخرى فيتحدث عن مدى الجلال فى هيكل سليمان فيقول اننا لو استخرجنا من القصة اطوال معبد سليمان لوجدنا ان فى الامكان وضعه داخل كنيسة صغيرة من كنائس الضواحى ويرى غوستاف لوبون ان وصف الهيكل وقصور سليمان بولغ فيه ، وان هذه الابنية تمت على كل حال بايدى الاجانب ، اذ جاء العمال المهرة من فينيقية ، ويختم غوستاف لوبون كلامه بقوله : لاينبغى لنا ان نحدث عن وجود شىء من فن النحت او التصوير لدى بنى اسرائيل ، وقل مثل هذا عن فن البناء عندهم فانظر الى هيكلهم المشهور الذى نشر حوله كثير من الابحاث المملة تجده بناء اقيم على الطراز الاشورى المصرى ، قام به بناءون من الاجانب كما تدل عليه التوراة ، ولم تكن هذه القصور غير نسخ رديئة من القصور المصرية او الاشورية .

ويختم Wells كلامه عن سليمان يقول : « وواضح مما تقص التوراة ان سليمان بدد مايملك فى المظاهر ، وانه ابهظ شعبه بالعمل والضرائب ، ولعل Wells يشير الى ماورد فى سفر الملوك الاول من انه بعد موت سليمان اجتمع شيوخ بنى اسرائيل وكلموا ابنه رحبعام قائلين : ان اباك قسى نيرنا ، واما انت فخفف الآن من عبودية ابيك القاسية ومن نيره الثقيل الذى جعله علينا .

وبموت سليمان بدا عهد الانقسام وسنتكلم عنه فى مقالنا التالى ان شاء الله

« للحديث بقية »

الفتوة

وعلاقتها بالجهاد والفروسية

الأستاذ محمود الجرسي

- ١ -

ان كلمة الفتوة بمدلولها اللغوى قديمة فى التاريخ العربى قبل الاسلام ، فقد استعملها العرب فى جاهليتهم ، وأرادوا من كلمة الفتى - التى اشتقت منها كلمة الفتوة - ذلك العضو الذى تتجسد فيه الصفات التى تتطلبها القبيلة من شجاعة فى القتال تضمن حماية القبيلة ، ومن جود وكرم يساعدان الفرد على رفع مكانته ومكانة قبيلته بين القبائل الاخرى ، ولم تستخدم كلمة « الفتى » فى ذلك العصر للدلالة على عضو منتم الى جماعة خاصة تتميز عن سائر القبيلة بالعمل من أجل هدف معين أو بحسب طقوس معينة ، كما استخدمت بعد ذلك فى عصور الاسلام .

وكلمة الفتوة - بمدلولها الحديث فى التاريخ الاسلامى - كلمة براقة ، تستهوى القلوب ، وتستثير حماسة الشباب ، وبخاصة فى أيام المحن والشدائد ، التى يتنمر فيها الاستعمار بالشعوب الاسلامية ، وتتناوشها مطامعه من كل جانب ، فهى مرتبطة فى أذهان الجماهير العربية والاسلامية بكلمة الجهاد فى سبيل الله ، ذلك الجهاد الذى هو أساس الدعوة الاسلامية وركنها الركين فى الحفاظ عليها ، والذب عنها ، والدفاع عن مقدساتها .

من أجل هذا كان حديثنا عن الفتوة فى هذه الاوقات بالذات حديثا واجبا ، لأن الشعوب العربية الاسلامية تقف الآن فى مفترق الطرق وفى مرحلة حاسمة من أخطر مراحل حياتها ، وهى مدعوة لأداء واجبها فى الجهاد المقدس من أجل المحافظة على كيانها ، واسترداد أرضها السليبة ، التى دنستها الأطماع والشهوات .

ولقد انتقلت كلمة الفتوة من معناها القبلى فى العصر الجاهلى ، الى معنى أوسع شمولا بعد ذلك فى العصر الاسلامى ، فأصبحت فى صدر الاسلام تدل على جماع الفضائل الخلقية من شجاعة وتضحية ونكران ذات واستبسال فى سبيل الدعوة ، وذلك لأن العرب فى جاهليتهم لم يتملكهم الشعور الدينى الذى يدفعهم الى البذل والفداء . فلم يخرج مدلول الفتوة فى عهدهم عما قدمناه من دفاع عن القبيلة ، واشادة بأمجادها . ولما تغلب العرب على ماجاورهم من الشعوب المتحضرة واتسعت رقعة الجهاد ، وتباعدت حدود هذه الدولة الاسلامية ، أصبح للفتوة معنى آخر يتطلب الانضواء الى جماعة معينة ، والخضوع لتقاليد خاصة ، والاقامة فى أماكن وبلاد تحيط بأطراف هذه الدولة .

وأول من أنشأ فرقة من الفتيان هو الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥) ولم تكن هذه الفرقة من الجيش النظامى ، بل كانت مهمتها مساعدة الجيوش النظامية على حفظ خطوط مواصلاتها ، وحماية الثغور . ثم أصبحت فرق الفتوة معروفة فى القرن التاسع الميلادى بين فئات من المتطوعين للجهاد فى بلاد ما وراء النهر وخراسان ؛ وهذه الفرق كانت تضم جماعات من الرجال المسلحين الذين أسهموا فى الجهاد ، دون أن ينضووا تحت لواء الجيوش النظامية أو يخضعوا لقوادها ، بل كانت هذه الفرق تخضع لرؤسائها ، وتدين بطاعتهم ، وهم الذين يقودونها فى المعارك التى تخوضها الدولة لمساندة الجيش النظامى . وكانت هذه الفرق تحرس الحدود الشرقية

للدولة – كما بينا – فى خراسان وبلاد ماوراء النهر .

وقد كتب المستشرق (متز Metz عن هؤلاء المحاربين فى سبيل الاسلام فقال : « وكذلك لم يهمل الناس واجب الجهاد ، واعتنوا به جادين على عادتهم دائما ، وقد أراد كثير من المؤمنين الصالحين أن يدخلوا من باب الجهاد فى سبيل الله ، فكان غزاة المسلمين من كل بلد وناحية يتدفقون كالسيل الى مدينة طرسوس – وكانت قاعدة حربية وثغرا من ثغور مملكة الاسلام مما يلى حدود الروم – وهم أعداء الاسلام الذين ورثوا عداوته جيلا عن جيل ، كما كانت ترد على تلك المدينة صلات أهل البر وأرباب النعم من المسلمين ، الذين لا يستطيعون الخروج للجهاد بأنفسهم » .

ويقول ابن حوقل : « ليس من مدينة عظيمة من حدسجستان وكرمان .. الى مصر والمغرب الا وبها « طرسوس » لاهلها دار ينزل بها غزاة تلك البلدة ، ويرابطون بها ، اذا وردوها ، ويكثر لديهم الصلات ، وترد عليهم الأموال والصدقات العظيمة الجسيمة ، الى ماكان السلاطين يتكلفونه وأرباب النعم يعانونه وينفذونه متطوعين متبرعين ، ولم يكن فى ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس ، الا وله عليها وقف من ضيعة ذات مزارع وعلات ، أو مسقف من فنادق » وكان أهل الثغور يكرمون فى بغداد ، ويحتفى بهم حين يقدمون اليها . وكانت ثغور مصر المسماة بالمواحيز يعمرها أهل الديوان والمطوعة ، وكانت أحباس السبيل التى يتولاها القضاة تجمع فى كل سنة ، فاذا كان شهر أبيب بعث القاضى ما اجتمع من أموال السبيل ففرقت على مواحيز مصر من العريش الى لوبية ، وأعطيت للمطوعة ومن كان فقيرا من أهل الديوان . وكانت بلاد ماوراء النهر ثانية ناحية تلى طرسوس من حيث وقوف أهلها للجهاد ، وذلك لما اشتهر به أهل ماوراء النهر من الشوكة وشدة البأس ، ومن أنهم أكبر أهل الاسلام نصيبا فى التضحية وأعظمهم حظا فى الجهاد » .

هذه الصورة التى رسمها متز وابن حوقل لكتائب الفتوة فى هذا العهد تلقى ضوءا على ماكان لهذه الكتائب من أثر فى انتشار الدعوة الاسلامية ، والمحافظة على حدودها ، ودفع المغيرين عنها . ومع أن هذه الكتائب قد اختلط بها أوشاب من الانتهازيين الذين لوثوا صفحة جهادها فى بعض الأحيان الا أن دورها كان حاسما فى التوسع السياسى الذى أحرزه الاسلام . فمحمود الغزنوى مثلا استخدم عشرين ألف غاز جاء بهم من أماكن متفرقة فى بلاد ماوراء النهر ، واستطاع بهم أن يحرز انتصارات رائعة .

ولقد حاولت الصوفية فى فترة من فترات سيادتها الروحية أن توجه نشاطها الى الفتوة وتخضعها لتعاليمها . ولقد ظهرت هذه المحاولات أول ما ظهرت فى خراسان ، وهى أهم مركز من مراكز الفتوة ، ومما يعتبر نموذجا للفتوة التصوفية ماقاله أبو حفص عمر النيسابورى الحداد المتوفى بعد سنة ٢٦٠ هجرية ، قال : « سئل بعضهم من يستحق اسم الفتوة ، فقال : من كان فيه اعتذار آدم وصلابة نوح ، ووفاء ابراهيم ، وصدق اسماعيل ، واخلاص موسى ، وصبر أيوب ، وبكاء داود وسخاء محمد صلى الله عليه وسلم ، ورأفة أبى بكر ، وحمية عمر ، وحياء عثمان ، وعلم على ، ثم مع هذا كله يزدرى نفسه ويحتقر ماهو فيه ، ولا يقع بقلبه مما هو فيه أنه شىء ولا أنه حال يرى عيوب نفسه ، ونقصان أفعاله ، وفضل اخوانه عليه فى جميع الأحوال » .

وهكذا حاولت الصوفية أن تمزج بين تعاليمها وتقاليد الفتوة ، وبخاصة فى القرن العاشر الميلادى ، ولذلك انشأت الصوفية فى خراسان سبعة عشر بيتا محصنا للمقاتلة فى سبيل الاسلام ، وكان أهل هذه الاربطة لا يمارسون الحرب فقط ، ولكنهم كانوا يمارسون أمورا دينية أيضا تتفق وتعاليم الصوفية .

ولقد ألقت الصوفية ظلا من تعاليمها على الفتوة حين أصبحت جماعة منظمة فى عهد الخليفة العباسى الناصر ، مما سنوضحه باذن الله فى مقالنا التالى .

الأستاذ علي الجندي

الصدى

لا يفرق جمهور العلماء بين الهامة والصدى ، فقد جاء فى القاموس : الصدى : طائر يخرج من رأس المقتول اذا بلى كما يزعم أهل الجاهلية .

وفى حياة الحيوان : الهامة : الصدى ، والصدى طائر معروف تقول العرب : انه يخلق من رأس المقتول ويصيح فى هامته ـ اذا لم يؤخذ بثاره ـ : اسقونى ، اسقونى حتى يقتل قاتله ! ولذلك قيل له : صادى والصادى : العطشان ، وهو بعينه ما قيل فى الهامة .

وجمع الصدى : اصداء كسبب وأسباب ، وعلم وأعلام .

وفى الصدى يقول « توبة بن الحمير » صاحب « ليلى الاخيلية » ، وقيل : لغيره :

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت
على ودونى جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة اوزقا
اليها صدى من جانب القبر صائح

ويقول قيس بن الملوح « المجنون » فى « ليلى العامرية » :

ولو تلتقى أصداؤنا بعد موتها
ومن دوننا رمس من الارض سبسب

لظل صدى ليلى وان كنت رمة
لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

ويقول حميد بن ثور :

الا هل صدى ام الوليد مكلم
صداى اذا ما كنت رمسا وأعظما

وهذا البيت يدل على اعتقادهم ان الصدى ينزل الى قبورهم ويصعد .

معانى الصدى :

وللصدى معان اخر نوردها فيما يلى اتماما للفائدة

فالصدى : العطش ، وفعله : صدى كرضى ، وهو صاد ، وصد ، وصديان .

وهى صديا كريا ، وصادية .

والصدى : الرجل اللطيف الجسد ، والجسد من الآدمى بعد موته ، وحشو الرأس « الدماغ » .

وفعل المتصدى ، والعالم بمصلحة المال ، وسمكة سوداء طويلة .

والصدى : صوت يرجع من الصوت اذا خرج ، ووجد ما يحبسه من حجر ونحوه ، ويقال له :

ابن الجبل ، وابن الطود ، ويقال للاصداء : بنات رضوى .

والصدى هو الصوت الذى يجيبك من الجبال وغيرها ، وما أجمل قول « الشواء » فى شخص لايكتم السر ، فكانه الصدى :

لى صديق غدا ـ وان كان لا ينـ
ـطق الا بغيبـــــة ومحال
أشبه الناس بالصدى ان تحدثـ
ـت حديثا اعاده فى الحال

ويقال فى الدعاء على الانسان بالخرس والهلاك :صم صداه ، وأصم الله صداه ! لان الرجل اذا مات لم يسمع الصدى منه شيئا فيجيبه ، وبعبارة اوضح : لا جعل الله له صدى يرجع اليه بصوته !

والصدى : الذكر من البوم ، ويختص بهذا الاسم ويسمى أيضا : الصيدح كصيرف ، والفياد كشداد .

أما البوم والبومة ـ بضم الباء ـ فيقع على الذكر والانثى .وتكنى البومة الانثى : أم الخـراب ، وأم الصبيان ، وغراب الليل .

والبوم اصناف ،، وكلها تحب الخلوة بنفسها والتفرد وفى أصل طبعها عداوة الغربان ، ومن دابها أن تدخل على كل طائر فى وكره تخرجه منه ، وتاكل بيضـــه وفراخه !

وهى قوية السلطان فى الليل ، لا يحتملها شىء من الطير ، ولا تنام ليلا ، فاذا رآها الطير فى النهار نتف ريشها وقتلها للعداوة التى بينهما !

ومن صنف البوم : الهامة أو الصدى ـ على الخلاف المتقدم ـ والخفاش وغراب الليل ، والضوع ـ بوزن هبل ـ وعنب ، قال سويد بن ابى كاهل :

لن يضرنى غير أن يحســـدنى
فهو يزقو مثلما يزقو الضـــوع

جزم « يضرنى » بلن الناصبة ، وهى لغـة لبعض العرب .

وفى القاموس : الضوع : طائر من طيور الليـل أو الكروان ، أو ذكر البوم ، أو طائر أسود كالغراب طيب اللحم ، وجمعه أضواع ، وضيعان ـ بكسر الضاد ـ وهو لا يترك الصياح مع الصبح أبدا ويسمى صياحه : الضواع كصراخ .

وهذه الاسماء المتقدمة تقع على طير الليل بطـريق الاشتراك ، وتسميتها بالصدى والصودى ، لما تعتقده الاعراب من كونه عطشان ، لا يزال يقول : اسقونى !

وانما سموا بعض هذه الطيور بومة ، لانها تصيح بهذا الحرف، وبعضها يصيح «بقاف» وواو ، فيسمونها « قوقة » و « أم قويق » .

ويقول الجاحظ : يقال للطائر الذى يخرج من وكره بالليل : البومة ، والصدى ، والهامة ، والضـوع والوطواط ، والخفاش ، وغراب الليل ، ويصيـد بعضها الفار ، وسام أبرص « البرص » والقطا ،وصغار الحشرات ، وبعضها يصيد البعوض والفراش وما اشبه ذلك .

حرمة أكلهـــا :

ويحرم أكل جميع هذه الانواع ، قال الرافعى : ذكر أبو عاصم البغدادى : أن البوم حرام أكله كله كالرخم وكذلك الضوع .

وعن الشافعى : أن أكل الضوع حلال .

وقول الشافعى يقتضى أن الضوع غير البوم ، غير أن الثابت فى اللغة : أن الضوع من البوم .

ففى الصحاح : أن الضوع طائر من طير الليـل من جنس الهام ـ جمع هامة ـ وأكلها محرم .

وقال المفضل : انه ذكر البوم .

وقال فى الروضة : ان الضوع من جنس الهام فيحكم بتحريمه .

البوم فى المنام :

البوم فى المنام : لص مكار ، وقيل : ملك مهيب .

وهو أيضا يدل على البطالة ، لانه من طيور الليل ولانه يعدو على وكر غيره ويأكل بيضه وفراخه ـ كما تقدم ـ فهو متعطل شرير !

أم الصبيان :

روى ابن السنى عن الامام « على » عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « من ولد له ولد فاذن فى أذنه اليمنى ، وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان » .

ومعنى « أقام » : أى قرأ اقامة الصلاة .

وقد كان عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنـــه ـ يفعل ذلك .

واختلف فى أم الصبيان ، فقيل : هى البومة ، لانها من طيور الليل التى تقع على كل ضعيف من اناسى وطير فتنقره وتمص دمه !

وقيل : هى التابعة من الجن ، وهو الاظهر .

الشر المثلث :

فى تاريخ ابن النجار : أن كسرى قال لبعض عماله : صد لى شر الطيور واشوه بشر الوقود ، واطعمـــه شر الناس .

فصاد العامل بومة ، وشواها بحطب الدفلى ، وأطعمها نماما !

والدفلى ـ كذكرى ـ والدفل ـ كقرد ـ : نبت مر قتال ، فارسيته « خرز زهرة » زهره كالورد الاحمر ، يقول فيه الطب القديم : انه نافع للجرب والحكة طلاء ، ولوجع الظهر والركبة ضمادا ، ولطرد البراغيث والارضة بطبيخة رشا ، ولازالة البرص بلبه طلاء اثنتى عشرة مرة بعد تنقيته .

عظة رمزية بليغة :

جاء فى سراج الملوك لابى بكر الطرطوشى : أن عبد الملك بن مروان أرق ذات ليلة فاستدعى سميرا يحدثه .

فكان فيما حدثه به : كان بالموصل بومة ، وبالبصرة أخرى ، فخطبت بومة الموصل لابنها بنت بومة البصرة !

فقالت بومة البصرة :

ـ لا اجيبك الى طلبك حتى تجعلى صداقها مائة ضيعة خراب !

فقالت بومة الموصل :

ـ لا اقدر على ذلك الآن ، ولكن ان دام والينا علينا ـ حرسه الله ! ـ سنة واحدة اجبتك الى طلبك !

فتنبه لذلك عبد الملك ، وجلس للمظالم ، وانصف الناس بعضهم من بعض ، وتفقد امور الولاة والعمال . وبعضهم يسند هذه القصة الى غير عبد الملك .

دعاء بالهلاك :

قدمنا : أن من دعاء العرب بالموت : صم صداه ، وأصم الله صداه !

وقد جاءت هذه الكلمة فى حوار بين انس بن مالك خادم الرسول ـ رضى الله عنه ـ وبين الحجاج ـ قبحه الله !

وملخص القصة : ان انسا دخل الى الحجاج فقال له جبار ثقيف ومذل العرب :

ـ ايه يا خبيث ! شيخا جوالا فى الفتن مع « ابى تراب » مرة ، ومع ابن الزبير أخرى ، ومع ابن الاشعث مرة ، ومع ابن أبى الجارود أخرى ! أما والله لاجردنك جرد الضب ، ولاقلعنك قلع الصمغة ، ولاعصبنك عصب السلمة ! العجب من هؤلاء الاشرار أهل البخل والنفاق !

فقال انس : من يعنى الامير .

قال :

ـ اياك اعنى اصم الله صداك !

« السلم كسبب : شجر من العضاة واحدته سلمة، وعصبه : أن تضم ما تفرق منه وتخبطه » .

فكتب أنس الى عبد الملك بن مروان بما كان من الحجاج اليه ، فغضب عبد الملك أشد الغضب لما لحق خادم الرسول من الاهانة ، فكتب ال ى الحجاج كتابا بدأه بقوله : أما بعد فانك عبد طمت بك الامور حتى عدوت طورك ، وايم الله يابن ... « سب قبيح لامه » لقد هممت ان أضغمك ضغمة الاسود للثعالب !

ثم لعنه ولعن آباءه ، ووصفه بالام الصفات ! وختمه بقوله : فاذا أتاك كتابى هذا وقرأته فلا تلقه من يدك حتى تلقى انسا بمنزله وتعتذر اليه ! والا بعث اليك امير المؤمنين من يسحبك ظهرا لبطن حتى ياتى اليك انس فيحكم فيك ! ولن يخفى على امير المؤمنين نبؤك « ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون » .

أبو تراب :

من هو أبو تراب الذى عناه الحجاج فى تقريعه لانس ابن مالك ؟

هو أبو الحسن ، الامام على ، ابن عم الرسول ، وزوج الزهراء البتول ، وأبو السبطين ريحانتي سيد الخلق ، وسيدى شباب أهل الجنة ، وبطل الاسلام ، المعلم ، ووارث علوم النبوة العيلم .

وقد كناه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه الكنية فى قصة طريفة ..

فقد ذهب عليه الصلاة والسلام ، لزيارة ابنته فاطمة الزهراء ، فسأل عن على فعلم انه خرج عاتبا ، فجاء الى المسجد فرآه نائما وقد سفت عليه الريح بعض التراب فاخذ يوقظه من نومه ، وينفض عنه التراب ، ويقول له : « قم أبا تراب ! »

فكانت أحب الكنى الى الامام ـ عليه السلام !

ولكن أعداء « على » من أمثال فاسق ثقيف ، ومن لف لفه من « الناصبة » كانوا يعيرون بها الامام ، ويرونها نقصا فيه ! وذلك من طمس البصائر ، وزيغ القلوب ، واستحباب العمى على الهدى ، بتحقير ما عظمه خاتم الانبياء !

ومما نص عليه السلف الصالح ، انه لا يبغض عليا الا ابن زنية !

وازيد على ذلك : ابن الامة ، وابن غير المسلمة ، والدعي والمخنث ، والمنافق ـ كما وصلت اليه من البحث والدراسة .

ومن قول بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كنا نعرف المنافقين فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكراهتهم لعلى !

والسر فى ذلك : أنهم لجبنهم كانوا لا يستطيعون أن يجاهروا الرسول بالبغض ، فلجئوا الى التنفيس عن نفوسهم المريضة الخبيثة ، ببغض ابن عمه الحبيب اليه والاثير لديه !

وصدق الشعبى فقيه العراق فى قوله : كان على ابن ابى طالب فى هذه الامة كمثل المسيح ابن مريم فى بنى اسرائيل ، أحبه قوم فكفروا فى حبه ، وابغضه قوم فكفروا فى بغضه !

نسأل الله أن يجعلنا من النمط الاوسط ، ويجنبنا الزلل ، ويهدينا الى خير العمل .

يتبع

وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

الدكتور محمد سلام مدكور

اخرج مسلم فى صحيحه والترمذى وأبو داود والنسائى عن عمر أنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد . حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد .

أخبرنى عن الاسلام ؟ فقال رسول الله : الاسلام أن تشهد الا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا . فقال الرجل : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه ؟! قال : فأخبرنى عن الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرنى عن الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . قال أخبرنى عن الساعة . قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .. الحديث وقد روى عنها روايات .

فالحج الى بيت الله الحرام بمكة أحد أركان الاسلام الخمسة ، فهو فرض على كل مكلف توافرت له شروط الاستطاعة . يقول الله تعالى : ((ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)) .

وتتحقق الاستطاعة للمسلم البالغ العاقل اذا توافر له ما يأتى :

١ ـ سلامة البدن وزوال الموانع الحسية . فالمريض العاجز ، والمقعد المزمن ، والمحبوس ، والخائف من السلطان الذى يمنع الناس من الخروج الى الحج ، لا تتوافر لهم الاستطاعة فلا يجب عليهم الحج بانفسهم ، لأنه عبادة بدنية ، ولا بد فى العبادات البدنية من القدرة بصحة البدن وزوال المانع حتى يتوجه التكليف على خلاف بين الفقهاء فى الأعمى والمقعد . وعلى تفصيل نتناوله عند الكلام عن النيابة فى الحج لمن لم يستطع بنفسه وكان فى وسعه الانابة .

●

٢ ـ أن يكون له مال يفيض عن حوائجه الأصلية يكفى لنفقات الرحلة راكبا لا ماشيا ، لأن المشى فيه حرج ولا يقدر عليه كل أحد ، وطوال المسافة والله يقول : ((وما جعل عليكم فى الدين من حرج)) حتى قال فقهاء الأحناف : لا يجب الحج على من وجد نفقات الحج بطريق الاباحة سواء أكانت الاباحة من جهة من لا منة له عليه كالوالدين والأولاد أو من جهة من له عليه منة كالأجانب .

لا يجب عندهم على العاجز عن النفقات قبول الهبة التى تقدم له بنفقات

الحج لأن القدرة التى هى الأصل فى توجيه التكليف لا تتحقق الا بالملك .

ولا يعتبر المدين الذى معه ما يفيض عن حاجته لكنه لا يفيض عن قضاء دينه . لأن قضاء الدين من حوائجه الأصلية ويتعلق به حقوق الغير . فهو آكد ، وسواء الدين لشخص معين أو لحق من حقوق الله كزكاة فى ذمته أو كفارة .

وكذا فانه يشترط ليجب عليه الحج أن يكون المال الذى يحج به فائضا عما يحتاج اليه لنفقة عياله الذين تلزمه نفقتهم مدة ذهابه وعودته لانهم أحوج وحقهم فى النفقة أوكد ، بل قالوا : اذا كان غير متزوج وخاف على نفسه العنت ولم يكن معه ما يقوم بنفقات الزواج والحج معا ، قدم التزويج لأنه لا غنى به عنه فهو كنفقة .

بل قالوا انه اذا كانت له ديون تفيض عن حاجته غير أنها على معسر وتعذر استيفاؤها منه لم يلزمه الحج فى هذه الحال .

ويرى الشافعية ايضا أن من شروط الاستطاعة لحج بالنفس القدرة المالية على نفقات الرحلة حتى يعود الى وطنه من زاد وراحلة ويكون فائضا عن نفقة من تلزمه نفقتهم ، فلو لم يجد وكان يكسب فى سفره ما يفى بزاده وباقى مؤنه ، وكان سفره للحج طويلا لم يكلف بالحج ولو كان كسبه فى يوم يكفى لجملة ايام لأنه قد ينقطع الكسب عنه لعارض ، والجمع بين تعب السفر والكسب فيه مشقة ، كما يكره الاعتماد على السؤال بناء على تحريم المسألة للمكتسب ويشترط ان يكون ما ينفقه فى الحج فاضلا عن دينه حالا كان أو مؤجلا .

والشافعية وان اعتبروا من شروط الاستطاعة بالنفس القدرة على نفقات ما ينقله الى الحج راكبا حتى بالنسبة لمن استطاع المشى ما دامت المسافة بعيدة غير أنهم قالوا ويندب للقادر على المشى الحج خروجا من خلاف من أوجبه وكذا تراعى القدرة على نفقات الركوب لو كانت المسافة قريبة وضعف عن المشى .

ويرى الحنابلة أيضا أن من شروط الاستطاعة بالنفس أن يكون قادرا على نفقات الرحلة من زاد وراحلة تصلح لمثله حتى لو كان قادرا على المشى وتكفى لمؤنته وقضاء حاجته ويكون ذلك فائضا عن حوائجه ونفقة من تلزمه نفقته حتى يعود وفائضا عن قضاء دينه وعن حاجته للزواج . ويرون ان من له عقار يحتاج لسكناه أو سكنى عياله أو يحتاج الى أجرته لم يلزمه الحج لأنه لا يكون فائضا عن حاجته ، وعندهم أيضا أن الحج لا يلزم ببذل الغير سواء أكان الباذل قريبا أم أجنبيا فاذا حج دون الزام ماشيا وتكسب من صناعة أو اكترى نفسه كان ذلك أمرا مستحبا فان سأل الناس كره له الحج لأنه يضيق على الناس ويتوكل على أزوادهم ويكون كلا عليهم .

اما المالكية فيرون ان الاستطاعة تتحقق بالمشى بالنسبة لمن يقدر عليه ويتمكن منه ، كما أن تملك نفقات الرحلة والزاد ليس شرطا لتحقق الاستطاعة اذا كان ممن يمكنه التكسب فى طريقه ولو بالسؤال .

وكذلك يرى الظاهرية أن الاستطاعة بالنفس التى تشترط لوجوب الحج اما صحة الجسم والطاقة على المشى والتكسب من عمل يقوم به فى طريقه حتى يعود ، واما مال ينفق منه على الزاد والراحلة ولو لم يكن صحيح الجسم ما دام لا يشق عليه السفر وذهب الشيعة الامامية مذهب المالكية من أن الحج يلزم من يستطيع المشى والتكسب حتى لو كان متسكعا على حد تعبيرهم « كتاب الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية ج ١ ص ١٥٩ بل نصوا » ان الزاد والرحلة تشترط حسب ما يناسب الشخص قوة وضعفا .. ويكفى البذل للزاد والرحلة فى تحقق الوجوب .. ولا يمنع الدين الوجوب بالبذل فلو حج به بعض اخوانه أجزاه عن الفرض . ما دام يوجد فى كل هذا ما يمون به من تجب نفقتهم عليه حتى يعود ، وقالوا ان الحج مشيا أفضل الا مع الضعف عن العبادة .. »

وسبب الخلاف بين الفريق الذى لا يوجب الحج الا على القادر على الزاد والراحلة وهم من ذكرنا اولا والفريق الثانى الذى يوجبه على المستطيع المشى والتكسب من اى طريق هو معارضة الأثر الوارد فى تفسير الاستطاعة لعدم لفظها **فقد ورد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل ما الاستطاعة فقال الزاد والراحلة** . فحمل الأحناف والشافعية والحنابلة ذلك على كل مكلف وحمله المالكية والظاهرية الامامية على من لا يستطيع المشى ولا له قدرة على الاكتساب .

٣ — واشترطوا لتحقيق الاستطاعة فوق ما تقدم أن يكون الطريق مأمونا فلا يكون فى الطريق مانع من عدو ونحوه بعيدة كانت أو قريبة برا كان أو بحرا اذا كان الغالب السلامة « ويلحق بهذا الطريق الجوى » فان لم يكن الغالب السلامة بأن خاف على نفسه أو نفس محترمة معه أو على ماله ولو كان يسيرا لم يلزمه السير فيه فان تعين لم يلزمه الحج .. بل يقول الشافعية يحرم اذا غلب على ظنه الضرر ، والمعتمد عندهم أنه لا فرق بين الخوف العام والخاص .

وفى المغنى لابن قدامة « لو كان فى الطريق عدو يطلب خفارة ولو يسيرة لا يلزمه الحج لأنها رشوة فلا يلزم بذلها فى العبادة .

٤ — وزاد الأحناف والحنابلة فوق ذلك لتحقق الاستطاعة بالنسبة للمراة أيا كانت أن يكون معها زوج أو محرم بالغ عاقل اذا كان بينها وبين مكة مسافة سفر فاذا لم يكن معها زوج ، ولم تجد محرما خارجا للحج فانه لا يلزمها أن تخرج معها محرما على نفقتها ولا يجب عليها الحج بنفسها . وقال احمد بن حنبل فى امراة موسرة لم يكن لها محرم لايجب عليها الحج .

يدل على هـــذا ما رواه **ابو هريرة من أن الرسول صلوات الله عليه قال : لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم الا ومعها ذو محرم** . وبما قاله ابن عباس : **سمعت رسول الله يقول : « لا يخلو رجل بامراة الا ومعها ذو محرم ولا تسافر امراة الا ومعها ذو محرم فقام رجل فقال : يا رسول الله .. انى كنت فى غزوة كذا وانطلقت امرأتى حاجة ، فقال النبى : انطلق فاحجج مع امرأتك** .

ولم يشترط المالكية والشافعية والظاهرية والامامية ذلك فقال مالك : ان للمراة أن تخرج لفريضة الحج مع جمع من النســاء ، ويرى الشافعية انه يكفى لخروجها لذلك أن يكون معها امراة ثقة .

ويرى الظاهرية أنه يفترض على زوجها أن يحج معها فان لم يفعل فهو عاص وتحج هى دونه وليس له منعها من حج الفرض اما المراة التى لا زوج لها ولا محرم يحج معها فانها تحج ولا شىءعليها . لما رواه **ابن عمر من أن الرسول صلوات الله عليه قال : « لا تمنعوا ماء الله مساجد الله »** والمسجد الحرام أجل المساجد قدرا . فلا بد من تخصيص نهى المــراة عن السفر الا مع زوج أو محرم بهــذا واستثناء خروجها للحج الواجب . ويقول ابن حزم : ان دعوى اشتراط الزوجة أو المحــرم فاسدة فالقائلون بها أجازوا للمراة التى لا تجد معاشا أصلا الا على مسافة سفر أنها تخرج بلا زوج ولا ذى محرم ، وأن من خشيته على نفسها غلبة الكفاروالمحاربين أو الفساق ولم تجد أمنا الا على مسافة السفر انها تخرج مع غير زوج ومع غير ذى محــرم ، وطاعة الله فى الحج واجبة .

وهكذا أيضا نجد الامامية ينصون على أنه لا يشترط فى المراة مصاحبة المحرم للحج عند الاطمئنان فاذا كانت فى حاجة الى من يصحبها من زوج أو محرم اشترط لتحقق الاستطاعة سفره معها ولو على نفقتها وباجر ، ولو ادعى الزوج الخوف عليها وعدم امانتهاوانكرته عمل بشاهد الحال مع انتفاء البنية .

والواقع ان ما ذهب اليه مالك من الاكتفاء لوجوب الحج عليها أن تخرج مع جمع من النساء بالاضافة الى أمن الطريق والصحبة والقصد فى الرحلة هو الأيسر على المتطلعات الى اداء فريضة الحج والمتطلعة الى الحج يبعد

تطلعها الى الاثم والمعصية فى هـذا الطريق والقصد

واذا تحققت للمكلف الاستطاعة بنفسه على ما ذكرنا فانه يجب عليه الحج مرة واحدة فى العمر قولا واحدا بين الفقهاء لما أخرجه مسلم فى صحيحه وأحمد فى مسنده والنسائى فى سننه من أن أبا هريرة قال : **خطبنا رسول الله بعد أن نزلت أية الحج فقال : يا أيها الناس أن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا . ثم قال الرسول : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم . ثم قال : أرونى ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشىء فائتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فدعوه » .**

ومع هذا فان وجوبه مطلق عن التوقيت فلم يصرح الشارع بأدائه فى وقت معين ، ولذلك اختلف الفقهاء .

فذهب جمهورهم الى وجوبه فى السنة التى تتحقق فيها الاستطاعة ، ولو أخره عن تلك السنة يكون آثما ، وذهب البعض الى أنه واجب موسع فلا يأثم من أخره عن سنة الاستطاعة ، ولكنه اذا لم يستطع بعد ذلك كان آثما من أول سنى عدم الاستطاعة ، وبالتالى فانه يأثم لو مات قبل أن يحج وتجب الانابة .

ويرجع هذا الخلاف الى تشبيه وقت الحج بوقت الصلاة المفروضة ، فمن شبه أول وقت من أوقات الحج الطارئة على المكلف المستطيع بأول الوقت من الصلاة قال الوجوب على التراخى ، ومن شبهها بآخر الوقت من الصلاة قال هى على الفور .

ووجه شبهه بآخر الوقت أنه ينقضى بدخول وقت لا يجوز فيه فعله كما ينقضى وقت الصلاة بدخول وقت لا يكون المصلى فيه مؤديا . ووجه شبهه بأول الوقت أن التأخير فى الصلاة يكون مع مصاحبة الوقت الذى يؤدى فيه الصلاة والتأخير فى الحج يكون مع دخول وقت لا تصح فيه العبادة وهو باقى اشهر السنة من غير اشهر الحج ولذا فانه اشبه بالواجب المضيق اذ لا يسع وقته فعل غيره من جنسه أى لا يمكن احداث اكثر من حج واحد فى أشهر الحج كما أنه لا يمكن احداث اكثر من صوم واحد فى شهر رمضان .

والقائلون بالفورية : « الحنابلة ورواية عن مالك وهو قول البغداديين من أصحابه ، وبه قال أبو يوسف من الأحناف وقيل انه رأى الامام أيضا واختاره الكرخى ، وهو مذهب الظاهرية والامامية .

جاء فى كتب الحنابلة ما خلاصته : ان من وجب عليه الحج وأمكنه فعله وجب عليه على الفور ولم يجزله تأخيره ، وفى كتب المالكية « القولان منقولان عن مالك وأصحابه ، الظاهر عند المتأخرين منهم أنها على التراخى ، وبالقول أنها على الفور قال البغداديون منهم » وفى كتب الاحناف « واختلفت الرواية عن اصحابنا ذكر الكرخى أنه يجب على الفور وقيل هو رأى الامام وأبى يوسف ، وذكر محمد بن شجاع أنه يجب على التراخى وهو قول محمد بن الحسن » وفى المحلى لابن حزم الظاهرى « ولا يجوز تأخير الحج والعمرة عن أول أوقات الاستطاعة لهما فمن فعل ذلك فقد عصى » وفى كتب الشيعة الامامية « يجب الحج على المستطيع على الفور وتأخيره كبيرة موبقة والمراد بالفورية وجوب المبادرة اليه فى أول عام الاستطاعة مع الامكان .

وأدلة هذا الفريق : **أن الأمر فى قوله تعالى:** « لله على الناس حج البيت .. وفى قوله : « **أتموا الحج والعمرة لله** » يفيد الفور وما روى **عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أراد الحج فليعجل فانه قد يمرض المريض وتضل الضالة وتعرض الحاجة** ولأنه أحد أركان الاسلام فكان واجبا على الفور كالصيام ، ولأن تأخيره يكون الى غير غاية وليس على الموت امارة يقدر عنها على الأداء فيلحق الضرر المكلف بتأخيره الى عام آخر بما يغلب على الظن من امكان وقوع الموت فى المدة من عام بخلاف وقت الصلاة اذ الغالب أنه لا يموت أحد فى

مقدارذلك الزمان دون ادراك الصلاة الا نادراً، ولأن الحج مختص بوقت فكان الأصل تأثيم تاركه حتى يذهب الوقت ، ولو كان وقت الحج مفسوحا الى آخر عمره لم تلحقه الملامة الا بعد الموت وهذا ممنوع .

ويرى الفريق القائلون بالتراخي الشافعية وقول لمالك ومحمد بن الحسن الحنفى كما علمت مما نقلنا عن كتب المذاهب ومع هذا فقال الشافعية ومحل جواز التأخير بأن عزم على اتيانه فى المستقبل ويسن تعجيله خروجا من الخلاف واذا مات قبل آدائه تبين عصيانه من السنة الأخيرة من سني الامكان وفيما بعدها حتى يستناب عنه اذا مات وتجب الاستنابة فورا واستثنى الشافعية من القول بانه على التراخى ما لو خشى الموت أو هلاك المال. وقالوا ووجوب الأداء ان كان على التراخى فان التعلق حاصل بالتكليف مع الاستطاعة .

ويدل لهذا الفريق ان النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يحج فور فرضية الحج ، فقد فرض الحج سنة خمس من الهجرة أو سنة ست ولم يحج الا فى العام العاشر ولم يكن محاربا ولا مشغولا بشيء وتخلف كثيرون من المياسير القادرين على الحج ولو كان واجبا على الفور لما أخره هو ومن أخروه دون اعتراض منه ، ويستدل لهم أيضا بأن الشخص اذا أخر الحج الى سنة قادمة كان فعله أداء لا قضاء باتفاق ولو كان وجوبه على الفور لكان قضاء كالصلاة والصوم اذا أتيا بعد وقتهما .

...

والذى نتجه اليه بعد هذا العرض أن الحج فريضة واجبة على الفور ، وانه بمجرد تحقق شروط الوجوب ومنها الاستطاعة يجب المبادرة بالحج مسايرة لروح الشريعة وأخذا من الحديث الشريف « من أراد الحج فليتعجل بالحج فانه يمرض المريض » ..

ويؤيد ذلك كلام المخالفين أنفسهم فى قولهم بثبوت الاثم على من مات ولم يؤد فريضة الحج بعد تحقق شروط الوجوب، والا فلو كانت هناك توسعة بمعناها وأذن فى التراخى لما كان هناك معنى للحكم بالاثم ، وكيف نحكم بالاثم على شخص وقع فى الغرر اذا لم يدر متى تحين منيته أو الى متى تبقى قدرته . فالحج ليس له وقت يتضيق فيه كالصلاة حيث تتضيق فى آخر الوقت المحدد لها ، وليس للحج آخر وقت محدد يمكن الأداء فيه . ولعل هذا المسلك هو الذى أدى بكثير من الناس الى اهمال فريضة الحج والتسويف فى أمرها حتى يخرج من الحياة وهى فى عنقه وليس أمامنا ما يوضح معنى الوجوب فور الاستطاعة كحديث « من أراد الحج فليعجل .. » فهو من جوامع الكلم .

نعم اذا فسرنا التضييق والتراخى بما يكون فى نفس العام الذى تحققت فيه الاستطاعة فان المكلف قد يخرج فى أول قافلة أو بعبارة أخرى فى أول وقت استطاع فيه أن يخرج للحج فى عامه ، وقد يخرج فى آخر وقت يتمكن معه من أداء الفريضة فى عامه أيضا بحيث لو تأخر عنه لما استطاع ادراكه فى نفس العام .

نعم اننا بهذا التفسير نستطيع أن نقول أنه واجب على التراخى من ذلك العام الذى قدر فيه المكلف فليس عليه أن يبادر بالسفر وانما له أن يؤخره الى آخر فوج يخرج للحج من نفس العام ، ويقوى ما اتجه اليه فيما أعتقد الآية الكريمة « **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج ...** » فان هذه الآية تعطى فرصة لمن يريد الحج أن يسافر فى أى وقت من أوقات الشهور بحيث يتمكن من أداء الشعائر المؤقتة فى أوقاتها المحددة ، فقد أطلق النص للحاج أن يفرض على نفسه الحج بالاحرام فى بحر هذه الأشهر من غير تقييد بكونه فى أول أيامها .

على أننا وقد صرنا فى عصر تنسق فيه الحكومات الاسلامية نظام الحج وترتب أفواج الخروج اليه بما ترى فيه المصلحة أصبحنا فى غنى عن الكلام فى هذه النقطة أيضا وصار علينا أن نساير توجيهات ولاة الأمر بشأن تلك الفريضة مع اصرارنا على القول بعدم جواز التأخير عن العام الذى استطاع فيه المكلف اداء تلك الفريضة .

ويتصل بهذا ان المصلحة العامة اذااقتضت أن يكون الخروج للحج فى كل عام لعدد محدد عن طريق الأسبقية أو كبر السن أو الاقتراع، وجب النزول على حكم المصلحة وكان على من سبقت لهم فريضة الحج افساح المجال لمن يرغب فى أداء الفريضة مسايرة للتعاون وعملا بقول النبى «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه» .

بل اذا ذهب ذاهب الى أن محاولة بعض الحجاج لأداء الشعائر على وجه التنفل ، وكان فى ذلك حرمان من يريد أداء الفريضة . كان آثما شرعا لم يكن بعيدا فيما ذهب اليه اذ الحج لاسقاط الفريضة وابراء الذمة حينئذ يكون أحق وأوكد وألزم من الحج بقصد التنفل بعد ابراء الذمة من الفريضة .

• • •

وبهذه المناسبة نقول : ان من لم يخرج سهمه بين المقترعين وفاتته فريضة الحج التى سعى اليها وجب عليه أن يسعى اليها لعامه القادم ما دامت الاستطاعة متحققة فاذا لم يمكن أيضا سعى الى العام الذى يليه وهكذا فاذا زالت قدرته على الحج بنفسه أو مات فلا اثم عليه لأن هذا شىء خرج عن حدود استطاعة فانه من تصرف الحاكم الذى ينسق الأمر بما يرى فيه صالح المجتمع من نواحيه المختلفة .

ونقول أيضا ان له ثواب الحج بتلك النية ، على أن ذلك لا يسقط عنه فريضة الحج من عام قابل اذا استطاع وتمكن من الخروج اليه ، والا ففى وجوب الحج عنه من ماله بطريق النيابة مجال لاسقاط الفريضة وابراء الذمة ، لأنه عبادة بدنية مالية أمكن فيها الانابة عند الاقتضاء .

فمن عجز عن الحج بنفسه وتحققت القدرة المالية وجب عليهم احجاج غيرهم عنهم ويكون ذلك مجزئا عن حجة الاسلام ان ماتوا قبل الاستطاعة بأنفسهم ، والا وجب عليهم الحج عند القدرة الشخصية وكان فى ذلك تطوعا وقال الظاهرية انه يسقط بأداء النائب الفرض، ويروى ابن رشد مذهب مالك من أن العاجز بنفسه لا تلزمه النيابة وقال أنه رأى أبى حنيفة وقال ان الانابة تصح عن الميت دون الحى .

ومن مات ولم يحج ولم ينب فى حياته ، وجب ان يخرج عنه الورثه من جميع ماله ما يحج به عنه سواء فاته الحج بتفريط أو بغير تفريط عند الحنابلة والشافعية ، ولو فعله عنه أجنبى ولو بغير اذنه جاز عند الشافعية .

وقال أبو حنيفة ومالك ان أوصى بها أخرجوا عنه من ثلث ماله لأنه عبادة بدنية تسقط بالموت بالنسبة لأحكام الدنيا .

وسبب الخلاف أن القياس يقتضى أن العبادات لا ينوب فيها أحد عن أحد فانه لا يصلى أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد ، لكن ورد أثر معارض للقياس **وهو أن امرأة من خثعم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فريضة الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة . أفأحج عنه ؟ قال : نعم ، وحديث بن عباس أيضا قال : جاءت امرأة من جهينة الى النبى فقالت يا رسول الله انأمى نذرت الحج فماتت أفأحج عنها ؟؟ قال : حجى عنها أرأيت لو كان عليها دين أكنت قاضيته ؟ دين الله أحق بالقضاء** . وموضوع الانابة فى الحج وما **يشترط فى النائب واجزاء فعله محل تفصيل** بين الفقهاء ولامجال لذكره ومقارنته وقد طال بنا الكلام فى هذا المقال .

• • •

بقى أن أختتم المقال والاشارة الى ذلك الداء المنتشر بين القادرين على أداء هذه الفريضة الذين يسرفون فى ارجائها ويخادعون الله فى سرعة الخروج اليها بالمماطلة وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون بفريضة الحج .. شدد الاسلام النكير على تاركها اذ يقول بعد الدعوة اليها « ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

ومما يحز فى كل نفس مؤمنة ما يتشدق به بعض المتخاذلين عن الدين بان الحج عباده فيها شوب من الوثنية ، وهؤلاء فى قلوبهم مرض فان هذه المرحلة الروحية السامية بين الرمال والأتربة والجبال مع الطواف حول الأحجار ورمى الجمار فى مكان هبط فيه الوحى وبدأت فيه دعوة الاسلام ، واتصلت السماء بالأرض وكان هذا التشريع الدائم الخالد لما يتجدد به الايمان لما فيه من اتصال بمعاهد الرسالات وما تبعثه فى النفوس من الذكريات وفى ذلك ما يفتح باب التوبة ويجدد العهد بالانابة الى الله.

واذا كان فى الحج بعض أعمال تعبدية لم يدرك البعض أسرارها فان ذلك مما يميز الله به الخبيث من الطيب ، فان فى الانقياد لامر الله بما تدركه النفوس وما لا تدركه معنى صافيا من اسلام الوجه لرب العالمين وهو جدير أن يزيد الايمان فى نفس صاحبه ويبرهن على ما عنده من انقياد وطاعة لربه . فانه اذ يتكلف تلك المشاق ، ويتحمل ما يتحمل من أعباء جسمية ومالية يبرهن على ما فيه من حقيقة العبودية بقدر ما يبذل من جهاد وتضحية .

ويكفى لى الاعتراف بمكانة الحج والايمان بحكم الله العظيمة فى تشريعه أنه مؤتمر اسلامى عام يجمع بين أفراد لم يكونوا ليجتمعوا لولا تلك الفرصة ، ويمهد السبيل للاتصال بين أفراد الأمة الاسلامية من مختلف الشعوب وكذا بين ممثلى الحكومات الاسلامية لتبادل وجهات النظر فى كثير من مختلفى النواحى التى هى جديرة أن تنهض بالشعوب يشير الى ذلك قول الله « ... ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله ... » وقوله « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » .

اللهم بصرنا بأمر ديننا ودنيانا ووفقنا الى كل ما هو خير يارب العالمين واكتب لأمتنا الفلاح والرشاد فى ظلال تعاليم هـذا الدين الحنيف . لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ».

لقد تناولت الصحف العالمية عامة والصحف العربية بصفة خاصة مشروع الوثيقة التى عرضت على مجمع الفاتيكان . على انه كان يغلب على الكاتب العربى فى تناوله لهذا الموضوع الناحية السياسية بالنسبة للوضع القائم بين العرب واليهود كرد فعل لاستغلال اليهود لهذه الوثيقة لصالحهم .

وارى انه قبل البحث فى موضوع الوثيقة من الناحية الاخرى وهى الناحية الدينية أحب أن أستعرض بعض المقدمات التى سبقت اعلان هذه الوثيقة .

ان البابا بيوس الثانى عشر كان قد أعطى توجيها للطوائف المسيحية الكاثوليكية فى الشرق بالانسجام مع الاكثرية الاسلامية فى البلاد التى يعيش فيها أقلية كاثوليكية ، وكان من ا لمعروف فى الاوساط الكاثوليكية انه كان فى نية هذا البابا اصدار قرار بالاعتراف بالدين الاسلامى كديانة سماوية واجبة الاحترام ،وذلك بعد أن اختار ستة من الكرادلة لدراسة الدين الاسلامى وتقديمه اليه ، وكان احدهم الكردنال توماس . وقد مر بالكويت وحضر خطبة الجمعة فى احد مساجدها وهو لايزال حيا فى مدينة سدنى عاصمة استراليا ، ولكن يبدو ان هناك مؤثرات خارجية آخرت اصدار مثل هذا القرار . وهذه المؤثرات لليهود والامريكان دور كبير فيها . لاسيما وقد كانوا يعتبرون البابا نازيا لانه لم يشجب اضطهاد النازية لليهود .

ثم جاء بعده البابا يوحنا الثالث والعشرون وكان من رايه توحيد الكنائس المسيحية كخطوة اولى ، وفعلا بدا فى ذلك . وتولى بعده بولس السادس فاعلن أنه سيتمم رسالة يوحنا الثالث والعشرين . وصرح بعزمه السفر الى الاراضى المقدسة ومما قاله فى تصريحه أن رحلته هذه ستكون اعظم حدث فى سنة ١٩٦٤ والحقيقة اننى فرحت لهذا النبا لاسيما وانه أبرق من الجو الى الاسقف مكاريوس فى قبرص واشاد فى برقيته بالحوارى برنابا صاحب الانجيل المعروف . كما ان الملك حسين عقد مؤتمرا صحفيا فى عمان قال فيه : « التعاون الاسلامى المسيحى سيبلغ القمة . كما نشرت بعض الصحف العربيه فى القاهرة ماجاء فى الصحف الفرنسية عن هذه الرحلة من انه لاخطر على البابا الا من جهتين : اليهود او المسيحيين المتعصبين . فكل ذلك يوحى بان البابا بولس السادس سيقوم بتحقيق الرسالة التى بداها بيوس الثانى عشر والبابا يوحنا الثالث والعشرون يؤيد ذلك أنه اختار أرضا عربية لنزوله عليها ومباته فيها وطيرانه عائدا منها . ومما قدمه للملك حسين ميدالية فى أحد وجهيها صوارتيهما وفى الآخر صورة المسجد العمرى وكنيسة القيامة وبينهما عرق زيتون وكان من هدايا الملك حسين اليه مصحفا « قرآن كريم » كل هذا كان يؤيد ما توقعه الكثيرون من اعلان نبا عظيم ولكن حدثا وقع فى آخر لحظة قبل أن يلقى البابا خطابه الذى صرح بانه سيكون اعظم حدث لسنة ١٩٦٤ . وذلك الحدث هو وصول ثلاث رسائل من الرئيس الامريكى جونسون احداهما للبابا والثانية للملك حسين والثالثة لاشكول رئيس اسرائيل . فجاء - بعدها - خطاب البابا مقتضبا يدعو فيه جميع الذين يعبدون آلها واحدا الى التعاون ضد اللادينية ، فعرف ان هذا التحول جاء من تاثير هذه الرسائل ، وان الامريكان واليهود دخلوا فى الامر من جديد وحولوه الى صورة عامة تشمل الوثنية بدليل زيارته للهند مرة اخرى وادخال البراهيمية والبوذية فى الديانات السماوية الثلاث وضد اللادين اى ضد الشيوعية .

ونحن المسلمين - يكفينا من الامر احترام الكنيسة للدين الاسلامى الذى ينتشر بسرعة لولا عداء الكنيسة وصرفها الاموال الطائلة فى افريقية وغير افريقية ، مع ان نبى الله ابراهيم فى الحقيقة هو ابو الانبياء جميعهم وهو الذى يدين بدينه العرب الاولون قبل انحرافهم الى عبادة الاصنام تقربا بها الى الله بارىء السموات والارض وينتهى اليه الاسلام الذى شذب

وهذب وجاء ليتمم مكارم الاخلاق التى جاء بها ابراهيم الخليل والنبيون من بعده . الا ان هنالك فكرة فلسفية أدخلها اليهود على بعض القبائل العربية البعيدة فحولتها الى باطنية . ومن هذه الفلسفة ان الايمـان بابراهيم الخليل ابو الانبياء اولى من الايمان بغيره لانه هو النبى الذى يؤمن به اليهودى والمسيحى والمسلم وأن براهمـا فى الهند هو ابراهيم وأن زرارا التى تكررت مضافة الى عظماء الهند والفرس هى سارة زوجة ابراهيم . اى انها تربط المجوسية الفارسية والوثنية الهندية ايضـا بابراهيم وسارة التى هى ام اسحق وجدة يعقوب الذى هو اسرائيل ، اما محمد فلا يؤمن به الا المسلمون فقط ، وذلك مما جعل الباطنيين يعتقدون فى تناسخ الارواح كما هى الحال عند الهندوكين والمجوس ، ونرى بعضهم يعيد فى يوم عيد الاضحى فقط واذا سـألته عن هذا العيد قال هذا عيد ابراهيم ، وصلة الباطنيين ومحبتهم لليهود معروفة يؤيد ذلك مواقفهم فى غزة سنة ١٩٥٦ والجيش السورى اليوم . فمن هذا لايستبعد ان يكون ادخال الديانات الوثنية فى الديانات السماوية جاء من وحى اليهود . والذى يدعو اليهود الى ذلك هو حلمها بحكم العالم والتحكم فيه رغم قلتهم فاشغلوا أدمغتهم بتكوين المجموعات البشرية الكبيرة والصغيرة فى شتى المجالات على نشر أهداف ومبادىء معينة ترمى من ورائها القضاء على الاكثرية المسيحية والاكثرية الاسلامية ، ومعروف أن الماسونية من نسجهم وأن مؤسسى الشيوعية منهم ، وكذلك أصحاب النظريات المختلفة التى تشكك المسلم والمسيحى فى عقيدته منهم ، ومعروف بعد ذلك سيطرتهم على امريكا بالنفوذ المالى ووسائل الدعاية ، ولهم مخططاتهم السرية الرهيبة فى مختلف انحـاء العالم ولا يـدخرون جهـدا فى تـكوين التنظيمات والبروتوكولات التى تمكنهم من الوصول الى غاياتهـم بالدخول فى الاسلام والمسيحية ليجعلوا منهم بعض علماء المسلمين ، وكذلك بعض رجال الكنيسة فى المسيحية . بل ويحاولوا ان يكون البابا منهم ، ولولا صلاح الدين الايوبى لنجحوا فى سيطرة الباطنية على العقيدة الاسلامية ولم يبن الازهر فى مصر الا لهذه الغاية ولكن الله سلم . وذلك كله ليتحقق لهم حكم العالم فى يوم ما ، ليتم لهم مايسمى « بالعهد القديم » اى إنه العهد الذى وعد الله به ابراهيم فى ان يحكم العالم ذريته ، ومما ادخلوه فى المذاهب الباطنية التمهيد لشخص غائب سيحضر فى يوم من الايام ويجب عليهم اتباعه . حتى يوجدوا هذا الشخص فى الوقت المناسب فيجد الجو مهيئا له . وقد تكرر ظهور رجل مفاجىء فى الباطنيات المتعـددة يقدس لدرجة العبادة وهم فى التاريخ كثير . على ان القرآن العظيم قد اخبرنا بهذا العهد بقوله سبحانه « واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن . قـال انى جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتى ، قال لاينال عهدى الظالمين . »

نعم .. ان هذا العهد كان حقا لابراهيم والصالحين من ذريته ، اما الظالم منهم فلا ينال هذا العهد . وابراهيم ليس اليهود وحدهم ابناءه لان ابراهيم لمولدان اسماعيل واسحق ، والعرب ابناء اسماعيل واليهود اولاد اسحق ، فلو آمن العرب ومن ورائهم المسلمين مع كثرة عددهم حقا بدينهم ، وتاريخهم الماضى المجيد لسادوا الدنيا باجمعها ولكن اليهود - رغم قلتهم وذلتهم - فانهم اكثر ايمانا منا بهذا العهد . وهم على علم يقينى ايضا باننا لو تمسكنا بتعاليم ديننا فاننا نسود العالم من جديد ، لهـذا فهم يخوفون الشرق والغرب من عودة العرب الى تراثهم العظيم وانهم اى العرب اخطر من الشيوعيين على امريكا واوربا مما جعل العالم يحسب حسابا كبيرا لهذا الدين وابنائه .

فهذه الصين - اليوم - تتقرب من المسـلمين فى الباكستان واندونيسيا وغيرها من البلاد الاسلاميـة الاخرى وتحارب ماعدا المسلمين من غير البلاد الشيوعية .. وكذلك نرى بريطانيا بالذات تنشر فى التليفزيون البريطانى حديثا اسبوعيا عن تاريخ العرب والمسلمين على الشعب البريطانى . فكانت دعاية اليهـود التى يقصدون منها تخويف العالم باسره من العودة الى صميم العقيدة الاسلامية لصالح هذه الفكرة الحقة ومن يدرى لعل العالم سيتسابق على اعتناقها ولعل ذلك يـكون قريبا وما ذلك على الله بعزيز . ولعل هذه الامور التى توحى بعدم الاستقرار فى شمال شرق الجزيرة العربية ودخول المانيا الغربية فى خلافاتها هو الخوف من التقارب بين العرب والمسلمين من جهة والصين الشعبية من جهة ثانية حيث فى ذلك الدمار على اوربا وامريكا واسرائيل

هذا من ناحية دعاية اليهود العالميـة واثرها العكسى اما من ناحية امريكا فهى تعمل على تكثير العدد المناوىء للشيوعية كأمر سياسى . وصدق القرآن العظيم - الذى يتجدد مع الزمن - حيث يقول جل شانه « ولولا دفع الله الناس ، بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيهـا اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » ويقول جل سبحانه : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضـا أربابا من دون الله » فالاسلام يقر تعاون أهل الكتاب على الدين الحق ليدفعوا معا اعتداء اللادينية والوثنية على مقدساتهم المشتركة التى يفرق فيما بينها المعادى للاديان السماوية .

ويجدر بنا ان نذكر ان اول مؤتمر ماسكونى عقد فى التاريخ كان سنة ٣٢٥ ميلادية واسمه مؤتمر نيقا فى تركيا . وهذا المؤتمر هو الذى قرر طبيعة المسيح الالهية وقد أحرقت فيه الاناجيل المتـداولة بين المسيحيين الشرقيين ، وابقيت الاناجيل الاربعة الحاضرة المترجمة عن النصوص اليونانية ، وقد عارض هـذا المؤتمر الاسقف الشرقى اريوس الذى كان يقـول وكثير من الاساقفة الشرقيين الآخرين ان المسيح طبيعته بشرية وانه رسول ، وتقرر تقديس الصليب ايضا فى مؤتمر نيقا ، ولقد وجد فى احد المعابد اليهودية فى افاميا بلدة شمال المعرة اسمها الحالى « قلعة المضيـعة » صليب معكوف فى تزينات الكنيسة اليهودية . وقد وجد هذا الكنيس تحت الارض وتحت كنيس مسيحى ولا زال الصليب المعكوف شعارا مقدسا لدى الوثنيين فى الهند وكذلك امر التثليث موجود قبل المسيحيـة ايضا وفى الوثنيات المتعددة .

وجاء فى دائرة المعارف للاستاذ محمد فريد وجدى مایاتی : -

اريوس - هو قسيس الاسكندرية ولد سنة ٢٨٠ ميلادية وتوفى سنة ٣٢٦ ميلادية من مذهبه ان الله كان موجودا وحده ، قبل خلق المسيح والروح القدس ثم تعلقت ارادته بايجادهما فاوجدهما من العدم فلا يقارن به احدهما بوجه من الوجوه وشاع هذا المذهب زمنا حتى كان هو المذهب السائد فى قصر كونستانى ملك الرومان وخيف منه على المذهب الكاثوليكى نفسه ، كان اريوس ملما بفلسفة افلاطون وارسـطو ومتبحرا فى الحكمة القديمة . وكان من الفضيلة وسمو الاخلاق بحيث اتهمه خصومه بانه انما يتظاهر بذلك ليكسب قلوب العامة

ولكن امثال هذه التهم لا يحسن الاهتمام بها فان الله هو العليم وحده بالسرائر .

وبعد ، فان وثيقة الفاتيكان على مافيها من شبه تدخل من الامريكان واليهود فيما يظهر انها لصالح الاسلام ولا شك وليس فيها خطورة على العرب والمسلمين لاسيما وان دولا – مسيحية كبرى تؤيد اليهود قبل الوثيقة ولا تزال .. وليست هذه الدول بحاجة الى وثيقة الفاتيكان فى مساعداتها لاسرائيل وارى قبل ان اتكلم عن مشروع الوثيقة ان انقل ترجمتها حرفيا عن مجلة الصلاح المسيحية التى تصدر فى القاهرة « العددان ١١ و ١٢ – نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٦٤ – السنة الخامسة والثلاثون » ص ٣١٥ .

ترجمة التصريح

فى شان الهندوسية والبوذية والاسلام واليهودية وسائر الديانات غير المسيحية الذى عرض على آباء المجمع المسكونى الفاتيكان الثانى فى دورته الثالثة فى جلسته المنعقدة يوم الجمعة ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٦٤ فوافق عليه المجمع بعدد ١٦٥١ صوتا ضد ٩٩ و ٢٤٢ صوتا بتحفظ . وقد ارجىء اعلانه رسميا ريثما توضع التحفظات سالفة الذكر موضع الدراسة .

١ – التوطئة :

فى وقتنا الحاضر حيث يزداد الجنس البشرى تكتلا يوم عن يوم وتتكاثر العلاقات بين مختلف الشعوب . تدقق الكنيسة الكاثوليكية البحث عن حقيقة علاقتها بالديانات غير المسيحية فالشعوب كلها تؤلف جماعة واحدة ، واصلها واحد اذ ان الله اسكن البشرية كلها ارضا واحدة (اعمال ١٧ : ٢٦) وغايتها واحدة وهى الله الذى تشمل عنايته ودلائل جودته ومقاصده الخلاصية جميع البشر .

(حكمة ٨ : ١ ، اعمول ١٤ : ١٧ ، رومانيين ٢ :٦ ، اولى تيموثاوس ٢ : ٤) الى يوم يجتمع المختارون فى المدينة المقدسة حيث يشرق مجد الرب فتسير الامم فى نوره (رؤيا ٢١ : ٢٣) . ان الناس ينتظرون من الاديان المختلفة حلا لالغاز حياتهم البشرية التى مابرحت تقلق نفوسهم بالامس كاليوم : ما الانسان ؟ مامعنى حياتنا وغايتها ؟ ما الخير وما الخطيئة ؟ ما الطريق الى السعادة الحقيقية ؟ ما الموت وما القضاء والثواب بعد الموت ؟ ما السر الاخير فائق الوصف الذى يحيط بوجودنا والذى منه جئنا واليه نصير ؟

٢ – الهندوسية والبوذية :

اننا نجد فى مختلف الشعوب العريقة فى القدم وميضا من معرفة القوة الكامنة فى الموجودات وفى مجرى حوادث الحياة البشرية ، حتى لقد عرفوا سر الله ابى الجميع .

فالديانات المتقدمة فى ثقافتها والمتطورة فى لغتها تحاول ان تجيب عن الاسئلة نفسها . فاهل الهند ينقبون عن سر الله ويعبرون عنه لخصب الاساطير التى لاتنفد ، والجهود الفلسفية المتقدمة كل التقدم . انهم يفتشون عن التحرر من آلام النفس بطرائق الحياة النسكية وبتامل عميق ، ولجوء الى الله بحب وثقة .

اما البوذيون ، وقد تيقنوا من عجز هذا العالم المتقلب عن اسعاد البشر فهم يعلمون الطريق التى يستطيعون بها ان يتحرروا ويبلغوا الى حالة من الراحة التامة ، وهى طريق العبادة والثقة ، والتطهير والتخلى عن الاشياء العابرة .

وهكذا فان مافى العالم من ديانات تعالج بانواع مختلفة قلق القلب البشرى ، فتقدم له طرقا اى تعاليم ونظما للحياة وطقوسا مقدسة .

والكنيسة الكاثوليكية لاتنكر شيئا مما هو صحيح ومقدس فى تلك الديانات ولاتزال تبشر بالمسيح الذى هو « الطريق والحق والحياة » (يوحنا ٦:١:١) وان الله قد صالح به العالم مع نفسه (٢ كورنثوس ٥ : ١٩) .

وبما انها على علم بمختلف مناهج الخلاص (القديس ايرناوس : « ضد البدع » ٢٨:٤) فهى تنظر بخالص المراعاة الى مافى طرائق السلوك والحياة وفى النظم والتعاليم من بصيص من نور الحقيقة التى تنير البشر » وان اختلف فى كثير من النقط عما تعرضه من تعاليمها

ولذلك فهى تحث بنيها ان يحفظوا وينموا عن طريق الحوار الودى والتعاون مع مؤمنى الديانات الاخرى هذه الديانات من خيرات روحية وادبية ومن قيم اجتماعية وثقافية .

٣ – المسلمون :

وتنظر الكنيسة بعين الاحترام الى المسلمين الذين يعبدون الله الحى القيوم القدير . خالق السموات والارض الذى كلم البشر . لقد تكون احكامه احيانا خفية ولكن لابد من الخضوع لها بالقلب كله كما خضع ابراهيم لله . ابراهيم الذى اليه ينتمى المسلمون . وهم .. وان لم يعترفوا بالمسيح الها فانهم يكرمونه كنبى ويحترمون امه العذراء مريم . وقد يتوسلون اليها وينتظرون يوم البعث ، يوم يجازى الله البشر كل بما صنعت يداه . ويتقربون الى الله بالصوم والصلاة والزكاة . ويسعون لان يحيوا حياة ادبية شخصية وعائلية واجتماعية لله .

وان يكون قد حدث ، بين المسلمين والمسيحيين فى مجرى التاريخ اختلاف وعداء ، فالمجمع يحرض الفريقين ان ينسوا الماضى ويجتهدوا بكل أخلاص ان يتفاهموا فيما بينهم . ويحفظوا وينموا معا . من اجل جميع البشر العدل الاجتماعى والخيرات الادبية والسلام والحرية .

٤ – اليهود :

ان المجمع المسكونى . وهو ينعم النظر فى سر الكنيسة ، يذكر مابين شعب « العهد الجديد » وسلالة ابراهيم من الرابطة ، فكنيسة المسيح تعرف أن جذور ايمانها وانتخابها متصلة بالآباء « ابراهيم واسحق ويعقوب » وموسى والانبياء وتعلن ان جميع المؤمنين بالمسيح هم ابناء ابراهيم بالايمان (غلاطية ٣:٧) ومعنيون ضمنا فى دعوته الخاصة وان خلاص الكنيسة كان مرموزا عنه سريا فى خروج الشعب المختار من أرض العبودية .

ولذلك لاتستطيع الكنيسة ان تنسى انها تسلمت وحى « العهد القديم » عن طريق ذلك الشعب الذى شاء الله برحمته الفائقة ان يعقد معه « العهد القديمة » ولا تنسى أيضا انها تغتذى من أصل تلك « الزيتونة الصريحة التى طعمت فيها الفروع البرية » (الرومانيين ١١:١٧) فالكنيسة تؤمن حقا بان المسيح سلامنا قد صالح بصليبه اليهود والامم وجعل الاثنين شعبا واحدا (افس ٢:١٤)

وتضع الكنيسة نصب عينيها اقوال بولس الرسول عن اسلافه ، الذين لهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ورؤساء الآباء ومنهم المسيح بحسب الجسد » (رومانيين ١١:٤) المسيح ابن العذراء مريم .

وتذكر الكنيسة ايضا ان الرسل ولدوا من الشعب اليهودى وهم قواعد الكنيسة واعمدتها ومثلهم تلاميذ المسيح الاولون الذين اذاعوا الانجيل فى العالم .

فاليهود ان لم يقبل قسم كبير منهم الانجيل ، الا انهم ، كما يقول الرسول لايزالون احباء الله من اجل الآباء (رومانيين ١١:٢٨) لان مواهب الله ودعوته هي بلاندامة •

فالكنيسةتنتظر مع الانبياءوالرسل يوم الرب الذىتدعو فيه الله جميع الشعوب بصوت واحد وتتفق فى خدمته تعالى (صفنيا ٣:٩ ، اشعيا ٦٦:٢٣ مزمور ٦٥:٤ ، رومانيين ١١:٢٢) •

وقد اراد المجمع لما لايزال بين المسيحيين واليهود عن التراث الروحى العظيم • أن يشجع على التعارف وتبادل الاحترام فيما بينهم • مما ينجم عن الدراسات الكتابية واللاهوتية وعن الحوار الاخوى المتواتر • والمجمع • عندما يذكر هذا التراث العام • يستنكر كل الاستنكار مايسوم الناس بعضهم عن السب والقذف فى كل مكان وياسف لما يلاحق اليهود من العداء • وينكر ما نزل بهم فى الماضى وماينزل بهم فى الحاضر من الاضطهاد •

فيعلن الجميع اذن بالا يـذكروا فى شرح التعليم المسيحى ولا فى المواعظ ما من شأنه أن يولد فى قلب المؤمنين البغض او الكراهية لليهود ، ولا يقال عنهم انهم جنس مرذول او ملعون او مجرم يقتل الله ، لان ما حدث فى آلام المسيح لا يمكن أن يعزى الى كل من كان موجودا من الشعب • واقل منه الى الشعب الحاضر علما بان الكنيسة آمنت دائما ولاتزال تؤمن بان المسيح قد استسلم برضاء للآلام وللموت من اجل خطايا البشر ، بقوة حبه غير المتناهية • فعلى الكنيسة ان تبلغ الجميع ان صلب المسيح هو علامة حب الله الشامل وينبوع جميع النعم •

٥ ـ لاتفرقة البتة :

لانستطيع ان نـدعو الله أب الجميع اذا ابينا ان نسلك سلوكا اخويا نحو بعض ممن خلقوا على صورة الله • فعلاقة الانسان بالله كأب للجميع وعلاقة الانسان باخوته هما من الارتبـاط بحيث أن « من لايحب اخاه لا يعرف الله » (٢ يوحنا ٤ : ٨ لوقا ، ١ : ٢٥) .

فلا أصل البتة لاية نظرية او مسلك يفتح سبيلا الى التفرقة بين انسان وانسان وبين جنس وجنس ، فيما يلامس كرامة الانسان وما يترتب عليها من الحقوق .

فمن الضرورى ان يكف جميع البشر ولا سـيما المسيحيون عن كل تفرقة وكل ظلم بسـبب جنس اى انسان كان او بسبب لونه او منزلته او دينه • بل بخلاف ذلك فالمجمع • اقتفاء لآثار الرسـولين بطرس وبولس يناشد المؤمنين بالمسيح كل المناشدة ان «يحفظوا طيب العلاقات مع الامم » (١ بطرس ٢:١٢) • وكما يقول بولس الرسول : « وان امكن فسـالموا جميع الناس بقدر ماتستطيعون لتكونوا حقا بنى ابيكم الذى فى السموات » (رومانيين ١٢:١٨) • (متى٥:٤٤)

ويحسن ايضا وقد وقع بيدنا الخطـاب الذى القاه نيافة المطران الياس زغبى فى عيـد الميلاد بتاريخ ٢٥-١٢-١٩٦٤ بشأن مايسمونه « وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ان اشير الى بعض ماجاء فيه :

لقد حضرت كل جلسة من جلسات مجمع الفاتيكان وكنت فيه عضوا عاملا ومدققا لاتفوتنى منه كبيرة او صغيرة ولا سيما فيما يمت بصلة الى الشرق من قريب او بعيد • ثم عدت من المجمع فوجدت الدنيا قائمة قاعدة والصحف والمجلات ينافس بعضها بعضا فى التنديد بوثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ـ كمـا يقولون ـ وليست هناك وثيقة بل هو مشروع عـرض على المجمع ليبدى فيه رايه فيتبناه ، اولا يتبناه • ولم يصدر الى اليوم قرار بشانه •

كذلك ليست هناك تبرئة لليهود من صلب المسيح لان الكتب المقدسة صريحة كل الصراحة • وهى تثبت بما لايدع مجالا للشك ان اليهود ـ لاالرومان ـ هم الذين حكموا على يسوع بالصلب والموت • ولم يكن من الرومان الا أن نفذوا هذا الحكم •

ولكن ارباب الصحف ـ وكان حريا بهم ان يستقوا الانباء من مصادرها جعلوا يمسكون بتلابيب كل عابر فى الطريق يسألونه رايه فى « وثيقة تبرئة اليهود » كأن كل ذى جلباب اسود عالم ضن يمثله الزمان • له ان يصدر على قارعة الطريق حكمه على اعظم مجمع كنسى عرفه التاريخ • فيسجلون اقواله كأنهـا من وحى السماء وينشرونها على الناس آيات بينات • وقد فاتهم ان مجمع الفاتيكان يضم الفين ونيفا من الاساقفـة هم نخبة العالم الواعى ، قضوا الحياة فى درس الـكتب المنزلة واشبعوا كل كلمة منها بحثا وتحليلا • فليس فى الدنيا رجل عاقل يسـعه القول بانهم اتفقوا على تحريف الكتاب او فاتهم من معانيه مالم يفت الاميين من الناس • ولو اطلع الصحفيون وغير الصحفيين على نص المشروع واستانسوا براى من يعنيهم الامر لما سكبوا من المداد عبثا قدر ماسفك اليهود من دم الـسيد المسيح والمرسلين والانبياء •

وقد حاولنا ما استطعنا افهامهم ان مجمع الفاتيكان لم يبرىء اليهود كل اليهود من جريمة صلب المسيح بل برا الذين لم يشتركوا فى صلبه ، شانه فى ذلك شان كل محكمة على الارض وفى السماء لاتاخذ الابناء بجريرة الآباء • فلم يشا المغرضون ان يكتفوا بهذا الكلام ، بل ذهبوا ينسبون الى مجمع الفاتيكان ممالاة اسرائيـل والتحيز لليهود على حساب العرب الابرياء •

ولهذا اردت قبل الخوض فى بحث هذا المشروع ان أؤكد للجميع ان الدافع الى ادراجه فى جدول اعمـال المجمع لم يكن ـ وليس من المعقول ان يكون اعجـاب الكنيسة الكاثوليكية باليهود ولا حبهـا الفطرى لابناء اليهود •

ان من تتبع تاريخ الكنيسـة الغربية فى الوقت الحاضر وفى الماضى القريب والبعيد ، وجدها فى صراع دائم مع نشاط اليهود الهدام فى كل مكان • فهم الذين اختلقوا البدع تحت سـتار الدين وهم الذين خلقوا الماسونية ونشروا محافلها فى جميع البلاد وجندوها لمحاربة الكنيسة الكاثوليكية التى خصـوها باشـد الخصومة والد العـداء • وهم الذين بثوا رجالهم ونساءهم فى المنازل والمنتديات باسـم شهود يهوه وامثالهم ينفثون فى الناس سموم الكفر والالحاد • ولا يخفى ان اليهود قد ضربوا بسهم وافر فى ابتـداع الشيوعية ـ وكارل ماركس الشيوعى الاول امام من ائمتهم ـ لاهدف لهم الا تجريد الناس من اموالهم باسم العدالة والمساواة لعل الارض تؤول اليهم بما فيها ومن عليها •

ومن ذا يجارى اليهود فى الترويج للمبادىء الهدامة والقصص الخلاعية والافلام التى تفسد الاخلاق وتمجد الاباحية •• كل هذا نعرفه نحن ويعرفه اكثر منـا اساقفة الغرب جميعا • فاذا كانت الكنيسة الكاثوليكية هى الهدف الاول لحملات اليهود ، واذا كانت الكنيسة الكاثوليكية اكبر عدو للشيوعية والماسونية وقد رمت كلا منهما بالحرمان ، واذا كانت الكنيسة الكاثوليكية تشاهد بام عينها الخراب الذى لحق بابناء الغرب من جراء الاباحية والالحاد ، فهل يعقل ان يكون الهدف من مشروع مجمع الفاتيكان مخالفتـه اليهـود ومناصرة الصهيونية على حساب العرب او غير العرب ؟ ٥

ثم عاد نياقة المطران فقال فى مكان آخر من خطابه « ان الشريعة الاسلامية ككل شريعة فى العالم لاتاخذ بالجريرة الا فاعلها فلا تسال الاحفاد عن جريرة تبعة جرم ارتكبه اجدادهم او نفر من هؤلاء الاجداد منذ عشرين قرنا وهل يجوز لنا فى هذا الانقلاب العالمي الشامل وامام هذا التيار الجارف تيار الوحدة والاخاء بين الشعوب ان تستثنى شعبا بأسره من الجامعة البشرية لمجرد ان اسلافهم او بعض اسلافهم صلبوا المسيح وقتلوه » ٠

والاسلام كما قال صاحبنا نياقة المطران الزغبى لاياخذ بالجريرة الا فاعلها وكذلك جميع القوانين ، ونحن المسلمون نعتقد ان الصلب قد وقع فعلا الا انه على شبه للمسيح لا على المسيح نفسه الذى رفعه الله اليه وواراه من الايدى المجرمة ٠

وعدم تحميل الابناء بجريرة الاباء صحيح الا انه يقتضى على الابناء من جانبهم أولا أن يتبرءوا هم من هذه الجريرة التى فعلها اجدادهم ، اما اذا شاركوا اجدادهم واعتقدوا ان عملهم قد وقع على المسيح نفسه ، وهو عمل حق وواجب قام به اجدادهم فهم شركاء لهم حتى يعلنوا براءتهم من ذلك ، وعلى كل منصف أن يقبل براءتهم كما انه من حق الفاتيكان ان يقبل هذه البراءة أولايقبلها ومعروف ان احبار اليهود قالوا آنذاك دمه علينا وعلى ابنائنا كما جاء فى الاناجيل ولازال ابناءهم يقولون ذلك ويتعصبون لهم فاذا ماتبرع المجلس المسكونى من جانبه بتبرئة من لايعلن البراءة من جانبه فهو أمر لايقره الحق ولا العرف ولا العقل ولكن يقره المبدأ المسيحى المتسامح مع اعدائه ومبغضيه ٠

ثم ان الاسلام لايؤمن بخلود الخطيئة لقوله جل سبحانه « ولا تزر وازرة وزر اخرى » ولكن التوراه تؤمن بخلود الخطيئة ، وعلى هذه القاعدة قالوا بطبيعة المسيح الالهية وبوقوع صلبه تكفيرا لخطيئة آدم التى ورثها ابناؤه من بعده ، ولولا القول ببنوة المسيح لله لما كان فى صلبه تكفيرا لجميع خطايا البشر ٠

ونسف قاعدة الجريرة الموروثة والخطيئة الخالدة هو نسف فى الوقت نفسه لمسالة بنوة المسيح لله وصلبه التى قامت على هذه القاعدة التى يبطلها نياقة المطران الزغبى بقوله : « ان الشرائع العالمية جميعها لاتاخذ بالجريرة الا فاعلها فلا تسال الاحفاد عن جريرة الاجداد شانها فى ذلك شان كل محكمة فى الارض او فى السماء لاتاخذ الابناء بجريرة الاباء وهذا مايقوله المسلمون ويؤمنون به ويرجون من اخوانهم المسيحيين تطبيقه كقاعدة عامة شاملة ، فنجتمع معهم على كلمة سواء بيننا وبينهم « الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا » ٠

واننا لنشكر نياقة المطران الزغبى على ما قاله فى كلمته القيمة فى شجب اليهود وفى انصافهم ، وحبذا لو اعتقد اليهود من جانبهم ان المسيح الذى بشر به العهد القديم ولايزالون فى انتظاره هو المسيح عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ونبيه ورسوله عليه السلام وان يكفوا عن بهتانهم العظيم على الصديقة الطاهرة مريم العذراء البتول سيدة نساء العالمين ٠ وان يكفوا كذلك عن نشر الاوبئة بين الشباب المسيحى فى الغرب بقولهم « انتم مالكم ومال المسيح الذى هو ولدنا فامه يهودية منا وابوه يوسف النجار يهودى كذلك وان للمسيح اخوة أشقاء من امه وابيه ، مما جعل الشباب المسيحى فى بلبلة وحيرة ، وهذه هى الخطيئة الخالدة الكبرى والبهتان العظيم بل هذا هو القتل الادبى الدائم والصلب المعنوى المتكرر الذى يؤمن به المسلم والمسيحى معا ويثورون من اجله كي تلتقى الاديان السماوية الثلاثة على كلمة سواء فى السيد المسيح المكتوب فى التوراه والانجيل والقرآن ٠

فالايمان بمحمد نبى المسلمين حيث الاديان السماوية جميعها تدعوا لكل خير وتنهى عن كل شر ٠ ولم يكن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدعا من الرسل « انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده »

ويحسن قبل ختام هذه الكلمة ان اشيد بسلامة طوية المطران بطرس جواد صفير نحو المسيحيين والاسلام فى كلمة القاها فى المجمع المسكونى واثبت هنا مانشرته الصحف اللبنانية وهو الجزء الذى اذاعه راديو الفاتيكان والاذاعة الايطالية والتليفزيون الايطالى وهو الجزء المسموح بنشره من خطابه حتى الآن ٠

كلمة الله :

قال سيادة المطران صفير : قلت فى حديثى فى السنة الماضية ان محمدا قد سمى السيد المسيح كلمة الله وكلمة الحق وقال عن مريم العذراء انها اشرف نساء الكون وان المسيح حبل به من روح الله وهذه العقائد تتلاقى تماما مع العقائد التى يدين بها المسيحيون

ثم قال : واضيف اليوم الى ماقلته فى السنة الماضية ان بعض آباء الكنيسة القديسيين كيوحنا الدمشقى والقديس مكسيموس كانوا يعتقدون ان الاسلام عبارة عن عقيدة مسيحية جديدة ٠

وقال نبى المسلمين « لا اكراه فى الدين » لكي يفسح المجال للابقاء على العقيدة المسيحية الاساسية كما هى فى البلدان الاسلامية

معاوية على جبل الجلجلة :

واضاف سيادته قائلا : ان معاوية الذى كانت تربطه قرابة دموية بمحمد والذى كان قد جعل من الخلافة امبراطورية زمنية توجه الى جبل الجلجلة وصل هناك عندما عزم على استلام زمام امور المملكة وبعد الفراغ من الصلاة على الجلجلة دخل قبر مريم العذراء وصلى هناك ايضا ٠

وكان فى عهد معاوية وزير المال المؤتمن على نفقات الجيوش حتى فى ايام الحرب رجل يصفه التاريخ بأنه كان شديد التمسك بنصرانيته وهو جد القديس يوحنا الدمشقى ٠ وكان يعاونه فى الادارة المالية عدد من الموظفين كلهم من النصارى ٠

صلات أكثر من ثقافية :

واستطرد المطران صفير يقول : كان فى وسعى ان اضيف حوادث كثيرة من هذا النوع ولكن اكتفى بما ذكرت لكى يقتنع المجمع بان العبارة الواردة فى القرار حو ل علاقاتنا بالاسلام وهى « الشعور الدينى وصلات الثقافة الانسانية » لا تكفى للتدليل على الروابط الروحية التى تجمعنا بالاسلام ٠

وبناء على ذلك ارى من الواجب تغيير هذه العبارة والتوسع فى اعلان الحقائق الدينية المشتركة التى يؤمن بها المسلمون والنصارى معا ٠

وارى ان ذلك ضرورى جدا حرصا على كرامة المسلمين الذين قد يرون أننا تعمقنا فى تفصيل علاقاتنا باليهود ولم نات على ذكرهم الا باختصار وضرورى كذلك من اجل عدم وقوع سوء تفاهم بين الشعب البسيط ورجال الارساليات فى البلدان الاسلامية ٠

هذا ، واختتم كلمتى بهذه الآية القرآنية الكريمة من كتاب الله وهى :

ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٠

دعوة الميثاق الوطني من دعوة الإسلام

الأستاذ حسني عبد المجيد

من الواضح أن هوة سحيقة نشأت على مدى العصور بين مبادىء الاسلام وأخلاقه وحضارته من جهة وبين واقع المسلمين من جهة اخرى حتى أصبح الاسلام كما قال الامام محمد عبده ــ محجوبا بالمسلمين ولعل أعجب الأسباب التى قادت لهذه النتيجة ان الدواء القلب داء • وان الطبيب الذى يرجى منه الشفاء والبرء أصبح ــ بفعل المسلمين ــ وتواكلهم وانحرافهم مصدرا من مصادر الآلام والأنين • ولعل تكوين الفرد المسلم الذى كون فيما بعد المجتمع الاسلامى الكامل • لعل هذه الظاهرة هى أخطر ما حمل الاسلام الينا على ظهر الأرض منذ شعر الانسان بوجوده عليها • فتكوين امرجل المسلم بما يحمل من اخلاقيات وقيم ومعاملات وعلم وتفتح •هى اجل واعظم هدف حققته رسالة الاسلام فى تحويل الرجل العربى البدائى الى رجل مسلم خلقه الاسلام خلقا وفضله الاسلام تفضيلا لحمل رسالة جديدة • أعدها الله تبارك وتعالى لصلاح البشر كافة حتى تقوم الساعة• فالرجل العربى الذى كان يحكم السيف فى كل عمل وتصرف وينصر أخاه ظالما أو مظلوما أصبح انسانا جديدا يحكم عقله ويتمسك بحدود الله فى كل تصرفاته ومن ثم ملك الرجل المسلم دستورا وشريعة • يقول تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ــ النساء) ولعل تلخيص أبو بكر الصديق لذلك جاء حينما أفتتح خلافته قائلا •• الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه • والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه وعندما يقول الله تبارك وتعالى فى سورة المائدة •• (أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) فانما يضع القرآن الكريم أعظم قاعدة أخلاقية سمت على العدل نفسه وهى •• العفو •• (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين •• واصبر وما صبرك الا بالله ــ النحل) وهكذا دفع الاسلام الرجل العربى دفعا من حياته القبلية الى رحاب المسئولية الشخصية بما تحمل من عقل وتفكير

وتدبر (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم — المائدة) وأوضح الاسلام لكل عربى مسئوليته (وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى — لقمان) واوضح القرآن للعربى أن يتبع طريق المحسنين والا يتبع طريق العصاه ولو كانوا اقرب الناس اليه ... !!

ولعل سبق الاسلام الى احترام المرأة وحقوقها هو فى حد ذاته ثورة فى حياة الاعراب بعد أن منحها الاسلام حقوقا لم تحظ بها المرأة الاوربية حتى هذا القرن . ولايزال الاسلام يرتفع بالوالدين حتى يضعهما فى اسمى منزلة .. بعد تقرير التوحيد المبدأ الاسمى فى الاسلام (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا — الاسراء)

ومن هذه العجالة الصغيرة يشعر القارىء ان الاسلام وهو يربى الفرد المسلم انما كان يعد اللبنات لبناء المجتمع الاسلامى الضخم . بعد أن يربى الفرد ويقومه ويزكيه لحمل رسالة الدنيا .. وخاصة بعد ان وضع الرسول العظيم اساسهافى المدينة .والرسول — صلى الله عليه وسلم حينما كان يرسىقواعد الأخوة والتواد والتراحم فى المدنيه كان يهدف الى صهر مجموعات الاسلام من انصار ومهاجرين فى بوتقة الاسلام العظيمة ليخرج منها أسرات متحابة متعاونة يربطها كلها رباط التوحيد والتعاطف بعد ان ينسى كل منهم نزعاته الجاهلية ولا يتطلع الا الى العلاقات الاسلامية والرباط الدينى الجديد الذىشرعه الاسلام ويقول تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا — آل عمران) وقوله تعالى (وألف بين قلوبهم . لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم — الانفال)

وفى هذه الفترة العظيمة من حياة الاسلام فى المدينة . والرسول الكريم بصدد تشييد هذا القصر الشامخ أرسى الرسول القواعد الاقتصادية للاسلام . هذه القواعد التى كانت ترقى كلها الى تحقيق العدالة الاجتماعية . والعدالة الاجتماعية هدف ووسيلة . انها هدف فى ذاتها لأن المجتمع الذى يبنى على أساس متين سليم . يتحتم ان تتوافر العدالة الاجتماعية بين أفراده ولا محل لمجتمع سليم يستبد به الأغنياء الى حد حرمانهم الفقراء من الحقوق والعدالة الاجتماعية وسيلة .. فى كونها السبيل الصحيح للحب والتعاون والاخاء فى كل مجتمع سليم . فالدين الاسلامى اذن جاء غنيا بنظمه ومبادئه ومعاملاته التى كفلت العدالة الاجتماعية بين المسلمين كافة فى قمم من المبادىء الراسخة

أولا مبدأ الملكية الفردية :

يقره الاسلام ويباركه طالما حصل عليه المسلم بالطرق المشروعه . كما يقر التفاوت فى الغنى بقدر الجهد الذى يبذله كل مسلم وبقدر التوفيق الذى يصادفه (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق — النحل) نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات — الزخرف) ولا نزاع أن هذا التفاوت طبيعى . لأن الناس يتفاوتون فيما هو أفضل من المال وأنفس منه انهم متفاوتون فى الصحة والذكاء والقدرة والطاقة على العمل ومتفاوتون شكلا ولونا وصوتا ولم يقل أحد بوجوب محاربة هذا التفاوت وضرورة أن يصبح الناس سواسيه فى صحتهم وعقولهم .. فالملكية الفردية اذن يعترف بها الاسلام ويقرها . ويحرسها ويحميها .ويعاقب السارق وقاطع الطريق شر عقاب . ثم هو ينقل المال من مالكه الى أولاده بعد وفاته عن طريق نظام المواريث الاسلامى الرشيد . والاسلام حينما يسمح بالملكية الفردية ينظمها ويمنع ويرفع الاستغلال عنها . فاتخاذ المال وسيلة للتحكم فى الناس أو فى حرياتهم أو فى أرزاقهم شر يحاربه الشرع الاسلامى ويقف ضده ويقومه .

والميثاق الوطنى فى بابه السادس يفرق تفرقه واضحة لا لبس فيها . بين نوعين من الملكية الخاصة .. الملكية المستغلة التى تفتح باب الاستغلال . وملكية غير مستغلة تؤدى دورها فى خدمة الاقتصاد الوطنى كما تؤديه

فى خدمة أصحابها • ففى مجال ملكية الأرض الزراعية شأن قوانين الاصلاح الزراعى قد انتهت بوضع حد أعلى لملكية الفرد لاتتجاوز مائة فدان على أن روح القانون تفرض أن يكون هذا الحد شاملا للاسرة كلها • كذلك فى مجال ملكية المبانى تكفلت القوانين (التصاعدية - وتخفيض الايجارات) بوضع الملكية العقارية فى مكان يبتعد بها عن أوضاع الاستغلال • ومن المؤكد ان الاجراءات التى اعقبت قوانين يوليو الاشتراكية قد حققت بنجاح عملية تصفية كانت محتمة وضرورية • ان هذه العملية قطعت الطريق على كل محاولات التسلل والدوران من حول أهداف الشعب ولحساب المصالح الخاصة للفئات التى حكمت وتحكمت من المراكز الطبقية الممتازة •

يقول تعالى محددا التفضيل بين المسلمين (يأيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم - الحجرات)

ثانيا (مكانة المال) :

فالله تبارك وتعالى حدد أكرم المسلمين وأعظمهم درجة • بمن هو أتقاهم • وأكثرهم صلة به وبعدا عن نواهيه • والمال بصنوفه متاع الحياة الدنيا لمن تغرهم الحياة أما عند الله فالعمل الصالح هو الذى ينيل حسن المآب يقول تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا - الكهف)

هذه هى مكانة المال فى الاسلام • على أنه أن نؤمن بأن المال اذا احسن صاحبه التصرف فيه • ونفع به وانتفع يقوده الى أعظم الجزاء • يقول الرسول العظيم (السخى قريب من الله • قريب من الناس • قريب من الجنة • والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة • قريب من النار • والجاهل السخى أحب الى الله تعالى من عابد بخيل • رواه الترمذى والاسلام فى قيوده التى وضعها على الملكية الخاصة والمال انما ليبعدها عن موارد الاستغلال والتحكم حيث يكره الاسلام ويحرم التفاوت الضخم فى اللباس والمتاع حيث يخلق هذا التفاوت الحقد ... والسخط بين الناس • والاسلام يعالج هذا التفاوت من خلال قدرة كل من الغنى والفقير للحصول على المال • فهو يحرم على الغنى الترف ويستهجنه • ويحذرنا الرسول الكريم من السرف والخيلاء والاسلام حينما يحرم الترف ليس معناه شظف العيش والتقشف (وأما بنعمة ربك فحدث - سورة الضحى) قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق - الأعراف) وانما معناه (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا - الاسراء - وكل هذه الحدود العظيمة هى التى تقوم الغنى القادر بماله وتحبسه عن الظلم والترف والخيلاء أما عن الفقير فان الاسلام فى التقريب بين مظهره ومظهر الغنى .. يهيب بالفقير بأن يرفع مستواه من خلال تعاليم الاسلام فى التقريب بين مظهره ومظهر الغنى .. يهيب بالفقير بأن يرفع مستواه من خلال تعاليم الاسلام التى تحثه على العمل والسعى فى طلب الرزق باخلاص ومثابرة ونشاط .. يروى الترمذى عن رسولنا العظيم (ما اكل احد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده • وأن نبى الله داود ، كان يأكل من عمل يده) وقد خص داود بالذكر لأنه كان ملكا ونبيا • ومع ذلك كان يأكل من عمل يده وسوى الله تعالى بين العامل المكافح والمجاهد فى سبيل الله حيث يقول (وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله • وآخرون يقاتلون فى سبيل الله - سورة المزمل) وروى ان الرسول كان جالسا يوما مع أصحابه فرأوا شابا ذا جلد وقوة قد بكر يسعى فقال أحد الجالسين ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله فقال عليه السلام (لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله • وان كان يسعى على ابوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله) فالاسلام رفع منزلة العمل الى أعظم المراتب حتى سمت على منزلة العبادة .. والميثاق فى بابه الثامن يقول ان العمل الانسانى الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكى يحقق أهدافه فالعمل شرف

والعملُ حق والعمل واجب والعملَ حياة ،ان العمل الوطنى على أساس الخطة لابد ان يكون محددا امام اجهزةالانتاج على جميع مستوياتها بل ان مسئولية كل فرد فى هذا العمل يجب ان تكون واضحة أمامه حتى يستطيع ان يعرف فى اى وقت من الاوقات مكانه فى العمل الوطنى • ان ذلك يقتضى ان تتحول الخطة الشاملة فى أهدافه الاقتصادية والاجتماعية الى برامج تفصيلية تكون فى متناول يد أجهزة الانتاج •

ومعنى هذا كله ان العمل هو الحياة الحقة لكل كائن حى • فاذا عمل الفقير واجتهد وكسب ما يسد به حاجته فان عليه بعد ذلك أن يحسن مظهره وحاله وفى هذا صعود الى المراتب التى تقلل من الفوارق بين الغنى وبين الفقير نفسه •

والحقيقة أن الاسلام ينظر الى المال • فان الله •• استخلف فيه البشر •• ان الانسان ليس مطلق التصرف فيما تحت يده أو فى الذى نطلق عليه مجازا ملكه حتى ولو كان هذا الشىء ملكا خالصا للمسلم . فالمال اذن والذى يملكه المسلم لابد ان يخضع الى نظم معينة وضعها المالك الحقيقى سبحانه وتعالى ومن هذه النظم ان المالك لا يجوز له ان يكنز المال وفى هذا ضرر بالغ للاقتصاد القومى الذى هو فى أمس الحاجة الى تجميع المدخرات ليستثمرها ويخلق منها فرصا طموحه للعمالة والعمل • (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هــذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون ـ التوبة) والميثاق يقول ان غاية الانتاج الحقيقية هى توفير اكبر قدر ممكن من الخدمات لتكون أعلام الرفاهية التى ترفرف على المجتمع كله وبقدر اتساع قاعدة الانتاج وبقدر الاستثمارات الجديدة من المدخرات الوطنية التى يمكن أن تضاف اليها بالعمل الوطنى مع كل يوم تتفتح آفاق جديدة لتكافؤ الفرصة لكل مواطن .

ومن النظم التى يخضع لها المال فى الاسلام ان لايجوز استخدامه فى رشوة (قال الرسول عليه السلام :
الراشى والمرتشى فى النار . هذا علاوة على الاسراف وما أوضحناه • ففوق كل ذلك لا يجوز استخدام المال فى الاحتكار وانتهاز الفرص وقد ورد فى الحديث (من احتكر طعاما أربعين يوما يريد به الغلاء فقد برىء من الله وبرىء الله منه)

والا يستخدمه المسلم فى الربا . فالمال مال الله . وسبحان من يرث الارض ومن عليها • فلا يجوز ان يتخذه مخلوق من البشر وسيلة لتعذيب البشر • وطريق الحصول على المال هو العمل لكسبه أما ان يجلس المرابى ويربو ماله على حساب جهد المحتاج وعرقه فهذا ما يحرمه الاسلام • وهكذا نجد ان القواعد التنظيمية التى يقرها الاسلام بشأن المال قواعد حاكمة موجهه • تتجه بمدلولها الكامل لتدفع المال بعيدا عن الاستغلال ولتعطى الفقير الحق فيه • فالذى يستحقه الفقير فى مال الغنى ليس منحه وليس عطاء وليس تفضلا ولكنه حق يستوفاه ويأخذه •• ارايت أن ورثة الميت امتنعوا عن تسليم أحد الورثة حقه فى التركة ماذا يكون العمل ؟ انه ظلم وجور يلزم الحاكم أن يتدخل ليأخذ هــذا لوارث حقه من غاصبيه • كذلك حق الفقير فى مال الغنى يلزم أن يستوفاه كاملا • فاذا نكص الغنى عن تسليمه يلزم الحاكم ان يغرمه وان احتاج الأمر للتدخل المسلح والحرب فى سبيل تحصيل هذا القدر لاصحابه (والله لو منعونى عقال بعير كانوا يعطونها لرسول الله لحاربتهم عليها) •

ويقول الميثاق فى بابه السابع ان القيم لروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان وعلى منحه طاقات لاحدود لها من أجل الخير والحق والمحبة •

ولنا عودة •

حديث أل ١١ امرأة

الأستاذة عزيزة مريدن

ليس هذا الحديث الذى نعرض له حديثا عابرا ، وليس نوعا من الهذر الذى قد نسمعه فى بعض حلقات السمر النسائية التى تعقد فى البيوت ، وتتناول فيها النساء جانبا من حياتهن الخاصة ، وطرفا من معاملة أزواجهن لهن ، ولكنه حديث شيق وطريف ، اذ يتضمن نوعا من الادب النسائى الرفيع ، جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يستقى منه فقرة فيقول لزوجته (عائشة) رضى الله عنها حين افتخرت يوما بمال أبيها فى الجاهلية : « اسكتى يا عائشة فانى كنت لك كأبى زرع لام زرع » .. فقالت عائشة : بابى أنت وأمى يا رسول الله ، ما حديث ابى زرع وأم زرع ؟ .. فقال صلى الله عليه وسلم : « ان قرية من قرى اليمن ، كان بها بطن من بطون العرب ، وكان منهن احدى عشرة امراة ، وانهن خرجن الى مجلس ، وكان الرجال خلوفا ، فقلن : تعالين فلنذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب ، وهكذا تعاهدن وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا .. »

ونجول النظر فى ثنايا حديثهن ، فنتخيلهن وقد تألبن فى حلقة من الحلقات ، تستمع كل واحدة الى حديث الأخرى بلهفة وتشوق وتنتظر بالتالى دورها ، لتفصح عن شعورها نحو زوجها ، وبينهن المحبة لبعلها ، وبينهن الفارك ، ومنهن الراضية القانعة ، ومنهن الساخطة الثائرة ، وفى غفلة من غياب ازواجهن أخذن بأطراف الحديث ، وطبيعى أن يكون فى مثل هذا الحوار شجون وشئون وفنون ، قالت الاولى : « زوجى لحم جمل غث ، على راس جبل دعث ، لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقل . » .. ولقد ذمت هذه زوجها فوصفته بانه مهزول غث ، كلحم الجمل المعلق على رأس جبل ، وكنت بذلك عن صعوبة الوصول الى ما عنده من خير ، وذلك لبخله وكبره وشموخ أنفه ، فهو لذلك كالجبل الارعن ، فلا هو بالسهل الذى يمكن الارتقاء اليه ، ولا بالسمين الذى نحتمل من اجله المشقات فى سبيل الانتقال اليه .

أما الثانية فقالت : « زوجى لا أبث خبره ، انى اخاف ألا أذره ، ان أذكره ، أذكر عجره وبجره » .. تريد بذلك أنها لا تستطيع أن تبث خبر زوجها ، ولا ان تنشره ، فاعتذرت عن التفصيل بأن حديثها معه متشعب ، يطول شرحه وبيانه ، ولذلك فهى تخشى ان فعلت ألا تفرغ من بث أخباره ، وأن يؤدى هنا ـ بالتالى ـ الى التقاطع بينهما أو الانفصال اذ هى تخاف (ألا تذره) . والجدير بالذكر هنا ان (لا) ـ فى قولها ـ زائدة شبه زيادتها فى قوله تعالى : « يا ابليس ما منعك ألا تسجد » . وقد اكتفت هذه المرأة بالاشارة الى أن لزوجها عيوبا ، أغضت عن ذكرها ، ابقاء على ما التزمته من الصدق ، وسكتت عن توضيحها الاسباب ، لانها ان ذكرتها ، اضطرت الى ذكر عجره وبجره ، أى عيوبه الظاهرة واسراره الخفية الكامنة .

وقالت الثالثة : « زوجى العشنق ، ان أنطلق أطلق ، وان أسكت أعلق » .. مسكينة هذه .. انها تشكو لرفيقاتها سوء أخلاق زوجها فهو (العشنق) المذموم وقيل : أرادت أن تذمه بالطول المفرط ، لان هذا غير محمود ، وقد اكتفت بهذه الايماءة اللطيفة خوفا منه ، لاعتقادها أنها ان نطقت بجميع عيوبه طلقها وهذا ما لا تبتغيه ، وان سكتت عنها علقها ، وهذا أيضا ما لا ترغب فيه ، لانها تصبح لا أيما ولا ذات بعل .

وجاء دور الرابعة فقالت : « زوجى كليل تهامه ، لا صر ولا مر ، ولا مخافة ولا سآمة » . ما اجمل هذا التعبير ، لقد استقته من بيئتها ، فزوجها كليل تهامة ، بليل النسيم ، عليل الهواء ، كله دعة وأمان ، والعيش

عنده راحة واطمئنان ، فليس هو الشديد المفرط ، ولا بالضعيف المفرط . وختمت عبارتها بقولها : « ولا مخافة ولا سامة » وهذا القول فى رأى (ابن حجر) وغيره من أبلغ المدح ، لأنها بكلمتين اثنتين نفت عنه كل أسباب الاذى ، وأثبتت جميع أنواع حسن المعاشرة فلا ملالة لهما من المصاحبة ، ولا تخاف غائلة ولا نائبة ما دامت فى ظله ، فالعيش معه رضى كليل تهامه المعتدل الساجى .

وهنا تحفزت الخامسة للكلام وتطلعت ثم قالت : « زوجى ، ان دخل فهد ، وان خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد » .. ان زوج هذه حينما يعود الى منزله يكون كالفهد فى ركونه الى النوم والراحة ، لاطمئنانه ورضاه بكل ما تحيطه به زوجته من الرعاية ، وهو لشدة ثقته بها لا يحاسبها على ما عهد اليهـا لاعتقاده أنها تؤدى الواجب خير اداء . اما اذا خرج من البيت فهو الاسد فى شجاعته ، وهذا ينفى - بالطبع - ما قد يتبادر الى الذهن من شك حين يفهم من عبارتها الاولى انه كثير النوم كالفهد ، فهى تقصد المعنى المجازى الذى هو التسامح والاغضاء - كما قلنا - .

والتفتت السادسة فقالت : « زوجى ان أكل لف ، وان شرب اشتف ، وان اضطجع التف ولا يولج الكف ليعلم البث » .

وهذه صورة لبعض الازواج الكسالى المتبلدين ، الذين همهم الطعام والشراب - والبطنة تذهب الفطنة - فهو ان أكل لف ، أى أكثر من الطعام وألوانه حتى يأتى عليه كله ، وهو ان شرب اشتف ، وبديهى أن تؤدى به الشراهة الى العطش حتى يشتف كل ما فى الاناء فلا يبقى لها منه شيئا ، أما اذا اضطجع فانه يلتف فى ثيابه فلا يكلمها ولا يلتفت اليها فتبثه شكواها ، ليعلم ما بها . وهكذا فقد جمعت فى ذمها له بين لؤمه وبخله وشراهته ونهمه وسوء عشرته لاهله . ولا يخفى ما فى طريقة تعبيرها من حسن تقسيم ، ومن لف ونشر ، مما جعل كلامها ذا نغمة موسيقية مؤثرة .

وقالت السابعة : « زوجى غيا ياء أو عيا ياء طباقاء ، كل داء له دواء ، شجك أو فلك ، أو جمع كلالك » يا لله ما هذا الزوج ؟ انه العيى الاحمق ، والكسول الخمول ، يتقاعس عن السفر والغزو ، وقد جمع كل ادواء الكون ، فكل داء له داء ، فهو اذن قد حوى كل عيوب الناس ، وكل نقائصهم . يقول القاضى (عياض) فى تفسير هذا الكلام : « انه تضمن الغاية من لطيف الوحى والاشارة ، لانه انطوى تحت هذه اللفظة كلام كثير .. » علاوة على هذا فانه اذا حدثته سبها واذا مازحته شجها ، واذا أغضبته كسر عضوا من اعضائها او شق جلدها أو جمع كلا من الشج والكسر لها . ولقد اطلقت العبارة - فخاطبت بها احداهن - على سبيل التعميم لا التخصيص ، لتكون اوقع فى النفس ، ولعل فى قولها مبالغة ، ولكنها تعطينا - فى الواقع - صورة لبعض الازواج الاجلاف القساة الذين يتجاهلون قوله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن ، فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

وانبرت الثامنة مادحة فقالت : « زوجى : المس مس ارنب ، والريح ريح زرنب » . كنت بذلك عن نعومته وحسن خلقه ، ولين جانبه ، اما ريحه فطيب لنظافته ، ولتعطره بعطر (الزرنب) المعروف فى ذلك الحين ، وربما ارادت بذلك - وهو الاصوب - حسن سمعته ، وثناء الناس عليه ، وانتشار ذكره الطيب بينهم .

وانتهى الحديث الى التاسعة من هؤلاء النسوة فقالت : « زوجى رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد . » - ان زوج هذه ذو نسب وحسب ، فهو سيد فى قومه رفيع العماد ، ثم انه طويل القامة شجاع (طويل النجاد) ، أما كرمه فلا يدانى ، وما أكثر الغادين والرائحين الى داره ، وما أكثر قصاده الذين يزدحمون ببابه . ومما زاد فى شرف مكانته ، ورفعة قدره انه قريب البيت من النادى فلا يقطع أمر دون استشارته ولا يبرم عهد دون الاخذ برأيه ..

وهنا تململت المرأة العاشرة فى مجلسها ، وتنحنحت ثم قالت بفخر واعتزاز :

« زوجى مالك ،وما ملك ؟ مالك خير من ذلك ، له ابل كثيرات المبارك ، قليلات المسارح واذا سمعن صوت المزهر ، أيقن أنهن هوالك » .

عاشر النساء هذه تمدح زوجها (مالكا) بقولها : ومالك ؟ واستفهامها هذا تقصد به تعظيم شأنه ، واعلاء منزلته ، وقد قال تعالى : « الحاقة ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة » اشارة الى انها فوق ما يوصف ويذكر وقد ابت هذه المرأة الا أن تزيد من اعظامه ، مشيرة الى انه خير من الذين سبقوا فى الثناء وطيب الذكر ، ومن ازواج صويحباتها السالفات ، فله ابل كثيرات المبارك وفيرات ، وهو لايتركها تسرح الا قليلا فاذا نزل به الضيف ، كانت الابل جاهزة يقربه من ألبانها ولحومها ، حتى لقد اعتادت هذه الابل صوت (المزهر) الذى يضرب فرحا وابتهاجا بقدوم الضيوف ، فتوقن عند ذاك انهن هوالك ، معدات للنحر والقرى .

واخيرا قالت الحادية عشرة ، وهى مدار البحث وقطب الرحى فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « زوجى أبو زرع ، فما أبو زرع ؟ أناس من حلى أذنى ، وملأ من شحم عضدى ، وبجحنى فبجحت الى نفسى . وجدنى فى أهل غنيمة بشق ، فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ورائى ، ومنق ، فعنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأتصبح ، وأشرب فأتقنح ..

ام ابى زرع ، فما أم أبى زرع ؟ عكومها رداح ، وبيتها فساح . ابن أبى زرع ، فما ابن أبى زرع ؟ مضجعه كمسل شطبه ، ويشبعه ذراع الجفرة ، بنت ابى زرع ، فما بنت ابى زرع ؟ طوع أبيها ، وطوع أمها ، وملء كسائها ، وغيظ جارتها . جارية أبى زرع فما جارية أبى زرع ؟ لا تبث حديثنا تبثيثا ، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا. قالت : خرج ابو زرع والاوطاب تمخض ، فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين ، يلعبان من تحت خصرها برمانتين ، فطلقنى ونكحها ، فنكحت بعده رجلا سريا ، ركب شريا ، واخذ خطيا ، وأراح على نعما ثريا ، واعطانى من كل رائحة زوجا ، وقال : كلى ام زرع ، وميرى أهلك .

قالت : فلو جمعت كل شىء اعطانيه ما بلغ أصغر آنية ابن زرع » .

هذه هى (أم زرع) التى قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنها لعائشة : « كنت لك كأبى زرع لام زرع » . وقبل أن تتناول حديثها بالايضاح والشرح نحب أن نشير الى ان مرد هذه التسمية (ام زرع) - من الناحية اللغوية - يرجع الى كثرة ما يملك زوجها (أبو زرع) من مزارع وحقول . وقد ذكرت هذه

المرأة اسم زوجها أولا . ثم عظمت شأنه ، ورفعت مكانته عن طريق الاستفهام ،وراحت بعد ذلك تعدد نعمه التى اسبغها عليها ، فلقد اناس أذنيها من الحلى والزينة ، وملأ عضديها من شحم ولحم ، فسمنت واكتنزت ، وبجحها - أى عظمها وأفرحها - فعظمت نفسها فى عينها ، ووجدها فى أصحاب غنمات قليلات لا أصحاب ابل وخيل ، وكان أهلها فى ضنك من العيش فجعلها فى رفاة ونعمة ، ونقلها بذلك من فقر ومسغبة الى ثراء ومغنى . فأصبحت عنده معززة مكرمة ، ترقد فتظل نؤوم الضحى ، وتشرب فتتقنح وترتوى ، وهذا من النعم الضافية فى الجاهلية حيث الماء نادر متعذر .
أما أم أبى زرع فعظيمة الردفين ، وبيتها واسع كبير . وابن أبى زرع ، مضجعه كالسيف المسلول ، ومأكله من ولد الماعز والضأن ، ومع ذلك فهو قليل الاكل ، معتل الجسم . وأما بنت أبى زرع فقد أحسنت تربيتها فعادت طوع أبيها وأمها ، لا تعصى لهما أمرا ، ولا ترد طلبا ، وهى الى ذلك بدينة ، بغيظ جارتها لجمالها ووضاءتها ، وعفتها وأدبها . وأما جارية أبى زرع فلا تفشى لاسيادها حديثا ، ولا تسرق طعاما ، وهى نشيطة ، لا تترك البيت قذرا (لا تملأ بيتنا تعشيشا) بل تنظفه وترتبه .

ولقد خرج أبو زرع فى أحد اسفاره ، فى فصل الربيع ، اذ كانت أوطاب اللبن تمخض لاستخراج الزبدة منها ، فلقى فى سفره امرأة لها ولدان يلعبان برمانتين فما لبث أن تزوجها وطلق أم زرع فتزوجت هذه من بعده رجلا سريا ، وشريفا غنيا ، كان يركب فرسا ويحمل سيفا مدلاة بشجاعته ، واذا هو بعد ذلك ينعم عليها بكثير من الابل والبقر والغنم ، ويوفر لها العيش الرغيد ، ويقول لها : (كلى أم زرع وصلى أهلك بالطعام ، واوسعى عليهم الميرة) .
ومع هذا كله قالت : « فلو جمعت كل شىء أعطانيه هذا الزوج ، ما بلغ أصغر آنية أبى زرع »
كانت (أم زرع) هذه آخر النساء المتحدثات ، ولكنها بزتهن جميعا بالفصاحة والبلاغة .
ولقد قال القاضى عياض عنها ما يلى : « فى كلام أم زرع من الفصاحة والبلاغة ما لا مزيد عليه فانه ، مع كثرة فصوله ، وقلة فضوله ، مختار الكلمات ، واضح السمات ، نير القسمات ، قد قدرت الفاظه قدر معانيه ، وقررت قواعده ، وشيدت مبانيه ، وجعلت لبعضه فى البلاغة موضعا ، واودعته من البديع بدعا . قال : ولكهن فى النهاية حسان الاسجاع ، متفقات الطباع غريبات الابداع ، وقد وضعت كل واحدة زوجها على سبيل الايجاز .. »
ونحن لو دققنا فى أحاديث هؤلاء النسوة تبين لنا أن الذامات منهن لازواجهن خمس ، والمادحات ست ، واذا رجعنا البصر فى ثنايا كلامهن ، استطعن أن تضع يدنا على الاحكام والفوائد التى يمكن استخلاصها واتخاذها نبراسا يضىء للازواج سبيل العشرة الزوجية ولعل أول ما يطالعنا فى هذا الحديث الحض على حسن المعاملة والمعاشرة التى يجب أن يوفرها الازواج لزوجاتهن ، فمن هؤلاء النسوة من ذكرت مزايا زوجها ، ومنهن من عرضت بمساوئه وفى هذا كله ما فيه من حث على التحلى بمكارم الاخلاق ، وفيه ما فيه كذلك من الدعوة الى الصبر على شوائب الحياة الزوجية ، كما أن فيه العبرة لبعض النساء ، والقدوة لبعض الرجال ممن لم يؤتوا نصيبا من الحكمة والسداد ، والكياسة والسياسة .

ومن ناحية أخرى فالحديث يعكس لنا جوانب نيرة واضحة من الاخلاص والمودة ، والنبل والوفاء عند بعض هؤلاء الزوجات ، فمن ذمت زوجها منهن اقتصدت واكتفت بالتعريض والايماء أحيانا ومنهن من نفست عن كربتها وأفصحت ، ومع ذلك فقد بقيت كل واحدة منهن صابرة قانعة محافظة للعهد عفيفة وأكثر من هذا كله يدلنا الحديث على أن المحبة تستر الاساءة ، وعين الرضا تغضى على كل نقيصة ، وتظل المرأة هى المتفوقة فى هذه الناحية ، وهى المخلصة ، وهى السامية بعواطفها ومشاعرها ، والمستعلية على أشجانها وآلامها ، وما تقاسيه من ظلم الرجل وغدره . فالمرأة الثانية مثلا لا تريد أن تبث خبر زوجها بين هؤلاء النساء لانها تخاف أن تذره ، و (أم الزرع) تبقى وفية لابى زرع مخلصة له ، معترفة بجميله ، رغم تلك الضربة القاسية التى سددها لها والصدمة النفسية التى أصابتها حين تزوج بغيرها ، بل انها لم تنس صفاته الحسنة وظلت تذكرها ، رغم ما توفر لها من رغد وهناء عند زوجها الثانى . اذ قالت :

(فلو جمعت كل شىء أعطانيه ، ما بلغ أصغر آنية أبى زرع) .

وبالرغم من أن حديث هؤلاء النسوة يعكس لنا - فى ثناياه - المثل العليا ، والصفات المحددة التى كانت تتطلع اليها نساء ذلك العصر ، وتتوق الى توفرها فى الرجال الازواج فانه يعكس لنا كذلك ميزات أخرى خالدة ،تصلح لكل زمان ومكان ، وتظل مثلا أعلى فى معظم النساء من نحو الشرف والاخلاص ، والجود والجود ، وسجاحة الطبع ، ولين الجانب .

ألا ما أعظم هؤلاء النسوة ، وما أذكى قلوبهن ، وما أبلغ كلامهن الذى انساب على شفاههن عربيا غير ذى عوج ، ترفده سليقة صحيحة جعلته آية فى الطلاوة والطرافة والايجاز والبيان .

من قصص القرآن

نوح عليه السلام

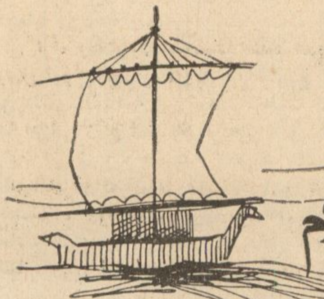

الأستاذ البهى الخولى

تتلخص قصة نوح عليه السلام فى ان الله تعالى بعثه فى قوم يعبدون الأصنام ، ليدعوهم الى الله وحده فكذبوه ، واستهانوا به وبالقلة التى آمنت معه . ولكنه ظل يدعوهم فى دأب وصبر مدى ألف سنة الا خمسين عاما فلم يزدهم دعاؤه الا اعراضا عنه واصرارا على ما هم عليه .. وكان من دهائهم أن استغلوا سذاجة العامة وتعظيمهم لما تلقوا عن آبائهم من اساطير تروى ما كان لأصنامهم أو أصحاب تلك الأصنام من بطولة ومجد ، فقالوا : ((لا تذرن آلهتكم)) ، ولا تذرن ودا ، ولا سواعا ولا يغوث ، ويعـوق ، ونسرا)) فتابعوهم ونصروهم عليه ، حتى شكا ذلك الى الله تعالى بقوله : ((رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا)) .. ولما استنفد نوح عليه السلام فى دعوته كل حيلة وجهد ، علم بالوحى : ((أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن)) فدعا عليهم قائلا : ((رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)) .. فأخبره الله انه سيبعث طوفانا مدمرا عاليا ، وأمره أن يعد سفينة ليومه تكون سببا لنجاته منه هو ومن آمن معه .. فلما جاء الطوفان نجى الله تعالى نوحا والذين معه فى الفلك ، وأغرق الذين كذبوا بآياته ، أنهم كانوا قوما عمين))

أصول المجتمعات .. لا سرد الحوادث :

تلك خلاصة قصه نوح عليه السلام ، فهل قص الله فيها كل ماكان بينه وبين قومه من جدل وحوار ، وتعليم ، وخصام فى مدى ألف سنة الا خمسين عام ؟ اذا نظرنا الى نهج التاريخ الذى يعنى بسرد الحوادث ، وتقرير الانباء ، وذكر أرقام السنين ودورات الزمن قلنا : لا ..

واذا نظرنا الى نهج الحكمة والعظة الذى يعنى بفطرة الله الصادقة فى كل شىء ، وسننه الأصيلة التى يدار عليها شأن الفرد والمجتمع ، ويرجع اليها فى تقدير قيم الأعمال والأوضاع والاتجاهات .. اذا نظرنا الى ذلك النهج ألفينا القصة الكريمة قد ذكرت لنا كل شىء عما كان بين نوح عليه السلام وقومه .

ذلك أنها عرضت لما طرا على العقيدة الصالحة من فساد ، وبينت ظواهره واعراضه ، ونوهت بالآثار الكريمة الروحية والاجتماعية ، والاقتصادية التى تترتب على العـودة الى الفطرية السليمة .

وعرضت لقادة البيئة ورؤساء القـوم ، وبينت فساد منطقهم ونظرهم الى قيم الحياة

.. وأثرهم فى تضليل العامة واستدراجهم الى جانبهم ، وتزييف الحقائق عليهم . ونهجهم فى اللجوء الى الوعيد عند غلبة البرهان ونصوع الحجة ، وتوقع الخوف على ما فى أيديهم من رياسة وسلطان ومنفعة ..

وأبانت حقيقة العمل الصالح والعمل الفاسد ، والمنهج الذى يقوم به كل منهما ، والعاقبة المحتومة لكل نهج .

أى عرضت لما طرأ من فساد على العقيدة ، وقيادة البيئة ، والأهداف التى تقوم بها الأعمال ونحن موردون ماجاء فى القصة الكريمة عن ذلك على النحو الآتى :

اولا : العقيدة .

كان هؤلاء القوم ـ على ما قدمنا ـ يعبدون آلهة لهم من دون الله ، ورد عنها فى القرآن الكريم قوله تعالى :

« وقالوا : لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن ودا ، ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا »

وهو قول يحتمل أن تكون الآلهة أكثر مما ذكرته الآية الكريمة ، وان تخصيص تلك الخمسة بذكر أسمائهم انما جاء على ألسنتهم لما لها عندهم من جلالة الشأن وعلو المقام ، قال الامام الزمخشرى فى تفسيره : « كأن هذه المسميات كانت أكبر أصنامهم ، وأعظمها عندهم ، فخصوها بعد قولهم لاتذرن آلهتكم »

قدم عبادة الأوثان :

وعبادة التماثيل ظاهرة دينية قديمة لازمت الناس فى كثير من البيئات على تعاقب الدهور ، ولا يزال لها الى اليوم طقوس وشعائر تؤدى فى بعض جهات الأرض .

ولا يستطيع باحث أن يحدد لنا على سبيل اليقين متى وأين بدأت عبادة التماثيل ، ولكنا نستطيع أن نقول . انها بدأت فى عمران مستقر ، لافى بادية قلقة كثيرة الحل والترحال .. عمران ذى حضارة يزدهر فيها فن النحت والتصوير ، ويغلب على حياة أهلها الخضوع لمقتضيات فطرة التدين ..

وازدهار فنى النحت والتصوير ، لا تبلغه الانسانيه الا بعد ان نكون قد قطعت من عمرها أزمانا متطاولة ، ومرت فى مدارج تجاربها بمراحل بطيئة ، متعاقبة .. وهذا مايدعونا الى القول بأن عبادة التماثيل نشأت بعد آدم بدهور طويلة لا يعلمها الا الله ، وأن بين آدم ونوح عليهما لسلام من الأزمنة البعيدة أكثر مما جاء فى التوراة ، ونقله عنه بعض علماء المسلمين ، مما لم يتأيد بنص من كتاب الله سبحانه ، أو سنة صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. واذا كان قوم نوح يقولون له فى التوحيد الذى يدعوهم اليه : « **ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين** » فمعناه أنهم لم يبتدعوا تلك الوثنية ابتداعا . بل ورثوها عن آبائهم الأولين ، منذ أجيال موغلة فى القدم .. أجيال تتسع بها الشقة الزمنية بين آدم ونوح الى أكثر مما تصوره كاتب التوراة عن ظن ضيق وتخمين ساذج .. فانه قدر ما بين خلق آدم وولادة نوح بألف سنة وخمسين عاما .. وهى مدة لاتكفى لقيام حضارة مستقرة يزدهر فيها فن النحت ليؤدى لفطرة التدين ما يقر به أصحابها من المطالب .. فكيف والقوم قد عرفوا التماثيل وعبدوها قبل ولادة نوح بأجيال كثيرة ؟ .

بين التوحيد والوثنية :

وهذا يدعونا الى أن نصحب الانسان لنعرف مجمل ما تقلب فيه من حال منذ هبط الى هذه الأرض لاول مرة .. فقد هبط اليها ولاتجارب له .. فذهنه خال تمام الخلو من كل تجربة تعينه على عمارتها ، وكان عليه ان يبدأ طريق تجاربه الطويل من أول نقطة له .. ولكنه مع ذلك هبط وهو يحمل ـ فيما يحمل ـ من المواهب **سرا قدسيا شديد الحساسية والوهج .. سرا موصول الأسباب بما وراء الكائنات المنظورة من غيب رهيب جليل ، سرا يذهب بمشاعر الانسان وملكاته الباطنية الى تلمس ما فى هذا الغيب من زاد المعرفة ، وحياة الروح وأسباب الخير والطمأنينة .. وذلك هو فطرة التدين فيه :**

فكان ينظر الى الأشياء التى تحيط به فى أفق هذه الأرض بفطرته تلك المشرقة ، لا بمعدنه ومنطق منافعه •

ولم يكن الانسان قد جرب لدائذ هذه الأرض عند هبوطه اليها ، ولم تكن أشياؤها قد ارتبطت بمواقع رضاه أو غضبه ، فكان نظره اليها وحكمه عليها خاليا من ايحاءات الهوى ورغبات الغرائز •• وانا لنستطيع ان نتمثله قائما يحدق فيما حوله من خلال فطرته الساطعة •• وهى فطرة ذات منطق يربط الأسباب بالمسببات •• والنتائج بالمقدمات•• والأشياء بصانعها •• والمخلوقات بخالقها فتبدو له الكائنات فى نور تلك الفطرة كأنها لوحات معرض جليل عظيم ، تحدثه ببيانها الصامت ولسان حالها البليغ عن قدرة خالقها المبدع جل شأنه وعن حكمته ، وعن علمه •• الخ•• ولم يكن قلبه النقى قد شابه كدر المنفعة ، فكان حديث اللوحات ينفذ فيه الى الشفاف ، ويهزه الأعماق ، ويثير فيه كل نابضة وخالجة منفعلة بشعور الدهشة والاعجاب والاجلال لشأن الخالق المبدع العظيم جلت عظمته • ومع أن هذا النظر الفطرى الصادق كفيل أن يهدى الانسان الى توحيد الخالق سبحانه، ويقر فى قلبه عقيدته المكينة ، فان آدم عليه السلام جاء مزودا بأسرار تلك العقيدة وتعاليمها مأمورا أن يقيم حياته فى الأرض على مقتضاها **« فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »**

وهذا الذى نقرره هو أصدق المذاهب الاجتماعية ، وأليقها بالفطرة وأوفقها لما جاءت به نصوص الاسلام الحنيف ، ولا عبره بما يذهب اليه بعض علماء الاجتماع الدينى من ان الدين فى جوهره ظاهرة اجتماعية ينشئها المجتمع فى نفوس أفراده بحسب درجته من الرقى ، فاذا كان المجتمع ساذجا فى تفكيره، بدائيا فى أسلوب حياته ، جاء الدين صورة أو خليطا من أوهام تلك السذاجة ، ولا مانع حينئذ أن يكون النبات أو الحيوان الـها معبودا اذا توهم عقل القبيلة أو عقل الجماعة أنها انحدرت من سلالة هذا النبات أو ذلك الحيوان !!

فاذا كان المجتمع قد جاوز السذاجة الى طور الاجتماع الذى تكثر فيه احتياجات لافراد وتتشابك فيه مصالحهم ، فهو مجتمع أرتى • يهب لأفراده عقيدة أرقى •• فاذا استبحر العمران ، وتألفت للمجتمع امبراطوريات • ترقى عقل الجماعة وظهر التوحيد باعتباره احدى ثمار هذا الرقى • فالدين عندهم على هذا ظاهرة اجتماعية يصنعها المجتمع لأفراده او هو شىء ينبع ابتداء من عقل المجتمع ، ولا دخل فيه لعقول الأفراد أو ينابيع أفئدتهم

وكأن هؤلاء يفترضون فى الانسان أنه كائن معطل من المواهب العليا ، والمشاعر الروحية الرفيعة • !

يعطلونه من تفكيره الذاتى ومنطقة الفطرى الذى يربط – فى بساطة – السبب بالمسبب والصنعة بالصانع ، والخلق بالخالق •• ؟ ويعطلونه من الملكة الحساسة التى تتلقى الهام الكائنات ، وإيحاءاتها المتحدثه عن الله ،فتجعلها مشاعر قدسية ، تطهر القلب ، وتزكى النفس، وترفع المرء الى السماء وتصله بالله سبحانه •!

فاذا عطل الانسان من منطقه السليم • وفيض وجدانه الكريم ، فماذا يكون شأنه الا أن يكون آلة مصمته ، أو دابة مغلقة لاامتياز لها ؟ •• ومثل ذلك الانسان لايعرفه واقع الحياة لا فى قديمها ، ولا فى حديثها ولا يعرفه الاسلام الذى نبه الى ما يمتاز به البشر منذ اللحظة الاولى من جليل المواهب وتنوع الملكات والمدارك بقوله سبحانه : **« ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »**

نعم ان الدين قد تدخله أو تمتزج به بعض العادات فاسدة من عادات المجتمع أو اوهامه فلا يلبث الناس أن يظنوها عناصر من عناصره الأصيلة ، فتفسد العقيدة ، ويختل ميزان الأعمال وتقدير القيم •• قد يحصل هذا او نحوه وهو قريب مما يحدثنا القرآن الكريم عنه فى عبادة قوم نوح ، ولكن هناك فرقاأصيلا شاسعا بين أن يكون الدين فطرة أصيلة فى المرء تختلط أحيانا ببعض أوهام البيئة ،وبين

أن يكون شيئا لا علاقة له بالمرء الا أن يصنعه له عقل المجتمع ويوحيه اليه على حسب رقى هذا العقل!

فالدين فطرة فى الانسان أولا ٠٠ والتوحيد ـ توحيد الخالق سبحانه ـ هو نظام هذه الفطرة وناموسها الوحيد الذى لاتحمل سواه ٠٠ وهو القول الذى يذهب اليه ثقات علم الاجتماع الدينى ، وقد قلنا ان هذه الفطرة مارست مهمتها مذ أن وجد الانسان نفسه فى هذه الأرض ، وقام يحدق فيما حوله بنوره الساطع الباهر ٠٠ فكان كل شئ يقع عليه بصره يذكره بالخالق الصانع ، اذ لايرى على صفحته سوى سر من أسرار صفاته جل شأنه٠

كانت صحيفة تجاربه العمية والاجتماعيه خالية تمام الخلو من كل أثر سابق ٠٠وكان حسه الذى يذوق به مافى هذه الأرض يجهل كل الجهل أن يميز بين لذائذها المتنوعه وأن يفرق بين صنوف أو طعوم طيباتها المختلفة٠٠ وكان منطقة الذهنى القائم على ادراك صلة الأشياء بعضها ببعض عن طريق ماترى العين وتسمع الأذن ٠٠وكان هذا المنطق غفلا أملس لم يمارس مهمته فى الحياة بعد ٠٠ ولم يكن فيه من موهبة تعمل عملها ، وتؤدى رسالتها الا تلك الموهبة الفطرية التى تتألق شمسها الباهرة بين جنبيه ، فلا ترى فى الكائنات الا الله سبحانه ٠٠ أى أن وعيه كله كان مركزا فى فطرته المتدينة الحساسة ٠٠

وبدأت بشرية الانسان تكدح كدحها ، وتباشر اختصاصها فى هذه الأرض ٠٠

بدأ يفكر : كيف يحفظ نفسه من الجوع٠٠ والظمأ ٠٠ والحر ٠٠ والبرد ٠٠ وسائر غوائل الطبيعة ٠

وبدأت المشاهدات تلفته الى ألوان لذائذها وطعومها ٠٠ ومنافعها ٠

وبعد حقب من الدهر اى بعد آدم بدهور لايعلمها الا الله بدأ الانسان يقارن بين قيم الأشياء : أيها أفضل وأعود عليه بالمنفعة واللذة ؟ وبدأت غرائزه تنمو ٠٠ وتشعب ٠٠ واحتياجاته تتنوع وتتفرع ٠٠

وبدأت تجاربه تكثر ، ودائرة معارفه تزداد ومحيط نشاطه الذهنى يستفيض ، فهو دائم النظر فيما حوله : موازنة ، أو استقراء ، أو تحليلا ، أو تعليلا ٠٠ ليدرك سر الانتفاع بالأشياء ، ويوافى نفسه منها بما يريد ٠

أى بدأ وعيه الذى كان مركزا فى فطرة التدين ينسحب بالتدريج الى الاتصال بماحوله

وبدأت الكائنات التى كانت لاتحدثه الا عن الله تحدثه أيضا عن طعومها ولذائذها ،ومتعها

وبدأ القلب الذى كان لايطرب الا بماتلقيه اليه الكائنات من تسبيح الله جل شأنه ،يطرب لما يذوق من طعوم أو يصيب من لذة

وبدأ الذكر الخالص لله يشوبه ذكر المنافع الأرضية

وبدأ نور الفطرة يزاحمه ظل الشهوات والهوى

وكان ذلك هو سبيل الناس الى الوثنية فى جميع صورها الى اليوم ٠٠ وأقدم مجتمع حدثنا القرآن الكريم عن وثنيته هو مجتمع قوم نوح ٠٠ وموعدنا المقال القادم فى كيفية نشوء هذه الوثنية وآثارها الاجتماعية والله الموفق ٠

حل الأزمات فى الإسلام

الدكتور فؤاد محمد فخر الدين

ان الحياة معركة الوجود ، والدنيا ميدان تلك المعركة العارمة يتنافس فيها المتنافسون . تتنازع فيها القلوب المختلفة المشارب ، وقد فتحت الدنيا صفحتها الاولى بتلك الآية الكريمة : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفه ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى اعلم مالا تعلمون » . ثم تلتها آية استنكار ابليس لخليفة آدم على الارض : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين »

والانسان فى دنياه يؤدى رسالته الانسانية فى الوجود للحياة الدنيوية ، ولاقرار مهمته الفطرية فى التعمير ولتخليد وجود الانسان على هذه البسيطة ، ولكن الانسان امام المشاكل الحيوية ، والمصالح الخاصة والعامة اعداء يتنازعون البقاء وقال الله بصدده : « قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين »

ذلك الانسان - بطبعه وطبيعته - مخلوق ضعيف « وخلق الانسان ضعيفا » ، لايستطيع التغلب على اهوال الدنيا ، ولا على مختلف تقلبات الايام وصروف الليالى ، ولا على ظروف الحياة القاسية وقد قال تعالى يصف الانسان فى تطور حياته « الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ، يخلق مايشاء ، وهو العليم القدير »

وقد تنوعت الازمات فى الحياة ، فلا يخلو من آلامها انسان او عائلة او مجتمع وتلك الازمات انواع عدة واشكالها مختلفة ، تلين وتشتد حسب الظروف ، وتتلون حسب البيئة وتكبر عند قوم وتقل عند آخرين اذ تمشى تباعا لحياة الفرد والجماعة ولكنها على اية حال تؤذى الشعور والاحساس ، وتشغل البال والضمير ، وتحرك الشجن والتفكير . وتنزل بالاعصاب اضطرابا بل قد تؤدى الى شدة فى المعاملة ، والى سوء فى المقابلة والمخاطبة ، وقد تؤدى الى الخروج عن طاقة ضبط النفس وتملك الاعصاب مما يؤدى الى شر مستطير تارة الى فراق ذات البين ، وتارة الى نزاع عائلى . وتارة الى قتال او حرب بين قبيلة وقبيلة وبين قوم وقوم بل وبين دولة ودولة ، وتارة أخرى الى ايذاء الافراد والجماعات ، والى معاداة ومجافاة ، والى عنف وشدة ، والى هجران وعدوان

ان الازمات فى حياة الانسان كادت ان تكون لازمة وملازمة بل قيل فى الامثال .. ان المصائب تترى .. تاتى واحدة تلو الاخرى كأنها سلسلة متتابعة او كأنها حلقة مفرغة ، والمثل الفرنسى يقول : « ان المصائب لا تأتى فرادى .. كأن بينها صداقة ومودة تاتى فى جماعات فهناك ازمات نفسية بين الشخص ونفسه كأنه فى شجار مع ذاته ، تنتهى أو تدوم حسبماله من تصرف ملائم لحله سواء بطريقته الخاصه او بعلاج نفسانى او بمداومة الامور المحيطة بتلك الازمة . وقد تؤدى تلك الازمات النفسية الى هلاك الشخص لتورطه فى مشاكل قد تدوم وقد تنتهى بالانتحار او بامراض عصبية او عقلية ، وفى ذلك مافيه من خساره فادحة للشخص نفسه ولاسرته وللمجتمع الذى يعيش فيه .

وهناك أزمات عائلية تفتت شمل العائلة ووحدتها ، وتحدث الفتور العائلى وانحلال الاسرة وتشتيت ابنائها ، وتسبب عدم ترابطها فى عطف وود ومحبة ، وتوجد العداوة والبغضاء بين أفراد الاسرة الواحدة مما يجعل شيطان الانس والجن يلعب دوره فى تحطيم وحدة العائلة ، واشعال نار البغضاء بين اعضاء بيت واحد . ولا ريب ان الله سبحانه وتعالى قد قال فى كتابه العزيز : « ان الشيطان للانسان عدو مبين » . وقال عن الانسان : « قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو »

وهناك أزمات اجتماعية تسببها ازمات اخرى كالازمات النفسية والازمات العائلية او الازمات الاقتصادية

والحزبية والسياسية العامة منها والخاصة او الازمات المذهبية والدينية هذه الازمات تتطور عن آن لآخر ، وتتوغل في صميم الحياة سواء حياة الدول والحكومات أو حياة الشعوب والامم ، وتتاثر بها ومنهـا العائلات والافراد حسب أهميتها بالنسبة لهم ، وحسب موقفهم منها قربا وبعدا .

لاشك أن الحياة لاتخلو من هـذه الازمات وهي تنمو مع المدنيات والحضارات وحسب تصوير الحياة لها ، وبمقتضى تقدم الدولة المختصة لهذه الحضارات والمدنيات او حسب تقدم الشعب ومدى مواجهته للحضارة والمدنية سـواء في تكوينه الشخصي ، وفي نموه الفكري ، وفي تطوره العقلي ، وفي ايمانه العقيدي . ومنذ بدء الخلق ظهرت ازمات وازمات ، أزمة بين أخ واخيه وصورها القرآن بقوله تعالى : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ، اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لاقتلنك ، قال انما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما انا بباسط يدى أليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين انى أريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سواة أخيه ، قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هـذا الغراب فاوارى سوأة أخى ، فأصبح من النادمين » .

وهذه بداية النزاع الفردى ، وهو انفكاك اسرة . ولكنها - فى نفس الوقت - بداية اعلان قصة الحب ، ذلك الحب الذى كون فى النفس شخصـية فردية . وروحا أنانية ، وهذا الحب - كذلك - أوجد فى القلب والنفس الضغينة والبغضاء ، والضعف والشـقاء ، والانفرادية والعداء .

تطورت هذه الازمات الفردية الى ازمات عائلية ، ثم تطورت الى ازمات قبليةوقومية ودولية ، فنشبت الحروب بين القبائل فى أيام الجاهلية الاولى ، وحدث ما حدث بين الامم والشعوب والدول حتى أصبحت الحروب وسيلة الاقناع ، وطريق السيطرة والعنجهية وفـرض النفوذ ، وعرض القوى .

وقعت حروب بين الانبياء والرسل وبين قومهم ، فهناك حرب بين موسى عليه السلام والملك الذى منعه من اجتياز بلاده ، وهناك حرب داود وسليمان عليهمـا السلام . وهناك حروب الرسول صلى الله عليه وسلم وحروب أصحابه واتباعه .

أصبحت تلك الازمات على اختلاف أنواعهـا ، وتنوع أسبابها ، وتعدد نواحيها ، وتباين أهدافها ، مشـكلة عالمية تعالجها القوانين على اختلاف مشاربها ، وتدرسها العلوم الاجتماعية على أشكال مختلفة ويبحثها علـم النفس ، ويتناولها السياسيون وعلوم السياسة ، والكل يسعى للخروج من هذه المشاكل الدنيوية بعلاج ناجع مفيد يستاصل المرض من جذوره ، ويبعد عن الانسان الشقاء والفناء وتنازع البقاء .

ولكن هذه المشاكل تزداد يوما بعد يوم بل تتجدد مشكلة اثر مشكلة ، فتتجمع المشـاكل حول مائدة اللئام ، واجتمعت الدول للبحث عن طريق الخلاص منها ، فهناك هيئة الامم المتحدة بفروعها وشعبها تعمل أساسا لحل مثل تلك الازمات التى عانت وتعانى منها الامم والحكومات والدول بل عانى منها كل فـرد فى المجتمع الانسانى لانها ازمات تمس حقيقـة الحيـاة الانسانية ، وتلمس كرامة الانسان فى صميمها .

اننا نرى تزاحم الازمات فى دنيا السياسة ، ودنيا الاقتصاد ، ودنيا الاجتماع حتى أصبحت ازمات عامة تدخل البيوت والمجتمعات الانسـانية على اختلاف جنسياتها ولا ريب اننا نعيش فى عالم الازمات ، وفي دنيا المشاكل التى اوجدت هذه الازمات .

وقد خرجت افكار الى حيز الوجود لعلاج هذه المشاكل وهذه الافكار وضعت نظما خاصة فى حياة الافراد لايجاد مجتمع يتلاءم فيه المظهر الانسانى لا الكيان الانسانى ، وليكون الانسان آلة فى المجتمع لا ليكون فردا حيـا يشارك المجتمع بمجهوداته وأفكاره ومساعيه وباموالة وثرواته . هناك افكار طائشة تؤدى بالانسان الى نوع من الحياة هى اقرب أن تكون حياة مادية بحتة دون ادراك بكنه الوجود .

مما لا شك فيه أن الاسلام جاء لمعالجة الانسان فى امور حياته ، ولايجاد انسان الحياة فى حياة الانسان ، ولخلق انسان المجتمع فى مجتمع الانسـان ، ولتكوين انسان الاسرة فى اسرة الانسان ، ولتصوير انسـان الفرد فى فرد الانسان .

وقد جاء الاسلام برسالة انسانية وحملها رسـول الانسانية ، اختاره الله من بين البشر انسانا كاملا اتصف بكل صفات الكمال الانسانى والانسان الكامل ، فهو انسان فى نفسه ، وانسان فى اسرته ، وانسـان فى قبيلته ، وانسان فى امته ، وانسان فى المجتمع البشرى وقد وصفه الله بقوله سبحانه : « وانك لعلى خلق عظيم » وقوله : « ولو كنت فظـا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

خلد القرآن خلق الرسول الكريم ليكون خلقا انسانيا عاما ، ووضع الاسلام حدود هذا الخلق وصوره فى الآية الكريمة : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعـداء فالف بين قلوبكم ، فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شـفا حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم »

وما من شك أن أساس هذه الازمات ومصدرها هو النفس التى صورها الله فى قوله : « وما ابرىء نفسى إن النفس لامارة بالسوء » . تلك النفس التى دبرت كل هذه الازمات ، وهى التى اوجدتها فى حياة الانسان فهى نفس خالقة المشاكل ، نابعة من الفساد الداخلى فى ذات الانسان .

لهذا اهتم الله بالنفس ومايؤثر فيها فقال سبحانه : « واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى » . وقال : « ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها »

ويقول الله فى النفس المطمئنة التى خرجت عن السوء ودخلت فى حوزة الايمان الخالص : « يايتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى »

اذن : الانسان فى حياته يعيش فى جهاد نفسانى عميق وهو الجهاد الاكبر كما قال رسول الله لقومه العائدين من الجهاد : « قدمتم خير مقدم ، وقدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر . فقالوا وما الجهاد الاكبر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مجاهدة العبد هواه » .

وهذا الجهاد النفسى العنيف هو الذى يعودنا الاسلام عليه فى العبادات ، فالصلاة جهاد نفسى للبعد عن الفحشاء والمنكر ، والصيام جهاد شهوانى عن كل ما تشتهيه النفس . والزكاة جهاد نفسى عن الشح والبخل والحج جهاد نفسى فى مقاومة النفس عن الشح وتعويدها على الهجرة فى سبيل الله .

عندما يجاهد الانسان نفسه انما يجاهد عدوا لدودا فى صميم جسمه وفى داخل روحه ، وذلك الجهاد هو امر من امور الدين الاسلامى ينبىء عن تطهير النفس والروح والعقل والاعمال حتى يصبح الانسان انسانا اسلاميا . ذلك الانسان الذى يقول الرسول عنه : « افضل المؤمنين اسلاما من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وافضل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا ، وافضل المهاجرين من هجر مانهى الله عنه ، وافضل الجهاد من جاهد نفسه فى الله عز وجل » .

فالمسلم لايحدث ازمه كما يبعد الازمة عن نفسه . والازمات تحدث اما عن فعل اللسان او اليد ، وكلاهما عمل ناتج عن النفس التى تدفع الانسان الى الشر والى اشعال نار الفتن والبغضاء .

ولهذا حفظ الاسلام المسلم عن هوى نفسه فقال سبحانه : « ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » . وقال كذلك : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعلمون خبيرا » . وقال : وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى » . وقال : « أرأيت من اتخذ الهه هواه ، افانت تكون عليه وكيلا » وقال : « افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » .

وهناك آيات وآيات تشعرنا بمدى اضرار الهوى للنفس وكيف تتأثر النفس الانسانية بالهوى الذى يرديها الى الهلاك والفناء الابدى فالهوى النفسى يخرج الانسان عن طاعة الله ، وعن اتخاذ السبيل القويم فى حياته الشخصية والعائلية والاجتماعية ، وينشر هذا الوباء فى المجتمع الانسانى .

فلابد للانسان من اتخاذ الوسائل الناجعة لعلاج نفسه ولاصلاحها وترقيتها الى درجة الشعور الحساس ، والى الاحساس الدينى الرقيق ، والى النبل الاسلامى السامى الذى يحفظ الكيان الانسانى فى شخصية المرء وفى عائلته وفى مجتمعه وفى حكومته وفى دولته حتى يكيف الحياة بهذا النظام الدقيق المنبىء عن حسن العقل والتفكير ، وعن سلامة الضمير ، وعن الادراك الكامل لكنه الوجود ، وللهدف العنيوى وعن المعرفة للدنيا الفانية وللانسان الحائر فى خضم الحياة وفى بيداء الوجود .

ومن هنا نشعر بالوضع الاسلامى واهميته فى معالجة هذه الازمات على اختلاف انواعها ليعيش الانسان فى طمانينة نفسية ، وفى شعور قلبى بانه تحت ظل النور الالهى الذى يشع من السماء فى دستور قرآنى .

إلى وفد الله فى مؤتمر الحج

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

فى الأشهر الحرم المباركة يلبى المسلمون دعوة الله الى حج بيته الحرام ، ويسافر المصطفون من عباده الى مواطن الرحمة وساحات الأنعام ، ويستولى على وفد الله شعور غامر وشوق زائد الى اللحظات السعيدة التى يتشرفون فيها برؤية الكعبة المعظمة ، التى جذبت قلوب المسلمين اليها ، وحولت وجوههم فى الصلاة نحوها ، والتف الطائفون من حولها فى مجال روحى جذاب ، ومنظر ساحر خلاب ، وشهدوا المواطن الشريفة التى نشأ فيها النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وانطلقت منها أول صيحة للحق تنير الطريق للسالكين ، وتهدى الحائرين فى ظلمات الشك ، وتأخذ بيد المتعثرين الى حيث تكون القوة والعزة والكرامة والمجد فى آخر فترة من فترات الرقى البشرى فى عقله وفكره وادراكه لقيمة الحياة .

الى وفد الله فى بيته الآمن أتوجه بالتهنئة الخالصة ، لتوفيق الله لهم بالاستجابة لدعوته ، وقبولهم فى الترشيح لنيل جوائز التقدير وأوسمة التكريم ، وابشرهم بأنهم فى حماية الله ورعايته من وقت خروجهم حتى يعودوا الى أوطانهم . وانهم فى فيض من رحماته وانعاماته فى حلهم وترحالهم . يقول النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن جريج عن جابر باسناد حسن « **هذا البيت دعامة الاسلام . فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله أن قبضه أن يدخله الجنة ، وان رده الى أهله رده بأجر وغنيمة** » . ويقول ايضا فيما يرويه النسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان عن أبى هريرة « **الحجاج والعمار وفد الله ، ان دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم** » . كما يقول فى حديث متفق عليه بين البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه « **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » . وقد اخرج احمد والطبرانى والبيهقى باسناد حسن عن بريدة أن النبى

صلى الله عليه وسلم قال **« والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة »** .

أهنئكم يا وفد الله باللحظات السعيده التى يذيع فيها رب العزة سبحانه فى الملأ الأعلى من ملائكته الأبرار نبأ جدارتكم بالتشريف والتكريم ، وذلك حين يباهى بكم فى يوم عرفة فيقول **« أنظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق ، اشهدكم انى قد غفرت لهم »** رواه البيهقى وابن خزيمة فى صحيحه عن جابر .

يا وفد الله فى حرم الله ، أنتم النائبون عنا فى شهود هذا المؤتمر الاسلامى الجامع ، وأنتم المثلون لملايين المسلمين فى شهود هذه الجلسات الكريمة . ومن حقنا أن نوجه اليكم النصح ونزودكم بالتوجيه لتفيدوا ويفيد العالم الاسلامى من هذه الفرصة الثمينة .

ان الحج الى جانبه الروحى الخلقى له جانب اجتماعى وسياسى فى غاية الخطورة ، ذلك أنه مؤتمر المسلمين الذين دعاهم الله الى عقده فى دورات سنوية منتظمة ، ووضع له من الترتيبات والنظم ما يكفل له نجاحه ويساعده على اداء مهمته على الوجه المطلوب منه . وكلنا يعلم اهمية المؤتمرات فى توجيه الحياة العامة ، والدور الخطير الذى تقوم به فى المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها من المجالات . والاسلام فى دعوته جاء بأحكم الأصول وادق التشريعات واكمل النظم فى جميع النواحى التى يسعد بها البشر فى دنياه ويطمئن بها الى اخراه .

عندما بوأ الله لابراهيم مكان البيت امره بتطهيره واعداده لاستقبال الوافدين اليه ، وبتوجيه الدعوة العامة للناس ليأتوه رجالا وعلى كل ضامر من كل فج عميق ، قال تعالى **« واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام »**. وجاء الاسلام فجعل حضور هذا المؤتمر فرضا محتوما على الناس اجمعين يقوم بادائه منهم من توفرت عنده الامكانيات التى تختلف فى بعض مظاهرها باختلاف الأزمنة والظروف فقال سبحانه **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »** وحذر أشد التحذير من التخلف عن الحضور فقال **« ومن كفر فان الله غنى عن العالمين »** . وحدد الله ميقاته فى أشهر معلومات . واختار مكانه اول بيت وضع للناس فى مكة البلد الأمين ، لأنه مبارك وهدى للعالمين . وفيه آيات بينات . ووضع له آدابا وارشادات تحفظ نظامه وتكفل له نجاحه **«فلا رفث ولا فسوق ولاجدال فى الحج»** وجعل لهذا المؤتمر شعارا فى القول والعمل هو التوحيد الخالص والوحدة الكاملة ، فالتلبية الجماعية بكلماتها القوية النفاذة ، والتكبيرات المتتابعة فى المشاعر المتعددة ، ما هى الا نشيد اسلامى هادف ، وهتاف صادر من الأعماق ترده الالسنة فترددها معها الأجواء . وترن بها الاصداء وتنطلق بها الحناجر فتهتف لها ملائكة السماء . انه شعار يشهد العالم اجمع أن المسلمين لا يخشون الا الله الأكبر ولا يذلون الا لسلطانه الأعظم ، فهو وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الأحزاب وحده .

ووقوف المسلمين بالمشاعر متجردين من كل مظاهر السلطان طارحين وراءهم الأحساب والأنساب والالقاب، وفوارق الاجناس والالوان واللغات ، محرمين جميعا فى زى واحد ، ضارعين الى رب واحد ، متجهين الى بيت واحد ، ساعين لهدف واحد ، كل أولئك تصوير قوى لمعنى الوحدة الاسلامية ، وتطبيق عملى لمبادىء الحرية والاخاء والمساواة ، التى حمل لواءها الاسلام قبل ان ينادى بها المحدثون بمئات السنين .

لقد بين الله الغرض من عقد هذا المؤتمر ، واوجزه فى هذه الكلمة العامة الجامعة « ليشهدوا منافع لهم » وهى منافع لا تقف عند حد ، ولا تقتصر على أى لون ، هى منافع فردية وجماعية ، مادية وادبية ، دينية ودنيوية ، روحية وخلقية ، فكرية وسياسية ، اقتصادية واجتماعية .

ومن أقوى الوسائل للحصول على هذه المنافع هو التعاون والتضامن الذى يسوده الاخلاص والانسجام ، وتحمى فيه عوامل الفرقة ونوازع الشر ، وذلك هو ما يكون فى الحج على الوجه الذى شرعه الاسلام .

ان الاسلام فى فجر نهضته لم يخضع للكتلة الشرقية التى كانت تتزعمها الفرس ، ولا للكتلة الغربية التى كانت تقودها الرومان ، بل اثبت وجوده المستقل الكامل ، وشق طريقه السوى على هدى من الله وبصيرة ، وأرغم هذه الكتل التى كانت تتنازع سيادة العالم قبل اشراق نوره على الوجود ، على الاعتراف بهذه القوة الجديدة المستقلة ، بل انهارت تلك القوى أخيرا ، وذابت كتلها امام الشعاع القوى الجبار ، الذى سلطته عليها شمس الاسلام .

ونحن الآن احوج ما نكون الى التعاون والتلاقى والتفاهم ، لتوحيد الكلمة وجمع الصفوف ، حتى نواجه هذه التيارات الصاخبة ، التى تتصارع فيها قوى الشر والطغيان ، ويتنافس فيها الأقوياء للقضاء على الضعفاء ، وتتوالى نذر الحرب بشبحها المرعب المخيف .

فلينتهز وفد الله فى حرمه الآمن فرصة اجتماعهم فى الاماكن المقدسة التى اشرقت منها شمس الهداية ، ووضع نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام منهج الحياة السعيدة الكريمة ، ورسم بخطوط عريضة سياسة رشيدة ، فيها كل عوامل القوة ومقومات الاستقلال .

انا لمنتظرون من الحجاج أن يعودوا من رحلتهم المباركة وهم أقوى ايمانا بحقهم واشد ثباتا على مبدئهم ، واسرع استجابة الى الخير وبعدا عن الشر ، واكثر تفانيا فى خدمة الوطن والاسلام .

وفقنا الله واياهم الى ما فيه خير الانسانية جمعاء ، انه سميع مجيب .

العيد الأكبر والحج

الأستاذ ابو الوفا المراغى

الحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام فيما جاء فى صحاح الاحاديث فقد جاء فى الصحيح :

بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وأقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا »

وهذا الركن أو هذه العبادة من العبادات التى يسهم فيها الجسم والمال ويكون لكل منهما حظه فيه .

وفى هذا يقول الله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من أستطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

وهذه الآية من معجز الايجاز ، فاستطاعة السبيل أى القدرة على أداء هذه العبادة دون معوقات عامة شاملة يندرج تحتها أنواع القدرات باختلاف الاشخاص .. فالقادر على ادائها ماشيا ومعه مئونته ونفقته قادر .. والقادر على ادائها راكبا الجمل أو القطار أو الطائرة مع ما يستلزم ذلك من نفقات قادر .. والقادر بصحته على تحمل المشاق وأداء الشعائر من طواف ووقوف وسعى قادر .. وفى جميع هذه الحالات لا بد من أمن الطريق وسلامته من المخاطر كما لابد لمن يعتزم الحج من أن يكفل نفقة من تلزمه نفقتهم أثناء رحلة الحج من حين الخروج الى حين العودة حتى لا يتركهم عالة على المجتمع . وهذا هو اليسر الذى شرعه الله فى هذه العبادة . والحق أن فى هذه الآية ايجازا يجعل فى تفسيرها مجالا للاراء والمذاهب فالكسول المترف يفسر الاستطاعة بما يوحيه اليه كسله وترفه ، فقد يدخل فى تفسير استطاعة ركوب القاطرة أو الطائرة أن تكون مزودة بوسائل تكييف الهواء ووسائل الاتصالات وبأسرة النوم وبأنواع الاطعمة التى تلائم معدته ومزاجه .

والمخلص فى ايمانه الحريص على نسكه يكفيه فى تفسير الاستطاعة أنها لقمة العيش وشربة الماء يبلغ بهما قصده ويؤدى فرضه .

وبين هذين التفسيرين آراء وآراء .. فى الحج تخل عن متاع الدنيا ولذاتها ، وجهاد للنفس ، وتجرد عن الحول والقوة ، وهروب من الذنوب ، والتجاء الى الله ، وطمع فى رحمته . فينبغى على الحاج حين يعتزم الحج أن يخلى قلبه من شواغل الدنيا ويصفى حسابه مع الخلق ليتفرغ لمناجاة الخالق والتعلق بأسباب الرضا والغفران ، وهو بهذا المعنى عبادة روحية ولكنه الى جانب ذلك عبادة اجتماعية يعود أثرها على جماعة المسلمين ويفيدون منها فيما يهمهم من شئون دينهم ودنياهم .

ففى لقاء المسلمين من سائر الاقطار احتكاك فى الافكار وتبادل فى الثقافات ، وتعاون فى المشكلات ، ومواساة فى الحاجات ، وفيه مجال للتقليد والاقتباس ، ثم هو لبعض الناس فرص سانحة وسوق رابحة ، وقد أجمل القرآن الكريم ذلك كله فى قوله تعالى : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام »

ولما كان فى الحج تضحية بالجهد والمال ، وفراق للاهل والبلد ، وانقطاع عن المال والولد ، وتجرد خالص لله ، جعل الله ثوابه جزيلا وجزاءه وفيرا ، وجعل كفارته أنه يغسل به الذنوب حتى يعود الحاج من حجه كيوم ولدته أمه .

فقد جاء فى الحديث : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »

وجاء فيه أيضا : « حجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة » .

ولهذا المعنى اشتد حرص المسلمين عليه واصبح أداؤه امنية كل مسلم تداعب خياله وتطوف به يقظة ومناما ويود كثير منهم أن يكون نصيبه من دنياه حجة يطوف بها البيت ويقبل الحجر ويقف على عرفات ويسعى بين الصفا والمروة ويرمى بمنى الجمرات ، ثم يختم ذلك بزيارة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ويقبل فى الروضة الطاهرة العتبات . وحسبه بذلك أن يكمل اسلامه ويتأكد ايمانه ويرضى ربه ويرضى ضميره ويكون ممن شملتهم دعوة الخليل اذ يقول : « واجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وليس الحج وهو القصد الى مكان مقدس وبقعة مباركة عبادة اسلامية غريبة أو شاذة فللامم جميعها حجها الى أمكنة مقدسة توافيها وتحتشد فيها ، وتتفرغ للتضرع والمناجاة وتلتجىء الى معبود تستعينه ليكشف عنها الضر ويرفع عنها الخطايا والوزر ، فلليونان حجها الى هياكلها الكثيرة فى أثينا وغيرها كهيكل ديانا ومينرفة والزهرة ، وللهنود حجهم وللصينيين حجهم الذى لا يعرف لمبدئه تاريخ . ولقدماء المصريين معابد شتى لكل معبد اله يحجون اليه ويحتشدون له ويقدمون اليه الهدايا والقرابين ، وكان العرب يحجون الى الكعبة منذ بناها ابراهيم ، ولهم فى ذلك تقاليد دعاها التاريخ .

وقد جاء فى دائرة المعارف الاسلامية : « ولم يك هذا الحج الى عرفات امرا اختص به العرب ، فالحج الى معبد من المعابد عادة سامية قديمة جعلت فى الاجزاء القديمة من أسفار موسى الخمسة فرضا يجب أداؤه . فقد ورد فى سفر الخروج : ثلاث مرات يعيد لى فى السنة وجاء فيه : ثلاث مرات فى السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب اله اسرائيل »

وفى ذلك يقول الله تعالى : « ولكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه » .

وان يكن فى الحج الاسلامى غرابة فغرابته انه بنى على أساس صحيح من أوامر الله وبيان رسوله وليست شعائره من اختراع العلماء وابتداع المخرفين والدجاجلة

وليست فكرة الحج فكرة وثنية أو اقرارا لوثنية العرب كما يزعم بعض المنحرفين من المستشرقين بل انه على العكس التام من ذلك تصحيح لعقيدة التوحيد والتنزيه الخالص لله التى حرفها العرب عما جاءت على لسان ابراهيم عليه السلام ، فقد حول العرب دعوة التوحيد الى اشراك بالاوثان والاصنام فجاء الاسلام بفكرة الحج أو عبادة الحج ليصحح عقيدة التوحيد ويردها خالصة نقية كما كانت ، ولهذا طولب الحجيج بالاكثار من ذكر الله وجعل شعار الحج فى كل منزل وموقف وفى كل وقت « لبيك اللهم لبيك . لبيك لاشريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة والملك لك لاشريك لك » ليكون ذلك توكيدا للتوحيد وتذكيرا بعقيدة ابراهيم التى انحرف العرب بها عن وضعها وشوهوا جمالها .

والحج ـ كما أسلفنا ـ ركن فى بناء الاسلام وفريضة على القادر من المسلمين لا يتم ايمانه الا به ولا رخصة فيه الا بالعجز عنه فمن تركه وهو قادر عليه فقد حاد عن طريق الاسلام .

فقد ورد فى الحديث : « من ملك زادا أو راحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت ان شاء يهوديا ، وان شاء نصرانيا وذلك أن الله تعالى يقول : ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

ولما كان الحج ركنا من أركان الاسلام ومن شعائره نحر الهدايا وذبح الاضاحى تذكيرا بنعمة الفداء التى انعم الله بها على ابراهيم ففدى ابنه اسماعيل بذبح عظيم جعل التوفيق فى ادائه عيدا للمسلمين شكرا لله على هذه النعمة وتجديدا لذكرى نعمة الفداء وسن للمسلمين عامة أن يشاركوا فى العيد بالاضاحى والصلوات والتهليل والتكبير ، ومظاهر السرور لتكون فرحة المسلمين عامة وعيدهم شاملا ويكونوا على الدوام على ذكر من شعيرة الحج وذكرى الفداء وليكون لهم بهذه الذكرى قدوة فى تحمل المصاعب والاستعداد للتضحية فى طاعة الله كما فعل جدهم ابراهيم صلوات الله عليه .

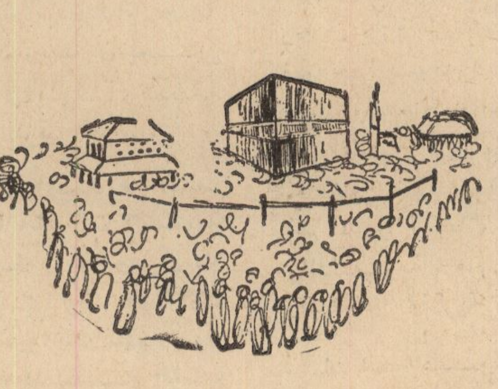

مع الذكريات في موسم الحج

فضيلة الشيخ عطية صقر

في حديث رواه البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن الله ـ سبحانه ـ أمر ابراهيم ـ عليه السلام ـ أن يضع زوجه هاجر وولده اسماعيل فى المكان الذى توجد فيه مكة الآن ، عند مرتفع من الأرض كانت تأتيه السيول لتأخذ عن يمينه وعن شماله • ولما تركهما ابراهيم وحيدين فى هذا المنقطع ووصل الى مكان صعب المرتقى حيث لا يراه احد استقبل بوجهه مكان البيت وقال « رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك الحرام ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » •

وفى بعض زيارات ابراهيم لولده بعد أن كبرت سنه وتزوج أخبره أن الله أمره ببناء بيت على هذه الأكمة ، فتعاون معه اسماعيل ـ عليه السلام ـ فى تنفيذ أمر الله ورفعا قواعد البيت وهما يدعوان ربهما أن يجعل عملهما خالصا لوجهه وأن يبارك فى هذا المكان وأهله ، كما يقول القرآن الكريم :

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم • ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم» •

وكان ذلك أول بيت وضع للناس جعله مباركا وهدى للعالمين • وقد أمر الله ابراهيم باعداد البيت لاستقبال الزائرين وأن يدعو الناس اليه لا يمنعهم عنه مانع فهو لهم أمن ومثابة ومنسك ومتعبد وبين سبحانه حكمة الدعوة لزيارة هذا البيت فى جملة مختصرة جامعة شاملة ، يتبين ذلك كله من قوله ـ سبحانه ـ :

« واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود • وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق • ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » •

والمنافع رزق طيب يتلاقى مع دعاء ابراهيم ربه أن يرزق أهله ومن يعمر معهم الوادى ، فهو خير يسوقه الله الى أهل مكة خاصة • ورخاء واسع يفيد العرب عامة فى تلك الفترة التى يأمنون فيها على قوافلهم وتجارتهم ويشغلون فيها عن الحروب والغارات وفائدة أعم للناس جميعا ، فى كل المجالات الدينية والدنيوية ، من سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية وغيرها •

ان الحج دعوة ابراهيم ، وهى دعوة لا تستهدف الا المصلحة العامة وخير

الانسانية جمعاء ، دعوة أساسها التوحيد المجرد والعبادة الخالصة ، وركائزها المبادىء الفكرية والمثل العليا ، دعوة ليس فيها تحيز لعنصر أو تعصب لطائفة ، دعوة عالمية خالصة للحق وحده :

« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » ..

وقد أمر الله نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - باتباع هذه الدعوة العامة بمقوماتها الخالصة النقية :

« قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم. دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » .

أحب ممن اصابته دعوة ابراهيم فلبى النداء أن يسبح بفكره عبر القرون الخوالي ويستعيد الذكريات البعيدة المدى ليملأ نفسه روعة وايمانا ويتزود بزاد قوى يمنحه طاقات جبارة يستطيع بها أن يحقق العزة والرخاء لنفسه ومجتمعه وأمته .

اذكر أيها الحاج أن البقعة التي تؤدى فيها المناسك ما كان لها هذا التكريم الخالد الى يوم القيامة الا بالمثل الأعلى الذى ضربته السيدة هاجر فى ثقتها التامة بالله وحده ورضائها بأمر الله مهما كان فيه من الشدة . لقد طابت نفس الأم المسكينة أن تظل مع رضيعها وحيدة فى هذا المنقطع ليس معهما ما يكفى للمقام من زاد أو ماء . ولما هم ابراهيم بتركها قالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . فقالت : اذن لا يضيعنا الله . وكان جزاء هذا الايمان بيتا معمورا فى المكان القفر المهجور ، تحج اليه الملايين الى يوم الدين ، ورسالة أشرقت من هذا المكان حملها الى البشر محمد خاتم المرسلين وسليل اسماعيل وابراهيم .

تذكر وأنت تسعى كيف كان حال الأم المسكينة وهى تتردد علها تشرف على ماء أو ترى انسانا يغيثها فلا تقطع الأمل وقد طال بها الجهد ، ولما استحكمت حلقات الشدة جاء الفرج سريعا فنبعت عين زمزم وكان فيها الغياث الالهى لمن رضيت بقضائه ، وصبرت على بلائه .

تذكر وأنت تطوف بالبيت العتيق قوة الجاذبية التى شدت اليه ملايين المسلمين وغير المسلمين فى الجاهلية ، كيف أن الجماد الصامت مهما كان من الأبهة والعظمة والجمال لا يستطيع وهو الأجوف الخالى من القوة الروحية والأدبية ، أن يفوز بعشر معشار تلك القداسة التى ملأت قلوب الملايين نحو هذا الرمز الالهى الخالد . لتعلم تماما ان المعانى الروحية والكمالات النفسية التى تفيض من نبع الايمان هى القوة السحرية التى لا تعدلها قوة من الأرض من صنع البشر ، وأن الله وحده بسلطانه القاهر ورسالاته الانسانية الرحيمة هو الذى يسخر القوى ويجمع القلوب ويهب السعادة لمن آوى اليه وانس به ، وارتضاه الها للعالمين أجمعين .

تذكر أيها الحاج تلك البطحاء التى شهدت غدو الرسول ورواحه وهو مايزال غلاما يسعى ليقوت نفسه ، فيرعى الغنم لأهل مكة على قراريط يقنع بها ليعيش عفيفا كريما عزيزا عالى النفس عصاميا ، غير كل ولا مستسلم للفقر واليتم . تذكر هذه البطحاء التى شهدت تعذيب بلال ليرجع عن عقيدته . ونفثات صدره التى خلدها التاريخ رمزا للثبات على المبدأ والتضحية فى سبيل الحق : أحد .. أحد .. فرد صمد .

تذكر الشعب الذى حوصر فيه النبى وصحبه ، فصبروا وصابروا فى أمل لا يأس معه ، وايمان لا ريب فيه ، واستمروا على ذلك سنين عددا لم تلن لهم قناة ولم تحدثهم أنفسهم بالرجوع عن الحق حتى أذن مؤذن النصر بانتهاء الحصار واندحار كيد المبطلين .

تذكر وقفة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو يودع مكة مهاجرا الى المدينة وهو يقول فى أسى عميق : والله انك لأحب أرض الله الى الله وانك أحب أرض الله الى ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت .. ثم تذكره وهو عائد يوم الفتح الأعظم بعد ثمانى سنوات من وقفة الوداع ، فاتحا منصورا ،

لخضعت له رقاب الجبابرة وذلت له الصناديد العتاة ، ونادى منادى الاسلام من فوق ظهر الكعبة وتردد فى جنبات المسجد هتاف النصر: **« جاء الحق وزهق الباطل ان البـاطل كان زهوقا » .**

أيها الحجاج .. اذكروا وأنتـم فى منى وعرفات وقفة النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو يعلن خلاصة مبادىء الاسلام فى تقرير العدل والمساواة والأخوة العالمية والتعـايش السلمى ، لتزيدوا ايمانا بدينكم وثقة بجدارته أن يعيش كما كان بالأمس قويا يسيطر على جميع مرافق الحياة .

تذكروا وأنتم تستلمون الحجر الأسـود وتودعون البيت بطواف الوداع للعـودة الى وطنكم أنكم تعاهدون الله وتبايعونه عـلى التزام الجادة والتمسك بالشريعة والتعاون على البر والتقوى وعلى الجهاد والتضحية لرفع راية الاسلام وتخليص المظلومين من اسـار الذل والاستعمار .

يأيهـا الوافدون الى ساحة الرحمـن ، المندوبون لحضور هذا المؤتمر العام ، الناطقون باسم ملايين المسلمين ، تذكروا دائمـا أن الصهيونية العالمية لم تغير أسلوبها التقليدى الذى أملاه عليهم افتراؤهم أنهم شعب الله المختار ، وأن غيرهم من الشعوب أميـون لا يعترف لهم بحق « **ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل** » .

لقد استباحوا فى سبيل اقامة دولة لهـم فى قلب العروبة طرد الأهلين وتشريد الملايين، ليتخذوا من فلسطين العـزيزة وكرا يضربون منه الدين والعروبة فى كل اتجاه . ونحن الملايين العديدة تجرى فى عروقنا دماء العروبة الحارة بما فيها من نخوة وعزة واباء وشمم ويقود زمامنا دين يقرر أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ويدعونا الى تحقيق هـذه العزة بالتسلح والاستعداد بكل عوامل القوة المادية والمعنوية لنرهب عدو الله وعدو الانسانية ، ونخلص وطننا العـزيز من رجس الأجنبى الدخيل .

انكم أيها الحجاج على قلب رجل واحـد تتضرعون الى رب واحد ، وتتجهون الى بيت واحد ، فلتعودوا وأنتم قلب واحد وأمل واحد وعزم أكيد على عمل ايجابى تعتز به الجماعة الاسلامية ، والله يؤيد بنصره عباده المخلصين انه قوى عزيز .

ما كنت يهوديا أرى فى المسيح ما يراه اليهــود حين جردوه من كل شيء ولا نصرانيا يرى فيه مايراه المسيحيون فى الحكم عليه حتى قدسوا منه كل شيء ولكننى أرى فى المسيح ما يراه الاسلام من حيث ولادته أو نهايته انسانا بشرا مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون ، ونبيا مرسلا مقربا فحماه من كيد الكائدين وأنقذه من بطش بنى اسرائيل الذين عرفوا دائما بقتلهم الأنبياء بغير حق .

ولكن المنى أن يكون للصهيونية العالمية مثل هذا التأثير على العقيدة الدينية التى يدين بها جماعة المسيحيين وبخاصة الكاثوليك منهــم وهم الذين عرفوا بالتزمت والحفاظ الشديد على ما يتصل بعقيدتهم . لقد عرفنــا للصهيونية أثرها القوى من الناحية السياسيةوالاقتصادية وغيرهما حتى أنها أصبحت تحرك خيوط السياسة العالمية من وراء ستار ، وعرفنا كذلك أنها منظمة لها أساليبها فى تحقيق أهدافها ولو أدى ذلك الى ان يقع العالم فى حرب تلو أخرى ولكن كان غريبا أن يصل نفوذها الى المجامع الدينيــة وبيــن قوم عرفوا بالتعصب العميق لكــل ما يتصل بدينهم ، فالصهيونية هى الجماعة التى تدين بفلسفة كانت عاملا أساسيا فى قيام اسرائيل على أكتاف أهل البلاد ومواطنيها ولكى تكتسب الصهيونية تأييــد العالم المسيحى فى اتجاهاتها نحو أرض فلسطين ـ فوق ما تجد من تأييد ـ كان لابد لها أن تضرب على الناحية الدينية . ذلك أن الكتاب المقدس كما يقولون فى العهــد القديم وعدهم بأرض الميعاد ولـكن الكتاب المقدس فى العهد الجديد يلعنهم ويحملهم ويحمل أبناءهم مأساة المسيح . والمسيحيون بين العهد القديم والعهد الجــديد يعطفون أحيانا ويتبرمون بهم أحيانا وهم على ثقة أن المسيحيين يسلمون بما جاء فى العهد القديم ولكنهم يسخطون عليهم لما جاء فى العهد الجديد وهنا تبدو محاولة الصــهيونية واضحة فى تبرئة اليهود من صلب المسيح وبذلك ينالون عطف العالم الذى يملك اليوم قدرة علىالتوجيه فى سياسة العالم كله .

والمحاولة هنا وان تزعمها جماعة من كبارالآباء الروحيين فى الكنيسة الكاثوليكية الا أنها مكشوفة لا يســهل على الغالبية من المسيحيين الاقتنـــاع بها ذلك أن الكتاب المقدس الذى يؤمنـــون به هم ويدينون بما فيه يؤكد مسئولية اليهود فى هذه الناحيــة ، وفى كثير من آياته ما يشير الى أن اليهود هم الذين ائتمروا به وهم الذين طلبوا صلبه بل ان المسيح نفسه أشار الى أنه سيسلم الى رؤساء الكهنة من اليهود وهم الذين سيحكمون عليه بالموت ففى الاصحاح العشرين من انجيل متى من الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ « وفيما كان يسوع صاعدا الى أورشليم أخذ الاثنى عشر تلميذا على انفراد فى الطريق وقال لهــم ها نحن صاعدون الى أورشليم وابن الانسان يسلم الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه الى الأمم لكى يهزءوا به ويجلدوه ويصلبوه وفى اليوم الثالث يقوم :

وفى الاصحاح الثالث والعشرين الآيات من ٢٩ الى ٣١ « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تبنون قبور الانبياء وتزينون مدافن الصـديقين وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء فانتم تشـهدون على أنفسكم أنكم قتلة الأنبياء » وفى الاصحاح الســادس والعشرين من الانجيل نفسه الآية ٤٧ « وفيما هو يتكلم اذا يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب » ، وفى الآية ٥١ من الاصحاح المذكور « واذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه » وفى الآية ٥٧ من الاصحاح نفسه « والذين أمسكوا به مضوا به الى قيافة رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ » وفى الآية ٥٩ من الاصحاح المذكـور

« وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكى يقتلوه »

وفى الاصحاح السابع والعشرين الآيتان ١ ، ٢ » ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى قتلوه فأوثقوه ومضوا به ودفعوا به الى بيلاطس النبطى الوالى » وفى الآية عشرين من هذا الاصحاح أيضا « ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع »

وفى الآية ٢٢ » قال له بلاتس فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح قال له الجميع : ليصلب » وفى الآيات ٢٣ الى ٢٦ « فقال الوالى وأى شر عمل فكانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب . فلما رأى بيلاتس أنه لا ينفع « شيئا » بل بالحرى يحدث شغبا أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا : انى برىء من دم هذا البار . أبصروا أنتم فاجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق لهم باراباس أما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب » .

من هذه النصوص الصريحة يتبين أن اليهود طبقا للعقيدة المسيحية هم أصحاب الدور الأول والمسئولون عن اهدار دم المسيح وأنهم هم وحدهم وأبناءهم من بعدهم يتحملون تبعة هذا الاثم فالذين تآمروا ضد المسيح ليسلمه يهوذا اليهم والذين ذهبوا اليه للقبض عليه والذين سخروا منه حين سيق الى المحاكمة أو الصلب والذين حاكموه وحكموا عليه هم اليهود . ففى الاصحاح الثامن عشر من انجيل يوحنا الآيتان ١٣ ، ١٤ « ومضوا به الى حنان أولا لأنه حمل قيافا الذى كان رئيسا للكهنة وكان قيافا هو الذى أشار على اليهود أنه خير أن يموت انسان واحد عن الشعب » وفى الآية ٢٤ من الاصحاح نفسه « وكان حنان قد أرسله موثقا الى قيافا رئيس الكهنة » وفى الآية ٣١ من الاصحاح نفسه من انجيل يوحنا « فقال لهم بيلاتس خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم » وفى الاصحاح التاسع عشر الآية ٦ فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين اصلبه اصلبه قال لهم بيلاتس خذوه أنتم واصلبوه لانى لست أجد فيه علة »

هذه أيضا آيات صريحة قاطعة من انجيل يوحنا تؤكد مسئولية اليهود ولا أريد أن أزيد القارىء نصوصا من أناجيل أخرى فجميعها تؤكد هذه المسئولية .

ولكن على أى شىء استند اليهود فى تبرئة أنفسهم أمام العالم المسيحى من دم المسيح

لقد استندوا فيما استندوا اليه على أنه اذا كان آباؤهم قد اشتركوا فى المؤامرة فلماذا يتحمل الابناء اليوم جريمة الآباء بالامس وقد سبق أن رد المسيح نفسه على هذا حين قال فى الاصحاح الثالث والعشرين انجيل متى الآيات من ٢٩ الى ٣١ « وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الانبياء فانتم تشهدون على أنفسكم أنكم قتلة الانبياء » ورد آباؤهم من قبل على هذا أيضا كما جاء فى الاصحاح السابع والعشرين من انجيل متى الآية ٢٥ « فاجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا » .

واحتجوا كذلك أيضا بكلمة الكتبة التى جاءت فى بعض الاناجيل حين ذهاب الجمع اليه ليقبض عليهم وقالوا ان الكتبة كانت للحاكم الرومانى ومعنى هذا أن اليهود لم يشتركوا فى القبض عليه والآيات التى سبق ذكرها تشير الى أن جمعا كثيرا من رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب قد ذهبوا اليه ففى الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى الآية ٤٧ « وفيما هو يتكلم اذا يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة شيوخ الشعب » وكما جاء على لسان بيلاتس نفسه من أنه لا يرى عليه علة من أنه برىء من دمه .

والواقع أن اليهود فى محاولتهم هذه وفى اصطناعهم أبواقا من رجال المسيحية المتصدرين فيها انما تريد أن تحقق أهدافا سياسية لتكتسب رأيا عالميا يؤزرها فى مشكلتها الكبرى مشكلة اسرائيل تلك التى لابد حتما أن يأتى اليوم الذى يصفى العرب حسابهم معها باذن الله انهم حقيقة لا يبرئون أنفسهم لأنهم برءاء ولا لانهم حقيقة لم يأتمروا بالمسيح ودعوته ولكن لانهم فى حاجة الى العطف المسيحى بالنسبة لقضيتهم الكبرى .

ويمكن أن نسأل سؤالا للمتصدرين فى المسيحية من الكاثوليك والذين يريدون ابراء اليهود من دم المسيح . اذا كان اليهود حقا برءاء فهل معنى هذا أنهم يسلمون بأن هذا هو المسيح الحق الذى كانوا ينتظرونه ..؟ واذا كان كذلك فلماذا لم يعلنوا اليوم ايمانهم به ؟؟ ان معنى طلبهم البراءة والدفاع عنها أن المسيح هو المسيح الحق..؟ فلماذا لم يعلنوا مع طلب البراءة ايمانهم بالمسيح ودعوته ؟ فهل يا ترى تريدون منحهم البراءة التى من دم المسيح فى حين أنهم لا يزالون على رأيهم فيه ؟

ان الصهيونية فى محاولتها هذه انما تحاول أن تضع ستارا يحجب الحقيقة ووقائع التاريخ ورب سائل يسأل أليست دعوى اليهود ببراءتهم من صلب المسيح تتمشى مع العقيدة التى تؤمن بها والمبدأ الذى تدين به وهو « وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم » فلماذا اذن لا تكون منطقيا مع نفسك ومع عقيدتك ؟

والواقع أننى لا أناقش المسالة من وجهة نظر الاسلام ولكننى أناقشها من وجهة نظر الذين بنوا عقيدتهم على أساس من كتبهم المقدسة ويريدون اليوم أن يحرفوا الكلم عن مواضعه فالآيات صريحة وهم بها يؤمنون والتاريخ الذى دونوه وسجلوه واضح من وجهة نظرهم فكيف يجيئون اليوم ويحاولون أن يسيروا مع الفكرة الصهيونية فى ادعاءاتها مع أنها تمس أساسا من أسس العقيدة التى يعيشون فى اطارها ؟ ولو أن الأمر نوقش على أساس وجهة النظر الاسلامية لما كان هناك محل للغرابة فى الأمر . ونحن فى ديننا وان كنا ننفى عملية الصلب لان الله تعالى قد نجاه ولم يشأ أن يتركه لليهود ليفتكوا به كما فتكوا بالانبياء من قبله الا أننا لا ننفى عن اليهود تآمرهم ضده وخبث نيتهم من ناحيته وادعاءاتهم الباطلة بالنسبة له عند ميلاده والخلاف بيننا وبين المسيحية أن المسيحية ترى أن الصلب قد وقع ونحن نرى أن قدرة الله كانت فوق كل تآمر المتآمرين وأما ما قبل عملية الصلب فالاسلام يقر كل تآمر فعله اليهود وكل تصرف أرادوا به الكيد للمسيح وبعد :

فلعل المجمع المسكونى قد عاود النظر فى وثيقته التى كان يزمع عملها لتبرئة اليهود ولعل العالم كله يدرك ما وراء أفكار اليهود من أهداف ترمى الى تحقيق غايات لمصلحتهم الذاتية وان خالفت الواقع والعقيدة . لعل العالم بدأ يدرك ما أرادت الصهيونية وما تريد به ولعله يضع حدا لمفاسدها ومؤامراتها وأساليبها الملتوية وجمعياتها التى تجعل شعارها دائما الغاية تبرر الوسيلة .

نأمل أن يكون العالم قد هيأ الله له من أمره رشدا فبدأ يدرك حقيقة هؤلاء الناس وأطماعهم والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير .

تأملات فى كتاب الله الكريم

التنظيمات الحربية فى الإسلام

الدكتور حسين محمود

وبعد فهذه محاولة لدراسة بعض نواح من التنظيمات الاسلامية كما وردت فى الكتاب الكريم . ولا شك أن التنظيمات الحربية تعتبر من الاهمية بمكان فهى تتحدث عن الجهاد وتشريعه وعن الجيش ونظمه وتقاليده ، وعن اهداف القتال وعمن ينبغى أن يقاتل وعن كيفية التحريض على القتال واثارة الحمية فى النفوس والحض على الاستشهاد وعقاب الناكثين للعهد وعن تحبيذ الجندية وما شرع الله للمسلمين مما يمكن أن نسميه أدب الحرب فى الاسلام .

وسنعتمد فى هذه المحاولة على القرآن أولا واخيرا من طريق ترتيب بعض الآيات ترتيبا موضوعيا مع التعليق المطول أو الموجز فى بعض الاحيان .

ذلك أنه بعد أن وضح عدوان المشركين وبدات الجماعة الاسلامية تشعر بالتهديد ، كان لا بد من الاذن بتكوين الجيش الاسلامى الذى سيضطلع بعبء الجهاد ذبا عن الدعوة وحفاظا عليها .

قال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » . الانفال آية ٦٠

ولم يلجأ المسلمون الى ذلك حبا فى القتال أو رغبة فى سفك الدماء انما دفاعا عن النفوس والحرمات .

قال تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ،وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون » البقرة ٢١٦ .

وقد حدد الكتاب الكريم الهدف الواضح الذى يدفع الجيش المسلم الى امتشاق الحسام دفاعا عن رمق هذا الدين الكريم ودفعا للظلم والعدوان .

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . التوبة ٢٩

« أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير .

الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز » . الحج ٣٩

كما أنهم يقاتلون في سبيل الله وفى سبيل نصرة دينه .

« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » . النساء ٧٦

ودفاعا عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يريدون أن يخرجوا من القرية الظالمة ولكنهم لا يستطيعون .

« وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياواجعل لنا من لدنك نصيرا » . النساء ٧٠

وقد حدد الكتاب الكريم فئات من يجب ان يقاتلوا : يقاتل الذين لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب .

« قاتلوا الذين لا يؤمنـون بالله ولا باليوم الآخـر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . التوبة ٢٩

« يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيـكم غلظة واعلمـوا أن الله مع المتقين » . التوبة ١٢٣ .

وكان لابد من ان يتولى راس الدولة مهمة التحريض على القتال واثارة الحمية فى النفوس وبث الشـجاعة والقضاء على نزعات التخاذل والاستحواذ .

« يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منـكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون » .
الانفال ٦٥

والقضاء على الانهزاميين الذين يرهبون لقـاء العدو ويودون من صميم قلوبهم لو تاخرت هذه الاشتباكات .

« الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيمـوا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فـريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى أجل قريب ، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا » .

النساء ٧٧

وامر الله أن يستجيب المؤمنون لنداء الرسـول وتحريضه .

« يا أيها الذين آمنـوا استجيبوا لله وللرسـول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون » .
الانفال ٢٤

وتعميقا لهذه المفاهيم واذكاء للحمية فى النفـوس حث الكتاب الكريم على الاستشهاد .

« ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ، بل احياء ولكن لاتشعرون »
البقرة ١٥٤

بل حض الكتاب ليس على التضحية بالنفس فى سبيل الدعوة فحسب بل التضحية بالمال أيضا .

« وما لكم الا تنفقـوا فى سـبيل الله ولله ميراث السماوات والارض ، لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملـون خبير » .
الحديد ١٠

بل وضع الكتاب الحكيم للتجنيد القواعد والاصـول فقد فضل المجاهدين على القاعدين المتقاعسين .

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » .
النساء ٩٥

ولم يقصد بالتجنيد التجنيد الشامل للمجتمع كله فقد قضى أن تتفرغ طائفة للقتال وتفرغ اخرى للتفقه فى الدين ونشر الدعوة .

« وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قـومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .
التوبة ١٢٢

بل تضمن الكتاب اشارات فى غاية الوضـوح الى ما يمكن أن نسميه بادب الحرب فى الاسلام .
فنصح بان ياخذ المقاتلون الحذر .

« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا » .
النساء ٧١

ونهى عن ان يولى المجاهدون الادبار عند اللقاء .

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفـا فلا تولوهم الادبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .
الانفال ١٥ – ١٦

وليست الحرب حبا فى الحرب لذاتها فاذا جنح العدو للسلام كان المسلمون أسرع منه استجابة للسلم .

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم ، وان يريدوا أن يخـدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » .
الانفال ٦١ – ٦٢

فالمسلمون لا يحبون العدوان ولا يبداون به .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتـدوا ان الله لا يحب المعتدين » .
البقرة ١٩٠

بل حرر الاسلام العقوبة الرادعة لمن يحارب الله ورسوله ويسعى فى الارض فسادا .

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصـلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .
المائدة ٣٣

ولا يكتفى بذلك بل اباح عقوبات أخرى .

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثختنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فـداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم يهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم » .

الأسرار المساواة في الحج

الدكتور الحسيني هاشم

فى ظلال فريضة حج بيت الله الحرام تشرق الاسرار والحكم مضيئة هادية الى مثل عليا ومعان كريمة .

ففى مؤتمر الحج تتمثل وحدة المسلمين وتآلفهم فى صعيد واحد فى رحاب الله حول أول بيت مبارك ، للهداية وصفاء النفوس وتطهيرها فما عساه أن يكون قد علق بها من آثام أو نسيان لجوهر الرسالة من اقبال على الله وتأس برسوله واتحاد المشاعر ووحدة الهدف بين المؤمنين، وقد بينت الآيات البينات المعجزات الواضحات فى أسلوب حكيم موجز ـ تاريخ البيت ، بأنه أول بيت ومكانه ، بأنه ببكة . وثمرة زيارته من البركة والهداية ـ وأن فيه آيات بينات والأنوار فيه متصلة النفحات فهو مقام ابراهيم ومن أجل ذلك قد حقق الله الأمن لداخله ، ورحمة بالانسانية وحرصا على سماحة الاسلام لم يوجبه الله الا على المستطيع ومن جحد الحج ولم يؤمن به ـ فالله غنى عن العالمين ـ تتمثل كل هذه المعانى فى قوله تعالى : « أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين »

ولاية البيت للمتقين

وتحقيقا لكرامة المؤمنين والمساواة بينهم فى الحقوق ورفعة شانهم وبيان ثمره الحج بأنها التقوى ، لم يجعل الله ولاية البيت الحرام لشخص دون شخص ولا لشعب دون شعب قرب أم بعد انما ولايته للمتقين عامة القريب منهم والبعيد وتكفل الله بعذاب الكفار الذين يصدون عنه، قال تعالى : « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون » والناس فى ولايته سواسية ماداموا مؤمنين ومن ألحد او ظلم استحق العذاب قال تعالى « والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم »

ومن مظاهر المساواة ـ اتحاد الملبس بالاحرام متجردين من المخيط والوقوف فى صعيد واحد فى زمان واحد ، فى مكان واحد فوق جبل التعارف . عرفات « الحج عرفة » وقد تخلوا عن كل عظمة وكبرياء ومظاهر الابهة وزخرف الحياة طاهرين جسما وروحا مستسلمين لله راغبين رحمته متضرعين اليه ان ينظر فى وحدتهم واجتماعهم وتلبيتهم فينزل عليهم بركاته ورحماته ، وفى ذلك احياء للارث الروحى للانبياء عليهم السلام من آدم حتى جد نبينا ابراهيم وابنه اسماعيل عليه السلام وحينما جددا الكعبة متضرعين لله أن يقبل عملهم « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم » .

وفى ذلك اقتفاء واقتداء بنبينا صلى الله عليه وسلم . فقد قدم فى السنة العاشرة من المدينة ومعه بشر كثير من المؤمنين الصادقين حتى أتى ذا الحليفة فاغتسل وتطيب وصلى ركعتين فى المسجد ولبس أزارا ورداء وأحرم ولبى وأتم نسكه تعظيما لشعائر الله وصبغا للنية بفعل ظاهر يدل على الاخلاص والتجرد لله والاهتمام بطاعته .

والتلبية ، انما هى تعبير صادق على التوجه الى الله والاقبال عليه والاستمساك بأوامره والتقديس لنواهيه والتوحيد المطلق له وحده مستشعرين جلاله وعظمته منكرين فعل الجاهلية من الاشراك بالله ، فقد كان أهل الجاهلية يحجون وكان الحج من أصل دينهم ولكنهم شوهوا المقصد الجليل ، فأشركوا بالله وعظموا الأصنام كأساف . ونائله . وضاة الطاغية . وقالوا فى التلبية : لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك ، فجاء رسول رب العالمين نبينا صلى الله عليه وسلم بالدين الحنيف ليحق الحق ويجدد الدين. «ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين» مبينا بأن الحقيقة الخالدة ، التوحيد المطلق ، فى مجتمع عالمى استجابة لامر الله ، بالنداءات الندية الوضاءة الجماعية القوية السابحة ، ساحات الرحمة الالهية : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك . والملك لا شريك لك ـ اعلان بالطاعة ، واقرار بالوحدانية وتقديم للحمد ، واعتراف بالنعمة ، لصاحب الملك سبحانه وتعالى .

وقد صحح الاسلام الشكليات الفاسدة وأنقذ الناس من ضلال التشبث بما لا فائدة فيه مبينا بأن المقصود من فريضة الحج انما هو التقوى لا العنت والمشقة التى لا تهدف لسمو . فقد كانوا يعتقدون أن على المحرم أن يجتنب دخول البيت من بابه فاذا دخل ، دخل من خلفه .

فبين الله لهم أنه ليس هذا هو البر انما البر هو التقوى قال تعالى « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » وكانوا يكرهون التجارة فى موسم الحج ظنا منهم أنها تخل بالاخلاص فأنزل الله تعالى : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » وكانوا يمعنون فى القسوة على أنفسهم فيقدمون بلا زاد

البقية ص ١١٦

دروس من فريضة الحج

الدكتور
سعد الدين الجيزاوى

سبحانك ربى ..

شرعت لعبادك من ألوان العبادات ما فيه نفعهم فى دنياهم وآخرتهم ، وأرشدتهم الى طرق الهداية ليسعدوا، لا تنفعك طاعة من اطاع ، ولا تضرك معصية من عصى ، فانك غنى عن العالمين وانك مالك الملك وحدك لا شريك لك ، تعلم ما تكسب كل نفس ، وتجزى كل نفس بما كسبت ، خلقت الانسان وكرمته ، ومنحته العقل ، وهديته الى التمييز بين الضار والنافع ، وفتحت له أبواب التوبة والرجوع اليك ان هو زاغ أو ضل عن طريقك ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة ، فيسعد برحمتك من أناب واتقى ، وتحق كلمة العذاب على الكافرين .

وهذه فريضة الحج :

جعلتها ركنا من أركان الدين ، لا يكمل اسلام المرء الا بالتصديق بها ، والاعتقاد السليم فى شرعيتها ، فان استطاع اداءها ، ويسرت له القيام بها فقد وفى بما افترضته عليه، وان أعسر وعجز عن الوفاء بها ، فيكفيه الايمان وصدق النية ، فانك رءوف بعبادك ، لا تكلف نفسا الا وسعها . ولحكمة بالغة لم تجعل اداء هذه الفريضة حتما الا على من يقدرون عليها ، لما يلازمها من وجوه الانفاق ، وما تحتاج اليه من التفرغ بعض الوقت ، مما لا يستطيعه الفقراء والمعوزين ، فقلت فى محكم كتابك : ((ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)) .

ان المتأمل فى أسرار هذه الفريضة ، يجد أن وراءها كثيرا من الدروس القيمة التى تنفع الناس فى حياتهم ، وترسم لهم طريق النجاة يوم يعرضون على ربهم فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم .

وان أول درس يطالعنا فى هذه الفريضة هو ((التيسير)) وأعظم به من درس يحل كثيرا من مشكلات الحياة وعقدها، وقد دعانا اليه كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، وما خير الرسول عليه الصلاة والسلام بين أمرين الا اختار أيسرهما، ما لم يكن اثما ...

وأهم مظاهر التيسير فى هذه الفريضة تتمثل فى أمرين :

أولهما أن أداءها لا يكون الا بالقدرة عليها ، فقد يعيش المسلم ما يعيش دون أن يؤديها ثم يموت غير آثم ولا تارك لاحد اركان الاسلام ، لانه لم يترك أداء هذه الفريضة متعمدا ولا متهاونا ولا منكرا ، بل انه عجز عن القيام بها لعجزه عن تكاليفها فاقتضت رحمة الله ألا يكون هذا من المذنبين .

ولائمة المسلمين توجيهات كثيرة فى تفسير هذه الاستطاعة ، ترغيبا فى أن يحاول كل مسلم أن يهيىء لنفسه الظروف التى تمكنه من اداء هذه الفريضة ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فان نفدت طاقاته دون الاستطاعة فان رحمة الله واسعة ، ومن كان فى سعة من المال وعجز لمرض أقعده ، اقتضت رحمة الله ان يقبل حجة بالانابة . أما من أخر أداء هذه الفريضة مع قدرته عليها ثم مات فهو آثم ، وبقى عليه الحج فى تركته ، فينيب ورثته من يقوم به من ماله ولو لم يوص بذلك . وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : ((لقد هممت أن أكتب فى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج وهو يستطيع اليه سبيلا)) .

أما ثانى الامرين من مظاهر التيسير فهو أن هذه الفريضة تلزم المسلم مرة واحدة فى العمر على ما قد يكون فيه من سعة ويسر، ذلك لأن الله تعالى يريد من عباده أن يظهروا الخضوع والامتثال لأوامره لا أن يشق عليهم ، وهو سبحانه وتعالى يعلم أن فى هذه الالوف المؤلفة من المسلمين الذين تجب عليهم هذه الفريضة كل عام فى مشارق الارض ومغاربها ، ما يكفى لبعث الحياة فى مناطق الحجاز حول الحرم ويعود على أهلها بالخير العميم ، ثم ان القيام بهذه الرحلة الروحية بشوق ولهفة ، وما يصحبها من تغيير فى نظام الحياة المألوف فترة من الزمن ، ومشاهدة تلك البقاع الطاهرة ، وأداء مناسك الحج وما يصحبها من خشوع .. كل ذلك كفيل بأن يترك فى النفس من الآثار والصور ما يجعلها تتذكره دائما وقد يكفى الانسان القيام به مرة فى العمر ، ومع ذلك فما أكثر من يعاودون الكرة بعد الكرة كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا متطوعين راغبين فى الاستزادة من تلك المتع الروحية ، والاستفادة بما فى ذلك من دروس .

وقد روى أن أحد الصحابة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحج علينا كل عام » ؟ فأعرض عنه الرسول الكريم حتى كرر السائل ثلاثا ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « ويحك ، ما يؤمنك أن أقول نعم ، والله لو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت ما استطعتم ، ولوتركتم لكفرتم ، فاتركونى ما تركتكم ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه» وهكذا رسم الرسول الكريم سبيل التيسير واضحة وقد نزلت آية المائدة تؤيد الرسول الكريم : « يأيها الذين آمنوا : لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم ، وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم ، عفا الله عنها ، والله غفور حليم . قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين » .

وهكذا كانت الدعوة الى تيسير الأمور ، والبعد عن تعقيد الحياة ، درسا من الدروس العديدة التى تستفاد من فريضة الحج .

ومن الدروس التى نتعلمها من فريضة الحج : هذه التجارب العملية لتهذيب النفس والسمو بالروح ، وتطهير القلب .

فبالاحرام ينتقل الانسان الى نظام فى حياته غير مألوف فى سائر الأيام اذ يجد نفسه فى ثياب لا تدل على أبهة ، ولا تحتاج الى تنسيق أو تنميق أو أى مظهر من مظاهر التجميل ، بل ان الاهتمام بالتجميل ينتقل من الظاهر الى الباطن فيشعر الانسان أنه بحاجة الى تنقية نفسه اشد من حاجته الى نظافة ثيابه المألوفة وتنسيقها ، وهذا يبعث فى النفس معانى بعيدة الأثر الى قيمة زخارف الدنيا ، وأن الانسان اذا تجرد منها لا يشعر بنقص فى انسانيته ، بل انه يحس بقيمته كانسان مهذب .

وفترة الاحرام أيام الحج تقيد الانسان بقيود تكبح جماح النفس فلا تستطيع أن يستمتع بما هو مباح كالتطيب أو التزين أو مقاربة زوجته أو اللهو بالصيد واذا كان الانسان يشعر بقيد وهو قائم يصلى فلا يكلم غيره ولا يلتفت .. فان شعوره بقيد الاحرام أيام الحج عند الوقوف بعرفة والطواف ومنى .. قد يكون أشد وقعا على نفسه من شعوره بقيد الصلاة ، وهذا يدعو الى تعويد النفس الصبر وامتثال أوامر الله تعالى .

وفى اختلاط الجنسين أثناء القيام بهذه الفريضة ما يعتبر من أروع الدروس فى المجتمعات العامة ، وضبط النفس ، وكبح جماح الشهوات ، ذلك أن الحجاج يختلطون رجالا ونساء كبارا وصغارا فى مزدحمات دونها كل المزدحمات ، فى الطواف حول الكعبة ، وفى منى ، وفى عرفات . والعبرة هنا أن كلا من الرجال والنساء يكون على أشد الحذر من تلاصق الأجساد ولا سيما عند الطواف حول الكعبة حيث تتجمع الالوف المؤلفة فى مدار محدود ، ويسعى كل لأن يكون قريبا من بنية الكعبة ليستطيع لمس الحجر الأسود ..

ولسائل ان يسأل : لم جعل ترتيب النسوة عند صلاة الجماعة فى صفوف خلف ارجال ، ولم يخصص وقت للرجال ووقت للنساء ،او مكان دون مكان مع ما هو معلوم من شدة الزحام ؟

والجواب : أن الصلاة تتكرر فى كل يوم وليلة خمس مرات ، أما الحج فمرة واحدة فى العمر ، وأن أكتاف المصلين فى الصفوف ينبغى أن تكون متلاصقة ، وهذا امر لا يمكن الاحتراز منه ، وهو بذلك مدعاة الى اثارة الشعور الجنسى اذا أبيح الاختلاط فى الصف الواحد ، أما فى الحج فان الاحتراز ممكن ، وأول امكانياته هو خلوص النية وعزم الحاج على ألا يحاول الالتصاق أو النظر بشهوة وهو يرى نساء من جنسيات مختلفة ، وقد يكون فيهن من هى أكثر جمالا وفتنة وأشد جاذبية من نساء وطنه . ان شعور المرء فى هذا المقام بان شيئا من الملاصقة أو النظر الخارج قد يفسد عليه حجه ، ويخرجه من سعادة الروحانية التى يضيفها عليه ذلك المقام الكريم وهو متجرد الى الله ، يحذر الاخرة ويرجو رحمة به .. ان الشعور بذلك يعيد المرء الى صوابه ، ويجعله ينفر من لذة عاجلة الى سعادة آجلة . وهذا هو المقصود من بقاء الاختلاط هنا ، ليتعود الانسان فى حياته العادية أن يكبح جماح نفسه ، ويتجنب الاستمتاع بما ليس من حقه ، فيحتاط اذا هو اضطر الى الوجود فى مزدحم .

وفى توقيت الوقوف بعرفة بلحظة من بعد زوال اليوم التاسع الى قبيل فجر اليوم العاشر من ذى الحجة درس فى احترام الوقت ، وتقدير قيمته ، والمحافظة عليه ، فقد يقيم الحاج شهرا أو سنة بالحجاز ، ثم يغيب هذه اللحظة فى تلك الفترة المحددة فلا يقفها بعرفات فانه لا يتم حجه ويضيع ما قضاه من وقت طويل ، ويعود غير حاج .

وما أحوجنا فى حياتنا العادية الى مثل هذا الدرس والمحافظة على الاوقات ، ولاسيما عندما يكون احد مستأجرا على عمل فى وقت محدود كوقت الموظف ، فانه ليس من حق هذا الاجير أن يقضى لحظة من وقته فى غير ما يعود على المؤجر بالمنفعة ، وما أحوج أولئك الذين يعبثون بأوقات وظائفهم فيقضون بعضها فى المحادثة الى الاصدقاء أو قراءة الصحف ... ما أحوج هؤلاء الى الانتفاع بمثل هذا الدرس الذى يتكرر فى تحديد أوقات الصلاة واوقات الصوم ، فليتنا نعتبر .

كذلك فى تحديد منطقة عرفات ، ان هنا درسا فى احترام الاماكن فلو ان الحاج وقف خارج المنطقة المحددة فى الزمن المحدد فان ذلك لا يجزيه بل يعتبر تاركا لاحد الركنين الاساسيين للحج مهما كان قريبا اومحاذيا لمنطقة الوقوف .

نعم هنا درس قيم فكثيرا ما تحدث منازعات فى حياتنا العادية بسبب تخطيط الأراضى وتحديد الأماكن ، كذلك اقتضت ارادة الله تفضيل بعض الأماكن على بعض فينبغى أن نلزم حدود الله رب العالمين .

ومن الدروس التى نتعلمها من فريضة الحج التعاون ، نعم ، فان كل حاج يشعر فى تلك الأماكن بانه أخ لغيره ؟ فاذا ما احتاج لمعونة فان أخاه سرعان ما يلبى نداءه ، وما أكثر ما يشاهد فى موسم الحج من ظاهرة المساعدات والمعاونات التى تبدو بين الحجاج ، فما أن يحس احدهم بمرض الآخر أو نفاد زاده ، او عجزه على اية صورة حتى يسارع الى معونته ان استطاع ، ودعوة من يكون أكثر مقدرة على دفع الأذى ان هو عجز .

ومن تلك الدروس اظهار قوة المسلمين بطريقة عملية، فموسم الحج يثبت انه فى الامكان تجميع المسلمين فى صعيد واحد اذا حزبهم أمر أو دهمهم عدو .

ولو تدبر المسلمون ما فى هذه الفريضة من دروس ؟ وما ترمى اليه من حكم بالغة ، وارشادات سامية ؟ لحرصوا عليها وسارعوا الى ادائها واعتبروها من نعم الله الكبرى عليهم ، والله ذو الفضل العظيم .

اللهم بصرنا ، ووفقنا ، وانفعنا بما نعلم ، واهدنا الى صراطك المستقيم .

مظاهر الوحدة في الحج

فضيلة الشيخ عبد الله المراغي

لقد جعل الله التكاليف الشرعية لعباده مفتاح خير وسعادة لهم اذ هو غير محتاج الى نفع من العباد لانه غنى عنهم فهو القائل جل شانه « ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين » وقال « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

فاصول التكاليف الشرعية عقيدة صحيحة تشرق فى قلب المؤمن فيعتقد أن كل شىء فى الوجود مخلوق لله ومفتقر اليه دون سواه فجميع المخلوقات لا تملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فتثمر هذه العقيدة ثمرة يظهر أثرها فى الجوارح فتعمل ما ينفع العبد وما ينفع الناس ويصلح المجتمع ويرضى الله تعالى ثم صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يخشع فيها القلب حين يقف المؤمن بين يدى الله تعالى فى كل يوم وليلة خمس مرات تطهره من الرذائل وتضفى عليه اثواب الفضيلة من محبة لاخوانه وتعاون معهم على بر وتقوى لا على اثم وعدوان ثم زكاة تطهر النفوس من شح البخل واكتناز الاموال مع حرمان الفقراء من حقوقهم التى أوجبها الله تعالى لهم فى أموال الاغنياء فهى صلة مودة ورحمة بين الاغنياء والفقراء لان المجتمع السليم لا يتحقق الا اذا تكافل أفراده وحمل قويهم ضعيفهم وغنيهم فقيرهم وناهيك ما فى الصوم من فوائد تعود على الصائمين وغيرهم . فالصائم تقوى ارادته وتصلب عزيمته فلا تلين قناته اذا ما حصل له من الصوم فائدته

وهى عطف على الفقراء وصبر على الجوع والعطش فيصبح المؤمن حريا يحمل الامانة التى ائتمنه الله عليها فحملها ولم تستطع السموات والارض حملها فالصائم أمين على صومه أمين على تادية ما يتطلبه المجتمع منه من عون وتضحية وبذل فى سبيل اسعاد مجتمعه واذا ما ذهبنا نعدد فوائد الحج ومنافعه قرانا قوله تعالي « واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس والفقير » .

فمظهر الوقوف بعرفة حيث يجتمع الوافدون للحج من كل فج حامدين قانعين خاشعين متجردين من ثيابهم المعتادة ومظاهرزينتهم فهومظهر المساواة والوحدةالانسانية والديمقراطية الاسلامية فى ذلك الجمع الحاشد والمؤتمر الجامع الذى يتعارف فيه الحجيج ويتآلفون ويتحابون ويتعاطفون ويتشاورون على ما فيه خيرهم وسعادتهم وقوتهم أمام أعدائهم وتماسكهم واجتماعهم على قلب رجل واحد يفكرون تفكيرا موحدا يجمع شتاتهم ويأخذ بيد البلاد المحتاجة الى عون مادى أو ادبى أو عسكرى أو أى ناحية من نواحى استكمال الحياة الصحيحة. ولقد سن الرسول عليه السلام للمسلمين سنة حسنة يجب عليهم الاقتداء بها فهو قد خطب يوم عرفة فى حجة الوداع خطبة جامعة قرر فيها من المبادىء الاسلامية السامية ما يعتبر بحق دستورا خالدا كفيلا بصلاح

المجتمع عامة والمسلمين خاصة . فقد رأى بحكمته العالية أن هذه الجمهرة من المسلمين يندر أن يضمها جمع غير عرفة. فقد شعر عليه السلام بعد نزول قوله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » شعر بعد نزول هذه الآية أن أيامه في الدنيا قد آذنت برحيل فمن الخير أن يبلغ مبادىء صالحة في بناء المجتمع الاسلامي فقال بعد حمد الله والثناء عليه : « أيها الناس اسمعوا أبين لكم فاني لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا » . وقد كرر في خطبته قوله : ألا هل بلغت اللهم اشهد تأكيدا لقطع المعاذير لمن يتهاون في حق من حقوق نفسه أو مجتمعه او خالقه وفي هذه الخطبة يبين عليه السلام أمور المسلمين ويحذرهم من التهاون فيها لما في تركها من فساد عظيم وشر وبيل يقوض بنيان المجتمع ويزعزع أركانه فيقول « ان دماءكم وأموالكم واعراضكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » فتلك عبارة مضيئة مشرقة تؤكد أن الاعتداء على الدماء والاموال حرام أبدا الى يوم القيامة تحريما لا يعتريه نسخ ولا تغيير ويزيد هذا المعنى بيانا قوله عليه السلام : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » فلا يحل دم امرىء مسلم الا بحق والله تعالى يقول : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » فلا يحل دم امرىء مسلم الا في القصاص او نحوه . فالاسلام يسعى الى الوحدة والتآلف فهو يجعل صلاة الجماعة في اليوم والليلة وصلاة الجمعة كل أسبوع وصلاة العيدين وسيلة من وسائل التآلف والوحدة ويجعل اجتماع المسلمين في عرفة وبقية مناسك الحج دعامة قوية لوحدة المسلمين وتعارفهم ووقوف أممهم على ما وصل اليه الحال في جميع البلاد الاسلامية من معارف وثقافات واكتشافات لاسرار الوجود وذخائر الطبيعة. وقد دعا الاسلام منذ وجوده من أربعة عشر قرنا الى المؤتمرات الاسلامية قبل أن تعرفه الامم الحديثة فلو تمسك المسلمون بأسرار تشريعهم في كل تكليف من تكاليفه لكانت لهم حضارة قوية تفوق أنواع الحضارات الحديثة التي توصلت الى غزو الفضاء واكتشاف أسرار الكون فعلم أهل العلم منهم أن الذرة وهي كائن صغير جدا تستطيع أن تصل بالعالم الى سعادته أن أريد بها الخير كما أنها تستطيع أن تعمل عكس ذلك تماما فتصبح سلاحا فتاكا يقضي على الحضارات التي جاهدت من أجلها الانسانية في عصورها المتطاولة فحجاج بيت الله اذا ما فكروا في ماضي هذه الاماكن وفي ذكرياتها المقدسة ، وكم لها من فضل وبركة على الانسانية جمعاء فهي مهبط النور ومبعث خاتم الانبياء والمرسلين وهي التي هاجر اليها خليل الله ابراهيم مع زوجته هاجر وابنه اسماعيل وقد تركهما في ذلك المكان المقفر والارض المجدبة والصحراء القاحلة فحفظهما الحافظ الامين وابقت على حياتهما حكمة أحكم الحاكمين . وقد استجاب الله فيه دعاء ابراهيم عليه السلام اذ يقول : « ربنا انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » فهذه الاماكن الطاهرة هي ينبوع الهداية ومشرق النور ومبعث الضياء والسراج الوهاج للسير في هذه الحياة على بصيرة وللتغلب على ما بها من تبعات ومسئوليات تنوء بها الكواهل وتعجز عن حملها السواعد وتتقصم منها الظهور.

ومن اظهر أساليب الوحدة في الحج صدور التلبية من جميع الحجاج في وقت واحد فوق عرفة وقولهم بلسان واحد : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك فهذا صوت خاشع ضارع الى خالق الوجود يلتمس الرحمات والاحسان والعون وكل خير للحجيج الذين تركوا الاوطان وفارقوا الابناء والاموال وكل متع الحياة ولبسوا ملابس الانكسار والتضرع والخشوع وجميع مظاهر الحياة الدنيوية ولبسوا ما يشبه أطوال ملابس الآخرة وأكفانها فمظاهرهم في جملتها تشبه مظاهر أحوال الآخرة واذا ما طاف الحجيج بالبيت الحرام واستلم كل منهم المكان المعين فيه واعطى على نفسه العهد بأنه يلتزم التقوى فيعمل مأمره الله به وينتهي عما نهى الله عنه أصبح حجه مبرورا ونفسه طاهرة مبراة من الاوزار والاضغان متشبها بالملائكة الابرار الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وحينئذ يصدق عليه قول الرسول عليه السلام « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » وقوله « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » فمن اعتقد أن الحج يمحو الذنوب والآثام التى تتعلق بحقوق الغير أو تكون من المعاصي التى لا تمحوها الا التوبة فهو مخطىء بعيد عن جادة الصواب ومنحرف عن المبادىء الاسلامية التى تحافظ على حقوق الناس وتحفظ أموالهم وأعراضهم فان البر في الحج يكون لعبد ترك ماله وولده وهجر داره وبلده واخلص النية وحسن الطوية وخرج بحلاله حاجا مخلصا لله . متوكلا على الله مغتربا في سبيل الله حافظا لسانه من الشتم والسباب وجوارحه من الفسوق والعصيان فهو ملك كريم في صورة انسان أو هو انسان في أخلاق ملك حسن ظاهره طيب مايضمره محمودة أحواله وشمائله فاذا قال » لبيك اللهم لبيك » وأتى بالتلبية قال الله له « لبيك عبدى وسعديك والخير بين يديك أنت وليي فلا خوف عليك » ويطوف بالبيت الحرام كما تطوف به الملائكة الكرام الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ويقف في عرفات في اخلاص لله وعزوف عن الدنيا ومظاهرها الكاذبة فيباهي الله ملائكته كما جاء في الحديث النبوى « ان الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول : انظروا لعبادى فقد جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق اشهدكم أنى قد غفرت لهم » .

هذا هو العمل المقبول والحج المبرور الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » فافعال الحج كلها تؤذن بالمساواة والوحدة وتدعو الى التعارف والتآلف والاعتصام بتعاليم الاسلام فهى الحصن الحصين للمسلمين ويرشد الى ذلك قول الله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » فالاسلام هو الذى أطفأ بتعاليمه نار العداوة والبغضاء بين العرب جميعا وخصوصا ما بين الاوس والخزرج فهو علاج شاف لكل مشاكل الحياة ووسيلة فعالة لبناء المجتمع المتماسك المتحضر الذى يتخذ العدة لكل ميدان من ميادين الحياة الحرة القوية فهو يدعو المسلمين الى الاخذ بأسباب القوة والعزة اذ يقول الله تعالى في دفع كيد الاعداء ومكرهم « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » فاذا ما أراد المسلمون العزة التى جعلها الله للمسلمين فعليهم التواصى بتعاليمه والحرص عليها حتى تهابهم الامم ويرتفع شأنهم في الميادين الدولية ويأخذوا مكانهم من العزة والرفعة والله يهدينا سواء السبيل .

المسلمون

يقهرون انتفاضات الفرس والروم

عبقرية العرب العسكرية في البحر

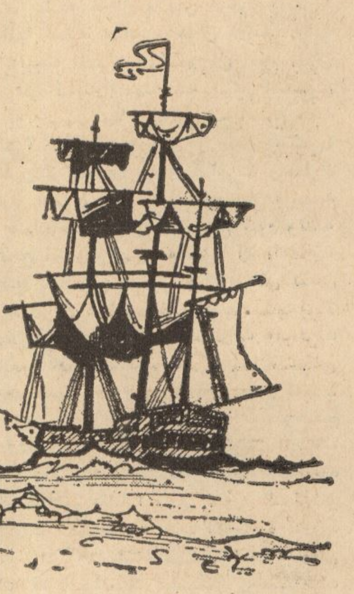

الأستاذ عبد المنعم حسن الأدفوي

تولى أمين المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أمور المسلمين اثر وفاة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أن تم فتح معظم بلاد فارس ، وبعد أن استقر وضع المسلمين فى الشام ومصر .

وقد يقال انه كان من الممكن أن يمتد سلطان المسلمين فى عهد عمر الى جزر بحر الروم وشمال افريقية لو حارب فى البحر استجابة لرأى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، فقد أجمعت الروايات على أن عمر كان يخاف البحر وأنه لم يرد أن يحمل جيوش المسلمين على الحرب فوقه ، رغم الحاح معاوية عليه فى هذا الصدد حيث يصف له قرب بلاد الروم من حمص فيقول : ان قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم ، كان ذلك يأخذ بقلب عمر ، فكتب عمر الى عمرو بن العاص يقول له : صف لى البحر وراكبه فان نفسى تنازعنى اليه فكتب اليه عمرو : انى رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ؟ ان ركن خرق القلوب ، وان تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة ، هم كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق .

فلما استعظم عمر البحر كتب الى معاوية : لا والذى بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما ابدا ، ولله لمسلم أحب الى مما حوت الروم ، فاياك أن تعرض لى

افكان عمر يجهل البحر الى هذا الحد ؟ ألم ير « البحر الأحمر » ساحل الجزيرة العربية بين جدة والمدينة ألم يروله المسلمون المهاجرون الى الحبشة مرتين كيف ركبوه، وما تعرضوا له من عواصف هوج أو ريح رخاء .. ألم يكن على علم تام بالتجارة التى كانت تحيا عليها مكة ، وبالتجار الذين كانوا يأتون اليها عن طريق البحر .. خصوصا وكان صاحب سفارات بين العرب قبل الاسلام وبعده ،

اذن فما هو التعليل لاحجام عمر عن الاستجابة الى معاوية فى غزو الروم ؟.. التعليل يتضح من اسلوب عمر فى حروبه ضد أعداء الاسلام ، فانه كان يوصى قواده دائما بألا ينتقل جيش المسلمين من مكان الى آخر الا بعد أن يستقر وضعه تماما ويصبح فى مأمن من هؤلاء الاعداء ، ثم ينتقل الى مكان غيره ، وهذا هو التفسير لموقف عمر من البحر ، فهو يرى ارجاء غزو البحر حتى تتم لجيوش الاسلام السيطرة أولا على البر فى فارس والروم وحتى تتم لهذه الجيوش العدة الكاملة من سفن وعتاد ، والا فليس معاوية اشجع من عمر ولا ارغب منه فى توسيع رقعة الاسلام .

انتفاضات الفرس والروم

استطاعت الجيوش الاسلامية فى عهد عمر أن تقهر أعداء دعوة التوحيد فى فارس والروم وأن تؤجج فى قلوبهم نار الحقد والبغض لها ، حتى لقد قال رستم الفارسى ، وهو من القواد الذين الحقوا بالاساطير ، عن عمر « لقد أحرق كبدى .. انه يكلم الكلاب فتفهم عنه »

فما أن مات عمر حتى اشرأبت أعناق الفتن فى فارس والروم تحاول القضاء على الاسلام ، فتن فى الداخل والخارج تبغى الثأر من الدعوة الجديدة والتخلص منها وكان موقف المسلمين فيها شبيها بموقف الردة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فواجهها عثمان بالتصميم الذى واجه به ابو بكر المرتدين ، وذلك الى جانب أن المسلمين فى انتفاضات الروم أصبحوا يواجهون موقفا جديدا هو الحرب فوق البحر .

وقد كان عثمان كفئا لمواجهة هذه الثورات ، فقد صاحب الرسول فى غزواته والصديق والفاروق فى حروبهما ، وشارك فى هذه الغزوات والحروب ، فلا عجب فى أن يتغلب عثمان على أعداء الله بالايمان والقوة والاخذ باسباب الاحتياط ، وتقدير الاحتمالات والاسراع بارسال الجيوش وامدادها للقضاء على اى تمرد من الفرس والترك والروم الذين تعاقدوا مع قادة الحرب على الصلح والطاعة .

فقد وجه عثمان مددا من الجزيرة الى حبيب بن مسلمة الفهرى وهو يواجه انتفاض الروم فى ميادين سورية وفلسطين ، كما وجه اليه مددا آخر من الكوفة فابطأ عنه ، ولكن حبيبا انتصر عليهم بخدعة حربية ، كما وجه عدة امدادات وتجهيزات الى فارس حتى أذعنت لقوة المسلمين ثم تقدمت جنود عثمان الى ما وراء البلاد التى قامت فيها الثورات ، فتقدمت شرقا الى حدود الهند والصين ، وشمالا الى ما وراء بحر الخزر ، وغربا الى أبواب القسطنطينية وتخوم الاندلس وجنوبا الى السودان وجوانب الحبشة » .

حروب البحر

واذا كان عمر قد ارجا غزو قبرص ورودس وجزر بحر الروم للسبب الذى اسلفنا ، فقد كتب عثمان الى معاوية بموافقته على هذا الغزو مع اتخاذ الحيطة لدفع الغارات البحرية عن شواطىء مصر والشام والقيروان .

وقد عقد عثمان لواء البحر لعبدالله بن قيس الجاسى فكان اول قائد بحرى فى الاسلام ، وكان بارعا فى القيادة البحرية كبراعة خالد بن الوليد فى البر الذى سماه الرسول سيف الله

وقد غزا معاوية قبرص فى العام الثامن والعشرين من الهجرة ، وكان معه من كبار الصحابة ابو ذر الغفارى وابو الدرداء وعبادة بن الصامت

وقد اشترك ابن أبى سرح امير مصر بنفسه مع معاوية على رأس جيش من الجند المصريين ، غزو قبرص حيث صالح أهلها على جزية يؤدونها الى المسلمين .

اما غزوة الصوارى فقد وقعت بسبب أن المسلمين لما انتصروا على الروم فى افريقيا وقتلوهم وسبوهم ، أراد قسطنطين بن هرقل أن يثأر من المسلمين فخرج فى عام ٣١ وقيل ٣٢ من الهجرة فى جمع من لروم لم ير مثله مذ كان الاسلام فخرجوا فى ٥٠٠ أو ٦٠٠ مركب ، وخرج المسلمون ، وعلى أهل الشام معاوية وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبى سرح حيث انتصر المسلمون ، حتى أن قسطنطين سار فى مركب الى صقلية فسأله أهلها عن حاله فاخبرهم فقالوا : أهلكت النصرانية وأفنيت رجالها لو أتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ، ثم أدخلوه الحمام وقتلوه .

وقد أذن عثمان لعبد الله بن سعد بن أبى سرح وشجعه فى فتح افريقيا وتثبيت الاسلام فيها بعد أن غزاها قبل ذلك بتوجيه من عمرو بن العاص ، ثم جهز فى طريقه عبدالله بن نافع بن عبد القيس وعبدالله بن نافع بن الحصين الفهريين على جيش والاجتماع عليه « عبدالله بن سعد » وخرجوا وأوغلوا جميعا فى سواحل افريقيا ففتحوا سهولها وجبالها ، ودخل كثير من أهلها فى الاسلام .

وسلك عثمان مسلك عمر بن الخطاب فى تزويد جيش المسلمين بالامدادات الكبيرة كما زودها بكثير من المهاجرين والانصار لنيل النصر بفضل ايمانهم ومصاحبتهم للرسول، وذلك حين خلصت لعبدالله بن سعد بن أبى سرح امارة مصر وقيادة جنودها فقد طلب عبدالله الى أمير المؤمنين أن يستكثر من الجند لغزو افريقيا غزوا عاما ، ويجعلهم مددا لجند مصر ، فسار ابن أبى سرح بهذه الجيوش الجرارة الى افريقيا ، وكان عليها ملك من قبل الروم يقال له جرجير .

ولما ابطأ انتصار المسلمين على الخليفة امدهم بجيش من قريش والانصار بقيادة عبدالله بن الزبير وبرأيه انتصر المسلمون ، ثم افتتح ابن أبى سرح قفصه ، ولما عاد الى مصر ولى عليها بأمر عثمان أحد أمراء الجند عبدالله بن نافع بن عبد القيس الفهرى .

هذا هو الدور الذى أداه عثمان ، وهو دور لا يقل عن الدور الذى وقفه الصديق ابو بكر من المرتدين ، والذى قال فيه عبدالله بن مسعود .

لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن الله من علينا بابى بكر اجمعنا على ألا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون وان ناكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين .. فعزم الله لابى بكر على قتالهم فوالله ما رضى منهم الا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية فاما الخطة المخزية فان يقروا بان من قتل منهم فى النار ومن قتل منا فى الجنة وأن يدوا قتلانا ونغنم ما أخذنا منهم .. وان ما أخذوا منا مردود علينا .. وأما الحرب المحلية فان يخرجوا من ديارهم » .

ويضاعف من دور عثمان أن المسلمين يواجهون فيه موقفا جديدا لم يألفوه من قبل ، وهو الحرب فى البحر، كما قلنا وذلك الى جانب امتداد المواقع الحربية امامهم الى افريقيا وأوربا والصين ، وقد اداه عثمان على أحسن وجه بالحزم والتصميم وسرعة النجدات وعلى صورة تؤكد أن قوة المسلمين الأول تستمد وجودها من الايمان والاتحاد وحب الاستشهاد فى نصرة الدين وتبليغه الى الناس جميعا .

نوح بين القرآن الكريم وبين كتب العهد القديم

الأستاذ بهاء الدين القباني

يبدو للقارىء فى كتب العهد القديم أول ما يبدو .. انها جاءت بسير بعض الامم التى تفرعت وتكاثرت .. ثم ملات الارض منذ أن خلق الله ادم .. ومن بين تلك الامم المتعاقبة اختارت كتب العهد القديم بعض افراد من العظماء ممن كان لهم شأن يذكر .. وطفقت تسرد الاحداث الهامة التى جرت على عهد كل منهم..

وبالطبع ان كتب العهد القديم لم تخص أولئك الافراد العظماء بالذكر على سبيل أن الاحداث الكبرى التى جرت على عهدهم ترتبط بهم وبحياتهم تمام الارتباط .. أو ان اولئك الافراد المعنيين قد تدخلوا بشخصياتهم الفذة .. وملكاتهم .. ونفوذهم القوى فى تحريك دفة تلك الاحداث .. الامر الذى يحتم ذكرها مقرونا بسيرهم ..

لم تخصهم تلك الكتب بالذكر لهذه الاغراض فحسب .. وانما لان أولئك الافراد العظماء قد اختصهم الله تعالى بتبيان الدعوة الى توحيده .. وكيف ان الله واحد لا شريك له .. لا يحق للناس أن يتخذوا مع الله الها غيره .. لانه « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » ..

وأن ما يعبدون من دونه من الاوثان هو الباطل .. ويفرض على أولئك الافراد العظماء أن يحملوا راية الخير والعدل بين الناس .. خاصة وان الارض كانت محتاجة الى الرسل .. وان الزيغ عن طريق الله قد استشرى .. والحيدة عن سبيله قد استفحلت !

هذه الدعوة الى الله هى التى تميز الكتب الدينية عن الكتب التاريخية .. فالثانية تبين مناحى متعددة من الحالات الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لبلاد واشخاص فاتحين وغيرهم ..

ولا تتعرض لذكر دين من الاديان الا فى حالات قليلة .. والتى يكون سبب الحادثة فيها يرجع الى عامل دينى .. وبالطبع فان هذه الكتب التاريخية لا تشفى غليل الباحث الدينى .. فيتولى عنها ميمما شطر الكتب الدينية .. مثل كتب العهد القديم .. وكتب العهد الجديد .. والقرآن الكريم ليروى ظمأه الى التعرف على نبى من الانبياء .. أو على سير بعض الرسل .. فيرسم من تصاوير تلك الكتب ومن تعابيرها ما تهديه اليها ملكاته الفنية وامكانياتها ..

ومما يجدر ذكره .. أن سيرة كل فرد عظيم من تلك التى زخرت بها كتب العهد القديم .. قد وردت لتلقى ضوءا على جنبات هامة متعددة من حياة كل منهم .. ولكن الذى يلمسه القارىء لكتب العهد القديم انها جاءت بوضعين مختلفين :

الاول : ايراد جوانب من سير اولئك العظماء مفصلة تفصيلا ضخما .. مليئة بالخيوط الرفيعة وغير الرفيعة .. معنية بالتشابك الدقيق للحوادث التى ترتبط بها حياة كل منهم .. وكيفية تأثرهم بها وتأثيرهم بها .. الى جانب ايراد سلسلة طويلة من الحسب والنسب والاصول والفروع .

الثانى : ايراد الجوانب الاخرى من تلك السير ايرادا مقتضبا .. وموجزا ايجازا كبيرا .. ليس فيه أدنى تفصيل .. حتى انه يمكن القول بان تلك الجوانب الاخرى الهامة من حياة أولئك العظماء ليست موجودة على الاطلاق .. ولم تعرج عليها كتب العهد القديم .. ولو من باب اللفتة اليسيرة أو المرور السريع .. حتى

يمكن للقارىء أن يتكهن .. ويغوص فى أعماق تلك اللفتات اليسيرة .. فيهتدى اليها ولو بعد مشقة كبيرة .

عدم التفصيل هذا .. والابهام .. وعدم التجوال بين تلك الجوانب الاخرى والذى نرمى اليه نحن فى بحثنا هذا .. أقرب مثال له هو تلك الاخاديد العميقة المتناهية فى عمقها .. تحفها الهضاب العالية المتناهية فى علوها .. فينظر الصاعد على احدى تلك الهضاب حواليه .. فلا يجد الا مهاوى سحيقة ليس فيها أى تناسب بينها وبين موطىء قدميه ..

وبالطبع ان ذلك الايجاز العجيب .. أو تلك الهاوية العميقة قد جرت وراءها تلك التفاصيل المتشعبة المسالك الى متاهات واسعة مترامية الاطراف .. لا تدرك العين المجردة مداها ولا حتى العين غير المجردة !

هذه الجوانب التى نقصدها من حياة أولئك العظماء الغابرين والتى اغفلتها كتب العهد القديم .. كانت ستضيع هباء .. وتمر عليها السنون والقرون دون أن يعرف الناس عنها شيئا .. بل ويعبر الناس ان ما جاءت به تلك الكتب ـ على حالتها الراهنة ـ قاعدة مسلمة لا يحتمل المراجعة .. وان كانت اذهان الناس تتفتح يوما عن يوم .. وسنة بعد سنة .. وقرنا اثر قرن .. فاذا الذى جاءت به تلك الكتب لا يستطاع أن تقام به حجة من الحجج ولا دليل من الادلة أمام العلم والتقدم الفكرى الحديث .. فكأنها حملت بين جنبيها بذور فشلها .. فانبتت بعد عواصف هوجاء أطاحت بتلك الكتب جميعا !

ولكن الذى حدث هو أن الاقدار وان كانت قد تركت بعض الايدى الآسنة تعبث بمحتويات تلك الكتب وتتصرف فيها بتغيير .. وحذف .. واضافة .. الا أن الاقدار رحيمة بنا أيضا ، فلم تتركنا هكذا حائرين متقلبين .. وانما قد احتفظت لنا بسير أولئك العظماء فى كتاب ارقى دقة .. واعظم تكوينا ، وذلك بطريقة مثلى .. بعيدة كل البعد عن طرق كتب العهد القديم .. متوخية الصدق المطلق .. مقتربة ومنفذة للاساس المتين الذى قامت عليه دعوة أغلب أولئك الافراد العظماء فى أسلوب رائع .. قوى فى مبناه .. وفى معناه !.. ذلكم هو « القرآن الكريم » ..

ولكن هذا القرآن الكريم لن تمتد اليه يد ما .. بالتغيير أو التحريف .. مهما طالت عليه العصر .. وتعاقبت القرون .. واختلفت الاجناس التى تتناوله.. لان الله وحده قد أعلن أنه هو الذى يتكفل بحفظه: «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » !

هذا القرآن الذى نزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن نزلت التوراة على موسى .. والزبور على داود .. والانجيل على عيسى ..

جاء القرآن بالموازنة العادلة بين تلك الجوانب التى نحن بصددها .. فاعطى كل جانب منها حقه الذى لا يتطرق اليه شك .. فى أسلوب معجز أبان سير بعض أولئك العظماء .. ورد الى كل منهم اعتباره الذى هضمته كتب العهد القديم ..

وكان لابد لنا من وضع مقارنة بين تلك الكتب الدينية بعضها وبعض .. وخاصة بين كتب العهد القديم وبين القرآن الكريم .. والاتيان ببعض النصوص التى وردت بين دفتى كل منها .. والخاصة بسيرة فرد واحد من سير أولئك الافراد العظماء .. ليظهر أمام القارىء بجلاء كيف أن أياد خفية مغرضة .. وقلوبا ردية .. قد عبثت فتدخلت فى صياغة كتب العهد القديم المتداولة بالعربية .. لبث التشويش فى أذهان الناس .. ومعتقداتهم لاخراجهم عن الطريق المستقيم الذى يجب أن يترسموا خطاه الى طريق متعرج لا يفضى الا الى الالحاد ..

تلك الايادى الخفية المغرضة .. تلك القلوب الردية المذكورة جميعا لم يكن لها مغنم من تحريف الكلم عن مواضعه .. ولم يكن لها مارب .. سوى انها ارادت ان تنشر كلماتها هى على انها كلمات الله .. وذلك على حساب كتب العهد القديم وتحت ستار ترجمه .. ضاربة بالاعتبارات الدينية عرض الحائط .. بينما كتب العهد القديم الاصلية بريئة منهم براءة كاملة ..

والذى شجع اولئك المغرضين على اتخاذ سبلهم المليئة بالتشويش هو عامل الترجمة .. فان تعاقب المترجمين من اللغات العبرية والكلدانية واليونانية الى اللاتينية والفرسية والانجليزية والعربية على مواصلة ترجمة تلك الكتب .. جعل الترجمه تبعد رويدا رويدا عن اغراض الكتب المعنية الاصلية .. الى كتب اخرى لا تختلف عن الكتب الحزبية التى ينشرها حزب نكاية فى الحزب الآخر .. وكل حزب بما لديهم فرحون !

نقول من بين أولئك الافراد العظماء ـ الانبياء الذين كتبوا التاريخ .. وتحكموا فى احرفه وسطوره .. فرد عظيم ، نبى نخصه نحن بالذكر فى بحثنا هذا .. ذلكم هو نوح عليه السلام ..

فلقد عاصر نوح عهدين خطيرين ..

الاول : عهد تفرد فيه الكفر ، وطغى معه العناد .. متحصنا داخل قلوب غلفت بلغت اقسى مايمكن ان تصل اليه القلوب والضمائر البشرية من الانغلاق !.. حتى ان الله تبارك وتعالى قد أقنط نوحا وآيسه من ايمان قومه فقال : « وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون . واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ، ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون »

الثانى : عهد تم القضاء فيه على تلك القلوب ذات الاقفال .. وطهر الله الارض منهم وبدأت حياة اخرى بقلوب مؤمنة لينة .. فلقد قال الله لنوح بعد الطوفان :

« قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك » .

نوح بعهديه الخطيرين المذكورين ، جاءت بذكره كتب العهد القديم .. وافصح عن سيرته القرآن الكريم بصفتهما كتابين منزلين من عند الله تعالى .. ولم يكن بد من ذلك الذكر أو ذلك الافصاح فى كل منهما .. اعلانا بأن سيرة نوح خطيرة ومهمة .. وكيف أن تعاليمه لازمة لكل زمان ومكان ..

فالكتابان قد أتيا بها لتتشرب النفوس البشرية بتلك التعاليم .. فتعطى لله حقه من الربوبية والوحدانية . الامر الذى يفضى بالتابعين الى حياة سعيدة دنيوية .. وحياة سعيدة أخروية .. ولم يكن بد أيضا من أن تتحدث تلك الكتب عن الطريقة التى يعاقب الله بها عباده المنكرين على الله حقه .. حتى تكون علما للقرون القادمة أن يشاهدوها .. ويقدروها بعين الاعتبار !

حق الربوبية والوحدانية الذى يختص به اللهنفسه .. الامر الذى لا يخالجنا ادنى شك فيه اراد اللهتطبيقا لهذا الحق، ولعدم تعطيله، ان يخلق الانس والجن، فان الله لم يخلقهما عبثا .. فلقد اعلنها الله صريحة اذ قال: « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق، وما اريد ان يطعمون » !

الكتابان المعنيان: سفر التكوين من كتب العهد القديم، والقرآن الكريم، هما اللذان جاءا بسيرة نوح .. وبحثا جوانب متعددة من حياته .. فى وقت وجيز عصيب .. عندما عادت البشرية تدب على الارض بعد ان امات الله عليها كل شىء .. وكان خيط الحياة الرفيع يتارجح بين موج كالجبال .. مختبئا فى قلب ذات ألواح ودسر .

وكان الله يذكر الانسان بانه خلقه من العدم .. فهو قادر على أن يميته، وعلى أن يجمع عظامه بعد الموت، وعلى ان يسوى بنانه !

ولقد اتفق سفر التكوين والقرآن الكريم على جانبين معينين من حياة نوح، هما صناعة الفلك .. والطوفان!

ولكنهما يختلفان فى اربع نقاط هامة .. هى:

١ – رسالة نوح .
٢ – الدعوة الى التوحيد ..
٣ – المعارضة والمجادلة ..
٤ – الدعاء ..

نقاط الخلاف هذه .. لا ينصرف الذهن الى ان كلا منها موجود فى كلا الكتابين المعنيين .. فيقتصر بحثنا على ايجاد الفروق الجوهرية بينها .. وعلى القارىء بعدها ان يحكم علمه وثقافته فيما أوردنا من ادلة .. ولكننا نرمى الى خلاف آخر يذهب الى تبيانه عنا جواب سؤال لا باس من طرحه .. هو: هل نقاط الخلاف الاربع المذكورة موجودة أصلا فى كل من سفر التكوين والقرآن الكريم ؟ ام ان احد هذين الكتابين يفتقدها جميعا ؟ ولا يورد عنها شيئا ؟

والجواب نجده مشروحا بين دفتى سفر التكوين بالذات فى اصحاحاته السادس والسابع والثامن والتاسع .. فانها لم تذكر شيئا عن النقاط الاربع جميعا !.. بل ولم تات بشىء قريب أو بعيد يخلق التكهن فى أذهاننا عن ماهية تلك النقاط !.. ولم تعرج اليها ولو من طريق مليء بالاشارات والرموز .. حتى نستطيع ان نشمر عن ساعد الجد على حافة تلك الطريق تأهبا للخوض فى دروبها ومتاهاتها .. واقتناص فرائسها !..

ولكن الذى حدث هو ان سفر التكوين – بفعل المترجم – قد كفانا مئونة البحث والتنقيب عن تلك النقاط .. فاهملها المترجم اهمالا عنيفا ..

بل لقد محتها طلاسته المزقة من على سبورة سفر التكوين بطريقة التلميذ المهمل يريد ان ينظف السبورة بحرارة، استدرارا لشفقة المدرس عليه .

فلم نقرا فى سفر التكوين عنها شيئا، الامر الذى يدعونا الى اصدار حكم عام على سيرة نوح مؤداه ان سفر التكوين لم يذكر نوحا اطلاقا .. ولم يعرج على جانب واحد من حياته !..

فلقد جرت النقاط الاربع التى نحن بصددها .. جرت وراءها قصة الطوفان الى متاهات واسعة .. مبهمة .. لا يمكن لاى عقل سليم أن يتقبلها .. أو أن يستسيغها .. وتكون النتيجة من جانب القراء ان يلفظوا سيرة نوح فى سفر التكوين .. والا يكلفوا انفسهم عناء البحث عما خفى من أسرار تلك السيرة العاطرة الخالدة .. لانهم لن يجدوا شيئا ذا بال !..

وقد يذهب البعض الى القول بان تلك النقاط الاربع التى لم يات لها ذكر فى سفر التكوين ليست من الاهمية التى تستوجب الاتيان بها .. ولكننا فى الواقع نقول بأن عدم ايراد نقطة واحدة منها فقط يذهب بسيرة نوح جميعا الى غموض شديد الظلمة .. بل ومبتورة مشوهة بعيدة عن الصواب !

أما القرآن العظيم فانه جاء بالنقاط الست جميعا واحدة تلو الاخرى .. فى هندسة بارعة وشرح كلا منها شرحا وافيا .. لم ينتقل من نقطة الى نقطة أخرى الا بعد استيفاء جميع طاقات تلك النقطة .. مجيبا على جميع الاسئلة التى قد تدور فى خلد القارىء .. وقد لا تدور .. فجاءت متينة الاساس شامخة، لا يمكن لاى معول مهما أوتى من الضخامة أن تحدثه نفسه بالاقتراب منه ..

اذن .. هناك ست نقاط تتكون منها حياة نوح جميعا .. سنتكلم فى مرحلتنا الاولى هذه عن نقطتى الخلاف الاوليين .. ونرجىء بحث الاربع الاخر الى مرحلتين قادمتين باذن الله ..

النقطة الاولى: رسالة نوح .

فاما سفر التكوين فلم يذكر ان نوحا نبى من قبل الله .. أو انه مرسل الى قومه .. والقارىء لسفر التكوين لا يمكنه اعتبار نوح الا شخصا تقيا تقوى عادية .. ليس فيها ما يخبر عن ظهور قداسة النبوة عليه.. لانه لا يجد لهذه النبوة ذكرا صريحا .. أو حتى عن طريق الرموز .. فيخرج من السيرة وكانه قرا احد الاحداث التاريخية التى غالبا ما تقترن بفرد جرت فى عهده تلك الاحداث .. ولكن ذهنه لن يتطرق الى ان نوحا مرسل من عند الله تعالى !

ولنطالع فى سفر التكوين عن نوح: « كان نوح رجلا بارا كاملا فى أجياله .. وسار نوح مع الله » ص ٩:٦

اذن نوح رجل كامل فى أجياله، وسار مع الله .. اى انه سار فى طريق مستقيم بعيد عن كل ما يغاضب الله .. خصوصا وان الفساد كان قد طغى على جميع جنبات حياة الناس فى عهد نوح .. وبالطبع لا نستطيع اعتبار السير مع الله داخلا ضمن نطاق النبوة .. كما قد يعن للبعض، فهناك أولياء لله يسيرون معه .. اى على هديه .. وشهداء .. وصالحون .. ويحبون الله وهو يحبهم .. ولكنهم ليسوا بانبياء ولا رسل، وانما هم شرذمة من الاتقياء الانقياء القلوب الذين اتخذوا سبيلهم فى الحياة على طريق سوى مستقيم .. فضلا عن ان كل فرد يعمل صالحا فلن يضيع الله أجره .. لا فرق بين الاجناس والالوان .. ولا تفضيل بينهم الا بتقوى الله .

وحتى الفقرة الاولى من الاصحاح السابع من سفر التكوين يقول: « لانى اياك رايت بارا لدى فى هذا الجيل » .

وبالطبع لا نشتم من هذه الفقرة ايضا اى رائحة للنبوة على الاطلاق !..

هذا القرار الالهى التاريخى .. او هذه الرسالة السماوية التى لابد من اعلانها لنوح حتى يستطيع القيام بما يامر الله به .. وذلك عن الطريق الالهى الرسمى ..

هذه الشهادة او الوثيقة التى تثبت النبوة لنوح تقراها صريحة للغاية بين دفتى القرآن العظيم ..

فلقد ابان القرآن ذلك القرار بتعيين نوح .. وتقليده مهام منصبه كرسول من الله الى قومه .. ووضحه وشرحه فى اسلوب معجز متين .. يقول القرآن :

« ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين » ـ هود .

اى رسمناه رسولا من عندنا الى قومه .. فاعلن نوح على الفور انه نذير مبين . ويقول القرآن : « انا ارسلنا نوحا الى قومه » .

اى بعثناه رسولا الى قومه ..

ويقول القرآن تاكيدا لارسال نوح : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى » .

وثمة تأكيد آخر على صدق ارسال نوح .. يقول القرآن :

« كذبت قوم نوح المرسلين . اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون . انى لكم رسول أمين » .

ويقول نوح مخبرا عن نفسه : «ان انا الا نذير مبين»

هذا عن النقطة الاولى ..

ولنتناول اذن النقطة الثانية ، وهى الخاصة بالدعوة الى التوحيد .. فالدعوة الى التوحيد تعتبر النواة العظيمة التى التف حولها جميع الانبياء المرسلين . وهى حجر الاساس الذى ينبنى عليه أعظم بنيان فى التاريخ باجمعه ألا وهو بنيان الدين القيم .. ونوح بالطبع هو أحد اولئك المرسلين الذين كان لهم نصيب وافر فى الدعوة الى الله الواحد .. وترك ما عداه من الآلهة الاخرى .. التى لا تنفع ولا تضر ولا تغنى عن عابديها شيئا ..

وكنا ننتظر ان نطالع فى سفر التكوين عن نوح ودعوته الشىء الكثير بصفته رسولا من قبل الله ..

ولكن سفر التكوين خيب آمالنا فيه تماما .. فلقد حاولنا البحث بين دفتيه عن فقرة واحدة يدعو فيها نوح الى عبادة الله الواحد القهار .. ولكنا لم نوفق .. الامر الذى رسم على وجوهنا علامات استفهام وتعجب كثيرة متشابكة فى كثرتها ..

فسفر التكوين بالطبع يفترض فيه انه موحى به من الله تعالى .. ومن غير المقبول بل ومن المستحيل عقلا ان ينزل الله كتابا من عنده دون أن يدعو فيه الناس الى وحدانيته .. والاعتراف بالربوبية له .. والا فلم يكن هناك داع الى ذلك التنزيل .. أو ارسال تلك الرسل !..

وبالطبع ان التبعة لتلقى على مترجم سيرة نوح فى سفر التكوين .. فانه بلا شك قد أتى أمرا عظيما !

الربوبية او الوحدانية التى هى خالصة لله .. تطرح علينا اسئلة تعن لنا اثناء تفنيدنا لسيرة نوح فى سفر التكوين .. ما هى فلسفة دعوة نوح ؟ ولمن كان يدعو نوح ؟ وكيف يفهم الناس أن هناك الها له مقاليد السموات والارض .. ما دام لم يات ذكر لذلك فى سفر التكوين ؟ الامر الذى يجرنا الى التساؤل عن الغرض الذى من أجله نزلت التوراة بسيرة نوح على موسى ؟

اما القرآن العظيم فقد افاض فى ذكر نوح وفى دعوته الى الله الواحد القهار .. وذلك بطريقة فلسفية عميقة فيقول : « ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين . ألا تعبدوا الا الله » .

ويقول نوح لقومه : « فاتقوا الله واطيعون . وما اسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين . فاتقوا الله واطيعون »

ويقول نوح ايضا : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غير افلا تتقون » ـ المؤمنون .

ويردد نوح : « يا قوم انى لكم نذير مبين . أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون » .

حتى ان نوحا عليه السلام قد عرض على الله سبحانه وتعالى مباحثاته ومفاوضاته مع قومه وكيف انه دعاهم الى عبادته وحده .. ولكن هذه المفاوضات قد باءت بالفشل .. ولم يتركوا عبادة اصنامهم التى صنعوها ، فقال نوح لربه : « ومكروا مكرا كبارا . وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا » .

وهكذا نجد الدعوة الى التوحيد صريحة فى القرآن لا ابهام فيها ولا زيغ .. بل اننا لنجد القرآن يظهرها فى صدارة دعوة نوح .. بطريق منطقى سليم .. يشفى كل باحث مدقق .. ويعلم كل قارىء يريد أن ينهل من منهله العذب .

اذن .. فلا جدال فى أن عدم الاتيان بعقيدة التوحيد والدعوة اليها فى سيرة نوح فى الاصحاحات ٦، ٧، ٨، ٩ من سفر التكوين مقصود من المترجم .. ومقصود ايضا من الواقفين خلف ستار المترجم يحركونه كيفما يشاءون .. ونؤكد أن الاتيان بشىء عن عقيدة التوحيد فى سفر التكوين مما يتعارض تمام التعارض مع الاناجيل الاربعة المتداولة .. وخاصة انجيل يوحنا !

ومما يناقض فكرتهم عن الله التى تقول بتثليثه سبحانه وتعالى عما يشركون . مما دعاهم الى اغفال عقيدة التوحيد اغفالا تاما .. والابتعاد عنها ابتعادا شاسعا .. فكان أن حذفوها من سيرة نوح .. كما حذفوها من سيرة يوسف عليه السلام .. خوفا من ان تجرهم عقيدة التوحيد الى متاهات واسعة مترامية الاطراف .. تتزعزع على اثرها عقيدة كل مسيحى .. وكل يهودى .. الامر الذى يحاول الواقفون خلف الستار ـ وهم بلا شك رءوس المشركين بالله ـ أن يستميتوا فى الحفاظ على ذلك البنيان الذى يعتبرونه شاهقا أمام اعينهم ! وان من بين أولئك الواقفين خلف الستار لمن يكفر بما يفعل .. ويعتقد أن طريقه التى يسير فيها هى الضلال بعينه !.. ولكنه الكبرياء الزائف .. والعناد المتكبر .. الذى لا يفضى الا الى التحطيم قوى الصدى .. هذا العناد الذى يدعوهم الى القول بان لله ولدا : « وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا . ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا . لقد احصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » .

والى المرحلة الثانية من سيرة نوح فى العدد القادم ان شاء الله .

من هم الذين ترجموا رباعيات الخيام؟

سماحة الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني

« ٢ » وهل صحيح أن يد التبشير والاستعمار الغربي كانت دخيلة في ترجمتها ونشرها في الشرق

لقد سبق ان افضينا ببيان الجواب عن الشق الاول لسؤال بعض من الجيل الناشيء ، وذكرنا في صفحات الجواب ما قام به الغربيون « ولا سيما فينز جرالد الشاعر الانجليزى » من ترجمة رباعيات عمر الخيام الى اللغات الأوربية ، وعلى الاخص الانجليزية مع ذكر ما الفوه من كتب كثيرة وكتبوه من مقالات غير قليلة ، في موضوع الرباعيات وصاحبها المزعوم الحكيم عمر الخيام النيسابورى .

ووعدنا بالاجابة عن الشق الثانى للسؤال ، وهو الذى وضعناه فوق هذا المقال .

وها نحن نقوم بانجاز الوعد في صحبة مع السادة القراء وعلى الأخص مع الشباب الأعزاء .

لقد استغرب المتاخرون من المؤرخين الشرقيين ، ومن بعدهم من ادباء الشرق ، ما لقيته هذه الرباعيات من العناية لدى الغربيين مع أنها لا تعد من خير ما انتجته قرائح أدباء فارس من الناحية الأدبية . فاجاب الفيلسوف التركى المعروف رضا توفيق ، وقال بالتركية مامعناه : « ان هذا الفوز الذى كتب لرباعيات الخيام لدى الغربيين انما كان منبعثا عن فهم الخيام معنى الحياة ، وفق عقيدة المدنية الحاضرة وذوقها . فقد افاد الخيام هذه الناحية في رباعياته بأسلوب شعرى بديع ، ولم تلتفت أمم الغرب الى الخيام هذا الالتفات ، الا لانها نظرت اليه نظرها الى أديب أوروبى حكيم ، فعملت بما في تعاليمه من حكمة ومضت على طريقته » . وقال بعضهم « والذين تولوا الاشادة بذكر الخيام ورباعياته واذاعة صيته ورفع سمعته ، هم بعض الأفذاذ من المستشرقين الذين يعود اليهم الفضل في بعث اسمه واعلاء شانه ، ولولا هؤلاء الفطاحل لبقى الخيام خامل الذكر مجهولا عند الناس ، ولست أريد أن ابحث في السبب الذى ساق هؤلاء « المستشرقين » الى الاعتناء

والرغبة في تلك الرباعيات. وانما يكفى أن أقول ان المعانى الجليلة التى تضمنتها الرباعيات صادفت هوى فى القلوب على اختلاف المشارب ولاءمت الأذواق والطباع . فليس فى الرباعيات تلك المسخة الشعرية الآرية والخيال الوسيع ، وانما تجلى فيها الذوق الانسانى العام ، فكان الخيام كمن ترجم عن احساس الناس وعن شعورهم وشكوكهم وتخيلاتهم وآمالهم وآلامهم ، وباح بمكنونات دخائلهم » .

ثم قال بعضهم : « واذا نظرنا الى أقوال سائر الكتاب من أدباء الغرب وغيرهم فاننا نجدهم متفقين تقريبا فى هذا التوجيه » انتهى .

وانى أقول : هكذا ظنوا وهكذا وجهوا ، ولكنهم أخطأوا (كأول خطأ فى هذا الموضوع) فى أنهم اعتقدوا أن تلك الرباعيات (التى حللها المستشرقون ، وأشادوا بذكرها وبذكر صاحبها) من الحكيم عمر الخيام النيسابورى ، بدون تحقيق يستوجبه البحث السليم ، وتدقيق يستلزمه النقد الصحيح ، مع أن الحقيقة على خلاف عقيدتهم .

ثم أنهم اتجهوا فى توجيههم الى ناحية واحدة فقط وهى الناحية الفكرية التى تضمنتها الرباعيات من حيث مطابقتها على عقيدة المدنية الحاضرة ، أو موافقتها على أهواء الغربيين وتعبيرها عن احساس الناس وشعورهم و ، و ، .. ولكن فاتهم (مع الأسف) معرفة الاغراض الحقيقية التى كانت هى العاملة القوية والسبب الاولى عند الخواص الماهرين ، من أولئك الغربيين ، لترجمة الرباعيات ونشرها باسم الحكيم عمر الخيام النيسابورى ، والاشادة بذكرها وذكر من نسبوها اليه نسبة مزعومة .

نعم : فاتتهم تلك المعرفة فاعتقدوا منخدعين أن أن المستشرقين فطاحل يرجع اليهم الفضل فى بعث اسم الخيام واعلاء شانه ، ولم يفطنوا أنه لو لم يكن هؤلاء الفطاحل وبقى خيام الشرق خامل الذكر فى الشرق مجهولا لدى الناس ، لأمن الشرق من فتنة رباعياته ، واستراح الشرقيون من ويلات هذياناته .

هذا . والحقيقة التى أثبتها البحث السليم والنقد الصحيح ، والتى تدرك من تصريحات المعاصرين للحكيم النيسابورى ، ومن أقوال من بعدهم من ثقات المؤرخين ، هى أن الحكيم عمر الخيام النيسابورى عرف فى بلاد الشرق من قرنه الذى نشأ فيه (وهو أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجرى) فى كبار العلماء وأئمة المسلمين ، وعداد الحكماء والرياضيين والمنجمين ، ولم يعد فى صف الشعراء الا عند بعض الكتاب المتأخرين ، ولكن الغربيين هم الذين عرفوه فى الغرب والشرق كشاعر قبل أن يعرفوه كحكيم أو رياضى أو منجم فلكى ، وهم الذين شهروه بهذه الرباعيات التى نسبوها اليه ، أعنى تلك الرباعيات المستنكرة الخمرية الخليعة التى تدعو الناس الى تناول الصهباء ، ومجالسة الغادة الحسناء ، وامرار الحياة بالعطالة والجمود والكسالة والخمود ، والحرية المطلقة التى لا قيود فيها ، تلك الرباعيات التى تهاجم تعاليم الدين الاسلامى الحنيف ، والتى لا تتفق ومكانة الحكيم النيسابورى العلمية ، ومنزلته الشخصية ، ومبادئه الحقيقية .

هذا . واذا نظرنا نظر الباحث الناقد وتعمقنا تعمق الفاحص المدقق فى سر قيام الغربيين بترجمة هذه الرباعيات ونشرها فى الغرب والشرق لاسم الحكيم النيسابورى ، واشادتهم بذكر صاحبها المزعوم ، وتمجيد واحياء ذكره بطرق مختلفة ، فاننا نعلم حق العلم أن قيامهم بهذا وذاك كان من نواح ثلاث :

الأولى : انهم وجدوا معانى تلك الرباعيات وأهدافها متفقة مع أهواء الغرب من شرب الخمر ، ومصاحبة الغانيات ، وامرار الحياة بما يمكن من الفرح والسرور والحرية المطلقة التى لا قيود فيها .

الثانية : ان خواص الغربيين الماهرين من رجال الدين المسيحى ومن له علاقة بالتبشير النصرانى ، وجدوا فى هذه الرباعيات بغيتهم المنشودة فى الطعن على الدين الاسلامى والاستهزاء بتعاليمه القدسية ، ولا سيما فى الجرأة على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، مستندين فى ذلك على مقولات (ولو موضوعة مختلفة مزعومة) تسبب الى رجل عظيم من عظماء الشرق ، وعالم من علماء الاسلام ، وامام من أئمة المسلمين ، الذى نشأ فى البيئة الاسلامية ، وتربى على تعاليم الرسول وسنته . فاستفادوا من ترجمة تلك الهذيانات باسم فلسفة الخيام وحكمه ، ومقولته وفكرته وذلك فى عدائهم على الدين الاسلامى الحنيف والطعن على مقدساته .

نعم : وجدوا بغيتهم فيها لا عن طريق عظيم نصرانى غربى ، بل عن طريق عظيم مسلم شرقى ، كما كسبوا مبالغ باهظة عن طريق بيع تراجمهم وكتبهم فى أنحاء الغرب والشرق .

الثالثة : وهى التى أعتقد أنا كرجل ذاق هو وشعبه مر الاستعمار البغيض ، وعرف حيل المستعمرين ودسائس المحتلين (وأظن أنها فكرة لم يصرح بها أحد من الباحثين فى هذا الموضوع) ألا وهى الناحية السياسية الدقيقة التى لعبت بها يد الاستعمار دورا من أدوارها الاستعمارية فى الشرق ولا سيما فى ايران ومستعمراتها بلاد الهند ، نعم هى الناحية السياسية التى لعبت بها يد الاستعمار ، ولكن بكل دقة وحذر وفى همس وخفاء .

وكأن فيتز جرالد الشاعر الماهر الانجليزى قد لبى الاشارة من قبل بعض ساسة الانجليز فقدم للمستعمر المحتال خدمة مشكورة ، ولكن تحت ستار الخدمة للادب الغربى ، وذلك بترجمته تلك الرباعيات لاسم الحكيم النيسابورى من النظم الفارسى الى النظم الانجليزى ، وحذ حذوه أمثاله من زوكوفسكى المستشرق الروسى وغيره ، ولعبوا دورهم فى هذا المضمار متعاضدين . ولكن فيتز جرالد تفرد من بينهم بميزة خاصة فى تأدية مهمته ، وبطابع خاص فى النهوض بوظيفته ، فقد صور هذه الرباعيات المستنكرة الخمرية الخليعة بصور خلابة ، وضمنها فى كلمات انجليزية منظومة جذابة ، بحيث تجلب قلوب أهل الشرق ولا سيما الشباب الناشىء رجال المستقبل ، وتكسب اهتمامهم (ولا سيما الايرانيين والهنديين منهم) نحوها من حيث طلاوتها اللفظية ومماشاتها مع الشهوات والنزعات النفسية ثانيا . كما أن فيتز جرالد (مع من حذا حذوه) قد خيل فى رؤوس الشرقيين عامة والايرانيين خاصة ، أن صاحب الرباعيات هو الحكيم عمر الخيام النيسابورى الذى لا يخفى مقامه عليهم ومكانته الرفيعة لديهم .

كما خيل أيضا أنه بترجمته لتلك الرباعيات ونشرها) قد قدم هدية ثمينة وخدمة قيمة للشرق ، تستحق كل اعجاب وتقدير ، وكل شكر وتوفير ، ونجح فيتز فعلا فى هذا التخييل ، فنحن نرى طائفة من كتاب الشرق وأدبائه قد أمطروا الثناء عليه (ويمطرون) فيما يؤلفون عن عمر الخيام ويكتبون ، ويدعون الشرقيين الى الاعتراف بفضل فيتز وتقديره مع الاسف .

ولكن الحقيقة الواقعة أن فيتز قد خدع الشرق والشرقيين بهذه الخدعة السياسية ، خدعة موفقة فى اغراضها ، ناجحة فى أهدافها . فقد نجح فيتز جرالد - ونجح معه الانجليز - المعروف بدهائه السياسى فى السياسة الاستعمارية ، حيث تمكن من نشر تلك السموم الفتاكة

بين ابناء الشرق عامة وابناء المستعمرة ، الهند وجارتها ايران خاصة ، وذلك فى قشر قشيب وأسلوب أخاذ تحت ستار الادب ، ودعاهم جميعا الى تناول الخمور ومنازلة الحسناء ، وملازمة السرور والغناء ، ومجانبة السعى والعمل ضد العاملين ، والركون الى الخمود والجمود شان العاطلين ، والسلوك مسلك الكسالى الجامدين ، وحثهم على الاباحية والزندقة والحرية المطلقة . الامر الذى دفع (فى دوره الخاص) الشرق فيما دفعه الى التاخر ، وجعله مستعدا لقبول تدخل المستعمر فى شئونه الاقتصادية اولا والسياسية ثانيا . او الامر الذى يعد على الاقل من أسباب تاخر طائفة من الشرقيين فى شئون الحياة ، وفساد أخلاقهم ، وتنزل حالاتهم الصحية ، واخلالهم الامن فى بلادهم ، وابتعادهم عن كسب العلوم والفنون والصناعات ، واضرارهم فى شئون الاقتصاد الشرقى ، والنشاط فى الانتاج الصناعى ، مع الاسف الشديد .

هذا . وقد سبق أن قلنا فى بيان « ترجمة فيتز جرالد » مانصه :

« ويقال انه توجد فى مكتبة المتحف البريطانى مائة وثلاثة وخمسون كتابا بين كتب من الطبعات المختلفة لترجمة فيتزجرالد ، وكتب تراجم متنوعة لادباء مختلفين من شعرية ونثرية لرباعيات عمر الخيام ».

وهذا النوع من الاهتمام بترجمة رباعيات الخيام من قبل بريطانيا (المعروفة بدهائها واستعمارها والتى تحتضن التبشير النصرانى فى أحضانها بكل لباقة وسخاء) اذا دل على شىء يعبأ به ، فانما يدل على مادعيناه من الاغراض الاستعمارية والتبشيرية لترجمة رباعيات عمر الخيام ونشرها . كما لا يخفى على المتدبر فى هذا المضمار .

ويمكن أن نقول : أن فيتز جرالد ومن بعده من المترجمين الغربيين (ومعهم المستعمر المحتال) قد ذهبوا الى أبعد مدى فى نجاحهم العدائى للاسلام ، واغراضهم السياسية نحو الشرق . فقد تمكنوا من تنفيذ خدعتهم فى صفوف أدباء الشرق والكتاب الشرقيين ايضا حيث دفعوهم (وهم المثقفون فى البلاد) نحو التقدير والاعجاب بتلك الترجمة الخادعة للرباعيات . حيث انخدعت طائفة منهم فاستقبلوها (مع الاسف) باسم فلسفة الخيام ، كما اعتقدوا أن تلك الرباعيات المستنكرة الخمرية الخليعة مقولة الحكيم عمر الخيام النيسابورى ؛ وليس ذلك اعتمادا منهم على دليل معقول أو أثر موثوق منقول ، وانما ذلك اعتمادا على فيتزجرالد الانجليزى ونسخته التى لا وجود لماخذها الاصلى ، لا فى الغرب ولا فى الشرق ، بل قاموا (عربا وعجما) وسارعوا الى ترجمة تلك الهذيانات من الانجليزية الى الاردية والعربية والتركية ، ونشروها فى قطع صغيرة وكبيرة ، مع صور مختلفة كثيرة ، أو رسوم خليعة مثيرة . ونتيجة هذا وذلك تم الامر لاعداء الاسلام ومصلحة المستعمرين فى مضرة الشرق المسكين ، وأبنائه المساكين .

هذا وقد حذا حذو فيتزجرالد عدد من رجال الغرب (كما قلنا آنفا) وكان على راسهم اللورد جرزن السياسى المعروف بعدائه للاسلام والمسلمين ، وهذا الرجل (على الرغم أنه ليس من أدباء الغرب) كتب بحثا خاصا عن عمر الخيام قائل الرباعيات المزعوم فى كتابه « آسيا الوسطى » الذى وضعه عن سياحته ، وانما ذلك محاولة ان يغرى الشرقيين بصاحب الرباعيات ، ويخيل فى أنظارهم أنه هو الحكيم عمر الخيام النيسابورى المعروف بحكمته ومكانته ، والذى يجب على الشرقيين ولا سيما الهنديين والايرانيين أن يتبعوه فى مهاجمة الدين الاسلامى واستهزائه بتعاليمه القدسية ، وايثاره الخمود على السعى والعمل ، واغتنامه العمر بشرب الخمر وامرار الحياة بسرور لا حد له وحرية مطلقة لا قيود فيها ، حتى يتهيا جو الشرق لمخالفة الدين ، ومطاوعة المستعمرين .

وقد بلغ الغربيون فى تعريف صاحب الرباعيات (عمر الخيام المزعوم) على السنة خطبائهم واقلام كتابهم وقرائح شعرائهم ومقدمات تراجمهم الى حد أنهم شبهوه بابيقور اليونانى وأبى العلاء المعرى ترويجا لسوق الرباعيات فى الغرب والشرق من ناحية ، وتضليلا للشرقيين ولا سيما الجيل الناشىء من ناحية اخرى . وكل ما عملوه من هذا النوع وغيره انما كان لتنفيذ خطتهم السياسية ضد المسلمين ، واغراضهم العدائية ضد دين الاسلام وتعاليمه ، وذلك من اسم مستشرق او مؤرخ أو شاعر او سياح ، أو اية هيئة ، وبكل مايمكن لهم من الالقاب والاسماء .

ومما يذكر هنا : أن أولئك الغربيين كانوا فى أشد ما يكون من الوقاحة ، وذلك فى محاولتهم تعريف الحكيم عمر الخيام النيسابورى وتقديمه الى الشرق ، وتقديم عدد من الرباعيات التى نسبوها الى اسمه ، فقد ابتعدوا عن الذوق فلم يمسسهم حياء فى أنهم بصنيعهم هذا كانوا يحاولون أن يعرفوا ويقدموا رجلا الى الشرق وهو من الشرق ، أو يقدموا عددا من تلك الرباعيات الى الشرقيين ، وهم يعرفون أبها للشرقيين « ورب الدار اعلم بما فى الدار » .

نعم : ولكن الاغراض السياسية والمذهبية قد غلبت على مشاعرهم فاعمت أبصارهم ، وسلبت حياءهم ، وأدت بهم لارتكاب هذه الوقاحة التى سجلها التاريخ (والا فها نحن سجلناها) بكل كراهية وتنديد ، وبكل جراة وثقة ، وبكل دليل وحجة .

نعم : انما قام أدباء الغرب بترجمة تلك الرباعيات المختلفة المنسوبة الى الحكيم النيسابورى ونشرها لاهداف سياسية ، واغراض مذهبية ، وحرصوا فى توسيع نشرها ، وتعميم مناولتها ومطالعتها بكل طريق ممكن ، حتى نشروها فى قطعات كارت بوستال وضعوا على طرف منها رباعية انجليزية من ترجمة فيتز جرالد ، ووضعوا فى طرفها الآخر رسما خليعا يتناسب مع مفهوم الرباعية ومغزاها .

هذا . ومما يلاحظ أن المركز الثانى لترجمة هذه الرباعيات ونشرها بعد لندن العاصمة كان الهند (الارض الخصبة لتلبية دعوة الاستعمار واجابة اشارة الحاكم المحتل المتربع على عرشها المغولى عرش جهان كيروشاه جهان حيث ترجمت الى اللغة الاردية فيها ، ونشرت فى أنحاء بلادها ، ولا سيما فى عواصمها دلهى ، ولا هور ، وكلكتة ، وبومباى نشرا واسع النطاق . وقد رايت فى يد طالب مسلم من طلبة بعض المدارس فى بومباى ترجمة الرباعيات الانجليزية لفيتز جرالد ، فسالته عن ذلك فقال : ان هذا الكتاب يدرس فى مدرستنا الثانوية ككتاب أدبى انجليزى ، وكان ذلك سنة ١٣٥٠ هـ حينما مررت بالهند عضوا فى الوفد الافغانى الى المملكة العربية السعودية لعقد معاهدة الصداقة بينهما بين افغانستان .

ويقال . ان ترجمة فيتز جرالد الانجليزية لرباعيات الخيام كانت مدرجة فى برنامج التدريس بجامعة عليكره اعظم الجوامع بالهند فى تلك السنوات ، الامر الذى يدل على تلك الاغراض المذهبية الخبيثة والاهداف السياسية الاستعمارية البغيضة من ترجمة لتلك الرباعيات الموضوعة باسم الحكيم النيسابورى ونشرها بين الشباب الناشىء ورجال مستقبل الاسلام والشرق .

« للبحث بقية »

حول الحضارة العربية الإسلامية

الأستاذ عبده بدوى

الى أين ؟

لعل من المفيد لكل أمة أن تقف فترة صغيرة تتلفت فيها الى نفسها ثم تسأل « الى أين ؟ » فاذا وجدت انها تشد كافة قواها ثم تسير بها فى تطور دائم وجب أن تواصل رحلة الحياة فى رضى وسعادة عن نفسها .

ونحن حين ننظر ـ فى دائرة الفكر ـ نجد أن العرب فى حركة تقدمهم لم يكونوا يقفون كجزر صغيرة ، وانما كانوا يقدمون للناس ماعندهم وفى مقدمته الاسلام ، وكانوا يستقبلون من عند الناس ماعندهم ، ويحاولون الانتفاع به.

ومما لا شك فيه أن أعظم الفترات التى عاشها الفكر العربى ، كانت تلك الفترات التى احتك فيها الوجود العربى الاسلامى بالحضارتين الفارسية والرومانية ، فقد كان يجدد المناخ الذى يعيش فيه بالفكر الذى كان يمتصه من الحضارات السابقة ثم يفرزه بعد ذلك وعليه الطابع العربى الاسلامى ، ولعل هذا هو الذى جعل البعض يضيقون به ، والبعض يطلق على العرب أن دورهم كان فى بعض الجوانب كالفلسفة مثلا هو دور « ساعى البريد » ، وانه لم يظهر من خلالهم عدد كبير من الفلاسفة ، وكان الفلاسفة الذين يمتون الى الفرس مثلا والذين عاشوا فى المناخ الثقافى العربى الاسلامى كانت لهم من قبل فلسفة فى فارس ، فالقول الصادق فى هذا أن العرب اذا كانوا قد شغلوا « بنظرية الحكم » وتطبيقها ، فان المناخ العربى الاسلامى هو الذى كان يعطى الحرية كل الحرية لفكر الانسان !

ومهما يكن من شىء فالظاهرة الاولى التى تقابلنا هى بلا شك أن العرب كانوا يرحبون بكافة أنواع الفكر ، ولم يكونوا ـ فى جملتهم ـ يضيقون فيها ، ومن الغريب أن البعض يهاجم العرب من هذه الزاوية فيذكر أنهم كانوا يتقدمون وافكارهم ـ ويتناسون الاسلام كنظرية وتطبيق ـ تكاد تستجدى ما تجده أمامها من الفكر .

ومن نفس الناحية ـ وهذا يؤكد عدم الموضوعية ـ يهاجم البعض العرب ، بانهم لم يستوعبوا ولم يفرقوا تماما فى الافكار الاخرى للامم السابقة .

ومن هنا يظهر الدافع وراء كل هذا هو الرغبة فى عدم ظهور « الشخصية العربية الاسلامية » فهم يرحبون بكل ما يعمر هذه الشخصية ، ويجعلها ظلا بليدا للفكر فى اية حضارة !

ومهما يكن من شىء فقد استقبل العرب الحضارات القديمة وهم اقوياء يقفون على اقدامهم ، ولكن بمرور الزمن استقبلوا حضارة أوربا وهم جاثون على ركبهم ؛ ومن هنا نراهم يترددون فى القبول فى أول الامر ، ثم نراهم بعد ذلك يقبلون على هذه الحضارة ، ثم يلتفت المثقفون الى أنفسهم ، وفى مقدمتهم الدكتور طه حسين والدكتور زكى مبارك ، والدكتور هيكل ، وتوفيق الحكيم ، وتتصارع الآراء حول كلمات « النقل » و « الاقتباس » و « الاستيعاب » ، وكافة هذه الآراء لم تكن تنكر الاحتفاظ بالشخصية ، وان كان « سلامه موسى » قد ركز على نغمة تقول : انه لا يجب أن نقف عند حدود فى الاخذ عن الغرب !

وقد رأى بعض المفكرين كجبران خليل الجبران العقم الذى تعيش فيه المنطقة ، حين ذكر أن الغربيين فى الماضى « كانوا يتناولون ما نطبخه فيمضغونه ويبتلعونه محولين الصالح منه الى كيانهم الغربى ، أما الشرقيون فى الوقت الحاضر ، فيتناولون ما يطبخه الغربيون ويبتلعونه ، ولكنه لا يتحول الى كيانهم الشرقى بل يحولهم الى شبه غربيين »

وتستمر الحياة ، وتبلغ من حدة التأثير ان المثقفين الى فترة صغيرة لم تكن تمكن دراستهم الا من خلال الفكر الفرنسى أو الانجليزى ، وان وراء كل منهم يوجد أديب أو تيار فكرى يستند اليه ، دون أن ينظر فى نفسه ، أو فى طبيعة الحياة من حوله ، أو يمد عينيه الى ثقافات أخرى غير هاتين الثقافتين .

واليوم يرحب الجميع بكافة النوافذ المفتوحة على العالم ، ولكنهم يحسون أن من واجبهم أن يضيفوا شيئا الى ما قاله العالم من قلب المنطقة العربية ، فقد أخذوا الكثير ، وآن لهم أن يعطوا شيئا فى ميدان الفكر وآن لهم أن يحققوا ذواتهم بما يقولون ؟

ولما كانت هذه الالتفاتة لا يمكن أن تكون عميقة ، الا باستيعاب النابض من تراثنا ، والذى يصلح لهذه الفترة ، فان من الواجب على الذين يتقدمون فى هذه الفترة فى ميدان الفكر ، الا يحاربوا فى أرض مكشوفة ، ذلك لانه لابد لهم من الوقوف على « أرض صلبة » من فكر هذه الأمة ، ثم التحرك الى كافة الاتجاهات ، فاذا علمنا أن هذا العصر هو عصر « الايديولوجيات » وامتداد الحدود الفكرية خارج الحدود السياسية ، وأن الغرب لا يطل علينا فقط ولكن الشرق كذلك ، وانه لابد لنا من تحقيق شخصيتنا .. اذا عرفنا ذلك أدركنا أنه يجب فى هذه الفترة أن نقف لحظة نقول فيها « الى أين » ثم ننطلق فكريا كأعمق ما يكون الانطلاق ، أما كيف نقف ؟ وكيف ننطلق ؟ فالذى نرجوه ، هو الكتابة عنه فى عدد تال .

ابن الأبار

الاستاذ محمد سعيد جاد الحق

شهدت الاندلس فى نهاية القرن السادس الهجرى ميلاد رجل تضرب اليه أكباد الابل ويستصبح برأيه فى المعضلات قد استبطن دخائل العلم واستجلى غوامضه وخاض عبابه وغاص على أسراره وأحصى مسائله ومحص حقائقه فهو بحر لا يسبر غوره ولا ينال دركه يقطر كلامه فصاحة وبلاغة ويغوص فى لجة البيان فيظفر بكبار لؤلؤ البحر العميق قد استوت بديهته وارتجاله وتاخر عن فروسيته فى هذا الفن رجاله ذلك هو ابن الابار عالم الاندلس وواحدها وانسان عينها وقائد نهضتها محمد بن عبدالله بن ابىبكر القضاعى البلنسى من بنى قضاعة وبنو قضاعة قبيلة من حمير من القحطانية غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم قضاعة وجدهم مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ويقول الذهبى فى العبر وقد يحتج له بما رواه ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الجهنى قال قلت يا رسول الله ممن نحن قال من قضاعة بن مالك وفى ذلك يقول عمرو بن مرة الجهنى القضاعى الصحابى:

نحن بنو الشيخ الهجان الازهر
قضاعة بن مالك بن حمير

نزحت أسرته من اليمن الى الاندلس فاستوطنت شرقيها وسكنت أندة فى ضواحى بلنسية وفى تلك المدينة التى لا يقع الطرف على أجمل منها ولد ابن الابار سنة ٥٩٥ ومات سنة ٦٥٨ فنبت فى دوحة باسقة الفروع طيبة المجتنى وتنقل فى رياض الادب وأزاهير العلم ينشق رياها ويقطف جناها فجمع بين كرم الاصل وطيب المنبت وأوتى من الذكاء والفطنة وبعد الفهم وقوة الذاكرة وبلاغة اللسان وحسن البيان ما كان كفيلا أن يهيىء له حياة سعيدة ولكنه خلق ذا طبع قلق ونفس حائرة فلم يقر له حال منذ نعومة أظفاره الى آخر شوط من أيامه .

الايام تتنكر له :

وما زالت الخطوب تنزل بساحته حتى انتهى به الامر الى مصرع فاجع على يد من خدمه وملأ الصفحات بمديحه فلو أننا بحثنا عن رجل لم ترحمه الايام ولا رحمته نفسه لما كان هذا المثال خيرا من ابن الابار .

ابن الابار وطلب العلم :

قضى ابن الابار جانبا من حياته فى الاندلس مسقط راسه فامضى فى الدراسة والتحصيل زمنا ليس بالقصير حيث درس على شيوخ يردد أسماءهم فى معاجمه ومؤلفاته وينقل عنهم أمثال أبى عبد الله بن نوح وأبى جعفر الحصار وأبى الخطاب بن واجب وأبى الحسن بن خيره وأبى سليمان بن حوط وأبى عبد الله محمد بن عبد العزيز بن مسعده ويمكننا أن نعد أبا الربيع بن سالم فى طليعة شيوخ ابن الابار فقد لزمه قرابة عشرين عاما وابو الربيع أكبر محدث فى عصره واشهر علماء الاندلس فى زمانه .

ابن الابار الرحالة :

لم يكتف ابن الابار بالاخذ عن علماء بلنسية بل تنقل فى الامصار وجاب البلاد والاقطار فجمع الى تضلعه فى الحديث ثقافة جامعة لعلوم عصره ثم قفل راجعا الى بلنسية مسقط راسه ولم يبلغ الثلاثين من عمره فاتخذه أمير بلنسية السيد أبو عبد الله محمد بن أبى حفص بن عبد المؤمن بن على كاتبا له ثم صار كاتبا لابنه من بعده وحين تغلب زيان بن مردنيش على بلنسية هرب أميرها فتبعه كاتبه ابن الابار ولكن الامير اعتنق النصرانية فتركه ابن الابار وعاد ليكتب لاميرها الجديد أحداث الزمان المروعة . وعدا مردنيش على بلنسية وفى تلك المعركة الطاحنة قتل عدد كبير من فقهاء الامصار وعلمائها ومن بينهم الاديب المحدث العلامة أبو الربيع سليمان الكلاعى شيخ ابن الابار فسحت جفونه عليه ورثاه بقصيدة طويلة اولها :

الما باشلاء العلا والمكارم
تقد باطراف القنا والصوارم

وحين اشتد الحصار على بلنسية من العدو المغير استغاث أهلها بسلطان الدولة الحفصية فى المغرب فأرسلوا وفدا كان أحد رؤسائه ابن الابار الذى انشد قصيدة ضارعة طويلة بين يدى سلطان المغرب بدأها بهذا المطلع اليائس المتغيث :

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا
ان السبيل الى منجاتها درسا

وكان للقصيدة تاثيرها البالغ فى نفس السلطان الحفصى فامر بارسال أسطول الى بلنسية محملا بالعتاد والسلاح والاقوات ولكن المدد وصل والحصار فى ذروته فلم يجد الاسطول الى الانقاذ سبيلا وأدرك المسلمون ان لابد من التسليم وغربت شمس بلنسية فبكاها ابن الابار حتى بل نحره وودعها بتلك الكلمات التى يقول فيها :

وأما الاوطان فقد ودعنا معاهدها وداع الابد أين بلنسية ومغانيها وأغاريد ورقها واغانيها أين حلى رصافتها وجسرها ومنزلا عطائها ونصرها وأين أضياؤها تندى غضارة أين جداولها الطفاحة وخمائلها أين جناتها النفاحة وشمائلها شد ما عطل من قلائد ازهارها نحرها فاية حيلة لا حيلة فى صرفها مع صرف الزمان وهل كانت حتى بانت الارونق الحق وبشاشة الايمان ونزح ابن الابار الى تونس فى ظلال الدولة الحفصية وسلطانها الحازم ليصيب المجد والثروة والنجاح فاسند اليه كتابة الانشاء ولكن سوء الحظ شاء لابن الابار الاخفاق الذريع فى عمله الجديد وعوقب فى كلام بدر منه فاستشاط غضبا ورمى بالقلم من يده وانشد :

أطلب العز فى لظى وذر الذ
ل ولو كان فى جنان الخلود

واخفاق ابن الابار مرده فى عمله الى حدة طبعه وشعة فى خلقه وسعاية بعض حساده من أهل الاندلس واحس ابن الابار بفداحة خطئه فحاول أن يتلافاه والتجا الى نجل السلطان يسأله الشفاعة عند أبيه ونظم القصائد معتذرا وفيها يقول :

لبشرى برضاك أن يتحكما
لا المال استثنى عليه ولا الدما
ندمى على ما ندمنى دائم
وعلامة الآداب ان يتندما

ورضى السلطان عن ابن الابار فعفا عنه واعاده الى سابق عمله ومات السلطان وخلفه آخر فجمع حوله العلماء والادباء ومن بينهم ابن الابار ولكن حساده ما زالوا يكيدون له فاوغروا صدر السلطان حتى امر بنفيه وعاد فعفا عنه ولكن عفوه لم يدم طويلا وفى ذلك نعى على الزمان سعيه ويقول :

علت سنى وقدرى فى انخفاض
وحكم الرب فى المربوب ماض
الى كم أسخط الاقدار حتى
كانى لم أكن يوما براض

وكانت وشايات الحساد توغر صدر السلطان وتتهم ابن الابار عنده بتوقع المكروه للدولة فامر السلطان بالقبض عليه ومصادرة جميع كتبه ومؤلفاته وعهد الى الكاتب احمد بن ابراهيم الغسانى بتفتيش كتبه ودفاتره فوجد فيها رقعة فيها هجاء السلطان فغضب عليه وامر بضربه بالسياط وقتله واحراق مؤلفاته فقتل واحرقت كتبه وهذه النهاية الفاجعة جعلت المؤرخين يعطفون على ابن الابار ويتهمون قاتله بالظلم والجور حتى لقد اطلق عليه بعضهم اسم الشهيد كما راح آخرون يصفون ندم السلطان بعد ذلك على قتله .

الحج ولماذا فرض على القادرين ؟

للاستاذ محمد عطية الابراشي

الحج لغة القصد ، وفى الشرع : قصد البيت الحرام بمكة لتادية فروض الحج ، ومناسكه ، من الطواف بالكعبة، والسعى بين الصفا والمروة سبع مرات، والوقوف بعرفة ، وذكر الله ، والتهليل ، والتلبية والتكبير ، وذبح القرابين ، والتصدق على الفقراء والمساكين ، تقربا الى الله جل شانه .

وأركانه التى لا يصح الحج بدونها هى . الاحرام والطواف ، والسعى ، والوقوف بعرفة ، والحلق بعده على قول .

والبيت الحرام هو الكعبة الشريفة ، وهى وسط المسجد الحرام ، وكسوتها مطرزة بوشى الذهب . والحرم مفتوح ليلا ونهارا ، يقصده الحجيج فى كل لحظة من البيت . والصفا والمروة : هما موضعان بجوار المسجد الحرام .

وعرفة . واد واسع على نحو عشرين الف متر من المسجد الحرام .

متى فرض الحج ؟

قد فرضه الله فى السنة الخامسة من الهجرة ، على ما صححه الشافعية ، وأوجبه على المسلم البالغ العاقل الحر القادر المستطيع . قال تعالى ((ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا .)) من الناحيتين المالية والصحية . وقال عز وجل : ((الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله . وتزودوا ، فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الالباب))

واشهر الحج هى . شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة ، لا رفث . لا جماع ولا تقبيل . لا فسوق لا معاصى . الجدال : الخصام والمناقشة. تزودوا مايبلغكم لسفركم . وخير الزاد ما يتقى به سؤال الناس .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ((من حج لله فلم يرفث ، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)) أى أن من حج ، وقصد بحجه ابتغاء مرضاة الله ،وكان حجه خالصا لوجه الله ، ولم يرتكب فاحشة ، ولم يات بسيئة ولا معصية ، وقبل الله حجه ، رجع بلا ذنب كما كان حين ولدته أمه .

وقال جل شانه : ((وأتموا الحج والعمرة لله)) وقال صدق القائلين : ((ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما . ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم)) .

وفى حجة الوداع أنزل الله على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو واقف بعرفة يوم الجمعة قوله : ((اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا)) فبالحج تتم أركان الاسلام ، ويكمل الدين.

وقد قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام : ((وأذن(١) فى الناس بالحج يأتوك رجالا (٢) ، وعلى كل ضامر (٣) يأتين من كل فج عميق (٤) ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات (٥) على مارزقهم من بهيمة الانعام (٦) ، فكلوا منها ، واطعموا البائس الفقير (٧) .

الفرض من الحج :

الفرض من الحج أن تتمتع روحيا بمكة المقدسة ، ام القرى التى نشأ فيها سيد المرسلين ، وتتذكر كيف نشأ الاسلام ، وما قاساه الرسول فى دعوته ، وتتعظ بهذه الذكرى ، وتجتمع باخوتك من المسلمين الذين أتوا من مشارق الارض ومغاربها ، وتعرف أحوال المسلمين فى مختلف أنحاء العالم ، وتفكر معهم فى الوسائل التى تعيد للاسلام عظمته ومجده ، وللمسلمين قوتهم وحريتهم ،وتعمل للنهوض بهم ، واصلاح عيوبهم ، وتوحد بينهم مهما تناءت بلادهم .

---

(١) ناد .

(٢) مشاة ، جمع راجل ، بمعنى ماش .

(٣) وركبانا على كل بعير مهزول .

(٤) طريق بعيد .

(٥) هى عشر ذى الحجة او يوم عرفه اويوم النحر الى اخر أيام التشريق ، اقوال .

(٦) الابل والبقر والغنم التى تنحر فىيوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا .

(٧) الابل والبقر والغنم التى تنحر فى يوم العيد وما

لماذا فرض الحج على القادرين ؟

لقد فرض الحج على القادرين من المسلمين ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام ، وتتيسر لهم فرصة التعارف والتفاهم . وان المسلمين يجتمعون عادة فى بعض أوقات الصلاة ، وفى الجمعة والعيدين ، للتعاون وتوحيد الكلمة بين أهل الجهة أو البلدة . ولما كان هذا الاجتماع محدودا لا يكفى ، شرع لهم الاسلام اجتماعا عاما يجتمع فيه المسلمون من أنحاء العالم فى الكعبة الشريفة ، وجميعهم على دين واحد ، لفرض واحد ، حيث يقوم العلماء بتعليم الجهلاء ، ويخطب الخطباء ، ويتحدث الحكماء ، لوعظ المسلمين ،وارشادهم الى ما ينفعهم ، ويتبادل الجميع الاراء والافكار ، ويعود الحجاج الى بلادهم ، وهم مزودون بكثير من الاخبار ، فيقوى الاخاء بين المسلمين ، ويزول التباغض والتنازع ، قال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم » أى قوتكم .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولن تؤمنوا حتى تحابوا » .

وان اجتماعا كهذا يؤدى الى الاتحاد ، والوحدة الشاملة، والتعاضد والتآلف والتعاون بين المسلمين ، بعد أن فرق الاستعمار بينهم ، ليكون سيدا لهم ، مسيطرا عليهم وعلى بلادهم ، فتتحد كلمتهم ، وتقوى شوكتهم ، ويكونون يدا واحدة على من رماهم بسوء أو أذى أو مكروه .

ان اجتماعا كهذا يؤدى الى الاقلاع عن المعاصى ، واجتناب الرذائل ، والرجوع الى الفضائل ، والتمسك بالاخلاق الاسلامية ، وهى أخلاق مثالية .

والمسلمون اليوم ٦٠٠ مليون . ولو تعلموا جميعا، وعملوا بقول الرسول العظيم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . لادركوا روح الاسلام وعظمته ، ومثله العليا ، وتأكدوا أنهم أقوياء اذا اتحدوا وتعاونوا ، ولكن الاستعمار حرمهم التعليم ، حتى يتمكن من اخضاعهم واستغلالهم بالخديعة والكذب ، والمكر والدهاء ، والتبشير .

وفى هذا الجمع تجد الروح الاسلامى ، و «الديمقراطية» الاسلامية ، والمساواة التامة بين الأغنياء والفقراء ، والقوة الروحية ، والمحبة الاخوية ، والرهبة الربانية .

فى هذا الجمع يجتمع المسلمون من أجناس متعددة ، وبلاد مترامية الاطراف ، ليتعارفوا ويتعاونوا ، ويفكروا فيما فيه صلاح شئونهم ، بدون رقيب ولا عتيد . فلا يجد الحجيج من يضايقهم فى اجتماعهم ، ويحصى عليهم ما يسرون وما يعلنون ، فيتحدثون فى وسائل الاصلاح وهم فى مكان أمين ، وكلهم متساوون فى الخضوع لرب العالمين، مالك يوم الدين ، يجتمع عشرات الالوف من المسلمين ، وهم جميعا يحسون بالاخوة والمحبة ، ويتجهون الى الله بقلوبهم وأرواحهم . فالعربى أخ للهندى والباكستانى ، وأخ للافغانى والايرانى ، وأخ للصينى والاندونيسى ، وأخ لكل مسلم ، من غير تفرقة بين الامير والخفير ، والفنى والمحروم . وكلهم أمام الله سواء . فقد وحد الاسلام بينهم ، وان اختلفوا فى جنسهم ولونهم ولغتهم .

يجتمع المسلمون مبتهلين الى الله ، خاضعين له كل الخضوع ، مؤمنين به كل الايمان ناسين الدنيا وزخرفها والمال والبنين ، والأهل والاقارب ، ملتمسين رضا الرحمن ومغفرة العلى القدير ، معتقدين أن العظمة لله وحده ، وأن الله أكبر من كل كبير ، وأعظم من كل عظيم ، وأقوى من كل سلطان فى هذه الحياة ، وان الاسلام يدعو الى الوحدة والجماعة ، ويكره التنازع والشذوذ عن الجماعة الا فى الحق .

وفى زيارة تلك الاماكن الطاهرة الروحية المقدسة رهبة وخشوع لله ، وتقرب الى الله ، وعظة وعبرة ، والتجاء الى خالق الكائنات ، ومبدع الارض والسموات ، وتخلق بأخلاق السلف الصالح ، وتنبيه للنفس الغافلة ، وحملها على ذكر الله الواحد القهار .

ما يحرم فى أثناء الحج :

وقد خص الله أوقات الحج وأمكنته بالاحترام ، فحرم فى أثنائه لبس الملابس المخيطة كالقميص والسروال والجلباب ، كما حرم صيد البر الذى يؤكل ، أما صيد البحر فحلال . وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن فى الحرم : الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور » .

ومعنى فاسق هنا ، مؤذ ومفسد ، ولهذه العلة يقتل كل مؤذ من ضبع وذئب وسبع وحية وبرغوث وبق .

وفى الحج يجتمع المسلمون فى مكان واحد ، ويلبسون ملابس غير مخيطة كالازار والرداء ، ورءوسهم عارية ، وهم خاشعون لله ، اياه يعبدون ، واياه يستعينون ، ويتجهون الى العلى القدير بقلوبهم ، ويرفعون أيديهم اليه بالرجاء ، ويبتهلون اليه بألسنتهم ، ويلبون بصوت واحد تلبية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى : « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك ، لك لبيك ، أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . »

ويدعون الله بقلوب مؤمنة صافية خاشعة ، ومنهم المصطفون الاخيار ، فلا يخيب لهم رجاء ، ويشملهم جلت قدرته بفضله ورحمته . وهم نادمون على ما فعلوا من ذنوب ، راجون المغفرة من الغفور الرحيم ، واقفون بين يدى رب العالمين ، خائفون من اليوم الذى يفر فيه المرء من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه . ويقول كل منهم : رب اغفر لى ولوالدى ولاهلى ، ولمن دخل بيتى مؤمنا ، وللمؤمنين والمؤمنات .

ويسلمون جميع أمورهم لله ، ويرددون : « اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، حينا ربنا بالسلام » ويكبرون ويحمدون المولى قائلين : « الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد » ويدعون الله بقلوبهم أدعية متنوعة ملتمسين منه اجابة دعائهم ، ومنها :

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . »

وفى الجزء الأول من كتاب احياء علوم الدين للغزالى ص ٢١٤ — ٢٤٥ أدعية مؤثرة رائعة ، وآراء ثمينة تقال فى المناسك المختلفة فى الحج . يجدها القارىء فى أسرار الحج وفضيلته . وفى التكبير عقب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر الى ما بعد الصبح من آخر أيام التشريق، يرددون بأصوات قوية قائلين : « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلا. لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون . لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . لا اله الا الله ، والله أكبر . »

ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة . ومن استطاع الحج صحيا وماليا وجب عليه أن يحج . ومن مات ولم يحج مع قدرته ويساره فامره شديد عند الله تعالى .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لقد هممت أن أكتب الى الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا .

وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة تكون قبل الحج أو بعده . قال عليه الصلاة والسلام : « من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى » .

نسأل الله أن يمن علينا باداء تلك الفريضة ، وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم . انه سميع مجيب .

بيت الله الحرام

الدكتور عبد الغنى الراجحى

البيت فى اللغة ما يتخذ للبيات فيه ليلا . ومن شأنه أن يكون منسوبا الى مالكه وصاحبه مثابة له ولأهله وولده وزواره ومريديه ..

وعلى سبيل التقريب للاذهان ــ ولله المثل الأعلى ــ كان لله فى الأرض بيوت باسمه خاصة . ليس لأحد من الناس فيها ملكية أو تحكم يثوب الناس اليها للصلاة وذكر الله وعبادته وحده لا شريك له . أشار اليها القرآن الكريم فى سورة النور فى قوله تعالى « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » . وفى سورة الجن فى قوله تعالى « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا » وفى الحديث القدسى « ان بيوتى فى أرضى المساجد . وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره .. »

المسجد الأم . أول وأقدم بيت لله عرفه وجه الارض . هو البيت العتيق بيت الله الحرام ، بمكة المكرمة ، أم القرى اختلف اليهود والمسلمون فى يثرب يقول اليهود بيت المقدس أول البيوت ويقول المسلمون المسجد الحرام أول البيوت فنزل قوله تعالى «ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » وسماه الله فى سورة الحج بالبيت العتيق حيث يقول سبحانه « وليطوفوا بالبيت العتيق » وحيث يقول فى نفس السورة عن الهدى من بهيمة الأنعام « ثم محلها الى البيت العتيق » .

والذى يؤخذ من أقوال الدارسين أن قدم هذا البيت الحرام يرجع الى قدم الأرض ذاتها . فمن يوم أن كانت أرض . كان بها بيت لله . يقولون ان الملائكة بأمر ربها سارعت بتخطيط وبناء الكعبة فى الأرض مسامته للبيت المعمور الذى هو فوقها فى السماء . كانت الملائكة تطوف بالكعبة وتعارف آدم وحواء قريبا منها وعلى مشارفها فوق جبل عرفات وكان لهما بهذه الكعبة معرفة وطواف . وأعاد بناءها نوح بعد الطوفان ..

اما الذى يوثق به تمام الثقة وتطمئن النفس اليه تمام الاطمئنان فهو ما أرشدت اليه آيات الذكر الحكيم ونطقت به صحاح الاحاديث من أن هذه الكعبة بيت الله الحرام انما بنيت على قواعدها هذه . وأخذت سمتها هذا على يد ابينا ابراهيم الخليل حينما هاجر بابنه اسماعيل وامه هاجر من الشام الى الحجاز حيث أنزلهما بواد غير ذى زرع . أمره الله بذلك وكلفه ببناء الكعبة ورفع قواعدها وعمارة المسجد الحرام والبلد الحرام الذى سوف يظهر فيه ومن نسله وعلى ملته خاتم المرسلين محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه . الى هذه الحقائق التاريخية العتيدة يوجه الانظار قوله تعالى فى سورة البقرة « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والطائفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم .» وقوله تعالى فى سورة الحج « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لاتشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع والسجود» وقوله تعالى فى سورة ابراهيم « واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام . رب أنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم . ربنا انى سكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

امام هذه النصوص الواضحة فى ترسيخ عظمة هذا البيت الحرام وجعله مثابة للناس وأمنا وتطهره للطائفين والعاكفين والركع والسجود لا يسعنا الا القول بأن عظمة هذا البيت وهيبته ظلت مركزة فى نفوس العرب والمسلمين لا يعتريها خلل أو ضعف فى جاهلية أو اسلام . وان كانت جدران البيت نفسه وقواعده كان يعتريها فى أحيان كثيرة الضعف والخلل بفعل السيول أحيانا وعوامل البلى والقدم أحيانا أخرى . فيسارع الناس باصلاح ما أفسد الدهر واعادتها الى ما كانت عليه . نقل شىء من ذلك عن العرب أيام قصى به حكيم وأيام خاتم المرسلين قبل بعثته يوم الحجر الاسود والاختلاف على وضعه من يكون له شرف القيام بهذا العمل من قبائل العرب .. ويبدو أن النبى صلى الله عليه وسلم كان له بعد بعثته استشراف نحو هذا العمل كما يفهم من الحديث الذى يقول فيه لعائشة « لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد اسماعيل » وفى عهد الحجاج الثقفى وفى خلافة مروان بن الحكم سنة ثلاث وسبعين هجرية تناولتها الايدى بالاصلاح والبناء . شكلها مستطيل طولها اثنا عشر مترا وعرضها

عشرة أمتار وارتفاعها خمسة عشر ولها باب يسمى باب السلام وباب آخر مرتفع عن أرض الحرم بنحو ثلاثة أمتار ويحمل سقفها ثلاثة أعمدة بداخلها عدد عديد من المصابيح المطعمة بالفضة والذهب فى شماليها حجر اسماعيل وفى شرقيها مقام ابراهيم وفى الجنوب الشرقى منها بئر زمزم وذلك كله يتوسط رحبة المسجد الحرام . الحرم المكى الشريف وهو أيضا مستطيل الشكل طوله من الداخل نحو ماية وخمسة وستون مترا وعرضه مائة وثمانية فهو يربو على أربعة أفدنه ومبره مصنوع من الرخام المرمر الموشى بالذهب غاية فى الحسن والجمال ويقولون انه على غراره بنى مسجد عمرو بن العاص فى مصر القديمة .

ومهما يكن من شىء فبيت الله الحرام هذا بكعبته ومسجده يحتل فى الثقافة الاسلامية مركزا مرموقا ويتبوأ مكانات دينية واحتماعية يمكن حصرها فى ثلاثة أشياء « أولا » من الوجهة الاجتماعية كان هذا البيت الحرام مناطا لعظمة العرب ومجدهم لاسيما أهل مكة والقبائل المحيطة بها . يحج الناس اليه من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم بالتجارات ، وعمارة الاسواق ، وعقد الصلاة ، واجتماع الكلمة على تعظيم هذا البيت وتمجيده من لدن اسماعيل وبنيه الى العمالقة والجراهمة . الى خزاعة الى قصى بن حكيم الى ظهور الاسلام . كان تعظيمهم له يرتد اليهم فى صورة ما يجلبه لهم من خيرات وبركات تجبى اليه ماديا ومعنويا . كان مركز الثقل فى حياتهم من الوجهة الاجتماعية يقسمون بالكعبة ، وينعلفون بأستارها عند الملمات . ويتلمسون عندها الأمن فى المخاوف .

ويعلقون بها المعلقات . ويفاخرون بسدانتها وسقى حجيجها ورفادته . ويستقسمون عندها بالازلام اذا أرادوا الشروع فى جلائل الاعمال . ويصبون حولها أصناما آلهة صغرى تربطهم عقائديا برب الأرباب خالق الأرض والسماء د بهذه البنية . ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » « ما نعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى» فلما جاء الاسلام أقر ين ذلك ما هو خير وابطل من ذلك ما هو شر وأشار القرآن الكريم الى كثير من خصائص هذا البيت الحرام فى أكثر من موضع وسورة فقال تعالى فى سورة آل عمران « أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وقال تعالى فى سورة البقرة « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا » وقال فى سورة المائدة جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد » وقال فى سورة القصص لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم لما تعلل أهل مكة بخوفهم أن آمنوا معه « وقالوا أن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا » وقال فى سورة قريش « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

يحدثنا التاريخ أن النصارى بنوا كنيسة فى صنعاء باليمن أغدقوا عليها من عوامل الزخرفة والفخامة الشىء الكثير لينافسوا بها بيت الله الحرام وليجذبوا اليه عنه الانظار والحجاج . فلما لم تحقق لهم هذا الغرض . وتطاول عليها متطاولون من العرب الذين ملك عليهم حب البيت الحرام أعنة قلوبهم وأزمة نفوسهم رأى ابرهة بطائش رأيه أن يجرد على بيت الله الحرام جيشا يدكه دكا ولما تقدم جيش الفيل هذا نحو مكة واستولى فى طريقه على ابل لعبد المطلب وذهب عبد المطلب يطلب ابله عابه قائد الجيش على أن جاء يطلب ابله دون أن يرجوه العدول عن هدم البيت الذى فيه مجدهم وعزهم . فقال له عبد المطلب قولته المشهورة التى ذهبت مثلا فى التاريخ. أنا صاحب الابل جئت أطلبها . أما البيت فله رب يحميه ثم عاد لفوره الى الكعبة فتعلق بأستارها يقول :

يا رب لا أرجو لهم سواكا
يا رب فامنع منهم حماكا
امنعهم ان يخربوا قراكا
ان عدو البيت من عاداكا

ويقول : رباه ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك
انصر على آل الصليب المعتدين اليوم آلك

فما هو الا أن توقف الفيل عن التقدم وهاجمت الجيش الزاحف طيور أبابيل لا يدرى مصدرها ترمى الزاحفين المعتدين بحجارة من سجيل تصيب الرءوس فتخرق الأجساد فتجعلها كعصف مأكول جثثا هامدة لا روح فيها كأنها حصيد أخذ ما فيه من حب ثم ترك هشيما تذروه الرياح . وفى القرآن سورة خاصة باسم الفيل تتحدث عن هذه الذكرى المجيدة حيث يقول تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول .. »

« ثانيا » من الوجهة الدينية جعلت هذه الكعبة قبلة المسلمين فى صلاتهم يتوجهون اليها بصدورهم ووجوههم خمس مرات فى اليوم والليلة أينما كانوا فى شرق أو غرب أو شمال أو جنوب .

نعم أنه لما فرضت الصلاة على المسلمين ليلة الاسراء سنة خمس قبل الهجرة أو أقل أو أكثر على ما قيل وقيل لم يشأ جلت مشيئته أن يترك الامة الاسلامية خير أمة أخرجت للناس تؤدى صلاتها مبعثرة الى جهات متفرقة حسبما يقضى كل فرد هواه الشخصى فى شأن الجهة التى يتوجه اليها فى صلاته . ان الاسلام دين التوحيد . لا أقصد توحيد الله فحسب ولكن التوحيد أيضا بين الناس فى مظاهر العبادة ومراسيم الطاعة ازالة للحواجز واشعارا بالتساوى وتذكيرا للناس جميعا بأن أصلهم واحد وأباهم واحد كلهم لآدم وآدم من تراب . سواسية كأسنان المشط لا فضل لاحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح. والاسلام فى نسب رسوله وفى أصول ملته ابراهيمى ينتمى الى ابراهيم الخليل فليتوجه المسلمون فى صلاتهم بيما كانوا فى مظهر موحد الى البيت الذى بناه أبوهم باسم الله وأمره .

ظل المسلمون فى مكة المكرمة يستقبلون بيت الله فى صلواتهم الى أن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مضطهدا فى دينه واختار مدينة يثرب مهجرا له ولمن يتبعه من المهاجرين ففرح يهود المدينة به فرحا شديدا حتى كان أول من بشر بمقدمه اليها رجل يهودى فبلغ من حسن سياسة النبى أن قابلهم بمثل ما استقبلوه به فاستمالهم اليه وتألفهم على دعوته وكان من مظاهر ذلك أن استقبل فى صلاته قبلتهم بيت المقدس وسواء كان هذا التوجه الى بيت المقدس أثناء الصلاة أمرا واجبا أم مخيرا فيه باجتهاد منه أم بوحى من الله فانه قد صار أمرا واقعا واستأثر المسجد الاقصى بصدور المسلمين تستقبله فى اليوم والليلة خمس مرات .

لم يكن فرح اليهود برسول الله وهجرته اخلاصا لدينه أو محبة فى دعوته وانما كان لاطماع مادية حقيرة. وأغراض طائفية خبيثة . ونزوات شيطانية بعيدة المدى استحال على الرسول فيما بعد أن يجاريهم فيها فما هو الا أن دبت عقارب الحسد والبغضاء فى صدورهم فذهبوا يزينون له الخروج من المدينة والذهاب الى بيت المقدس يعدونه بالايمان به ان أقام فيه . يرون أن اقامته فيه جزء من نبوته لا تتم الا به فأخذ النبى يتوجس منهم الخيفة محاذرا كيدهم شغوفا بمخالفتهم متمنيا أن يؤذن له بالعودة

الى استقبال الكعبة التى ما زال فى قلبه شوق وحنين فطرى اليها والى البلدة التى هى فيها مكة التى ناجاها ليلة خروجه منها مهاجرا بقوله انك لأحب بلاد الله الى قلبى ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت .

على رأس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا من استقباله بيت المقدس وبينما كان يجيل بصره فى السماء متشوقا الى وحى الله اذا بجبريل يتنزل عليه بقول الله سبحانه « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » وفى ذلك يقول البراء بن عازب » صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ستة عشر شهرا حتى نزلت الآية التى فى البقرة « وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » فنزلت بعد ما صلى النبى فانطلق رجل من القوم فمر بناس وهم يصلون فحدثهم فولوا وجوههم قبل البيت» .

ولما تألب أعداء الاسلام عليه بهذه المناسبة يقول كفار مكة ساخرين . رجع الى محمد رشده ورجع الى قبلة آبائه ويقول منافقو المدينة ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ ويقول يهودها لو ثبت على قبلتنا لآمنا به وكنا نرجو أنه النبى المنتظر . أنزل الله قوله الكريم « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم أن الله بالناس لرؤف رحيم » .

ولما اشتد طمع اليهود فى عودة الرسول الى قبلتهم وعرضوا عليه ايمانهم به ثمنا لتلك العودة بصره الله بمكائدهم وأيأسه من ايمانهم وحذره من اتباعهم . فقال له « ولئن اتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن أتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين » .

« ثالثا » : من الوجهة الدينية أيضا جعل الله زيارة هذا البيت الحرام للنسك فرضا على المستطيع من المسلمين . وكانت هذه الفريضة ركنا من أركان الاسلام التى بنى عليها . بصريح الحديث الصحيح ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » وقد تطابقت كلمات النبوة مع كلمات القرآن حيث يقول تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » . وفى القرآن الكريم سورة خاصة باسم الحج جاء فيها قوله تعالى لخليله ابراهيم : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم . وليطوفوا بالبيت العتيق » .

فى بيت الله وكعبته حجر اسماعيل ومقام ابراهيم والحجر الاسود الذى ورد عنه فى بعض الاحاديث أنه «يمين الله فى الأرض » يندب للحاج وهو يطوف بالكعبة أن يقبله وتقبيل اليمين علامة الشكر والعرفان للجميل مع التعظيم وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه قبله وهو يقول انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك .

زيارة هذا البيت للنسك فى أشهر الحج شوال وذى القعدة وعشر ليال من ذى الحجة حج وعمرة وفى غير أشهر الحج عمرة فقط وقد ورد فى قوله تعالى « وأتموا الحج والعمرة لله » ، وفى أشهر الحج وآدابه يقول تعالى « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » ولما سئل الرسول . ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يتزايد ثم يعود كما بدا نزل قوله تعالى « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » وفى الحديث الصحيح « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد • المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا » • وتفاضل ثواب الصلاة فى ثلاثتها بعد افضلية الصلاة فى ثلاثتها على غيرها من المساجد الاخرى وردت به آثار كثيرة . أما الطواف فليس الا حول الكعبة فقط . والطواف كالصلاة الا ان الله أحل فيه الكلام . ومنه طواف القدوم الذى يكون من الزائر لاول قدومه الى البيت الحرام وطواف الافاضة الذى يكون بعد الوقوف بعرفات وهو ركن الحج . وطواف الوداع الذى يودع به الراحل بيت الله حين يعود الى بلده فيرجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ..

ومن الظواهر الجديرة بالتسجيل والالتفات اليها . ان الصلاة والزكاة والصيام . ثلاثتها صرح القرآن الكريم بأنها كانت فرائض على من كان قبلنا من الأمم فعيسى يقول « وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » ويقول القرآن عن اسماعيل « وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه رضيا » ويقول تعالى « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . أما فريضة الحج الى هذا البيت الحرام فلم يرد فى القرآن الكريم شىء من هذا القبيل عنها الا ما كان من شأن ابراهيم واسماعيل وبنائهما البيت وأمر الله لابراهيم ان يؤذن فى الناس بالحج يأتوه رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق • فلم تكن هذه الفريضة فيما يبدو لنا الا ابراهيمية محمدية ليس الا •وقد كان ابراهيم يقول وهو يبنى البيت «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » ألا يرى الى عقد هذه الصلة وتقويتها فى هذا المجال فى قوله صلى الله عليه وسلم » «انا دعوة أبى ابراهيم » وانما يقصد هذه الدعوة التى دعاها وهو يبنى البيت وقوله تعالى فى سورة الحج « وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » وقوله تعالى « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين أتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين »

من جانب آخر جاءت فريضة الحج الى البيت فى كتاب الله على درجة كبيرة من البيان والايضاح فى أركانها وشروطها ومفسراتها وآدابها ومواضع أعمالها . فالطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة ، والافاضة من عرفات بعد الوقوف بها . والمبيت بمنى يومين أو ثلاثة ، والاحصار والهدى والفدية والدم والحلق والتمتع بالعمرة الى الحج وغير ذلك قد تحدث القرآن عنه وأفاض فى بيانه كمظهر للاحتفاء والعناية بهذه الفريضة المعمود فى ادائها الى الله وبيته طلبا لاكرامه ومثوبته .

ان قداسة البيت الحرام وكرامته على المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها والتوجه اليه صلاة وحجا وتعظيما وكونه عاملا من عوامل التجمع والالتقاء بين المسلمين مهما اختلفت السنتهم وألوانهم . ذلك كله لم يسترع انتباه الدارسين من المسلمين فحسب . بل ان باحثا مستشرقا قد قرأنا له قوله • ان الاسلام تتجمع مهابته اليوم فى ثلاثة أشياء . الكعبة . القرآن . الازهر .

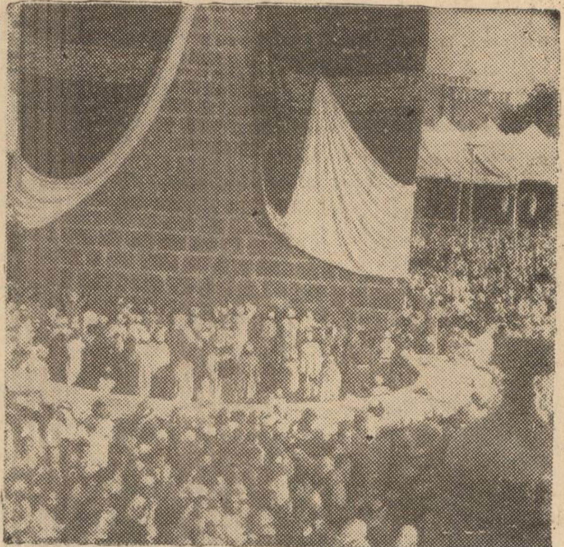

لبيك اللهم لبيك

الأستاذ محمد فتحى محمود

الحج الى بيت الله الحرام : فرض الهى قديم يصاحب فى قدمه بناء الكعبة على يد ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل عليهما السلام • وقد سجل ذلك القرآن الكريم ، اذ قال الله لابراهيم « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » وهذه الآية الكريمة تبين بوضوح حكمة الحج والدعوة اليه •

فان الناس انما يجتمعون للحج الى بيت الله الحرام من كل فج عميق لسببين بينتهما الآية الكريمة أولا : ليشهدوا منافع لهم ثم ليذكروا اسم الله ويسبحوه شاكرين على ما رزقهم • فاجتماعهم فى مكان واحد تحت ظل فكرة واحدة هى : أنهم عباد لرب واحد فهم اخوة عليهم جميعا أن يتعاونوا على خيرهم ويتعاطفوا فى ظل اخوتهم ويتبادلوا المنافع التى قدرها الله لحياتهم •

وديانة ابراهيم : هى الديانة الاسلامية كما سماها القرآن الكريم فقال : « ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » •

وقد جاء الاسلام على يد سيدنا ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ احياء لملة ابراهيم ودعوة الى الوحدانية التى دعا اليها أبو الانبياء من قبل وأهداف الاسلام ظاهرة أجملتها الآية القرآنية « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقكم » ، هذه الآية الكريمة أوضحت أغراض الاسلام بل أغراض كل ديانة جاء بها الرسل بل هى أغراض كل حركة واصلاح يقصد بها خير الناس جميعا • فالناس جميعا كلهم من خلق الله وابداعه فربهم واحد • واذن فلا تفاضل بينهم فى مبدأ الخلق ليس لأحدهم أن يقول ربى أفضل أو خلقى أفضل فالرب واحد الخلق جميعا صنع يده وابداع حكمته ولذلك كان الخطاب موجها الى الناس « يأيها الناس انا خلقناكم » ثم هم جميعا أخوة بالدم والنسب •

فقد خلقوا من ذكر واحد هو آدم ، وأنثى واحدة هى حواء التى خلقها الله منه ، كما قال الله تعالى « والذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » واذن فلا تفاضل بينهم بالآباء فلا يقول واحد أبى أفضل أو أمى

افضل ، وقد أجمل ذلك الحديث الشريف « الناس كلهم لآدم وادم من تراب لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » ثم جعل الله الناس شعوبا وقبائل لا ليميزهم عن بعضهم وانما ليسهل تعارفهم . والتعارف يؤدى الى التعاون . والتعاون يحقق المصلحة ويؤدى الى المنفعة . ولكن المصلحة والمنفعة يجب أن تكون للجميع ولمصلحة الكل وخير المجموع. واذا كان هناك تفاضل وتمايز - والتفاضل والتمايز شيء طبيعي - فانما أساس هذا التمايز هو التقوى .

والتقوى : جماع الخير كله . فكل عمل يؤدى الى الخير ويقصد به النفع العام فهو من التقوى .

واذا كان الفرد ينتمى الى أسرة يرتبط بها ويتعاون معها لخيرها : فان الأسرة تنتمى الى عشيرة والعشيرة تنتمى الى قبيلة. وكل يحس بالرباطة التى تدفعه الى التعاون وترفع من احساسه بالجماعة ، ثم ان القبيلة تنتمى الى الشعب والشعب ينتمى الى الانسانية كأسرة كبرى واذا كان احساس الفرد بأسرته أقوى من احساسه بعشيرته ثم بقبيلته ثم بشعبه ثم بالناس جميعا فانما ذلك لأنه متعارف مع أسرته أكثر من تعارفه مع عشيرته أو قبيلته .. وهكذا ..

فتعاونه هنا : يكبر بمقدار درجة تعارفه فكلما كان تعارفه أكبر كان تعاونه أكثر ... ومن هنا : جاءت حكمة الاجتماع بالآخرين . فهو حين يجتمع بهم : يتعارف معهم . واذا كان الاجتماع ، لغاية أسمى وتحت ظل غرض كريم كان التعارف كريما ، والتعاون كبيرا ، ومن هنا : كانت حكمة الدعوة الى الحج ؛ فهو : اجتماع كبير فى ظل قدسية علوية وفى ظل روح من الاخاء سامية ، فالناس يجتمعون حول بيت الله - ربهم جميعا - يحسون بفضله وخلقه ويؤدون عبادته متجردين عما تواضعت عليه نظم الحياة من اختلاف اللباس واختلاف المراكز الاجتماعية ومن مظاهر الثراء متجردين الا من كونهم ناس تجمعهم رابطة واحدة وتسوى بينهم فكرة واحدة تملأ نفوسهم جميعا. وتحت هذا المظهر يتعارفون فيتعاونون على خيرهم .

وقد أكد الله تعالى سبب هذا الاجتماع من أول يوم تقرر فيه هذا الاجتماع فقال : « ليشهدوا منافع لهم » . فهم انما يجتمعون ليحققوا باجتماعهم ما يعود عليهم جميعا بالنفع. والدعوة موجهة من الله لعباده .. وعلى عباده ان يدركوا معناها ويفهموا غاياتها ليصلوا الى النتيجة المترتبة عليها . وكل انسان يحس بانسانيته ويحس بأنه عضو فى هذه الانسانية ويدرك واجبه نحو نفسه ونحو بنى جنسه لزمه أن يلبى هذه الدعوة ما دام قادرا على تلبيتها . ولذلك كان الحج فريضة على كل قادر عليه وكان نداء الحجاج حين يلبون هذه الدعوة قولهم : « لبيك اللهم لبيك » فانهم يقولون : قد سمعنا دعوتك ، وفهمنا أغراضها ، وأدركنا حكمتها ، فنحن نلبيها طائعين راغبين مدركين ما سيعود علينا من خير ومن نفع والفضل منك واليك . ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

وهكذا كان الحج دعوة من الله واستجابة من عباده المؤمنين وهو محقق لأعلى درجات الخير فهو مظهر الاخاء ومطهر النفس من غرورها اذ فيه تذهب كل مظاهر الغرور فلا تاج على رأس ملك ولا شارة على كتف أمير ولا مال يميز الغنى من الفقير ولا جاه يرفع العظيم على الحقير .. تجرد الناس فيه من شاراتهم جميعا الا شارة واحدة هى : شارة المساواة رداء غير مخيط . وأجسام عارية لا يستر منها الا ما أراد الله ستره بصنف واحد من النسيج بسيط ليس فيه ما يميز أحدا على أحد ثم هم جميعا يلبون دعوة واحدة ويجتمعون فى مكان واحد وتحت احساس واحد : انهم جميعا عباد لرب واحد ولا أكثر من عباد . ثم هى تلبية واحدة وهتاف واحد ثم هو طواف واحد ووقوف واحد وسعى واحد .. عمل يشترك فيه الجميع على قدم المساواة .

وتحت ظل هذا العمل : يحسون بأن الله انما يطلع على الأفئدة فيحرص كل منهم على أن ينقى قلبه وأن يملأه بالخير . فعلى قدر ما فى القلب من خير وعلى قدر ما فى النفس من سمو تكون المنزلة ويرتفع المقام .. وأمام علام الغيوب

البقية ص ١١٤

العالم فى مرآة الإسلام

• الصهاينة يدمرون الحضارة الأمريكية
• عصابات تجمع الذهب ليحكم اليهود العالم
• دعوة إلى تحرير شعب بناء من سيطرة اسرائيل

الأستاذ عبد العليم المهدى

قالت : كتبت عن التفرقة العنصرية فى أمريكا ، فى العدد الماضى من « منبر الاسلام » وبعد صدوره ، حملت الانباء مصرع الزعيم الزنجى المسلم مالكولم اكس، وحرق منزل البطل الزنجى المسلم محمد على كلاى .

قلت : نعم .. ويقولون فى أمريكا ان ذلك من عمل الزنوج ضد الزنوج ! ..

قالت اليس لنا عقول .. لقد اهتز العالم للنبأ ، واعتبرها البعض جريمة سياسية ارتكبها الرجل الأبيض .

قلت : لا شك عندى فى ذلك .

قالت : ومن تظن انه ارتكب هذه الجريمة ؟ ..

قلت : لا اعرف اسمه .. ولكن اومن بان وراء هذه الجريمة يد صهيونى !

قالت : وما هو دليلك ؟ ..

قلت : ليس مصرع مالكوم اكس وحده .. ولكنها الجريمة التى تفشت فى المجتمع الامريكى .. ان الانسان فى زعيمة العالم الحر ، أى انسان ، لا يستطيع ان يأمن على نفسه من القتل فى عز النهار .. وعندما يقبض على الجانى تخطفه عصابته من ساحة القضاء .. دون أن تكترث لقوة الحكومة أو حرمة القانون !

قالت : ماذا تقول ؟ .

قلت : لست أنا الذى يقول .. وانما هو تقرير لجنة فنية من اعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى برئاسة الشيخ جون ماكميلان .. يقول هذا التقرير ان اللجنة اكتشفت أن الجريمة المنظمة تغلغلت فى ميادين الصناعة والتجارة الى حد ينذر بالخطر ، ويهدد المجتمع الامريكى كله .

لقد اتسع نشاط العصابات الامريكية داخل مجتمعها الى حد أنها تدير اعمالا تدر عليها بلايين الدولارات كل عام . ان هذه العصابات لا تمارس فقط القتل والاختلاس وتجارة المخدرات والدعارة والقمار ، بل امتد هذا الجنون الاجرامى الى ادارة شركات ومصانع ضخمة لانتاج الاغذية ، وللنقل ، والمضاربة فى البورصة ، وامتلاك الاراضى ، والانقضاض على البنوك ، وعلى الصناديق الخاصة برصيد النقابات بنوع خاص !

قالت غير معقول ! .

قلت : ان تغلغل هذه العصابات فى الاقتصاد الأمريكى قد أزعج الكثيرين من فئات الشعب المقيم على أرض زعيمة العالم الحر .. فلا يكاد الانسان يعرف هذه الشركة تديرها عصابة . ام منظمة اقتصادية سليمة لقد اختلط الأمر ! .

قالت : وما هو حجم هذه العصابات ؟ .

قلت : المعروف منها فى الدوائر الرسمية حتى الآن عصابة « المافيا » وهى أخطر عصابة اكتشفت ، وربما يكون هناك ما هو أخطر منها ، ولكن المجتمع الأمريكى على أية حال تكفيه عصابة كهذه مكونة من ٥ آلاف مجرم ، يستخدمون ٧٦٠ الف عامل فى شركاتهم وقد تبين من التحقيق أن امتلاك الأراضى والمبانى من الأعمال المفضلة عند « المافيا » ، وبقوة السلاح يستخدمون اشخاصا مجهولين فى عمليات البيع والشراء كأصحاب لهذه الممتلكات ، حتى لا تظهر اسماء المولين الحقيقيين ، فلا تجد الحكومة مايثبت اشتراك أى من رجال العصابة فى اعمال غير قانونية !

قالت : اهناك مدرسة لتعليم الجريمة ؟ .

قلت : الشعب الأمريكى كله يعيش داخل هذه المدرسة وهو لا يدرى .. يكفى جدا أن يوجد صهيونى واحد داخل أى مجتمع ، ليكون الصهاينة هم المحركون للشر والقتل والانحلال فى هذا المجتمع ، وكل فساد فى الأرض تجد من خلفه معلما صهيونيا يجد فى عمله هـــذا لذة وعبادة !

قالت : أهو مبدأ يهودى عام ؟ .

قلت : وعلى طول التاريخ الــذى مضى ، والتاريخ المقبل ، وحتى تقوم القيامة ، سيكون وجود اليهود فى الارض اعداء الحياة لغيرهم ، فهم يؤمنــون بعقيدة راسخة ، أنهم وحـدهم النــاس ، وغيرهم من الآدميين لا وزن لهم ولا قيمة ، ولكنهم حيوانات مسخرة لخـدمة بنى اسرائيل .. شعب الله المختار !

قالت : ولماذا يقتلون ويسفكون الدماء ؟ .

قلت : انهم يجدون فى « التلمود » الذى صنعوه أن قتل غير اليهــودى عبــادة ، وهتك عــرض غير اليهودية تقوى ، وافضل العبادة عندهم جمع المال بأية طريقة مشروعة أو غير مشروعة ، فقد آمنوا بأن كل المال الذى فى الدنيا هو مالهم ، فان انتقـــل الى أيدى غيرهم من الناس فقد تلوث بالسرقة غصبا ، ويجب أن يسترده أصحابه بأية طريقة .. فليس حلالا أن يبقى المال فى أيدى غير اليهود !

قالت : حدثنى عن « المافيا » .

قلت : انها ظل للتخريب اليهــودى فى المجتمــع الأمريكى .. وليس أدل على ذلك من أن هذه العصابة تنتشر الآن فى كل ميدان من ميادين الصناعة والتجارة ، حتى أصبح أفرادها لا يستخدمون السلاح فى جرائمهم بقدر ما يستخدمون المال .

قالت : كيف ذلك ؟ .

قلت : منذ عدة أعوام كان زعيم العصابة يسير دائما فى حراسة مسلحة من اثنين من أعوانه ، أما اليوم فهو يسير وبصحبته محام ومحاسب !

قالت : الى هذا الحد ؟ .

قلت : لم يعد القتل عندهم وسيلة للكسب .. المال يأتى بالمال !

قالت : ومن أين لك بهذه الحقائق ؟ .

قلت : من وليام هوندلى رئيس قسم مكافحة الجريمة المنظمة بوزارة العدل الأمريكية .. انه يعترف بأن «المافيا» لها علاقات عمل مع عدد من العصابات الأخرى ، بالاضافة الى ٧٦٠ ألف شخص من غير أعضاء العصابة ، يعملون فى الشركات التابعة لها ، أو يشتركون معها فى بعض المشروعات .. امتلاك الأراضى ، والعمائر ، والبنوك ، والمصانع الكثيرة الكسب .. ماذا يدل عليه هذا الاجرام المنظم فى قلب المجتمع الأمريكى ؟ .

قالت : واذا كانت الحكومة عاجزة أن تضرب بسيف القانون على هذه الموجة الاجرامية العنيفة .. ألم يتحرك أحد فى المجتمع الأمريكى كله ؟ .

قلت : لايستطيع أحد .. لان عصابة المافيا كغيرها من العصــابات الالمانيــة واليهودية الصريحــة ، تتخذ لها مجلس ادارة من ١٢ زعيما من زعماء العائلات الكبيرة ، ومن خلف نفوذهم ترتكب جرائم جمع المــال .. وقــد اعتقل أحد هؤلاء الزعماء مرة ، وقدم للمحــاكمة أمــام محكمة اتحادية كبرى ، ولكن أفراد العصابة اختطفوه من ساحة المحكمة فى وضح النهار !

قالت : يا لها من جراة .

قلت : اننى مشفق على المجتمع الأمريكى كله من معاول الصهيونية التى تحطمه بعنف .

قالت : قرأت فى « الاهرام » أن لجنة التحقيقــات بمجلس الشيوخ الأمريكى قد أعدت التشريعات المقترحة لمواجهة هذا الخطر الرهيب .

قلت : ان القوانين لن تستطيع الاشارة بالتصريح او التلميح الى أن الصهيونية من خلف هذه العصابات .

قالت : تعنى أن البرلمان الأمريكى واقع أيضــا تحت النفوذ الصهيونى .

قلت : رحم الله الرئيس جون كنيدى .

قالت : ذهب دم هذا الرجل هدرا .

قلت : أبدا .. سوف يصحو الشعب الأمريكى يوما.. سوف يثار لكنيدى .

قالت : وكيف يصحو هذا الشعب الذى بنى حضارة تؤكد قدرة الانسان على انتاج ماهو رائع ؟ .

قلت : أول الصحوة أن يعرف الأمريكيون أنهم يرون الدنيا بعيون صهيونية .. والصهيونية تحلم اليوم بحكم العالم .. وتتخذ من الارض الأمريكية قاعدة للاستعداد ، وتجمع الأموال الأمريكية ، لتحكم البشرية بالذهب .

قالت : ولا أحد يستطيع أن يقول هــذا للشعب الأمريكى ؟ .

قلت : كل وسائل الصحافة والاعلام والسينما والمسرح وكل أداة للتعبير عندهم يملكها اليهود .

قالت : اذن فليس هناك أمل .

قلت : ان جون كنيدى لم يكن يائسا .

قالت : ولكنهم قتلوه .. وأخفوا أيديهم الملطخة بالدم!

قلت : كل من يحاول معارضة النفوذ الصهيونى فى أمريكا سيكون هذا مصيره .. كل من يحاول الوقوف فى وجه هذه العصابات سيكون هذا مصيره .

قالت : وهل ترى لهم يدا فى جريمة مصرع مالكوم اكس ؟ .

قلت : عن طريق زنجى .. لقد استخدموا الألمان فى محاولة نسف العلماء الألمان .

قالت : ومع ذلك اعترفت ألمانيا الغربية بدولتهم المصطنعة فى قلب الوطن العربى ؟ .

قلت : وهل تملك حكومة بون غير ذلك ؟ .

قالت : انها دولة خاضعة للأمريكان .. وما هذا هو شأن اليهود فى أمريكا نفسها ، فليس غريبا أن تركع حكومة بون للنفوذ الصهيونى ! .

قلت : ما أحوج أمريكا الى رجل مثل لنكولن ليحرر بلاده من هذا النفوذ ، كما حطم لنكولن قيود العبيد .

قالت : ولكن العبيد لم يتحرروا .

قلت : والسبب هو المال اليهودى الجشع المستغل. انهم يريدون قوى عاملة بأجر ضئيل .. ومن أجل ذلك يساندون بكل قواهم وكل عصاباتهم حركة التفرقة العنصرية .. فلما اعترض كنيدى .. أجابوه بمدفع رشاش !

قالت : وأحس الزنوج فى أمريكا أنهم فقدوا أكبر نصير ! .

قلت : ان الخزائن الصهيونية لم تنفق على كنيدى وهو يتقدم لانتخابات الرئاسة .. من أجل ذلك استطاع أن يتحرر من نفوذهم .. ومن ضغطهم .. وقال كلمة الحق .. فأخرسته رصاصات صهيونية .. فى منطقة هى أشد مناطق أمريكا تمسكا وتعصبا واصرارا على بقاء التفرقة العنصرية .. لــكى يتستروا وراء الــذين استخدموهم فى اغتيال كنيدى .. واغتيال قاتل كنيدى حتى تختفى معالم الجريمة .. تماما كما تستخدم عصابة المافيا اشخاصا من عامة الشعب فى شراء الأراضى والمبانى والمصانع والمتاجر ، وهى تدير ذلك كله بشراء الذمم ، وتجارة الرقيق ، والمخدرات ، باسم مجلس الادارة المكون من زعماء أكبر العائلات الأمريكية !

قالت : والى متى يغفل الشعب الأمريكى عن هذه الحقيقة المروعة ؟ .

قلت : حتى يظهر كنيدى جديد

قالت : لقد فقده العرب ايضا .

قلت : نعم .. لقد فقدنا فيه زعيما حرا من عبودية الذهب اليهودى .. وكان قبل ذلك مسيحيا يعرف دينه .. ولم تضعف عقيدته امام الارهاب الصهيونى .. فوقف فى وجهه .. ودفع حياته ثمنا لدرس يمكن أن يفيد به الشعب الأمريكى والعالم المسيحى .. ان مصرع كنيدى لن تظهر آثاره بسرعة .. سيمضى وقت غير قصير .. حتى تعلن الحقيقة او تكشف عن نفسها .

قالت : اذن فقد حزنت من اجل كنيدى ؟ .

قلت : مثل حزنى على مالكوم اكس .. مثل أسفى على هيبة الشعب الأمريكى التى تمتحن على أرضه ، ونمتحن أمام الدنيا ، وأمام التاريخ .

قالت : وهل تطيق امريكا صبرا على مايراد بجبهتها الداخلية ؟ .

قلت : ان كاتبها الأمريكى قال فيها وصفا بديعا .

قالت ضاحكة : امة من الأغنام .

قلت : وانه لتشبيه بليغ .

قالت : ولكن ما هو الأبلغ من حيث العمل والتنفيذ ؟

قلت : لا عاصم لأمريكا من عبث الصهيونية الا بالعودة الى المسيحية الحقة .. دين السلام والمحبة .

قالت : ولكنك تنبأت لأمريكا فى حديثك الماضى بانها ستدخل فى الاسلام .

قلت : على أن تدين بدينها أولا .. ان اليهود قد افسدوا فى أمريكا كل القيم الروحية .. افسدوا العقيدة المسيحية .. حولوا المجتمع الأمريكى كله الى سهرة صاخبة فى حانة كبيرة .. صبغوا فيها الحرية بلون الرذيلة .. وأطلقوا العنان لغرائز هذا المجتمع .. فانهم لا يستطيعون التدمير فى مجتمع يحكمه العقل والدين والأخلاق .

قالت : وما سر اهتمامك باصلاح المجتمع الأمريكى ؟.

قلت : خسارة كبرى ان ينهارهذا المجتمع الذىيخدم بعمله التراث الانسانى .. ونحن نرتبط بالمجتمع الأمريكى ، وبكل المجتمعات ، بأمر من عند الله الذى أرسل نبينا رحمة للعالمين .. وتحضرنى فى هذا المجال عبارة قالها زعيمنا عبد الناصر .

قالت : وما هى ؟ .

قلت : يقول زعيمنا الملهم : « ان حرصنا على التراث الانسانى ، راجع الى ما يربط الأجيال فى كل بلاد العالم من صلات ، ويشد بعضها الى بعض بخيط خفى لا يكاد يرى ، ولكنه ينبض فى اعماقنا ، نبضا حيا متصلا لا ينقطع ، وهذا هو السر فيما حققته الانسانية من تقدم حفظ كبرياءها من الجمود . وان الانسانية فى هذا وحدة متكاملة ، لا يستطيع بعضها أن يستغنى عن بعض، ولا أن ينعزل ، وانا لمطمئنون الى ان ما فى ضمير الانسان من حياة ، وما فى وجدانه من انفعال ، وما فى ارادته من طاقة ، لو وجهت الى الخير ، لتحقق هذا الخير » .

قالت : اذن فانت تريد الخير لأمريكا ؟

قلت : ولكل شعب ، ولكل انسان ، فهذه علامة مميزة لميثاق العمل الوطنى ، على الصعيد الدولى .

قالت : وهل يصل صوتك هذا الى أمريكا ؟ .

قلت : ان العالم اليوم صغير .. لقد حذف العلم المتقدم أبعاد المسافات .. وأمريكا لا تغفل عن كلمة تقال عنها فى أية بقعة من الأرض .. وخاصة اذا كانت هذه الكلمة دعوة مخلصة لهذا الشعب الحر أن يتخلص من استعباد الصهيونية !

بقية مقال « لبيك اللهم لبيك »

لا تجوز المخادعة ولا يفلح النفاق ولا سبيل الا الى الصفاء .

هذا هو الاجتماع الذى دعا الله اليه وجعله فريضة على كل مؤمن قادر فهو تأكيد للاخاء الانسانى وهو سبيل للتعارف الانسانى وهو طريق للتعاون بين الناس فهو طريق الخير والخير كله هو التقوى .. والتقوى هى ما يريده الله من عباده « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » .. والله لا ينفعه عبادة العابدين ولا سعى الساعين ولا زكاة المزكين فهو الغنى عن عباده والناس هم الفقراء اليه وانما غاية كل هذا أن يتأكد من ورائها الخير الذى يعود على الناس فالله يحب عباده ويحب لهم الخير وكل من يفعل الخير يحبه الله والله يحب المتقين « فلبيك اللهم لبيك » ..

لبيك اللهم لبيك ، تندفع نفوسنا وراء ندائك ، وتشتاق قلوبنا لتلبية دعوتك مرات .. ومرات .. وقد تقف العوائق وتقوم الموانع وتقصر الحيلة ، ولكن النفس مشوقة والقلب مستجيب وبيدك الخير ولا يعزب عن علمك مثقال ذرة فى السموات والارض ..

اللهم .... بنور وجهك قد تبددت ظلمات . وبيد رحمتك قد تمهدت عقبات .... كان الطريق مقفلا ففتحته ... وكانت القلوب متنكرة فطهرت جوانبها وقربت تباعدها ومحوت تنافرها ... فتعاطفت الأرحام ، وتلاحمت وشائج الاخوان وأصبح طريق التلاقى يسير الى أمان .

اللهم .... فنسألك بفضلك أن تهيىء لنا طريق تحقيق نداء خليلك ابراهيم .. فنحن نقول لبيك اللهم لبيك ... وعلمك وحدك أن تمكننا من الوقوف بين يديك يارب ..

أمة قدسها القرآن

الأستاذ معوض عوض ابراهيم

شهد الله فى كتابه الباقى شهادات لا يدخلها ارتيـاب ، أنه لا اله الا هو والملائكةوأولوا العلم قائمابالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » (١) وقوله « والله يشهد أن المنافقين لكاذبون » (٢) .

وشهادته سبحانه بأنهم « خير أمة » تجيىء على صورة يتضاءل أمامها كل اشادة بأمة من أزل الدنيا والى آبدهه قال تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للنـاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٣) انهـا شهادة لم يطلقها العليم الخبير اطلاقا ، ولكنه سبحانه اشترط لها شروطها ، والحق بحكمه البصير فيها أسبابه وحيثياته ، ورضى الله عن الخليفة أبى حفص فهو يقول مع هذه الآية « من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها » .

وصدق عمر ، فما يكفى لتكون من قوم ان تتسـمى باسمهم ، أو تنتسب اليهم حتى ينهض بما تزعم اقتـداء وعمل فالنبى صلوات الله عليه يقول « ليس الايمـان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وان أقواما غرتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

ودلالة ذلك من القرآن الكريم سور وآيات اقترن فيها الايمان بالعمل دائما حتى قال على رضوان الله عليـه « يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل » ولقد شكوا الى كسرى أنجنديا فى جيشه يتسمى باسمهولكنه ينهزم أبدا ولا يثبت عند لقاء الاعداء ، فارسل اليه كسرى : اما أن تغير فعلك أو اسمك !!

أنتم أيها العرب أولئك الذين أنزل الله القرآن بلغتهم وجعل ذلك أمارة شرفهم فقال لمصطفاه « وانه لذكر لك ولقومك .. » (٤) وقال لأمة الدعوة « لقد أنزلنا اليـكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » والمسلمون احفاد الرعيل الصالح الذى آزر أكرم رسول وظاهرا مجـددين ، ومن الوفاء للاباء أن نرعى غراسهم ، وان نحفظ تراثهم ، وأن ننتهج النهج الذى التزموه واسترخصوا فى سبيل اعلاء كلمته المهج والارواح حتى جاء نصر الله والفتح ، وتمت بالاسلام على الدنيا نعمة الله .

.. وما ينبغى أن يصرفنا عن الحيـاة بهذا الدين ما يتصارع اليوم من مذاهب ومبادىء وآراء فانها بهارج تحمل فى أطوائها عناصر فنائها ، ليبقى الاسلام دين الحياة الذى يقول الله فى كتابه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .. » (٦) ويقول لاتباعه « يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .. » (٧) ويقول « وان تتولوا يستبدلقوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم » (٨) ويقول «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (٩) ويقول « ولا تهنوا ولا تحـزنوا وأنتم الأعلون ان كنتـم مؤمنين » (١٠) . عن ابن مسعود رضى الله عنه « ان الله نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد صلوات الله عليه خير قلوب العبـاد فاصطفاه وبعثه برسالته ، ونظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون عن دينه » .

.. وصدق الله العظيم « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثرالسجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيـل كزرع أخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » (١)

.. قال الحسن البصرى : بلغ من تشدد الصحابة على الكافرين أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم ، وبلغ من تراحمهم فيمـا بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه ، على خلاف بين الفقهاء فى المعانقة .

وأين من قول الله ، ومن فقه السنة ، وفهم الحسن البصرى مايفعله فىبعض بلادالاسلام اقوام يبسطونبالسوء أيديهم وألسنتهم لابناء أمتهم ، ويعطون عهودهم ومواثيقهم لأعداء دينهم ووحدتهم ؟؟

... كان أوائلنا خير أمة أخرجت للناس بايمانهم بالله، واهتدائهم بهداه ، وجهادهم فى سبيل دينه فى استقامة صف ووحدة كلمة ، يبدون بهما وكأنما نماهم عنكتب أب

واحد فهم كذلك منذ آدم عليه السلام وكانما آواهم منزل واحد ، بعد أن كانوا فى جاهليتهم كما قال عمر رضوان الله عليه « والله لقد كنا أذل الناس فأعزنا الله بهذا الدين فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله »

قال الله تعالى : « واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » (٢) .

قال عبادة بن ثعلبة السدوسى « كان هـذا الحى من العرب أذل الناس ذلا ، وأشقاه عيشا ، وأجوعه بطونا ، وأعراه جلودا ، وأبينه ضلالا ، من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم ردى فى النار يؤكلون ولا ياكلون ، والله مانعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلا منهم حتى جاء الله بالاسلام فمكن به فى البلاد ، ووسع فى الرزق ، وجعلهم ملوكا على رقاب النـاس ، وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا الله على نعمه ، فان ربكم منعم يحب الشكر ، وأهل الشكر فى مزيد من الله »

ولقد كان صحابة محمد يتحدثون فى أمر الجاهليـة والنبى يسمع فيضحكون ويبتسم صلوات الله عليه . ومن الخير أن يذكروا الجاهلية ومفاسدها ليعرفوا أية نعمة أفاءها الله بالاسلام عليهم ، فيزدادوا على دينهم حرصا . يقول عمر « انما ينقض الاسلام عروة عروة من نشـأ فى الاسلام ولم يعرف الجاهلية » .

... ربى النبى صلوات الله عليه بالاسلام خير أمة ، فاخرجهم من عبادة الناس الى عبادة الله وحولهم من جور الاديان الى عدل الاسلام ، وصيرهم موازين عدل والوية تراحم وايثار بعد أنانية وأثرة بغيضتين ، واسراف فى الحروب لأوهى الأسباب وحب للدم لم يتورع عنه حتى نساؤهم اللواتى ماكن يرضين الا أن يصبغن ثيابهن بدماء القتلى ، وما ينسى أحد صنيع هند بنت عتبة وهى فى جاهليتها بجثمان أسد الله حمـزة ابن عبد المطلب ، وسيعرف القارىء الكريم كيف بدلها الاسلام بعد ذلك خلقا آخر ، وردها الى الفطرة الكريمة ، والذين قال الله فيهم « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » هم الذين قال فيهم « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم »

.. انهـا أمة قدسـهـا القرآن فأصحاب محمد فى تاريخ البشرية صورا جديدة للانسانية ، وأمثلة رائعة للايمان واعزاز الحق والجهاد فى سبيله ، وان رويت من قلوبهم السـيوف وتخطفتهم من مختلف جهاتهم المكاره والحتوف ، موقنين أن عزة الحر الأبى لا تكتمل الا حين يسلم له دينه ، وتغدوا أمته عزيزة الشأن ، عالية البنيان وترفرف فى دنيا المسلمين رايات الأمن واليمن والرخاء .

ومن مدرسة الوحى سنقدم المثل بعد المثل والعمل فى أعقاب العمل لتكون نورا على طريق الاحرار والقادة الذين يريدون أن يصلوا حاضر أمتهم بماضيها العظيم ليكونوا بالعمل ، لا بالتمنى والأمل « خير أمة أخرجت للناس »

« بقية مقال الاسرار والمساواة فى الحج »

ويقولون نحن المتوكلون ومع ذلك يعتدون على النـاس فوضع الله لهم الطريق الحق وأنزل « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » .

ومن أسرار نزول منى أنها كانت سوقا عظيما من أسواق الجاهليـة كعكاظ والمجنة وذى المجاز . ميدانا للتفاخر بالاحساب والتكاثر والاموال والجاه والنعرات الجاهليـة فطهرها الاسلام مصححا للوضع بأن جعلها مجتمعـا للمساواة والتآخى والتوجه الى الله وحده ـ كما شرع الوقوف بالمشعر الحرام لاعلان التوحيد والعبادة محـل التنابذ والتفـاخر . ورمى الحجار اعلان لطاعة الله والتخلص من سيطرة الشيطان والسعى بين الصفا والمروة تاسيا بهاجر أم اسماعيل وتذكيرا لموقفها وما فيه من عظمة وايمان بالله الذى يجيب المضطر اذا دعاه ساعيا مخلصا له وكم فى الحج من أسرار ومعان وما كانت الرسالة الاسلامية فى العبادات الا تطهيرا للنفوس واسعادا للبشرية واحتفـاظا بكرامة الانسانية بربطها بالله وحـده ربا وبالمؤمنين فى أخوة صادقة .

ومن هنا كان الحج المبرور هو من زكى نفس صاحبه ومنعه عن الطباع الذميمة « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » وأحاطه الله بالقداسة حتى حرم فيـه الجدال : قال تعالى : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب »

فالحج روحانية صادقة واجتلاء للسمو فى الايمـان والحكمة من الآيات البينات والعظة من سيرة الانبياء ودعوة الى التقوى وليس مظاهرا جوفاء وأجساما متنقلة صماء . انما مثل عليا ومعان كريمة وأفئدة مؤمنة كما حـددها سيدنا ابراهيم .

« ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

اعجاز القرآن البيانى

الأصبهانى والإعجاز البيانى

الدكتور حفنى شرف

دار الزمن دورته وعاد سيرته فسرت فى نفوس علماء القرن الثامن هزة سلفهم من تشوق للبحث وانكباب على الدرس واستجلاء حقيقة الاعجاز البيانى للقرآن الكريم ،ولذا خرج الينا فى هذا القرن علماء أجلاء يذكرون ضمن الصف المنهجى الذى يوفر على دراسة هذ الكتاب المقدس فأتى بما يروع ويدهش فى الآن نفسه .

وهذا هو العلامة شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن الشافعى المتوفى سنة ٧٤٩ مثال حى على ما نقول :

فقد أفاض هذا الرجل فى ذلك الميدان واجاد حيث تكلم فى تفسيره الكبير الذى جمع فيه بين الكشاف ومفاتيح الغيب كلاما طويلا نقله عنه السيوطى فى كتابه الاتقان ٢ : ١٩٨ وهنا يأتى دورنا لنلخص ما قال :

ذكر العلامة الراحل أن اعجاز القرآن من وجهين :

احدهما : اعجاز متعلق بنفس القرآن وهو الذى تعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه ، وقد وضح ذلك بقوله :

« أما الاعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغتهفلا يتعلق بعنصره الذى هو اللفظ والمعنى ، فان ألفاظه ألفاظهم قال تعالى : « قرآنا عربيا » ، « بلسان عربى » وكذلك لا يتعلق بمعانيه فكثير منها موجود فى الكتب المتقدمة عليه ، قال تعالى : « وانه لفى زبر الاولين » وما هو فى القرآن من المعارف الالهية وبيان المبدأ والمعاد والاخبار بالغيب ، فاعجازه ليس براجع الى القرآن من حيث هو قرآن ، بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم ويكون الاخبار بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره مؤدى بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو باشارة .. راجعا الى هذا السبب عينه .

فاذن النظم المخصوص صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره وباختلاف الصور يختلف حكم الشىء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار ، فانه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها لا بعنصرها الذى هو الذهب والفضة والحديد .

وهكذا ترون أن الاصبهانى يابى الا ان يسوق كلامه معضدا له بالدليل والمثال ، ومنه يتضح انه يرى الاعجاز المختص بالقرآن متعلقا بنظمه مخالف ما عداه .

ويستطرد بعد ذلك فيسوق نماذج من الشعر والنثر مقارنا بينها وبين القرآن مقررا فى النهاية ان القرآن جمع كل ما فى الشعر والنثر من محاسن وان خالف نظمه نظمهما بدليل انه لا يقال فى القرآن انه رسالة او خطبة أو شعر أو سجع ، ولكنه يقال له : كلام بليغ . والبليغ اذا قرع سمعه به فصل بينه وبين ما عداه من النظم وصدق الله سبحانه وتعالى اذ يقول فيه « وانه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

وتتمة الكلام نذكر القسم الثانى فى الاعجاز وهو الصرفة فى نظر الاصبهانى ، ولما كان ذلك خارجا عن موضوعنا لانه لا يقدم التعليل والاسباب ، لذا رأينا العودة الى الوجه الاول كى نوفيه بحثا ونشبعه اسهابا .

وان جرنا ذكر القسم الثانى الى ستطراد فان ذلك مرده الى تعجبنا من موقف الاصبهانى هذا حيث يجمع بين رأيين فى الاعجاز هما : الصرفة والنظم .

المهم أن تبين الان ماذا يقصد الاصبهانى بنظم القرآن؟

النظم عنده صورة القرآن التى تتألف من عنصرى اللفظ والمعنى وليس اللفظ وحده سبب الاعجاز لان الفاظ القرآن هى ألفاظ العرب نفسها ، كما انه لايمكن أن تكون معانيه منفردة سببا لاعجازه اذ أن كثيرا من الكتب المتقدمة عليه تحوى كثيرا من معانيه : والدليل على ذلك قوله تعالى : « وانه لفى زبر الاولين » .. وبالجملة فالقرآن انما هو معجز بوصفه كتابا عربيا فاعجازه اذن فى نظمه ، وهنا يأتى دورنا لنقول كلمتنا فى هذا التأثر والتأثير .

فالاصبهانى لا شك متأثر بعبد القاهر فى مسألةالنظم هذه ، ولا أدل على ذلك - دعك من الفكرة نفسها - انه يستشهد بما قاله عبد القاهر نفسه فى دلائل الاعجاز من مثال الخاتم المصنوع من مواد مختلفة والحلى المتنوعة من مادة واحدة بل انه يستعمل ألفاظ عبد القاهر نفسها وان بقى له بعد ذلك مخالفته الهامة حيث جمع الاصبهانى بين الصرفة التى يرفضها عبد القاهر ويسفه آراء أصحابها والنظم الذى ارتضاه وركن اليه .

وفى تتمة هذا يبين لنا الاصبهانى أن الاعجاز يدركه الاديب البليغ بالذوق لا بتطبيق القواعد العلمية وتطبيق أساليب البلاغة تطبيقا جافا ، ويلاحظ عليه أخيرا أنه استعمل لفظى الظاهر والباطن فى قوله مثلا « عجزت فى الظاهر عن معارضة مصروفة فى الباطن عنها » ولعله فى ذلك متأثر بفكرة الباطنية فى التفسير ، هؤلاء الذين زعموا أن لكل شىء ظاهرا وباطنا الاول يعرفه العامة وهو سطحى ضحل والثانى يدركونه هم وحدهم لانهم خصوا بادراكه .

وبعد أن أتيت على مذهب هذا الرجل فى الاعجاز البيانى ولخصته فى تحر وأمانة أرى لزاما على أن أغذ السير الى علم آخر من هؤلاء الجهابذة الاكابر الذين ضربوا بسهم وافر فى البحث والتنقيب .

الزركشى

بعد أن خطت سطورى السابقة رأى الاصبهانى فى الاعجاز تركته بعد أن حييته تحية الوداع لاخلص فى نهاية القرن الثامن ، وفى مدينة مصر بالذات الى الامام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى .

وقبل أن أسجل ما دار بينى وبينه من حديث أحب أن أضع بين يدى القارىء ترجمة موجزة عن حياته علها تعين على فهم ما نثبته بعد من حديث .

ولد الزركشى سنة خمس وأربعين وسبعمائة بمدينة القاهرة وبها نشأ وفى مدارسها العديدة تعلم وعلى علمائها - وما اكثرهم - تخرج . وبمذهب الشافعية تفقه . فكانت كل هذه العوامل قوة مضيئة فى حياته دفعتها الى الامام فى عزيمة لا تفتر وتصميم لا يلين .

انكب الرجل بعد ذلك على العلم فحفظ كتاب « المنهاج » للامام النووى واليه نسب اذ كان يقال له « المنهاجى » .

وكفاه فخرا ، أو قل كفانا نحن ثقة به انه تتلمذ فى القاهرة على الشيخ جمال الدين الاسنوى رئيس الشافعية وامام أهل الحديث بالمدرسة الكاملة كما تلقى العلم فى القاهرة أيضا على الشيخ سراج الدين البلقينى والحافظ مغلكاى وغيرهم من شيوخ مصر .

ثم رحل الى حلب والتقى بالشيخ شهاب الدين الاذرعى فسكب هذا فى عقله شذرات زكية من الفقه والاصول ، وبعد ذلك صوب تجاه دمشق والتقى بالحافظ ابن كثير فاخذ عنه الحديث وبعدها عاد الى القاهرة يحمل كنزا ما انفسه وأغلاه ..

جمع فيه أشتات العلم وأحاط بالفروع والاصول وحشد الغامض والمواضح ووعى الغريب والنادر واستقصى الشاذ والمنبى .

وقد يقال : وما فائدة جمع هذا وذاك ؟

اقول : لقد ضاعف من فائدة ذلك كله أن الرجل كان له ذكاء وفطنة وموهبة وألمعية أعانته جميعها على استيعاب ما جمع والتدقيق فيه ، فأهله كل ذلك - بجوار التوفر على الجمع والتصنيف - أن يتصدر للفتيا والتدريس .

قال ابن حجر فى الدرر الكامنة : « وكان منقطعا فى منزله لا يتردد الى أحد الا الى سوق الكتب » وحكى عنه تلميذه شمس الدين الرماوى فى طبقات الشافعية للاسدى انه كان منقطعا الى الاشتغال بالعلم لا يشتغل عنه بشىء وله أقارب يكفونه أمر دنياه » .

كما أخبرنا عنه ابن العماد فى شذرات الذهب انه كان يكتب مؤلفاته بخطه وخطه ردىء جدا قل من يحسن فك طلاسمه ، ولهذا شاع فى الكتب المنقولة بخطه الغموض والابهام والتحريف والتصحيف لقى منها القراء والدارسون العناء الكثير .

وكان رحمه الله رضى الخلق محمود الخصال عذب الشمائل متواضعا رقيقا راضيا بقليل الزاد ، وقد تولى من المناصب خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى ، وظل بها الى أن توفى بمصر ، مسقط راسه ، فى رجب سنة أربع وتسعون وسبعمائة ودفن بها بالقرب من تربة بكتمر الساقى ، بلل الله جدثه .

هذا ، وقد اجتمع له من المؤلفات فى عمره القصير - ما لم يجتمع لغيره من أفذاذ الرجال وان كان هذا الفضل لم يعرفه الناس الا بعد وفاته وحين توارت شمس حياته عن الوجود .

اذ بلغت مؤلفاته ثلاثة وثلاثين مؤلفا فى الحديث والاصول والتفسير وعلوم القرآن ، يهمنا منها كتابه « البرهان فى علوم القرآن » لانه هو الذى يتصل بفكرة الاعجاز التى نحن بصددها وحتى يكون عرضنا له وفاء بما وعدنا به فى صدر هذا الكلام من حديث مع الرجل ووقفة حياله .

البرهان فى علوم القرآن :

وهو من الكتب العتيدة التى جمعت عصارة أقوال المتقدمين وصفوة آراء المحققين حول كتاب الله الخالد: حول القرآن الكريم .

لقد ظل كتاب البرهان هذا مخطوطا ومطمورا فى خضم الزمن لا يقف عليه ولا يعرفه الدارسون وطلاب المعرفة اللهم الا قلة من المشغوفين بمعرفة نوادرالمخطوطات ورواد المكتبات .

نعم ظل هكذا حتى قيض الله له الامام السيوطى فأظهره فى مقدمة كتابه « الاتقان فى علوم القرآن » ودل الناس عليه ونقل الكثير منه ولا أكون مغاليا اذا قلت أن الاتقان اختصار للبرهان ، وبنظرة فاحصة للكتابين نقف على صدق ما نذهب اليه .

المهم أن أمر البرهان قد ظل هكذا الى أن خف اليه الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم فى عصرنا الحديث والذى له الفضل الكبير فى تحقيق واخراج كثير من أمهات الكتب والموسوعات من آثار سلفنا الصالح - فجمع نسخه المخطوطة المتعددة المكان فى الجمهورية العربية وخارجها والكثيرة التصحيف والتحريف ووحد بينها وقوم معوجها وصحح محرفها ومصحفها حتى تم له أخيرا تحقيق الكتاب تحقيقا علميا رد فيه نصوصه الى أصلها وشرح الغامض منها وكمل ناقصها بمايقربه

من الصواب حتى أخرجه لنا فى النهاية مرجعا سليما مستوفى وموسوعة نحن فى حاجة اليها أيما حاجة فى دراستنا البلاغية بخاصة والقرآن بعامة .

جزى الله العاملين على احياء تراثنا العربى خير الجزاء .

من النص المحقق الموجود بين أيدينا نرى أن الزركشى جعل الكتاب فى سبعة وأربعين نوعا : كل نوع يدور حول موضوع خاص من علوم القرآن ومباحثه . وفى الحقيقة يستاهل كل نوع منها جميعا أن يكون موضوعا مستقلا لمؤلف خاص .

ولقد حاول المؤلف أن يؤرخ لكل موضوع درسه ويحصى الكتب التى ألفت فيه ويشير الى العلماء الذين تدارسوه فيما بينهم فأشبع الفصول وجمع بين أشتات المسائل وضم أقوال المفسرين والمحدثين الى مباحث الفقهاء والاصوليين وحشد قضايا المتكلمين وأصحاب الجدل بجانب مسائل العربية وآراء أرباب الفصاحة والبيان .

فجاء كما شاء الله كتابا فريدا فى فنه شريفا فى غرضه ، سديدا فى منهجه مع عذوبة المورد وغزارة المادة وبعد عن التعمية واللبس ونؤى عن الحشو والفضول .

ولا أغالى اذ أقول : انه أول كتاب ألف فى علوم القرآن وجمع أنواعها فى مؤلف خاص .

بعد هذه المقدمة الطويلة التى لم يكن لنا معدى عن ذكرها نخلص الى ذكر ما يهمنا من هذا الكتاب وهو ما قاله مؤلفه عن بيان القرآن واعجازه .

ويستطيع القارىء المتأمل أن يقف على رأى مؤلفه من مقدمته قبل أن يصل الى الفصل الذى عقده عن اعجاز القرآن . اذ فى هذه المقدمة جمع أغلب ماقيل عن اعجاز القرآن عند السابقين واليك بيانه بعد أن أشار على الباحثين بالفحص عن أسرار التنزيل والكشف عن حقائق التأويل الذى تقوم به العالم وتثبت الدعائم وأثبت أن القرآن شفاء الصدور والحكم العدل عند متشابهات الامور .. بعدها أبان أنه الكلام الجزل وهو الفصل الذى ليس بالهزل ، والشهاب الذى لا يخمد نوره وسناؤه ، والبحر الذى لا يدرك غوره ، بهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتضافر ايجازه واعجازه ، وتقارن فى الحسن مطالعه ومقاطعه .

فانت تدرك لاول وهلة أن وجه اعجازه فى نظره هو بلاغته يؤيد ذلك قوله : قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه وقسم لفظه ومعناه .

وبعد ذلك أراد أن يبين وجه الاعجاز فى القرآن باشتماله على الصور البلاغية فقسمه الى ما ينشط السامع ويقرط المسامع من تجنيس أنيس وتطبيق لبيق وتشبيه نبيه وتقسيم وسيم وتفصيل أصيل وتبليغ بليغ وتصدير بالحسن جدير وترديد ماله مزيد .. الخ .

وهو بهذا الوجه ينهج نهج الرمانى وابن قتيبة وابن أبى الاصبع . بهر تمكينه فواصله ، وحسن ارتباط أواخره وأوائله ، وبديع اشارته ، وعجيب انتقالاته ، فيه القصص الباهرة والمواعظ الزاجرة ، والامثال السائرة ، والحكم الزاهرة ، وهو قائم فى هذا كله أو بجانبه للدلالة على التوحيد .

والزركشى اذ يذكر هذه الميزات كلها لم ينس الوجه القائل بنظم القرآن وأسلوبه فقال ١ : ٤

« ان كان سياق الكلام ترجية بسط وان كان تخويفا قبض وان كان وعدا أبهج وان كان وعيدا أزعج وان كان دعوة حدب وان كان زمجرة أرعب وان كان موعظة أقلق وان كان ترغيبا شوق .

هـذا وكم فيـه من مـزايا
وفى زواياه من خبـايا
ويطمـع الحبر فى التقاضى
فيكشـف الخبر عن قضايا

ثم أورد رأى من قال بأن وجه الاعجاز عدم احاطة الخلق علما بمعانيه لغرابة أسلوبه ، فقال : « سبحان من سلكه ينابيع فى القلوب ، وصرفه بأبدع معنى وأغرب أسلوب ، لا يستقصى معانيه فهم الخلق ، ولا يحيط بوصفه على الاطلاق ذو اللسان الطلق » .

كما انه أشار الى أثر القرآن فى النفوس وتأثيره فيها كما قال بذلك الخطابى والقاضى عياض اذ انه يملا القلوب بشرا ، ويبعث القرائح عبيرا ، يحيى القلوب بأوراده :

أندى على الاكباد من قطر الندى
وألذ فى الاجفان من سنة الكرى

ولهذا سماه الله روحا فقال : « يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده » فسماه روحا لانه يؤدى الى حياة الابد ولولا الروح لمات الجسد .

كما أنه يرى أن القرآن يحوى جميع العلوم وهو بهذا يؤمن بالاعجاز العلمى ويخالف أبا اسحاق ابراهيم ابن موسى الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ فى كتابه «الموافقات» الذى ينكر التفسير العلمى المدعى أن القرآن يحوى كل العلوم بحيث لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها مما جعله المتأخرون من اهم أسباب الاعجاز على حين ليس هو صحيحا فى ذاته وليس منها فى ورد ولا صدر » .

ويستدل على ذلك باقوال كثيرة وأدلة مأثورة وآيات من القرآن ، وأخيرا يقول ١ : ٨ :

« وكل علم من العلوم منتزع من القرآن ، والا فليس له برهان . قال ابن مسعود من أراد العلم فليثور القرآن ينقر عنه ويفكر فى معانيه وتفسيره فان فيه علم الاولين والاخرين » ولعله أراد بهذا أصول العلم .

ونحن نوافق الشاطبى على انكاره التفسير العلمى للقرآن الكريم ، فهذا فى نظرنا لن يضير القرآن فى شىء فهو كتاب موعظة ودين ، وهدى واصلاح ، ونحن ننزه القرآن عن نظريات علمية تصدق بالامس ليطاح بها اليوم .

هذا ولم يقف امر الزركشى عند هذا الحد بل عقد بابا فى الجزء الثانى ٩٠ تحت اسم معرفة الاعجاز بين فيه اهتمام العلماء السابقين أمثال الباقلانى والخطابى والرمانى وغيرهم ، وجعل اعجاز القرآن علما عظيم القدر لان نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - قد دل على اعجازها القرآن ، وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الاعجاز ، قال تعالى :

« كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » .

وقوله : « وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله »

فلولا ان سماعه اياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا تكون حجة الا وهى معجزة كما أن النبى - صلى الله عليه وسلم - تحدى العرب وهم أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء - تحداهم بالقرآن حين قالوا : « افتراه وأعانه عليه قوم آخرون » تحداهم أن يأتوا بمثله أو باقل سورة منه فعجزوا ، فهذان دليلان على اعجاز القرآن .

ولكن : بم كان معجزا لدى الزركشى ؟

« للبحث بقية »

حول مشاكل المرأة العاملة

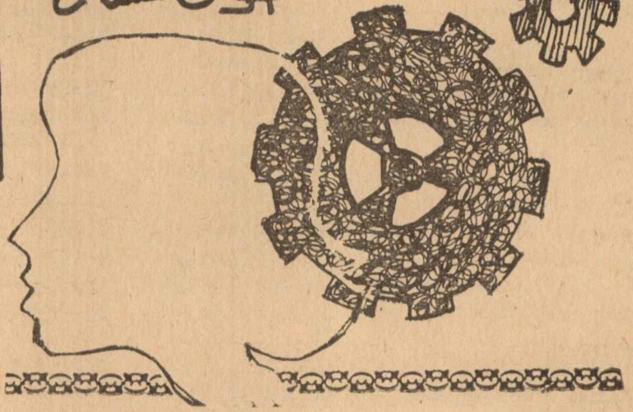

الدكتورة طلعت الرفاعى

من الطبيعى أن يكون للفرد مشكلة بالنسبة لعمله واذا كان فى العالم اليوم اهتمام خاص بمشكلات المرأة العاملة يشغل كبار الباحثين والمصلحين فلأن هنالك خطرا جسيما يهدد كيان الأسرة بعد أن غصت مجالات العمل بملايين النساء التى سارت فى طريق التطور الكبير فى الوطن العربى وفى العالم أجمع .

وأمام هذا السيل الزاحف ماذا نقول للمرأة ؟ أنقول لها ارجعى الى المنزل ؟ أم نقول لها تعلمى ومن حقك أن ترضى ميلك حتى النهاية ولكن اقتصرى على العناية بالمنزل ؟ وماذا يكون جوابها فى هذه الحالة ، بل ماذا تفعل بما يتبقى لديها من وقت أمام وسائل الحياة الحديثة التى اختصرت الكثير من ساعات العمل المنزلى، وماذا تعمل بما يفيض لديها من علوم يمكن أن تؤدى فائدة كبيرة فى حركة البناء الوطنى فى شتى قطاعاته ..

على أن أهم مشكلة تبدو فى حالة عمل المرأة هى مشكلة الجمع بين البيت والعمل التى ينعكس أثرها فى حالة القلق التى تنتاب المرأة حين تغيب عن المنزل تارة بسبب العمل وحين تغيب عن العمل بسبب الأسرة تارة أخرى .. وهكذا يبدو هناك مصدران اثنان لهذا القلق الذى ترزح المرأة العاملة تحت كابوسه الثقيل والذى يتجسد فى الغياب عن البيت أو عن العمل .

أما بالنسبة لغياب المرأة عن المنزل فيتلخص حل المشكلة فى تأمين رعاية أفراد الأسرة وتوفير الخدمات المنزلية ولكن اذا تيسر للمرأة العاملة من يقوم بكل هذا فانه يبقى أمر خطير هو ذلك الفراغ العاطفى الذى يحدثه غيابها عن المنزل ولا سيما بالنسبة للصغار الذين يكونون فى أشد الحاجة الى وجود الأم الى جانبهم فى سن معينة ، ومن هنا يتبين لنا أنه من الأهمية بمكان

أن لا يستغرق عمل المرأة فى مثل هذا الظرف ، مدة طويلة خارج المنزل وأن يقتصر فقط على بعض الساعات فى اليوم كيما تعود بعدها الأم الى ملازمة أطفالها والعناية بشؤونهم فيما لا يستطيع سواها أن يحل مكانها .

ولقد دلت التجارب والاحصاءات التى اجريت فى هذا الشأن أن غياب المرأة فى عملها بعض الساعات فى اليوم اذا توفرت فى منزلها الخدمات الاخرى ، لا يحدث اى اضطراب فى حياة الصغار بل على العكس فان ملازمه الطفل لأمه بصورة مستمرة كثيرا ما تسيىء الى تنشئته بغض النظر عن الجو النفسى الذى ينتاب الام فى هذه الحالة ويجعلها تثور وتقسو عليه لأتفه الأسباب ، علاوة عن أن المرأة العاملة من ناحية ثانية تسهم الى حد كبير فى رفع المستوى الاقتصادى فى الأسرة الذى غالبا ما يكون سببا فى كثير من المشكلات العائلية ..

أما من ناحية مشكلة غياب المرأة عن العمل عند الضرورة بسبب مسئوليات الاسرة ، فان تشريعات العمل التى نادى بها المشرعون فى شتى أنحاء العالم فيما يخص المرأة العاملة وفق حاجاتها الطبيعية ، قد زللت كثيرا من الصعوبات أمام عمل المرأة وهيأت لها الاستقرار المطلوب الذى لا بد منه لكل عمل مهما كان نوعه ومداه ، وأهم ما يتبادر الى الذهن فى هذا المجال هو رعاية الأطفال وفق ما يلى :

١ – اعداد فتيات صالحات وفق أحدث الطرق التربوية على أن يكن من ذوات الاستعداد اللازم لهذه المهمة لتحل الواحدة منهن مكان الأم أثناء وجودها فى العمل اذا كان وضع الأسرة يسمح بذلك .

٢ – انشاء دور حضانة فى الجهات السكنية المختلفة ، مجهزة بأحدث الوسائل ويوزع فيها اللبن على الأطفال والوجبات اللازمة لهم وتدفع العاملة مقابل الأجر الذى يتناسب مع حالتها .

٣ – انشاء دور حضانة فى أماكن التجمع الصناعى ، أو فى المعمل الذى يشكل عدد عاملاته الحد المطلوب فى قانون العمل لانشاء الدار فيه وبذلك تستطيع الأم أن تصحب طفلها معها فى الصباح الى دار الحضانة فى المصنع أو الى أقربها له وتعيده معها فى المساء .

٤ – تشجيع الفتيات والطالبات أثناء الفراغ على رعاية الأطفال فى المنازل اثناء غياب الأم بأجر معقول وينظم لذلك مكتب للتسجيل كما هو الحال فى بعض البلاد التى ارتفعت فيها نسبة النساء العاملات .

٥ – تشجيع بعض الأسر ذوات الدخل المتوسط أو القليل ممن تساعدها ظروفها على ابقاء الطفل لديها خلال غياب الأم لقاء أجر معقول وتقوم الدولة بمنح بعض المساعدات لتلك الأسر .

وهناك أنواع أخرى من الرعاية سنتناولها فى حينها فى سبيل التغلب على القلق الذى يهدد مواهب المرأة العاملة ، لأن طمأنينة الفرد فى عمله من أهم الدوافع التى تاخذ بيده فى طريق النجاح والتقدم .

أضواء على التاريخ الاسلامى

الأسرة المالكة المسلمة الأولى في شبه القارة

الأستاذ محيى الدين الألوائى

فى مدينة « كنور » بشمال « ملابار » فى جنوب الهند أسرة مالكة مسلمة تعرف باسم « أركل راجا ومشم » (أى الاسرة المالكة باركل) . ويرجع تاريخ هذه الأسرة الى زمن قدوم « مالك بن دينار » و « شرف بن مالك » من جزيرة العرب الى « ملابار » حاملين لواء الدعوة الاسلامية .

ولهذه الأسرة علاقة وثيقة ببدء الدعوة الاسلامية فى ربوع القارة الهندية ، ويقال ان أصلها يرجع الى « جيرمان برومال » وكان مؤسس هذه الأسرة المالكة « محمد على » بن السيدة « سرى ديوى » أخت « جيرمان برومال » وكان اسمه الأصلى « مها بالى » قبل اعتناق الاسلام . ويظهر من الوثائق المحفوظة فى قصر أركل أن ابن سرى ديوى اعتنق الدين الاسلامى فى سنة ٦٤ هجرية ، وأسس هذه الأسرة المالكة وشيد بنيانها على أساس متين . وكانت عاصمتها الأولى فى مدينة «دهرمدم» وتوجد فى قصر « على راجا » الحالى فى كنور وثائق تاريخية عديدة تنطق بقدم هذه الأسرة ، ومدى النفوذ الواسع الذى تتمتع به فى أنحاء البلاد ، ومن ضمن تلك الوثائق التاريخية الصحائف النحاسية والنقود التاريخية والوثائق المكتوبة عن المعاهدات والاحلاف ، سواء فى اللغة العربية أو الخط العربى الملاباري .

ولهذه الأسرة يد طولى فى نشر الدعوة الاسلامية فى « كيرالا » وتثبيت أقدامها ، واسكان المسلمين القادمين اليها من البلاد العربية أو من سائر أنحاء القارة الهندية .

وتثبت الحقائق التاريخية بان الاسلام قد انتشر فى بلاد ملابار فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأكبر دليل تاريخى على ذلك تلك النقود الفضية التى نشرتها الأسرة المالكة « باركل » فى « كنور » فى القرن الثامن للميلاد . وهذه الواقعة تفند الرأى القائل بأن الاسلام جاء الى ملابار بعد القرن الثانى لوفاة النبى عليه الصلاة والسلام .

وعرضت النقود التى تحمل اسم ملك أركل فى المعرض الثقافى الذى أقيم فى مدراس عام ١٩٤٣م. وتحتفظ هذه الأسرة بتراثها القديم وتحافظ على مجدها الغابر منذ القرون .

وأصبحت هذه الوثائق التاريخية المكتشفة فى قصر أركل من نقود ومخطوطات ومنحوتات ورسائل وغيرها أقوى الحجج التاريخية لتفنيد رأى صاحب « تحفة المجاهدين » بأن الدعوة الاسلامية قد ابتدأت فى ملابار فى القرن العاشر للميلاد . ومن المؤسف أن كثيرا من الكتب التاريخية التى ألفت بعده تنقل هذا الرأى بدون تمحيص وتحقيق ، مع أن المؤرخ الفارسى المشهور « ابن عرفشه » ١٤٧٦ ، والمؤرخ العربى المعروف « فخر الدين » ١٢٧٢ ، قد صرحا بأن الاسلام بدأ ينتشر فى سواحل الهند الغربية فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وجاءت وثائق أركل مؤيدة لرأى هذين المؤرخين واستنادا على رأى صاحب « تحفة المجاهدين » قال بعض

منظر رائع من أحد المساجد التاريخية فى حيدر آباد بجنوب الهند

المؤرخين ، مثل « رولتسمان » و « دبلو اناس » و « ك.ب بليناب مينون » : ان الاسلام جاء الى ملابار بعد القرن الثانى من الهجرة .

وثبت أيضا أن تاريخ بناء المساجد الموجودة حاليا فى مدن « جاليم » و « كدنفلور » و « كوبلاندمى » وغيرها من عواصم ملابار القديمة يرجع الى عام ١٢٠ هجرى اى ٧٠٠ ميلادى . وهذا الواقع التاريخى يلفت أنظارنا الى ما قبل ألف سنة فى تاريخ كيرالا القديمة .

وقال السائح المعروف « فراير أودوريك » الذى زار كيرالا وجاب فى أنحائها : « كانت للمسلمين مستعمرات

خاصة فى « كولم » و « بنتالايني » وغيرها منذ أوائل القرن العاشر للميلاد .

وكان يدعى كل واحد من ملوك الأسرة المالكة بلقب « آدى راجا » اى الملك الأول أو « آرى راجا » اى ملك البحار ، ولقبوا بالقاب السلاطين منذ القرن الثالث عشر للميلاد .

ويقول بعض المؤرخين : كانت « كنور » تحت حكم ملك « كولترى » ، وكان الملك الكولترى معاصرا لساموترى « سامرى » واقام بصفة دائمة فى مدينة كنور . واعتنق قواده ورجال حاشيته الدين الاسلامى . فهكذا جاءت اسرة مالكة مسلمة الى حيز الوجود فى ملابار ، وكان الناس يدعون « على راجا » العظيم بلقب « سلطان البحر » .

وتقول اسطورة أخرى بان فتاة من الأسرة المالكة فى كولترى تزوجت من مسلم انقذها مرة من حادثة خطيرة ، فعزلوهما فى قصر خاص بعيد عن القصر الملكى ، فتكونت أسرة مستقلة من هذين الزوجين . ويقول المؤرخ القصصى « شنكونى ناير » هذه الأسرة أصبحت تعرف فيما بعد باسرة اركل ، ثم صار اليها حكم البلاد حتى أصبحت أسرة مالكة فى طول البلاد وعرضها .

وهذه الاسطورة تناقضها الحقائق التاريخية الثابتة ، لان اسرة « كولترى » بدات تحكم البلاد فى أواخر القرن التاسع الميلادى ، وكان القرن الحادى عشر عصرا ذهبيا فى تاريخ اسرة كولترى . وعلى هذا بدات كولترى تبنى مجدها بعد جيرمان برومال بزمن غير قليل . وهذا يدل على أن الأسرة المالكة فى أركل غير متفرعة من أسرة كولترى ، مع أنها اسبق زمنا من تاريخ قيام أسرة كولترى التى تدعى الأساطير أنها مرتبطة بأسرة أركل .

وبدات الأسرة المالكة باركل توثق علاقاتها مع البلدان الخارجية فى أوروبا ، والبلاد الشرقية . ونزلت الى الميدان العالمى ، فاشتهرت فى معظم بلاد العالم ، وبنى ملك اركل قصورا وقلاعا فى كنور بعد أن نقل عاصمته اليها من « دهرمدم » . وبعد مدة أصبحت كنور مركز التجارة الخارجية . وكان الملك يتولى بنفسه مهمة تصدير المنتجات الهامة الى الخارج مثل الفلفل ، والقرنفل وغيرهما . وذاع صيته فى الاسواق التجارية بمصروافريقيا ولبنان وجزيرة العرب ، واشتهر باسم « الملك التاجر ».

وقام الملك ببناء العمارات ، وتشييد المدن ، وتدريب الجيوش على طراز البلاد الاجنبية ، ودعم وسائل الدفاع عن الوطن وعمل فى سبيل كرامة البلاد وشرف الامة وعزتها وقام باصلاحات حديثة فى الموانى والمدن والرئيسية حيث يفد اليها الاجانب والسياح للتجارة والسياحة من كل ارجاء الدنيا ، وهكذا اصبح زمام التجارة البحرية والبرية فى يد الملك .

وكان يشرف أيضا على جزر « محلديب » و « لكتشهاديب » و « أندوروت ديب » ووصلت السفن التجارية التابعة لاسرة أركل الى موانىء البلاد النائية . وكلما عقدت معاهدة تجارية جديدة كانت تصنع سفن شراعية جديدة لتضاف الى تلك المجموعة . وكانت ورشة كنور من اكبر ورش السفن فى موانىء العالم .

ومنذ ان تولى ملك أركل حكم جزر محلديب ، أدخلت تعديلات هامة عديدة فى سياسة ملابار وكيفية الحكم فيها ، حتى طالب أهل محلديب بالحكم الذاتى ، وكافحوا فى سبيل الانفصال عن ملابار لتاسيس حكومة مستقلة ذات سيادة كاملة . واستطاع السلطان « تيبو » والامير « حيدر على » صد عدوان القوات الاجنبية بمساعدة من جيوش ملك أركل . وكانت جيوش كولترى تتربص بملك أركل فى تلك الايام ، ونشبت المعارك بين الطرفين مرتين . ولكن منى الجانبان بخسائر فادحة بدون نتيجة تذكر . وانتهز البرتغاليون هذه الفرصة ، وشجعوا الخلافات والحروب بين ملوك ملابار بعضهم بعضا ، ونجحوا فى هذا الميدان نجاحا مرموقا . ولم يتركوا فرصة سانحة الا انتهزوها لتعزيز موقفهم فى البلاد ، وبذر بذور الفتنة والبغضاء بين ملوكها وحكامها .

ففى عام ١٥٠٥م بنى البرتغاليون قلعة كبيرة فى مدينة كنور بشمال ملابار تحت ستار توسيع التبادل التجارى ، واصبحت تلك القلعة مصدر قلق وتهديد لحكام الوطن . فجرت ثلاث عشرة معركة عنيفة بين البرتغاليين وبين حكام البلاد فى سبيل الاحتلال على تلك القلعة المشئومة ، لانها كانت فيما بعد مركز الجيوش الاجنبية ومصدر الخطر على استقلال البلاد ورفاهيتها ورخائها . وأبرمت عدة معاهدات ودية وتجارية بين ملك أركل وبين البلاد الخارجية . وكان يستقبل السفراء والمندوبين من مصر وتركيا وايران وأفغانستان وغيرها من البلاد الشقيقة المجاورة .

ولما وصل الهولنديون الى « ملابار » عرفوا قوة جيوش أركل واخلاصها للوطن . وبعد أن استقرت أقدامهم فى أنحائها وصارت فى أيديهم الاسواق التجارية فكروا فى التعايش السلمى مع العائلة المالكة باركل خوفا من جيوشها المخلصة واستعدادها التام للتضحية فى سبيل الوطن .

وفى سنة ١٧٧٠م باع الهولنديون قلعة كنور الى ملكة « أركل » المشهورة بلقب « أركل بى بى » مقابل مائتى ألف روبية ، وعززوا قواتهم الدفاعية عن الاعتداء الخارجى ، وألفوا جيوشا بحرية وبرية ، وتعهد كل جندى بالتضحية فى سبيل الدفاع عن شرف الوطن ، وحماية كرامته ، ودخل الامير « حيدر على » فى صلح مع « بى بى أركل » حينما علم قوة جيوش أسرة أركل وشوكتها واخلاصها ، وقدم بنفسه الى ملابار .

وبعد ذلك اقتفى ابنه السلطان « تيبو » نفس النهج وأبرم معاهدات عديدة مع بى بى أركل . وأقام السلطان تيبو مدة من الزمن عند الاسرة المالكة بكنور مشرفا على شئون الدفاع . واستمرت هذه الصلات والصداقة بين تيبو وبين الاسرة المالكة باركل الىالحرب الاخيرة الناشبة بينه وبين شركة الهند الشرقية الانجليزية .

وكانت رحلة تيبو عن كنور بداية عهد الاضمحلال والتاخر لاسرة أركل . واضمر الانجليز حقدا دفينا وكراهية شديدة نحو السلطان تيبو لأنه كان زعيم القوات الدفاعية وقائد حركة التحرير . وانضمت جيوش « جركل » والبلاد المجاورة الى جانب شركة الهند الشرقية ضد السلطان تيبو ، وظهر الانجليز بلونهم الحقيقى وحاولوا السيطرة على قلعة كنور ، بعد أن عاشوا تحت ستار الصداقة والود زمنا قليلا ، واغتصاب مراكزالتجارة

جماعات من عامة المسلمين فى الهنـد يقرأون القرآن الكريم فى المصاحف باللغة العربية وتبدى الصورة مدى مساهمة الاسلام فى نشر اللغة العربية فى مشارق الارض ومغاربها

من ملوك كنور ، وتحقيقا لهذين الهدفين قامت « شـركة الهند الشرقية » بالاستيلاء على ميدان القلعـة للتدريب العسكرى عام ١٧٩٣م . ففى سـنة ١٩٠٥م شنوا حملات متواصلة للاستيلاء على الامارات المختلفة ولضم المهاراجات والامراء الى صفوفهم .

وعقد الانجليز معاهدة صلح مع أسرة أركل بشرط ان تدفع اليهم جزءا من ايرادات الجزر التى تحكمها الأسرة ، وكانت هذه المعاهدة فى عام ١٧٩٦م .

ثم تدرج الانجليز بالمطالبة بالزيادة فى هذا الجزء ، حتى جردوا الاسرة تماما عن الحصول على شىء من ايراداتها . وعزم الانجليز على القضاء التام على هذه الأسرة لتاييدها السلطان تيبو فى حروبه معهم . فأصدروا باسم حـاكم مدراس حكما قانونيا بمصادرة جميع ممتلكات الأسرة باركل بدعوى أنها لم تف بالوعود الواردة فى المعاهدة المذكورة . ولكن « بى بى أركل » قدمت شكوى بعدم شرعية مصادرة ممتلكاتها الخاصة الى اللجنـة الادارية لشركة الهنـد الشرقية ، فكان حكم اللجنة فى صالح بى بى . ففى عام ١٨٦١م أعادت الشركة ما صادرتها الى « بى بى أركل » بناء على الحكم السابق .

وقرر حاكم مدراس الانجليزى الانتقام من الاسرة فى الوقت الملائم ، واستطاع الانجليز الاستيلاء على قلعة كنور بعد معركة دامية . وقتل فيها ملك أركل ، زوج بى بى المذكورة وغيره من القواد والعظمـاء . وأخيرا انتصر الانجليز على جيوش « مابلا » بعد أن فشلوا مرات فى الحرب التى جرت مع جيوش مابلا الباسلة ، فاخـذ البريطانيون من الاهالى حوالى مائتى ألف روبيـة على سبيل الغرامة لمناهضة الانجليز ، وفرض البريطانيون ضرائب باهظة على البضائع المستوردة من الخارج ، وكذلك فرضوا قيودا كثيرة على الصادرات الى الخارج ، فاضطر التجـار الاجانب للتخلى عن التجارة مع الاسرة المالكة بأركل ، ونقضت البلاد الخارجية معاهداتها المعقودة مـع ملك أركل بسبب تعذر الاستمرار فى التجارة مع الاسرة تحت ضغط « شركة الهند الشرقية » والحكام الانجليز .

فبهذا اكتملت سيطرة الانجليز على الأسواق التجارية فى داخل البلاد وخارجها ، وقبضوا على زمام تجارة الفلفل وتصديره الى البلاد الأجنبية .

وسجل التاريخ خدمات هذه الأسرة بمداد من النور ، ولم يكن ملوك هذه الاسرة مستبدين أو ارستقراطيين ، بل كانوا جميعا ديمقراطيين وحكاما عادلين ، وكانت لخزانة الدولة أربعة مفاتيح ، واحد منها عند الملك ، والثانى فى يد مدير مصلحة التجارة ، والثالث مع رئيس القضاة ، والأخير عند صاحب الخزانة ، ويحضر الاربعة عنـد فتح الخزانة .

وهذا نظام يدل على العـدالة الاجتماعية التى كانت تسود فى أنظمتهم وقوانينهم ، التى استمدوها من تعـاليم الاسلام .

« يتبـع »

الإسلام بين العقل والنقل

الأستاذ حمزة أبو الفيض المنوفي

« شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط »

تطور التفكير الفلسفي عند المسلمين :

لم يكن وعي العرب في بداية أمرهم يقوى على هضم مسائل الفلسفة وانما اتجهوا وهم القريبو العهد بالبداوة أول الامر نحو العلوم المتصلة بحياتهم مباشرة والتي تدعو اليها الضرورة الملحة .

وان كان في كتابهم وسنة رسولهم بعد الاسلام مادة يمكن أن تصلح لان تكون مسائل فكرية ونظرية ولكن المسلمين لم يفلسفوا هذه المادة الا بعد حين ، وربما كانت ابحاثهم في العقيدة أقرب شيء الى الدراسات النظرية وخصوصا عند المعتزلة .

هذا وربما كان خالد بن يزيد الاموي أول من اتجه نحو الثقافة اليونانية وشجع على ترجمة كتبها واسس للمسلمين طريق الاخذ بها . فأمر بترجمة بعض الابحاث الطبية والكيمائية والهندسية وطبعا كانت كتبا يونانية اثناء مقامه في مصر وكما قدمنا كان الكندي أول من بحث في ذلك حين تعلم الطب وكان يعرف اليونانية ، ولكن الى العباسيين وحدهم يرجع الفضل في تنظيم الترجمة الاسلامية وتشجيعها

وقد بدأ المنصور هذه الحركة وتعهدها ابناؤه واحفاده من بعده ، وبلغ بها المأمون خاصة الى القمة . واصبحت بغداد كعبة العلم يحج اليها الطلاب من كل مكان .

وما كانت الترجمة الاسلامية بمقصورة على مادة محدودة او موقوفة على بحث معين كالفلسفة او غيرها وانما كانت خليطا من هذا وذاك ولم يفتهم طب جالينوس وأبو قراط ولا هندسة اقليدس ، ولا ميكانيكا ارشيمدس ، ولا فلك بطليموس . ومن الناحية الفلسفية عرفوا شيئا عن الفلسفة اليونانية من السابقين كسقراط وافلاطون وارسطو وانصاف السقراطيين والسفسطائيين والشكاك والرواقيين والابيقوريين .

ولكن افلاطون وارسطو قد حلا من عقولهم محلا خاصا ونزلا منزلة ممتازة . وقد وفق العرب توفيقا لاباس به في ما نرجوه عن أولئك فتخيروا أحسن المصادر ونقلوها نقلا صحيحا . وان لم يكونوا ابتكروا من عندهم شيئا فليس ثمة فلسفة اسلامية خاصة بمعنى الكلمة تصديرها فلاسفة مسلمون وعليه فان يك للاسلام ثمة فلسفة فمن الواجب أن يكون مصدرها القرآن نفسه وحقا ان للقرآن فلسفة خاصة به .

كبار فلاسفة الاسلام في الشرق :

قدمنا أنه قد بذرت بذور الثقافة اليونانية بين العرب وفي الديار الاسلامية ولم يبق الا أن تؤتي أكلها ، وقد تعهد هذه البذور أول الامر جماعة المترجمين فكان منهم الاطباء والكيمائيون والرياضيون والفلكيون . ولم يكتفوا بتعريب المصادر اليونانية ، بل ضموا اليها مختصرات أو « مداخل » كما كانوا يسمونها في مختلف المواد ومن مختلف اللغات كالعبرية (اليهودية) والسريانية (المسيحية) والهندوكية (الهندية) .

وقد وضع دعائم المدرسة الاولى للفلاسفة الاسلاميين ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي (٨٧٣ م) الفيلسوف العربي المشهور وربيب اللغة اليونانية .

الكندي :

برع في الطب والفلسفة والمنطق والالحان والهندسة وطبائع الاعداد وعلوم النجوم . نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره اذ ذاك . حذا في تاليفه حذو أرسطو وله ترجمات عديدة وليست له فلسفة خاصة غير فلسفة أرسطو في الاكثر وافلاطون في الاقل .

أبو النصر الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ) .

الفارابي هو الاب الحقيقي للفلسفة التي يسمونها الاسلامية ولو جهل بعض الناس ذلك ، فقد شاد بناءها

والم بأجزائها الرئيسية وربطها بعضها ببعض . ولا نكاد نجد فكرة عند خلفائه من الاسلاميين الا ولها أصل لديه ، وكل ما لهؤلاء من فضل هو انهم وضحوا غامضه وفصلوا القول فيما أجمله ، ويخيل الينا أنه أعظم متفلسفة الاسلام علما بتاريخ الفلسفة ، لذلك نراه يتحدث عن المدارس اليونانية ويبين الفوارق بين افلاطون وأرسطو فيلسوفى اليونان فى رأيه ، وقد ألف كتبا عدة بعضها شرح لمؤلفات أرسطو أو مختصرات لها وبعضها الاخر كتبه التى تبين رأيه وبحثه الخاص . ومن أهمها كتاب (آراء أهل المدينة الفاضلة) وضعه على نسق جمهورية افلاطون ، وكتابى « احصاء العلوم وعيون المسائل .

ابن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٦ م) :

ومؤلفات ابن سينا تربو على المائة مصنف أهمها كتابه الطبى « القانون » وفى الفلسفة كتاب الشفاء ومختصره كتاب النجاة وتوجد مجموعة من كتبه فى مكتبتى اكسفورد وليدن .

فلسفته :

فى المنطق : شرح كتاب أرسطو وكان جل اهتمامه (بالتحديد والحكم) وقد سار الفلاسفة المدرسيون فى الجيل الثالث عشر على طريقته فى تقسيم العلوم الفلسفية .

رأيه فى علم النفس :

قال ان فى الانسان خمس قوى وهى القوة الفكرية الروحية التى توصل الانسان للمعرفة المطلقة وهى للنفس الناطقة (عند ارسطو) والعقل المتمكن المتضمن للحقائق البديهية الاولى (الادراك العقلى) والعقل المتفعل المستفاد (الادراك الحسى) والعقل السليم وهو الخاص بفئة من الناس يؤدى بهم الى التصوف الدينى ويريد به (الذوق الفطرى) ثم (العقل المكتسب) بالملكة والتعليم والدربه .

وقد استنكر بن سينا نظرية التناسخ ولم يسلم بان النفوس تحل مرارا فى الاجسام ، فالروح أو النفس عنده أزلية فى أصلها من حيث أنها قبس من أضواء الحياة الالهية . تلك الصفة الازلية الخالدة ، وان كانت النفس فينا مخلوقة لانها مستفادة موهوبة ونسبية وليست مطلقة ، فاذا رجعت (الروح) لاصلها الابدى الذى بدأت منه خلدت فلا تفنى بفناء الجسد .

رأيه فيما بعد الطبيعة

كان جل اهتمامه بمسالة نشأة الموجودات فقال بصدورها عن الله من طريق العقل الكامل (عقل المعقول عند افلوطين) و (الخير المطلق عند افلاطون) و (علة العلل عند سقراط) . وهنا تظهر الافلاطونية الحديثة جلية فى رأى ابن سينا حيث ارجع الايجاد للعقل الاول الافلاطونى وان عاد به الى الله وفى هذا تعطيل للالوهية الحقيقية (كما عند أفلوطين) لانه اذا قال هذا فكأنما يسلم ضمنا مع أفلوطين بان الاله يشغله كماله عن تولى الخلق وأوكل ذلك الى العقل الاول عقل العقول فى مذهبهم . وفى رأيه . كما عند أفلوطين أيضا أن العقل الثانى يتولد من العقل الاول . ثم يتلوه عقل وعقل الى العشرة ، وتحت كل العقول فلك صورته هى النفس الكلية وقد أرجع كما فى الافلاطونية (نفس الافلاك) الى العقل الاول وهكذا يصير التدريج نازلا وصاعدا على سلم الافلاك حتى ينتهى الى العقل الفعال الذى يدير انفسنا من طرف والمادة المظلمة من طرف آخر ، وبعد أن أوضح ابن سينا كيفية صدور الافلاك عن نفسها شرح أيضا حركتها بانها أثر للعلة النهائية التى هى الله (الخير المحض) الذى يجذب النفس العاقلة لكل فلك .

و (العقل الفعال) هو المصدر الذى تنبعث عنه بواسطة الحركات السماوية والنفوس البشرية افكارنا وباقى الصور الجوهرية التى يجب على المادة الارضية أن تقبلها لتحل فيها . والمادة فى نظره غير حادثة بل أزلية كما عند أرسطو ، وسلم أيضا بنظرية أرسطو فى العلل الاربعة وفى قضية الكليات الفعالة (آآلهة متعددة خير أم الله ؟) وهنا أخطأ ابن سينا الفيلسوف الاسلامى كما يقولون فى شيئين : الاول – ايجاد عقول خالقة من دون الله . وهذا رأى افلاطونى كما تقدم – وثانيهما – القول بقدم المادة وهو رأى أرسطو وهذا مالا يعرفه الاسلام ويجب أن لا تعرفه فلسفة اسلامية لو طابق الاسم حقيقة المسمى .

وكادت الفلسفة المزعوم بانها اسلامية تتربع على عرش العقول العامة بابن سينا وغيره كالفارابى ، ولم تكن لاحكام العقل أو الفلسفة النظرية وجود حقيقى بين المفكرين المسلمين لولا نفر من مفكرى المعتزلة ، وبعد أن فتحوا صدورهم لحملة الفلسفة اليونانية ونقلوا عنهم أخذوا بشئون الغارة عليهم دفاعا عن العقيدة الاسلامية فى زعمهم . وهذا لا يمنع أن ابن سينا كان نادرة عصره علما وذكاء . وله كتاب الشفاء فى الحكمة والنجاة والاشارات . والقانون ، وغير ذلك من الكتب وهى كثيرة .

ولابن سينا القصيدة المشهورة فى النفس وهى :

هبطت اليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة ناظر
وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما
كرهت فراقك وهى ذات تفجع
الفت وما نسيت فلما واصلت
الفت مجاورة الخضيض البلقع
وأظنها نسيت عهودا بالحمى
ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها
من ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت
بين المعالم والطلول الخضع
تبكى وقد نسيت عهودا بالحمى
بمدامع تهمى ولما تقلع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى
ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
والعلم يرفع كل من لم يرفع
لتعود عالمة بكل خفية
فى العالمين فخرقها لايرقع
فهبوطها ان كان ضربة لازب
لتكون سامعة لما لم تسمع
ان كان اهبطها الاله لحكمة
طويت عن الفطن اللبيب الاروع
فلأى شىء اهبطت من شامخ
سام الى قعر الحضيض الاوضع
انعم برد جواب ما أنا فاحص
عنه فنار العلم ذات تشعع
اذ عاقها الشرك الكثيف فصدها
قفص عن الاوج الفسيح الارفع
فكأنها برق تألق بالحمى
ثم انطوى فكأنه لم يلمع

الأشهر الحرم

الدكتور عبد الحميد لطفى

اقتضت ظروف الانسان المعيشية ، منذ وطأت قدماه هذه الأرض ، آن يقيس الزمن ، ليعرف متى يتوفر الصيد الوفير ، ومتى يكثر الثمر الكثير ، فنظر الى السماء ، فوجد الشمس تشرق وتغرب ، ثم ينشر الظلام لواءه ، ويسدل أستاره ، ثم تعود سيرتها الأولى ، ووجد أن هذه الدورة تصلح مقياسا للزمن ، فقاس به ، من الشروق الى الشروق ، أو من الغروب الى الغروب ، أو من الشروق الى الغروب ، أو من الغروب الى الشروق ، ولما كان أهم جزء فى هذه الدورة ، هو الجزء الذى يتميز بضياء الشمس وحرارتها ، فقد أطلق على هذا الجزء اسم اليوم ، وقد ورد فى القرآن « سبع ليال وثمانية أيام حسوما » . كما ورد فى الحديث « فى كل يوم وليلة » . ثم أطلق هذا الاسم على الدورة بأكملها . وكذلك كان الحال فى اللغات الأخرى .

ولما اضطر الانسان لأن يستخدم مقياسا أطول ، ليحسب متى تلد امرأته ، اذا حملت، نظر الى السماء فوجد القمر ينير طريقه وقت سراه ، ووجده يبدأ هلالا ناشئا ، ثم يتزايد حتى يصير بدرا ، ثم يتناقص حتى يعود كالعرجون القديم ، ثم يختفى ، ثم يعود سيرته الاولى وهذه دورة فلكية تصلح مقياسا أطول للزمن ، فقاس به ، اما من الهلال الناشىء الى الهلال الناشىء ، أو من البدر الى البدر ، وأطلق على هذه الدورة اسم القمر ، أو اشتق اسمها من اسم القمر ، ففى العربية الشهر هو القمر وفى القرآن « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » أى القمر ، وفى الايرانية اللفظ « ماه » يدل على الشهر وعلى القمر ، وفى التركية اللفظ « آق » يدل على الشهر وعلى القمر ، أما فى اللغات الاخرى فقد اشتق اسم الشهر من القمر ، ويطلق

الانجليز على الشهر اسم القمر ، حينما يقصدون شهر العسل .

ولا ننسى أن جميع الشهور فى جميع البلاد بدأت شهورا قمريه ، فمثلا كانت شهور توت وبابة وهاتور .. شهورا قمرية ، كما يتبين ذلك من حجر بالرمو ومن أوراق بردى تورين ، وكانت شهور مارس وأبريل ومايو . شهورا قمرية كما يتبين ذلك من الآثار الرومانية القديمة ، وكانت السنة تبدأ بشهر مارس ، أى تبدأ مع فصل الربيع .

تسمية الشهور :

سميت الشهور تبعا للحوادث الكونية ، والتقاليد الاجتماعية الموروثة ، التى صادفتها هذه الشهور عند تسميتها ، وكان القسط الأوفر فى هذه التسمية للتغيرات الجوية ، ومايتبعها من ملاءمة الحرب وشئون الزراعة فمثلا شهر هاتور المصرى معناه شهر زرع القمح ، لأن هاتور كان فى اعتقادهم اله الزرع ، وشهر أيار البابلى معناه شهر الازدهار ، وشهر كراتم الأشورى معناه شهر الحدائق ، وشهر كانون السريانى معناه شهر البرد ، لأن البرد يقتضى الكانون ، وهو الموقد ، وشهر أبيب العبرى القديم معناه شهر السنبل الأخضر ، وشهر مارس الرومانى معناه شهر الحرب ، لأن مارس هو المريخ ، وكان المريخ فى اعتقادهم اله الحرب ، وشهر صفر العربى معناه شهر خلو الديار ، لأنها تصفر من شبانها الأشداء لخروجهم للقتال بعد أن انقضت الأشهر الحرم الثلاثة .

على أنه يجب ألا يغرب عن البال ان ارجاع اسم الشهر الى أصله المستقى منه أمر شائك ، اذ اللفظ فى اللغات المختلفة وضع لمعنى خاص ثم أتت ظروف وملابسات ومناسبات رافقت اللفظ فى زمان ما أو مكان ما ، فأكسبته معانى أخرى ، وأصبح للفظ الواحد معان متعددة ، كما أصبح للمعنى الواحد ألفاظ متعددة فى الجهات المتعددة . وقد يمكن فى بعض الأحوال تتبع المعنى الأصلى للفظ ، والعلاقات التى بواسطتها تفرعت المعانى الأخرى ، وقد يتعذر فى أغلب الأحوال معرفة أى المعانى الأصلية وأيها الفرعية ، وقد يحدث أن يثنى أمران مختلفان بتثنية أحدهما على وجه التغليب مثل الأبوين فى الأب والأم ومثل الربيعين فى الربيع والخريف ، وقد يعرف أساس التثنية فيظل الأب أبا والأم أما ، وقد ينسى أساس التثنية فيصبح الربيع ربيعا والخريف ربيعا ، بل ربما تبالغ بعض المعاجم فتصر على أن الربيع هو الخريف ، مع أن الربيع لغة هو الربع وأطلق على ربع السنة ، أى على كل فصل من الفصول الأربعة ثم اقتصر على فصلين ، فصل الأزهار وفصل جمع الثمار ، ثم تخصص فأصبح فصل الأزهار . ويبدو أنهم حينما قاموا بالتثنية ، غلبوا فصل الازهار . وقد يسمى أحد الشهور من لفظ معين لمناسبة من المناسبات ، ثم يتفرع من اسم الشهر معان أخرى تبعا للملابسات التى صادفها هذا الشهر فى زمان ما أو مكان ما ، ثم ينسى أساس التفريع فى الحالتين ، ويتعذر معرفة أى المعانى تفرع منها اسم الشهر ، وأيها تفرعت من اسم الشهر ، ويكون للرأى والتخريج فى هذه الحالة القسط الأوفر

ولأضرب مثلا شهر رمضان ، فقد كان هذا الشهر معروفا فى الجاهلية أكثر من مائتى سنة وقبل الاسلام ، وقد انتقى هذا الاسم كلاب بن مرة جد الرسول - صلى الله عليه وسلم - واذا ببعض الكتب تقول ان رمضان سمى لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها لأن الصوم فيه مع أن الصوم لم يقرر فيه الا بعد أكثر من مائتى سنة قبل الاسلام .

الاشهر الحرم :

دعت الطبيعة البدوية ، والظروف الاقليمية العرب الى الحرب والقتال ، سعيا وراء الرزق ، ثم تفرع منه الجرى وراء الغلبة والسيادة ، ولما كان الانسان بطبيعته لا يمكن أن يجنح الى الحرب على طول الخط ، بل يتحمس لها ويخوض غمارها ، ثم يملها ويجنح الى المهادنة والسلم . لذلك اتفق أقيال العرب فيما بينهم على تحريم القتال فى الشهر الأول من كل من نصفى السنة ، أى فى الشهرين الأول والسابع ، ولما كانت طبيعة البلاد

العربية تضطر العرب الى المتاجرة ، وكانوا قد ورثوا عن أجدادهم ابراهيم ، واسماعيل وذريتهما تعظيم الكعبة ، والنزوح اليها فى كل سنة ، فقد اتفق أقيالهم على أن يتجمعوا فى مكة ، حيث يقومون بتعظيم الكعبة من جهة ، ويتبادلون المنافع من جهة أخرى ، ويطلقون على هذا التجمع اسم الحج ، وأن يكون فى الشهر الأخير من سنتهم ، وأن يكون الشهر الذى يسبقه شهر استجمام واستعداد ، وأن يحرم القتال فى هذين الشهرين ، وعلى ذلك يكون فى السنة أربعة أشهر حرم : الأول والسابع والحادى عشر والثانى عشر •

اسماء هذه الأشهر الحرم :

الشهر الأول :

كان يسمى الشهر الأول باسم شهر المؤتمر أخذ من الائتمار ، بمعنى أنه يؤتمر فيه بترك الحرب • أما ماقيل بأنه سمى كذلك من أمر القوم اذا كثروا ، فهذه تسمية بعيدة ، لأن الكثرة جاءت فيه نتيجة تحريم القتال ثلاثة أشهر متتالية ، وأما ماقيل من أنه يأتمر بكل شىء مما تأتى به السنة من أقضيتها ، فهذه تسمية بعيدة أيضا ، لانه حرم فيه القتال فنشطت الحركة التجارية •

وقد انتقى كلاب بن مرة جدالرسول - صلى الله عليه وسلم - فى سنة ٤١٢ م أى قبل الاسلام بحوالى مائتين من السنين لاسم المؤتمر اسم المحرم لتحريم القتال فيه •

وبهذه المناسبة أذكر أن الهجرة لم تحدث فى شهر المحرم ، بل ان الأحاديث الخمسة التى وردت فى البخارى عن الهجرة كلها فى شهر ربيع الأول ، وكذلك ذكرت بعض الكتب أن الهجرة كانت بعد أول المحرم بحوالى ٦٨ يوما • ويكون الاحتفال بأول شهر المحرم هو لأنه أول السنة الهجرية ، وليس لأنه احتفالا بذكرى الهجرة •

وقد بدأ التأريخ الهجرى فى أيام عمر فى سنة ١٧ هجرية ، اذ أن حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - تتميز بأربع حوادث مهمة : الولادة - الرسالة - الهجرة - الانتقال الى الرفيق الأعلى ، وقد تبين أن أهم هذه الحوادث هى حادثة الهجرة لأنها كانت مفتاح انتشار الاسلام ، وزيادة على ذلك فقد ورد فى القرآن « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » وهو مسجد قباء ، ولذلك اعتبرت الهجرة مبدأ للتأريخ • ورقمت السنة التى حدثت فيها الهجرة بالرقم ١

الشهر السابع :

كان يسمى الشهر السابع باسم شهر الأصم ، لانه لم يسمع فيه للقتال صوت •

وانتقى له كلاب بن مرة اسم شهر رجب ، أى شهر الاعتماد ، لأنهم يعتمدون فيه على الحركة التجارية • من الرجبة وهى الدكان التى تعتمد عليها النخلة اذا مالت ، أما ماقيل من أنه سمى كذلك من رجب العود خرج منفردا ، فانها تسمية بعيدة ، لانه الشهر الحرام الوحيد المنفرد ، ولذلك يسمى شهر رجب الفرد ، أما ماقيل من أنه سمى كذلك من الرواجب وهى أنامل الأصبع الوسطى ، فلست أدرى أى المعنيين اشتق من الآخر •

الشهر الحادى عشر :

كان يسمى الشهر الحادى عشر هواع اى شهر الاستعداد للوثوب •

وانتقى له كلاب اسم شهر ذى القعدة ، اذ يقعد القوم استعدادا لشهر الحج •

الشهر الثانى عشر :

كان يسمى الشهر الثانى عشر شهر برك ، لأن الابل تبرك فيه لانزال مشحوناتها ، فتكون خيرا وبركة ، وبهذه المناسبة فان الانجليز يسمون البضائع باسم الطيبات ، والعرب كانوا يسمونها البركة ، كما يسمى الصيادون السمك رزقا •

وانتقى له كلاب اسم ذى الحجة ، لأن الحج فيه •

هذه لمحة عن الأشهر الحرم ، وعساى اكون قد وفقت •

عوامل الفشل في إسرائيل

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

عندما اختارت الصهيونية العالمية تلك البقعة العزيزة فى قلب الوطن العربى ليقيم فيها وطنا قوميا لليهود ، لم يكن اختيارها بدافع عوامل المصادفة وانما كان نتيجة لآراء مدروسة وخطط موضوعة وآمال عريضة واسعة .

والواقع ان السؤال الجدير بالتفكير هو : لماذا اصرت الصهيونية العالمية على اختيار ارض فلسطين بالذات لتكون مقرا لدولتهم ؟ ولماذا نادى الزعيم الصهيونى هرتزل - مؤسس الصهيونية الحديثة فى اواخر القرن التاسع عشر - بأن فلسطين هى المقر الطبيعى لدولة اسرائيل ؟ ان اول مانحب أن نؤكده عند الاجابة على هذا السؤال هو انه لاوجود للدافع الدينى فى اختيار فلسطين وطنا قوميا لليهود ولا صحة اطلاقا لما يدعونه من ان اليهود انما ينظرون الى فلسطين من ناحية أنها ارض الميعاد . ويثبت التاريخ منذ اقدم العصور أن اليهود طائفة دينها المال وعقيدتها حب المال والسعى لجمعه ، وان السعى وراء المال هو الحافز الاساسى وراء معظم تصرفات اليهود أفرادا وجماعات .

واذا نحن نظرنا الى تجمعات اليهود ومراكز انتشارهم فى العالم منذ اقدم العصور حتى اليوم ، ادركنا الحقيقة الكبرى وهى ان هذه التجمعات سارت وفق تخطيط اقتصادى دقيق فحيث يتسع المجال لجمع المال ينتشر اليهود وتزداد أعدادهم كثرة وتركيزا . وفى ضوء هذه الحقيقة وحدها نستطيع ان نفسر السر فى اختيار اليهود فلسطين لتكون مركزا قوميا لهم . فاليهود نظروا الى فلسطين فى العصر العثمانى فوجدوها بلادا غنية بمواردها ، فريدة فى موقعها ، متخلفة فى أوضاعها فى ظل الادارة العثمانية وفوق هذا وذاك ادركت الصهيونية العالمية أن فلسطين تحتل مكان القلب وسط العالم العربى وهو عالم بدا منذ العصر العثمانى حتى وقت قريب متخلفا فى جميع اوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وبالتالى فهو صالح للاستغلال ويستطيع اليهود ان يجدوا فيه - من مركزهم الرئيسى فى فلسطين - ميدانا واسعا لنشاطهم الاقتصادى بوجه خاص .

وعلى هذا الاساس استغل اليهود كل ماعرفوا به من اساليب الخيانة والغدر والانتهازية والاستغلال لاقامة دولتهم المزعومة فى ارض فلسطين العربية . وليس هذا مجال الكلام عن الطريق الملتوى والاساليب غير الشريفة التى سلكها اليهود فى تشريد اهل فلسطين من العرب ، حتى تم لهم اقامة دولتهم المزعومة فى تلك البقعة العزيزة على قلب كل عربى ، وانما يهمنا فى هذا الحديث أن نعرض لعوامل الضعف والفشل فى دولة اسرائيل . ذلك ان الدولة التى اقامها اليهود على ارض فلسطين العربية ليست فى حقيقة امرها الا صورة مصطنعة ظاهرها القوة والتماسك وباطنها الضعف والانحلال والتفكك . وان من يتأمل عوامل الضعف فى دولة اسرائيل لايسعه الا ان يدرك ان هذه الدولة محكوم عليها بالانهيار بنفس السرعة التى قامت بها اما هذه العوامل فنستطيع ان نجملها فيما يلى :

اولا : قامت اسرائيل على اساس دينى واضح ، فهى منظمة تحاول ان تجمع داخل حدودها اكبر عدد من يهود العالم بحيث يصبح جميع اهلها من اليهود . وان من ينظر الى طبيعة اسرائيل والطريقة المفتعلة التى قامت بها يدرك مباشرة أن اسرائيل ليست أمة ولا يمكن ان تكون امة بالمعنى العلمى المصطلح عليه فى قاموس السياسة ، وبالتالى فانه لايمكن ان يربط بين افرادها شعور القومية . فالامة حسب تعريف باسكال مانتشينى أستاذ القانون الدولى فى جامعة تورينو - وهو التعريف المعول عليه اكثر من غيره فى الاوساط العلمية اليوم - هى مجتمع انسانى طبيعى مؤسس على وحدة الارض والاصل والتقاليد واللغة على نحو كامل متفاعل فى الحياة

وفى الوعى الاجتماعى . فهل اسرائيل مجتمع طبيعى ؟ من الواضح ان مجتمعا قام على القرصنة والاغتصاب . وسلب مال الغير وارض الغير لايمكن ان يكون مجتمعا طبيعيا . ثم اين هى وحدة الارض والاصل والتقاليد واللغة فى اسرائيل . المعروف عن سكان اسرائيل انهم مجموعة من نفاية شعوب العالم ينتمون الى بلاد شرق اوربا وغربها وامريكا وغيرها من مناطق العالم ونزحوا الى ارض عربية اصيلة ، واخذوا ينتهزون فرصة غفلة حكام العرب حينا وفرصة مساعدة الاستعمار لهم احيانا للتوسع التدريجي وسلب اصحاب الارض ارضهم ومزارعهم . ومازالت بين ايدينا شواهد تثبت ان تلك الجموع التى تعيش داخل حدود اسرائيل لاتتوافر لها وحدة التقاليد او وحدة اللغة . فالكاتب الامريكى بلاند الذى زار اسرائيل منذ ثلاث سنوات يذكر ان اكبر خطر يهدد كيان اسرائيل هو أن اهلها اجناس شتى تربط بينهم رابطة الدين ولكن تفرق بين جموعهم روابط العادات والتقاليد التى تتباين بتباين البلاد التى نزحوا منها والتى عاش فيها اجدادهم منذ قرون . وربما حاولت اسرائيل ان تتغلب على مشكلة اللغة باستخدام اللغة العبرية وتعميم استعمالها ولكنها لغة ميتة غير حية ، شانها شان اسرائيل نفسها .

على انه من باب الامانة ان نشهد بان ثمة رابطة قوية تربط بين اهل اسرائيل وتشكل نوعا من الوحدة الواضحة . هذه الرابطة هى وحدة الدين ووحدة حب المال والاستغلال ولكن شاء سوء حظ اسرائيل الا يعترف احد علماء القانون بان وحدة الدين او وحدة حب المال تشكل بعض الروابط والشروط الواجب توافرها فى قيام الامة .

واذا كانت القومية تظهر نتيجة لوجود الامة لانها احساس وشعور من جانب الافراد بذلك الوجود ، وهو احساس يجعل الفرد يفخر بامته ويحبها ويعمل من اجل حاضرها ويضحى فى سبيل مستقبلها ، فان عدم وجود امة مكتملة للدعائم والشروط تحمل اسم اسرائيل يترتب عليه عدم وجود قومية معينة تحمل ذلك الاسم والامر فى حقيقته لايعدو وجود بعض عصابات من الانتهازيين يريدون ان يجعلوا من انفسهم امة بطريقة مفتعلة غير طبيعية ليتمكنوا من مواصلة سياستهم الاستغلالية فى المنطقة وفى العالم اجمع على اوسع نطاق .

ثانيا : يثبت تاريخ اليود وانتشارهم منذ القدم انهم كانوا دائما يحسنون تخير المناطق الصالحة لاقامتهم وسط الشعوب الاخرى ليتمكنوا من استغلال وامتصاص موارد ثروتها وابتزاز اموالها . وربما كان هذا هو السر فى الكراهية الشديدة التى حظى بها اليهود من جميع شعوب العالم على مر التاريخ . فمدينة الاسكندرية لم تكد تصبح عاصمة البلاد المصرية على عصر البطالمة ، وتنتعش فى ميدان النشاط الاقتصادى حتى نزح اليها اليهود واستقروا فيها واصبحت لهم جالية ضخمة بين اركانها بغية السيطرة ع لى ذلك المورد الاقتصادى الجديد ولم يلبث ان احس اهل الاسكندرية فى العصرين اليونانى والرومانى بشدة وطاة اليهود عليهم وسوء استغلالهم لهم ، فاشتدت الخصومات بين اليهود واهل الاسكندرية من غير اليهود ، وشهدت شوارع المدينة كثيرا من الاشتباكات المسلحة بين الطرفين ، اليهود يريدون الاستمرار فى امتصاص دماء اهل الاسكندرية ، واهل الاسكندرية يرجون التخلص من السرطان اليهودى الذى ابتلوا به .

وفى تاريخ اوربا فى العصور الوسطى استغل اليهود فرصه تحريم الكنيسة اكل الربا على المسيحيين ، وانتشروا فى انحاء الغرب الاوربى يقرضون الاموال بالربا الفاحش حتى وقع فى شباكهم كثيرون من الاهالى وافلست بعض البيوت الاقطاعية بعد ان ابتز اموالها اليهود . هذا كله فضلا عن احتكار اليهود النشاط التجارى حتى اصبح اسم « تاجر » فى غرب اوربا فى العصور الوسطى مرادفا تماما لاسم «يهودى» وقد عبر الاوروبيون عن سخطهم على تلك الاوضاع تعبيرا عمليا فى كل مناسبة ، فاذا انتشر وباء فى اوربا مثل الوباء الاسود الذى انتشر عند منتصف القرن الرابع عشر - نادى اهالى اوربابان اليهود هم السبب وانتحلوا بعض الاعذار - كان يدعوا بان اليهود سمموا الابار او ان جثة احد اليهود ألقيت فى بعض الانهار فسممت مياهها - لينتقموا من اليهود ويعبروا عن شعورهم تجاههم . ولعله ليس من باب المصادفة ان الصليبيين عندما اجتمعوا فى اوربا فى اواخر القرن الحادى عشر قبل خروج الحملة الصليبية الاولى الى الشرق ، رأوا واجبا عليهم ان يبدءوا بقتل اليهود فى غرب اوربا حتى يسيروا فى حربهم ضد المسلمين وهم آمنون على بلادهم وأهلهم من خطر اليهود واستغلال اليهود .

واذا كانت هذه هى طبيعة اليهود . واذا كان هذا هو تاريخهم ، فان الصعوبة التى يواجهها اليهود فى اسرائيل اليوم هى عدم تمكنهم من ممارسة نشاطهم الاستغلالى الانتهازى الذى عرفوا به منذ اقدم عصورهم والذى اصبح جزءا من دمائهم بحيث لاحياة لهم دونه . ان اليهود اعتادوا أن يعيشوا جماعات وسط المجتمعات الاخرى لاستغلالها ، ولكن مجتمعا كله من اليهود - مثل اسرائيل - لايمكن ان يعيش فيه اليهود عيشة طبيعية لان اليهودى لايمكنه ان يستغل يهوديا مثله . وهذه الحقيقة فى حد ذاتها تصور لنا ، ربما كان مخطط هرتزل وغيره من زعماء الصهيونية هو ان اسرائيل ستجد ميدانا صالحا للاستغلال فى الوطن العربى الكبير المحيط بها ، ولكن يقظة العرب اليوم كفيلة بان تخيب ظن اسرائيل وتبدد اوهامها ، فقد اصبح العرب اليوم غير العرب فى اواخر القرن التاسع عشر .

ثالثا : اذا كان من شروط الامة ان تكون مؤلفة من جماعة متضامنة على نحو كامل متفاعل فى الحياة وفى الوعى الاجتماعى ، فان الفوارق العنصرية بين اليهود فى اسرائيل كفيلة بان تجعل مجتمعهم مفككا تسوده البغضاء والتناحر . فاليهود الوافدون من اوربا وامريكا ينظرون نظرة احتقار لليهود الوافدين من بقية بلدان افريقيا وآسيا ، واليهود النازحون من غرب اوربا يستعلون على اليهود النازحين من شرق اوربا . ولا تقتصر هذه النظرة على الجانب المعنوى بل تمتد الى الحياة العملية داخل اسرائيل وبذلك يوجد نوعا من التفرقة فى المعاملة بين طوائف اليهود . فالوظائف الكبرى والمراكز الحساسة والمسئوليات القيادية ، لاينهض بها الا فريق معين من اليهود الغربيين ، فى حين يعيش بقية اخوانهم فى مستوى دون الطائفة الممتازة بكثير . ولاشك فى ان هذه التفرقة الواضحة فى الحقوق والواجبات بين ابناء دولة واحدة - حتى ولو كانت هذه الدولة

مزعومة – انما تشكل خطرا جسيما على كيانها وتجعل استمرار بقائها امرا متعذرا .

رابعا : اعتمد زعماء الصهيونية في اختيارهم لفلسطين لتكون وطنا قوميا لليهود على فكرة اساسية هي – كما سبق ان اشرنا – ان دولتهم ستكون مركزا اقتصاديا ضخما وسط عالم عربي واسع متخلف في اوضاعه الاقتصادية ، مما ينيح لاسرائيل فرصة ذهبية هي توافر سوق خام قريب تصرف فيه انتاجها وتستورد منه مايلزمها من خامات ومواد اولية ، وبذلك يصبح الوطن العربي من المحيط الى الخليج منطقة نفوذ لاسرائيل ، على الاقل من الناحية الاقتصادية . وفعلا لم تكد اسرائيل تطمئن الى وجودها عقب احداث سنة ١٩٤٨ حتى اخذت تقيم المصانع وتتوسع في الانتاج

ومن الواضح ان اسرائيل كانت تعرف جيدا ان انتاجها الصناعي لن يجد سوقا في بلاد ارقى مثل اوربا وامريكا فوجدت في بعض تصرفات الخونة من حكام البلاد العربية وغير العربية في منطقة الشرق الاوسط ماساعدها على تصريف انتاجها في امان . هذا الى ان اسرائيل تطلعت الى السوق الافريقي في جشع وامل ، فبدات تقيم علاقات اقتصادية مع بعض بلدان اواسط افريقيا .

ولم تكن اسرائيل في كل ذلك تعمل حسابا لما يخبئه لها القدر من قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ في مصر وانتشار مبادىء هذه الثورة في سرعة مذهلة في جميع اجزاء الوطن العربي من ادناه الى اقصاه ،

ثم في قيام هذه الثورة بمسئولياتها كاملة تجاه تنبيه العرب الى خطر اسرائيل على كيانهم حاليا ومستقبلا

وبفضل هذه الجهود اشتد الحصار الاقتصادي على تجارة اسرائيل من جانب الدول العربية ، وقامت الجمهورية العربية المتحدة باغلاق طريق قناة السويس في وجه البضائع المصدرة من اسرائيل واليها وامتدت سياسة المقاطعة الى السفن والشركات الاجنبية التي تتعامل مع اسرائيل . وبذلك وجدت اسرائيل نفسها مهددة بكارثة اقتصادية ضخمة . ان ابسط مبادىء الاقتصاد تحتم ضرورة تصريف الانتاج للتوسع في انتاج جديد . ولكن كيف تصرف اسرائيل انتاجها ولمن تصرفه . لو فرض وان اسرائيل عثرت على بعض اسواق لانتاجها في افريقية فان على البضائع الاسرائيلية ان تتحمل نفقات نقلها عبر طريق طويل في المحيط الاطلسي وبذلك تصل الى تلك الاسواق باهظة التكاليف والاثمان مما يعرضها لمنافسة قاتلة من بضائع اخرى اوربية وغير اوربية اجود من ناحية الصنف والخامات وارخص من ناحية السعر .

وهكذا اثبتت ثورة ٢٣ يوليو لاسرائيل ان ظنونها لم تكن الا اضغاث احلام ، فوجدت المصانع الاسرائيلية نفسها مضطرة الى خفض انتاجها تدريجيا بل الى غلق ابوابها مما هدد اسرائيل بازمة بطالة حادة . وفي تلك الكارثة الاقتصادية لم يبق امام اسرائيل سوى ان تمد يدها تستجدي سادتها من الدول الغربية وبخاصة امريكا ، وتحصل منها على الاموال تحت اسم المعونة ولكن ربما استطاع فرد يعيش على الاستجداء والشحاذة حينا من الدهر ، اما دولة تريد ان يكون لها كيان في المحيط الدولي فلا يمكن ان تتمكن من الاستمرار والبقاء معتمدة على الشحاذة والسلب .

وبعد ، فان عوامل الفشل في اسرائيل عديدة ، والكلام فيها يطول ، فنكتفي بهذا القدر ، وعلينا الا نعتمد على هذه العوامل التي تنخر في جسد اسرائيل ، بل علينا من ناحية اخرى ان نتاهب ونستعد ليوم الفصل عملا بقوله تعالى « ان هؤلاء لشرذمة قليلون ، وانهم لنا لغائظون ، وانا لجميع حاذرون »

البيعة الأولى في الإسلام

الأستاذ عبد العال السيد شعيب

ارسل الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، فى قوم طالما عفروا جباهم بالسجود لأصنام لا تضر ولا تنفع ولا تغنى من الله شيئا ، وكثيرا ما قدموا النذور والقرابين لهذه المعبودات التى لا تسمع ولا تبصر .. لهذا حينما سمعوا بنبأ الدين الجديد ، لم يفتحوا قلوبهم له ، ولم يلقوا اليه أذنا واعية ، لتتبين ما فيه من خير ، وما يحويه من نفع لهم وللانسانية جمعاء ، ان هذا الدين يدعوهم فى حزم وقوة ان ينبذوا هذه الأصنام ، فهى أحجار صماء لا تملك لنفسها شيئا ، وأن يتركوا تقليد آبائهم فى تقديس هذه الأوثان ، (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) يدعوهم الى أن يتجهوا بعقولهم وقلوبهم الى الله وحده الخالق القادر ، (ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل) .

وان يمحضوا الدعاء له وحده ، والطلب منه دون سواه (الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى اطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) لكن هؤلاء العتاة لم يستمعوا الى هذه التوجيهات ، وكأنهم وضعوا أصابعهم فى آذانهم ، واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ، ولم يكتفوا بهذا الاعراض السلبى عن الدعوة ، بل زادوا عليه التعرض القائم عليها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقى منهم العنت الشديد هو وأصحابه الذين آمنوا به وبدعوته ، ووصل بالمشركين الأمر الى أنهم كانوا فى موسم الحج ـ حيث تفد الى مكة الوفود العديدة من سائر أنحاء الجزيرة العربية ـ كانوا يجمعون رأيهم على كلمة واحدة يقولونها لهؤلاء الحجيج فى شأن محمد بن عبد الله ، وقد اقترح بعضهم أن يقولوا عنه : انه كاهن ، لكن الوليد بن المغيرة قال : ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان وما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ، فقال آخر : نقول مجنون ، فقال الوليد : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، وعرفناه ، ما هو بخنقه ولا تخالجه وساوسه ، فقال آخر : نقول شاعر ، فقال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر ، فقال آخر : نقول ساحر ، قا لما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم ، قالوا فما تقول أنت ؟ فقال : والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق ، وان فرعه لجناة ، ما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل ، وان أقرب القول فيه لان تقولوا هو ساحر ، جاء بقول هو سحر ، يفرق بير المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا على ذلك وصاروا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه ، وذكروا لهم أمره ، وقد ترتب على ذلك أن انتشر صيته فى سائر أنحاء الجزيرة ، وأصبحت دعوته تتردد فى جنباتها من مشرقها الى مغربها ، ومن شمالها الى جنوبها ، وفى كل يوم يدخل تحت

لوانها عدد جديد ممن شرح الله صدره لنورها القوى وهديها المبين ، ولقد فكرت قريش فى حيلة أخرى ، هى أن تقاطع بنى هاشم والمطلب الذين حموا رسول الله من بطش الكفار ، ومعنى المقاطعة الا يتزوجوا منهم ولا يزوجوهم ولا يبيعو منهم شيئا ولايبتاعوا منهم شيئا ، ولما أجمعوا على ذلك كتبوا صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم بذلك ، فانحازت بنو هاشم والمطلب الى ابى طالب عم رسول الله ،فدخلوا معه فى شعب فاجتمعوا اليه ، وخرج منهم ابو لهب بن عبد المطلب الى قريش فظاهرهم .

أقام ابو طالب فى الشعب أكثر من سنتين ، وهو ومن معه يقاسون اشد الجهد من مقاطعة قريش لهم ، والرسول مع ذلك مستمر على دعوته ، يدعوهم ليلا ونهارا سرا واعلانا ، مناديا بامر الله لا يخشى فيه أحدا من الناس .. وكان فى رجالات قريش من تاثر لحال بنى هاشم والمطلب ، وكان أعظمهم فى ذلك أثرا هشام بن عمرو ، وكان ذا شرف فى قومه فمشى الى زهير بن أبى أمية ، من بنى مخزوم ، وقال : يا زهير ، أقد رضيت أن تاكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت لا يبيعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ، اما انى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته الى مثل ما دعاك اليه منهم ما أجابك اليه أبدا . قال ويحك يا هشام ، انما أنا رجل واحد والله لو كان معى آخر لقمت فى نقض الصحيفة حتى أنقضها ، قال : قد وجدت ، قال من هو ؟ قال أنا ، قال زهير : ابغنا رجلا ثالثا ، فذهب الى مطعم بن عدى وهو سيد بيت نوفل بن عبد مناف ، فقال له مطعم : اقد رضيت ان يهلك بطنان من عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها منكم سراعا ، قال : ويحك ، ماذا أصنع فانما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانيا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال ابغنا ثالثا ، قال : قد فعلت ، قال من هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، قال : بغنا رابعا ، فذهب الى أبى البحترى بن هشام ، فقال له مثل ما قال لمطعم ، وأعلمه بما اتفقوا عليه ، فقال : ابغنا خامسا ، فذهب الى زمعة بن الاسود من بنى أسد ابن عبد العزى فكلمه وذكر له قرابة بنى هاشم والمطلب وحقهم ، فقال : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى اليه من أحد ؟ قال نعم ، وسمى له فاجتمعوا ليلا وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، ولما أعلنوا عزمهم على ذلك قال : أبو جهل : هذا أمر قضى بليل تشوور فيه بغير هذا المكان ، ثم قام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها الا باسمك اللهم .

مكث الحال على ذلك ، والمسلمون كل يوم فى ازدياد من قريش ومن غيرهم .

وقد انتهز رسول الله مناسبة الحج ، والتجمع الكبير الذى يحدث فيه ، فكان يقوم فى المواسم داعيا من اقبل الى مكة من سائر العرب ، كان يقرأ عليهم القرآن، ويطلب منهم أن يقوموا دونه حتى يؤدى رسالة ربه ، فكانوا لا يجيبونه الى ذلك ، ومنهم من يرد عليه ردا قبيحا ، عرض ذلك على بنى عامر بن صعصعة ، فقال كبيرهم : أرأيت ان نحن تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك أن يكون لنا الأمر من بعدك ؟ فقال الرسول : الأمر لله يضعه حيث يشاء ، فقال له : أفتهدف نحورنا للعرب دونك ، فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بامرك .. وعرض ذلك على بنى حنيفة من ربيعة ، فلم يكن أحد أقبح ردا منهم ..

فى ذلك الوقت كانت نيران العداوة متقدة فى يثرب بين الأوس والخزرج ، وكانت الخزرج اكثر عددا ، ففكر الأوس أنهم يتسيعينون بقريش فيحالفونهم ، على بنى عمهم من الخزرج ، فارسلوا لذلك وفدا فيهم أبو الحيسر أنس بن رافع واياس بن معاذ ، فلما علم الرسول بمقدمهم جاءهم فجلس اليهم وقال لهم : هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ فقالوا : وماذاك ، قال : أنا رسول الله بعثنى الى العباد ، أدعوهم الى ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام، وتلا عليهم شيئا من القرآن ، فقال اياس بن معاذ ــ وكان غلاما حدثا ــ اى قوم ، هذا والله خير مما جئتم له ، فاخذ أبو الحيسر حفنة من حصباء ورمى بها فى وجه اياس ، وقال له : دعنا منك لقد جئنا لغير هذا ، فسكت اياس ، وقام الرسول عنهم وانصرفوا الى المدينة .. وحدث أن اشتعلت نيران الحرب بين الأوس والخزرج بعد هذه الحادثة ، وكانت حربا عنيفة ويسمى يومها فى التاريخ يوم بعاث ، وهو آخر حروبهم ، وقد انتصرت فيه الأوس نصرا مؤزرا بعد أن انهزمت أول مرة .

وفى الموسم الذى كان بعد هذه الحرب اقبل الى مكة للحج جماعة من الخزرج ، فجاءهم الرسول ودعاهم الى الاسلام ، كما كانت عادته ،وكانت فى نفوسهم فكرة عن هذه الدعوة مما كانوا يسمعونه وهم فى المدينة من يهودها عن بعثة نبى قرب وقت ظهوره يستظهر به اليهود عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انه للنبى الذى توعدكم به اليهود ، فلا يسبقونكم اليه ، فاجابوه الى ما دعاهم بان صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ، فقالوا له : انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم لأمرك ، وتعرض عليهم الذى اجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا راجعين الى بلادهم وكانوا ستة نفر من الخزرج ، فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوهم الى الاسلام ، حتى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دور الأنصار الا وفيها ذكره .

فلما كان الموسم الذى قبل الهجرة بستة وثلاثة اشهر ــ وافى الموسم من أهل المدينة اثنا عشر رجلا ، فلقوا رسول الله بالعقبة ، وبايعوه على الاسلام بيعة تسمى فى التاريخ ببيعة النساء ، وانما سميت بذلك لأنها كانت على الأمور التى ورد ذكرها فى سورة الممتحنة خاصة ببيعة النساء وهى هذه الآية (يايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف ، فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم)
وبعد أن تمت هذه البيعة التى تعتبر اول بيعة فى الاسلام بعث الرسول معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين ، فكان يسمى المقرىء وكان يؤمهم فى المدينة ، لأن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض ، وكان اسلام هؤلاء النفر وذهاب مصعب معهم سببا كبيرا من أسباب دخول اشراف أهل يثرب فى الاسلام ، فأسلم أسيد بن حضير من الأوس ، وكان أبوه قائد الأوس فى يوم بعاث ، وأسلم سعد بن معاذ سيد بنى عبد الأشهل من الأوس ، ولما أسلم ذهب الى قومه فى ناديهم ، فقال : يا بنى الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وافضلنا رأيا وأيمننا نقيبة . قال : فان كلام نسائكم ورجالكم على

حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قالوا : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما او مسلمة .

وكان لأسعد بن زرارة الذى نزل عليه مصعب قدم ثابتة فى دعوة أهل المدينة الى الاسلام حتى لم تبق فيها دار الا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات الا بعض بطون قليلة من الأوس .

فلما كان الموسم الأخير قدم مصعب بن عمير ، وخرج من المسلمين عدد كبير ، ومعهم حجاج من قومهم لم يزالوا على الشرك ، وأرسل المسلمون الى رسول الله يواعدونه المقابلة عند العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما انتهى أمر الحج ومشاعره ، وحان الموعد خرج المسلمون من رحالهم بعد انقضاء ثلث الليل يتسللون فى خفية عن الناس ، حتى اجتمعوا عند العقبة وكانت عدتهم ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، واستمروا منتظرين الرسول حتى جاءهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، الا انه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلمـــا جلس ، كان أول متكلم العباس فقال . يا معشر الخزرج ان محمدا منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هم على مثل رأينـــا فيه ، فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وانـــه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه ، فانتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه ـ بعد الخروج به اليكم ـ فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده ، فقال المتكلم من الخزرج : قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلم الرسول ، فتلا عليهم القرآن ، ودعا الى الله ورغب فيه ، ثم قال : أبايعكم على ان تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فأخذ سيدهم وهو البراء بن معرور بيـــده ، ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق ، لنمنعنك ، فبايعنا يا رسول الله ، فانا والله أهل الحروب ورثناها كابرا عن كابر ، فقـــال أبـــو الهيثم : يار ســـول الله ان بينـــا وبين الرجال حبالا وانا قاطعوها (يعنى يهود المدينة) فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ثم قال : الدم الدم والهدم الهدم ، يعنى أنا منكم وأنتم منى ، احارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم ، ثم قال لهم اخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا ليـــكونوا على قومهم بما فيهم ، فاخرجوا عنهم اثنى عشر نقيبا ـ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، فقال لهم : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء كفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل على قومى . وعاد القوم الى يثرب ، وانتشر دين الاسلام فيها كما ينتشر ضوء الفجر حين يشرق فيبدد جحافل الظلام وكان ذلك تمهيدا للهجرة الى المدينة ، حيث كانت حجر الأساس فى بناء الدولة الاسلاميه .. وبهذا نرى ان البيعة أى بيعة حينما تصدر من قلوب مخلصة وتكون غايتها الله وحـــده ، تثمر ثمرتها المرجـــوة من النجاح والفلاح ، وتكون سببا فى نشر دين الله ، واعلاء كلمة الحق ، والحق احق أن يتبع ، وما النصر الا من عند الله .

اما وقد بايع أبنـــاء الجمهورية العربية المتحدة السيد الرئيس جمال عبد الناصر على رئاسة الجمهورية وشاركهم فى هذه البيعة المباركه أبناء الاسلام والعروبة فى شتى الأقطار والأمصـــار معلنين فى عزم واصرار تمسكهم بهذه الرئاسة مدى الحياة لأن سيادته ليس ملكا للجمهورية العربية المتحدة وحدها بل هو ملك للامـــة العربية بأسرها واستجاب قائد الثورة الناهضة لرغبة امته بقبوله المشكور للترشـــيح للرئاسة وظهرت نتيجة الاستفتاء ناطقة بالثقة الاجماعية الكريمة التى أولاهـــا الشعب لقائده وباعث نهضته ، وقد ادى السيد الرئيس اليمين الدستورية أمام مجلس الأمة ، فاننا نهنىء كل مسلم وعربى برئاسته المجيدة ونسأل الله تعالى ان يديم توفيقه ويبارك فى حياته العزيزة .. كفاء ما قـــدم ويقدم للامة من أجل الأعمال وان يحفظه ذخرا للدين وسندا وملاذا للعرب والمسلمين .

والله أكبر والعزة والنصر للعرب .

عبد الناصر صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

« لقد انتقلنا من بلد معزول بضعفة وعقده الى بلد يتفاعل مع زمانه ومع أفكار هذا الزمان ومبادئه ، ويتصل بكل شعوب الأرض ويمد يده اليها ويقبل أيديها الممدودة اليه »

(جمال عبد الناصر)

مؤتمر أقطاب الدول غير المنحازة في بلجراد

لكى نواصل الحديث عن عبد الناصر صانع السلام فى مؤتمرات السلام التى كان أحد دعائمها القوية نصل الى الحديث عن آخر هذه المؤتمرات ـ وهو مؤتمر دول عدم الانحياز الثانى الذى انعقد بالقاهرة يوم ٥ أكتوبر فى العام الماضى ـ ولكن هذا الحديث يجب أن يسبقه حديث آخر عن المؤتمر الأول الذى انعقد فى بلجراد فى الفترة من ١ ـ ٦ سبتمبر عام ١٩٦١ أى منذ حوالى ثلاث سنوات سبقت انعقاد المؤتمر الثانى .

والواقع أن الحديث عن المؤتمرات التى اشتركت فيها بلادنا والتى مثلنا فيها قائدنا وزعيمنا جمال عبد الناصر متشابهة .. وذلك لتوحد الاهداف جميعا فى تلك المؤتمرات ... حيث انهاكانت جميعا - مؤتمرات سلام - تدعو الى السلم الذى لا يمكن أن يتحقق الا بضمان استقلال الشعوب صانعة الحضارة فى الماضى ومنحها حقها المشروع فى حرية العمل البناء من أجل التقدم ليخطو العالم كله نحو السلام القائم على العدل .

وكما كان لصانع السلام وداعيه دوره الفعال فى مؤتمرات السلام السابقة بين شعوب آسيا وافريقيا ، فان نجاحه فى قلب أوربا واقناعه دول العالم الحر بالتلاقى وتبادل وجهات النظر فى المشاكل الدولية للمشاركة بصورة فعالة فى حفظ السلام والامن الدوليين يتضمن أكثر من معنى بل ويدل دلالة واضحة وصريحة على خروج مصر من عزلتها الى المجال الدولى على الصعيد العالمى وايمان دول العالم الحر برسالة عبد الناصر الذى كرس حياته لنشرها بين ربوع الدنيا ... ذلك أن جهود ذلك الزعيم الحر لم تقتصر على نشر السلام والأمن والرفاهية بين أرجاء بلاده فحسب بل امتدت الى خارج النطاق المحلى لتؤثر فى العالم باسره .. شرقا وغربا .

اشترك فى هذا المؤتمر كل من :

افغانستان - الجزائر - برما - كبوديا - سيلان - الكونغو - كوبا - قبرص - اثيوبيا - غانا - الهند - اندونيسيا - العراق - لبنان - مالى - المغرب - نيبال - المملكة العربية السعودية - الصومال - السودان - تونس - الجمهورية العربية المتحدة - ويوغوسلافيا التى انعقد المؤتمر فى عاصمتها - وحضره ممثلون عن كل من بوليفيا والبرازيل واكوادور كمراقبين .

اجتمع رؤساء هذه الدول من آسيا وافريقيا وأوربا وأمريكا اللاتينية فى وقت بلغت فيه الاحداث الدولية اسوأ المدى وتعرض فيه السلام العالمى لتهديد خطير ... اجتمعوا لتبادل الرأى فى الموقف الدولى وتحقيق وتدعيم السلام والامن الدوليين بالوسائل التالية :

١ - احترام حقوق الشعوب والامم فى تقرير مصيرها والنضال ضد الاستعمار وتصفيته بشكليه القديم والحديث .

٢ - احترام سيادة الدول ووحدة أراضيها وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى أو التعرض لها

٣ - القضاء على الاضطهاد والتمييز العنصرى .

٤ - نزع السلاح نزعا تاما وشاملا وحظر التجارب الذرية .

٥ - التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة السياسية الاجتماعية المختلفة .

٦ - تنفيذ قرارات الامم المتحدة .

وكذلك تضمن جدول أعمال المؤتمر بحث مشاكل عدم التكافؤ فى التنمية الاقتصادية وتنمية التعاون الدولى الاقتصادى والفنى .

نجح عبد الناصر فى تحقيق هذا الاجتماع بين زعماء الدول - غير المنحازة وذلك كما يقول « لتحقيق الفكرة التى راودت الكثيرين ممن يشغل بالهم السلام والذين يقلقهم ذلك الصراع العنيف بين الكتل ويتمنون لو وجدوا السبيل ليجنبوا العالم كله ، وليس شعوبهم وحدها ، شرور الخطر المدمر ، الذى يمكن أن يحل بالبشرية اذا ما وصل هذا الصراع العنيف بين الكتل الى مداه » .

كما وافق المؤتمر فى مساء اليوم الرابع لانعقاده على الاقتراحات التى تقدم بها صانع السلام الى المؤتمر وهى :

(الأول) - توجيه رسالة من المؤتمر الى كل من الرئيس السوفيتى والامريكى بالمسارعة الى التفاوض من أجل السلام .

(الثانى) - أن ينقل رسالة المؤتمر الى كل من الرئيسين رئيسان من بين الرؤساء الحاضرين فى المؤتمر

واتفق زعماء المؤتمر على أن يحمل الرسالة الموجهة الى الرئيس الامريكى كل من الرئيسين أحمد سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا وموديبوكيتا رئيس جمهورية مالى وأن ينقل جواهر لال نهرو رئيس حكومة الهند والدكتور كوامى نكروما رئيس جمهورية غانا رسالة المؤتمر الى رئيس حكومة الاتحاد السوفيتى .

وقد أعلن المؤتمر فى بيانه الرسمى انه لا يمكن تحقيق سلام دائم الا اذا انمحت سيطرة الاستعمار القديم والحديث بكافة مظاهرها ، وأكد المؤتمرون أن ما يهدد السلم العالمى فى تلك الفترة من الصراع - وقت انعقاد المؤتمر - فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية هو الحالات الطارئة الخطيرة بالاضافة الى ما يمكن أن يؤدى اليه التنافس بين الدول الكبرى من اشتعال حرب عالمية وأن القضاء على أسباب الصراع قضاء كاملا لا يعنى الا القضاء على الاستعمار فى كافة صوره وأشكاله مع قبول وممارسة سياسة التعايش السلمى فى العالم .

وأثمرت اقتراحات صانع السلام فعلا ، فرد كل من الرئيسين على رسالة المؤتمر ردا كريما وقبلا اقتراح المؤتمر للتفاوض ، وبذلك تخطى العالم هاوية الحرب .

وجاءت قرارات المؤتمر التاريخية التى أعلنت فى اليوم السادس من سبتمبر سنة ١٩٦١ معبرة عن آمال ملايين البشر التى تبغى الحياة فى ظل السلام والرفاهية بعيدا عن أهوال الحرب الباردة والاثار المدمرة للحرب الذرية ، ولم تجىء هذه القرارات صدى للامال الكبرى التى تشترك فيها الشعوب جميعا وانما كانت - أكثر من ذلك - نورا يهتدى به كل الشعوب فى سعيها لتحقيق هذه الامال .

فقد رفضت هذه القرارات الرأى القائل بأن الحرب أو الحرب الباردة أمر لا يمكن تجنبه ، كما أعلنت هذه القرارات أيضا أن مبدأ تقرير المصير يجب أن يكون هو أساس العلاقات الدولية ، كما طالب المؤتمر فى قراراته بوقف كل العمليات المسلحة ضد الشعوب المستعمرة فورا وأعلن معارضته للتجارب النووية ووقفها فورا .

ولم تقف قرارات المؤتمر عند هذه الخطوط العريضة والقضايا العامة فحسب ، بل طالب أيضا بوجوب تنفيذ قرارات الأمم المتحدة حول مشكلة فلسطين ونددبالسياسة التى أوجدت اسرائيل فى قلب العالم العربى ، كما أن المؤتمر أيد نضال الشعب الجزائرى - الذى لم يكن قد استقل بعد - من أجل الحرية والاستقلال ووحدة أراضيه .

وبالنسبة لمشكلة برلين أعلن المؤتمر انه يجب على الدول المعنية أن تمتنع عن استخدام القوة فيما يتعلق بحل تلك المشكلة كما أن القاعدة الامريكية فى جوانتانامو تهدد سلامة كوبا وأن الصين الشعبية يجب ان تقبل عضوا بالامم المتحدة وأن ايريان الغربية التى لم تكن أندونيسيا قد استردتها بعد يجب أن تعاد الى أندونيسيا .

وبذلك جاءت هذه القرارات تعبيرا عن صوت الضمير العالمى ووصفت الدواء الكفيل بالقضاء على كل ما يشيع فى العالم من قلق وعدم استقرار .

كما أصدر مؤتمر رؤساء الدول والحكومات غير المنحازة القرارات الآتية :

١ - يؤكد المشتركون فى المؤتمر تأييدهم التام للاعلان الخاص بمنح الاستقلال للبلاد والشعوب المستعمرة وهو الذى أقرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها

الخامسة عشرة ويوصون بالغاء الاستعمار الغاء تاما عاجلا غير مشروط وقد عقد المجتمعون العزم على بذل الجهود المشتركة لوضع نهاية لكافة انواع الاستعمار الجديد والسيطرة الاستعمارية فى جميع أشكالها ومظاهرها .

انهاء الاعمال العسكرية :

٢ - يطالب المشتركون فى المؤتمر بانهاء الاعمال العسكرية فورا وكذا اجراءات القمع الموجهة ضد الشعوب غير المستقلة لتمكينها فى حرية بالوسائل السلمية من ممارسة حقها فى الاستقلال التام واحترام وحدة أراضيها القومية وأن كل معونة يقدمها بلد أى دولة استعمارية فيما تقوم به من أعمال القمع يعتبر انتهاكا لميثاق الامم المتحدة .

الموقف فى أنجولا :

٣ - توجه الدول المشتركة بقلق بالغ الانظار الى تطورات الموقف فى أنجولا والى اجراء القمع غير المسئولة المشروعة التى تتخذها السلطات الاستعمارية البرتغالية ضد شعبها وتطالب بأن توضع فورا نهاية لاراقة دماء شعب أنجولا ويطالب المشتركون أن تقدم جميع البلاد المحبة للسلام وخاصة الدول الاعضاء فى الأمم المتحدة مساعدتها دون تأخير لشعب أنجولا حتى يتمكن من اقامة دولة حرة مستقلة .

انهاء الاستعمار :

٤ - يطالب المشتركون فى المؤتمر انهاء كل احتلال استعمارى على الفور وبارجاع وحدة الاراضى للشعوب صاحبة الحق المشروع وذلك بالنسبة للبلاد التى انتهكت فيها هذه الوحدة فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية كما يطالبون بانسحاب القوات الاجنبية من أراضيها الوطنية .

كفاح الجزائر :

٥ - تعتبر الدول المشتركة كفاح شعب الجزائر كفاحا عادلا ودستوريا من أجل الحرية وتقرير المصير والاستقلال وكذلك من أجل وحدة أراضيه القومية بما فى ذلك الصحراء ولهذا فهى مصممة على فترة الانتقال وأن رؤساء الدول والحكومات سيسعدهم بصفة خاصة أن يمثل الجزائر فى هذا المؤتمر رئيس حكومة الجزائر المؤقتة والممثل الشرعى لها .

الجلاء عن تونس :

٦ - تطالب البلاد المشتركة جلاء القوات المسلحة الفرنسية عن جميع الاراضى التونسية فورا نظرا لحق تونس المشروع فى ممارسة سيادتها الوطنية الكاملة .

أحداث الكونغو :

٧ - كما تطالب البلاد المشتركة الا تتكرر الاحداث المفجعة فى الكونغو وتشعر أن من واجب المجتمع الدولى أن يواصل بذلك ما فى وسعه لمحو آثارها ولمنع أى تدخل أجنبى جديد فى هذه الدولة الافريقية الفتية وأن يساعد الكونغو على الانطلاق بحرية فى طريق التطور المستقل على أساس احترام سيادته ووحدته وسلامة أراضيه .

التفرقة العنصرية :

٨ - يستنكر المشتركون فى المؤتمر سياسة التفرقة العنصرية التى يمارسها اتحاد جنوب افريقيا ويطالبون بالتخلى عن هذه السياسة فورا كما يقررون أن سياسة التفرقة العنصرية فى أى مكان من العالم تشكل انتهاكا خطيرا لميثاق الامم المتحدة وللاعلان العالمى لحقوق الانسان .

حقوق الاقليات :

٩ - تعلن البلاد المشتركة احترامها المطلق لحقوق الاقليات العنصرية والدينية التى ينبغى حمايتها بصفة خاصة من جرائم ابادة الجنس أو أى انتهاك آخر لحقوقها الانسانية الاساسية .

حقوق شعب فلسطين :

١٠ - يندد المشتركون فى المؤتمر بالسياسة الاستعمارية التى تنتهج فى الشرق الاوسط ويعلنون تأييدهم لاعادة جميع حقوق الشعب العربى فى فلسطين كاملة طبقا لميثاق الامم المتحدة وقراراتها .

القواعد العسكرية :

١١ - تعتبر البلاد المشتركة اقامة قواعد أجنبية عسكرية والاحتفاظ بها فى أراضى البلاد الاخرى ، لاسيما اذا كان هذا ضد ارادتها الصريحة انتهاكا صارخا لسيادة هذه الدولة .

وتعلن تأييدها الكافى للبلاد التى تسعى لاخلاء هذه القواعد . وتدعو تلك البلاد التى تحتفظ بقواعد أجنبية الى التفكير جديا لالغاء هذه القواعد مساهمة منها فى دعم السلام العالمى .

كوبا :

١٢ - تقرر البلاد المشتركة أيضا ، أن القاعدة العسكرية التى تقيمها أمريكا الشمالية فى جونتانامو فى كوبا والتى أعربت حكومة كوبا وشعبها عن معارضتها لبقائها ، بمس سيادة هذا البلد ووحدة أراضيه .

تقرير المصير :

١٣ - يؤكد المشتركون فى المؤتمر بأن :

أ) لجميع الشعوب الحق فى الوحدة وتقرير المصير والاستقلال .. وفى أن تقرر بمقتضى هذا الحق وضعها السياسى ، وتعمل بحرية دون ضغط أو ارهاب فى سبيل تطورها الاقتصادى والاجتماعى والثقافى

ب) لجميع الشعوب ، تحقيقا لغاياتها ، أن تتصرف بحرية فى ثروتها ومواردها الطبيعية على ألا يؤثر ذلك على التزاماتها الناشئة من التعاون الاقتصادى الدولى ، القائم على مبدأ المنفعة المتبادلة والقانون الدولى .

ولا ينبغى أن يحرم أى شعب ما بأية حالة من الاحوال من وسائل معيشته .

وتعتقد البلاد المشتركة بوجوب احترام حق كوبا وجميع الشعوب الاخرى لحرية اختيار نظمها السياسية والاجتماعية طبقا لظروفها وحاجاتها وامكانياتها .

السياسات المستقلة :

١٤ - تعبر البلاد المشتركة عن تصميمها ألا يكون هناك أى ارهاب فى ممارسة الشعوب لحقها فى تقرير مصيرها بما فى ذلك حقها فى انتهاج سياسات مستقلة ايجابية لتحقيق سيادتها والمحافظة عليها .

نزع السلاح :

١٥ - يعتبر المشتركون أن نزع السلاح ضرورة محتمة وانه أظهر واجبات البشرية الحاحا ، وأن الحل الأساسى لهذه المشكلة التى أصبحت تحتمه حالة التسلح الحاضرة ، هو فى رأى البلاد المشتركة بالاجماع ، لا يمكن الوصول اليه الا عن طريق نزع السلاح العام الشامل تحت رقابة دولية فعالة .

١٦ - يرى المشتركون فى المؤتمر انه من الضرورى ابرام اتفاق لتحريم جميع التجارب النووية .

وهكذا نرى أن هذا المؤتمر الذى ضم زعماء الدول الحيادية المختلفة المبادىء والعقائد ، قد عالج وبحث جميع المشاكل التى كانت تواجه العالم فى تلك الفترة التى انعقد فيها المؤتمر ووصل فيها الى حلول مرضية وعادلة لجميع الشعوب التى كانت تعانى وقتها من الاستعمار والتفرقة العنصرية والخوف من التجارب النووية وخطر اشتعال حرب عالمية ... وكما قام صانع السلام بدوره فى جميع المؤتمرات السابقة ، عمل بطل السلام فى هذا المؤتمر بكل قوته وطاقاته لانجاح هذا المؤتمر الذى كان بحق - علامة على طريق السلام الذى ينشده العالم ويسعى الى تحقيقه ..

الحج عبادة وثقافة وتعارف

ليست قوة الامة وحدها هى أساس عظمتها وجدارتها بالصدارة فى الحياة ، فكثير من الامم المتصفة بالقوة تذهب مع الريح ، ويمتطيها الزمن حين تصاب بالانصراف عن تادية فرائض الله ، والفرقة فى الرأى ، والنزاع على متاع هذه الحياة الدنيا وحطامها .

وانما قوة الامة والمعيار الاول لمقام الصدارة والتوجيه فى هذا العالم هو أن تكون على معرفة حقة بمبادىء دينها ، وحرص تام على اتباع هذه المبادىء وتاديتها ، وهى ان فعلت ذلك كان ابناؤها جميعا على قلب رجل واحد ، يستهينون بما يلقون من صعاب ، وتزول امامهم كل العقبات ، وتصير امة صاحبة قوة حقيقية قوية تظهر وتبهر العالم بما تأتى به من جلائل الاعمال فى شتى مناحى الحياة . وينزل أصحابها منازل الكرامة والعزة والحياة المجيدة .

ولهذا كان أول ما حرص عليه الاسلام هو اصلاح عقيدة العرب ، ونسخ ما كانوا يتخلقون به من اخلاق سيئة ، وتقاليد ضالة ، وعادات ممقوتة فى الجاهلية ، فشرع لهم الوانا مختلفة من العبادات كالصلاة التى هى فى حقيقتها رياضة روحية وبدنية ، وطهارة جسمية وقلبية .

والزكاة التى هى فى جوهرها حب وتعاطف ، ورحمة وتعاون وتلاطف .

والصوم الذى هو سر بين العبد وربه ، وتدريب الانسان على احتمال الشدائد ، والصبر على المكاره والشعور بآلام الغير .

والحج الذى نحن بسبيل الحديث عنه هو لون من اجمل الوان العبادات ، ولا مراء فى أنه عبادة ، ونزهة، وثقافة ، وتعارف ، يجعل المسلم يتطلع الى الافق يتلمس فى صفحته الهلال تلو الهلال ، واليوم بعد اليوم ، فمن هلال يدخله شهر الطهر والسمو بروحه الى الرحاب القدسية الى هلال يجتمع فى تاسعه الوفود الاسلامية آتين من كل فج ، باسطين أكفهم بالضراعة والابتهال الى الله ، رافعين أصواتهم بالتلبية والدعاء ، سائلينه التوبة والمغفرة ، فما يكادون يرجعون الى اوطانهم كيوم ولدتهم أمهاتهم حتى يتطلعوا الى هلال وليد يستهل عليهم عامهم الهجرى الجديد ، بل وأهلة اخرى تدفع بهم الى هلال ذلك الشهر - شهر ذى الحجة المجيد من كل عام .

الأستاذ أحمد مسلم ابراهيم مصطفى

واذا كان لى ان اكتب فى هذا اللون من الوان العبادة واتحدث عن الحج ، ذلك الركن العظيم من أركان الاسلام فانى لست بمستطيع أن أضمن مقالتى ما يحويه ذلك الركن البناء من أركان ديننا القويم من فوائد وميزات ووصف لضيق المقام فى هذا المقال ، وأرانى لا حيلة لى فى ذلك الا أن أسطر ما يفيض به الله على من فضله والهامه فاقول عن الحج بصفة عامة :

ان الحج معناه القصد ، وفى الشرع قصد الكعبة بيت الله الحرام لاداء ما شرع الله من مناسك الحج، وهو فريضة واجبة الاداء على من يتوافر فيه شرط الاسلام والبلوغ والعقل والصحة والميسرة ذكرا كان أم أنثى ولو مرة واحدة فى العمر لقول الله « ولله على

الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » . ولما رواه ابن عباس - رضى الله عنه قال :

« خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يايها الناس كتب عليكم الحج فحجوا ، فقام الاقرع ابن حابس فقال : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا .. الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » .

ولقد جعل الحج مؤتمرا اسلاميا عاما لتنظيم العلاقات السياسية بين الاقطار الاسلامية ، وآمالا فى غسل الذنوب بعد آلام بارتكاب الآثام ، لان أعمال البر كلها تضاعف بمكة بمائة الف حسنة ، وتعدل صلاة فى المسجد الحرام مائة الف صلاة فيما سواه . وطبيعة الحج تعتبر مثلا اعلى للديمقراطية الصحيحة . والمساواة وحب الانسان لاخيه الانسان ما يحب لنفسه ، ومجالا واسعا للتعاون والعطف ، وطابعا نفسيا يهدف الى طمانينة النفس وقهرها بالطاعة ورضاء الضمير ، وتقديسا للروحانية الصافية التى يمن الله بها على الحاج لوجهه الكريم ، واستجابة لدعوة سيدنا ابراهيم عليه السلام حين كان يبنى البيت ليكون مثابة للناس وامنا ويقول « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

هذا ، وينبغى على الحاج اذا كان على اهبة الخروج من بيته قاصدا البدء بالسفر الى الحج أن يصلى ركعتين فى خشوع يقرأ فى الاولى « الفاتحة » ثم « قل يايها الكافرون » . وفى الثانية « الفاتحة » ثم « قل هو الله أحد » . وأن يقول بعد الصلاة « اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الاهل والمال والولد اللهم اصحبنا فى سفرنا ، واخلفنا فى أهلنا » .

ثم يقول وهو بباب منزله « بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله » .

وللحج مواقيت وأركان يجب مراعاتها ، والمحافظة عليها ، كقول الله تبارك وتعالى : « الحج اشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » وهذه الاشهر هى شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة .

وقد قال بعض العلماء بانه لا يدخل فى اشهر الحج من شهر ذى الحجة سوى العشرة الايام الاول منه ، وليست مواقيت الحج زمنية وكفى بل ثمة مواقيت مكانية أراد الله سبحانه وتعالى بها الا يدخل الوافدون على مكة للحج والعمرة بيته الا وهم على حال يعظمون بها حرمته وشعائره لقوله جل جلاله « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » وقوله « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه »

وهذه الاماكن حددها سبحانه خارج مكة بعيدة عنها . وأمر الوافدين اذا بلغوها أن يغيروا من حالهم ظاهرا وباطنا تغييرا يعدهم لما هو مطلوب من تعظيم شعائر الله وبيانها كالآتى ، كما عينها وحددها رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

١ - ذو الحليفة ، شمال مكة ، وهو ميقات أهل المدينة ومن فى حكمهم .

٢ - الجحفة ، شمال غرب مكة ، وقد خربت واستبدلت بها قرية تسمى « رابغ » وهى ميقات أهل الشام ومصر ومن فى حكمهما .

٣ - يلملم ، جبل جنوب مكة ، وهو ميقات أهل اليمن ومن فى حكمهم .

٤ - قرن المنازل ، جبل شرق مكة ، وهو ميقات أهل نجد ومن فى حكمهم .

وما بين هذه المواقيت ومكة يخرجون من بيوتهم مرتدين ملابس الاحرام . ويحرم على كل محرم صيد البر اثناء احرامه لقول الله تعالى : « احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما »

وقوله : « ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم »

وسمى الاحرام احراما لان المرء ادخل نفسه فى شىء حرم عليه به ما كان حلالا من قبل .

أما بالنسبة لاركان الحج فلا يتحقق الا بها ، فان فقدت أو بعضها فلا حج ، على حين واجبات الحج ما يجب بتركها دم عند الاحناف كالاحرام من الميقات الذى سبقت الاشارة اليه ، والوقوف بعرفة الى الغروب والوقوف بالمزدلفة بين فجر يوم النحر وشروق شمس ذلك اليوم وبدء الطواف من الحجر الاسود ، والحلق أو التقصير ، وذبح شاة للقارن - الجامع بين احرامى الحج والعمرة - وللمتمتع - المحرم بالعمرة اولا - ولكل فيها كيفية وشروط لا يتسع المقام لذكرها .

وعلى الحاج أيضا اذا ما دخل باب مكة المكرمة وشاهد الحرم لاول مرة أن يقول :

« اللهم ان هذا الحرم حرمك ، والبلد بلدك ، والامن امنك ، والعبد عبدك ، جئتك من بلاد بعيدة بذنوب كثيرة ، واعمال سيئة ، أسالك مسألة المضطر اليك ، المشفق من عذابك ، أن تستقبلنى بمحض عفوك ، وأن تدخلنى فى فسيح جنتك ، جنة النعيم ، اللهم ان هذا حرمك ، وحرم رسولك ، فحرم لحمى ودمى وعظمى على النار » .

وعليه ايضا بعد أن يحط الرحال يتوضأ ويسرع الى الكعبة ، ويطوف بالبيت سبعة أشواط ويبدأ فى كل منها باستلام الحجر الاسود ، ثم يصلى ركعتين عند مقام ابراهيم يقرأ فى الاولى « الفاتحة » وسورة « الكافرون » وفى الثانية «الفاتحة» وسورة «الاخلاص».

ثم يسعى بين الصفا والمروة ، واذا ما صعد جبل الصفا ورأى الكعبة استقبل القبلة وكبر وهلل قائلا : لا اله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده ، ثم يدعو لنفسه ولاهله وأصدقائه بما يشاء من الدعوات الصالحات ثم ينزل بعد ذلك ويهرول بين الجبلين فاذا ما وصل المروة فعل ما كان يفعله مع سابقه ويكرر ذلك سبع مرات كل مرة منها تسمى شوطا يتحلل بعدها من الاحرام ، فيحلق الرجال رءوسهم ويقصرون شعورهم ويصير حلالا لهم ما كان محظورا عليهم ، ويظل الجميع فى أمن وطمانينة ودعة فى ظل الطاعة وفى ضيافة الكريم الرحمن حتى اليوم الثامن من ذى الحجة - يوم التروية - حيث يلبس الحجاج ملابس الاحرام فى ذلك اليوم وينوى كل منهم الاحرام بالحج ويصلى ركعتين

ثم يخرج بعد طلوع الشمس الى « منى » ليقيم بها يومه وليله ويصلى فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء وفجر اليوم التاسع ، ثم ينتقل بعد طلوع شمس ذلك اليوم الى عرفة حيث يصلى الظهر والعصر فى وقت الظهر بمسجد « نمرة » ذلك المكان الذى يجتمع فيه جميع الحجيج مستقبلين الكعبة داعين ربا واحدا بقلوب خاشعة ترجو ثوابه وتخشى عقابه .

وعند غروب ذلك اليوم يتحرك الركب العظيم بقلوب ملئها الخشية والايمان ، ووجوه تعلوها الهيبة والاستبشار الى المزدلفة ليؤدوا بها صلاة المغرب والعشاء « جمع تأخير » ويبيتوا بها حتى يصلوا فيها فجر اليوم العاشر «يوم العيد» ثم يتجه الجميع الى المشعر الحرام ليقفوا به داعين مكبرين مستجيبين لقول الله تبارك وتعالى : « فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم » .

ثم يعود بعد ذلك جميع الحجيج مرة ثانية الى منى لرمى الجمرات فيرمون أولا جمرة العقبة بسبع حصيات يقولون عند رمى كل جمرة « بسم الله الله أكبر ، رجما للشيطان ، ورضا للرحمن ، اللهم اجعله حجا مبرورا ، وسعيا مشكورا » .

ثم يذبح كل حاج شاة يأكل من لحمها ويوزع أكثره على الفقراء ، ثم يحلق أو يقص شعره ، وقد يعود بعض الحجاج الى مكة ليطوفوا بالبيت طواف الزيارة ويمكث البعض الآخر بمنى العاشر والحادى عشر والثانى عشر من ذى الحجة ليرمى الجمرات الثلاث بادئا بالصغرى ثم بالوسطى ثم بالعقبة .

ويختتم الحجاج أعمالهم بالطواف بالبيت « طواف الوداع » قبل أن يغادروا مكة . وهنا تغرورق عيونهم بالدموع لرحيلهم عن مكة - البلد الحرام - ويجهشون بالبكاء حين خروجهم من باب الودا ع ومرورهم بجانب الحرم بعد ان ادوا فريضة الله وتطهروا من ذنوبهم فى ذلك المكان الطاهر المقدس ، أول بيت وضع للناس .

وبعد أن يتمتع المسلم الذى تسمح له ظروفه وحالته بزيارة قبر الرسول الاعظم ، برؤية هذه الآثار المقدسة ، وينعم بمشاهدتها يذهب الى المدينة المنورة ، حصن الاسلام والمسلمين ، ومهد الكفاح والجهاد فى سبيل حرية العقيدة ، ورفع لواء الاسلام . يذهب اليها فينشرح صدره بزيارة المسجد النبوى ، وقبر رسول السلام ، ليضاعف له المثوبة ، ويعظم له الاجر ، ويتدبر كيف نزل الوحى فى هذا المكان الطاهر ، وكيف كان مصدر توجيه واشعاع ، تدبر فيه الجيوش ، وتعقد فيه الالوية ، وتقضى فيه مهام الامور ، ولينظر الى تلك الذكريات فترتسم فى ذهنه معالم الحياة النبوية الزاهرة

ويمتلىء قلبه ووجدانه بشعور التعظيم لنبيه الكريم القائل « من جاءنى زائرا لا يهمه الا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا »

والقائل: «من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفانى» .

وان الخير كل الخير كل السعادة فى الدنيا والآخرة أن يغتنم الانسان فرصة الحج والزيارة كلما أمكنه ذلك لان المرء اذا ما وصل الى تلك الاماكن المقدسة ارتاحت نفسه ، وشعر بفيض الله ورحمته . وبهرته قداسة هذه الآثار الاسلامية وجلالها ، فيتجرد من ماديات الحياة وآلامها ، ويسمو بروحه وعقله الى ربه فيستشف قلبه حكمة ذلك الموقف العظيم المحفوف بعناية الله ورعايته . ويظل يفكر ويطيل فى التفكير والتأمل حتى يستخلص حكم الحج السامية ومعانيه ، ويصل به فكره الى تذكر أبى الانبياء ابراهيم وموقف ابنه اسماعيل جد الرسول عليهم الصلاة والسلام ، بل ويعلم أن الحج فيه تجديد البيعة ، وتوحيد الكلمة ، وقد جعل الله مكانه فى الشرق الاوسط ليكون منارا للمسلمين ، وصمام أمن لهم حيث تعلن فيه حقوق الانسان التى تنحصر فى حقن الدم ، وصيانة المال ، وحفظ العرض ، ومشاهدة المنافع وقضاء الحاجات ، وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم » .

ولكن مع ما للحج من هذه الفوائد الجليلة ، فانه مما يؤسف له فى هذه الايام أن الغالبية فى الحجيج من الفقراء الذين لا يعقلون دينهم كما ينبغى أن يكون والنذر اليسير من الحجيج من الاغنياء الذين يحجون نائما ، ولو عكست الآية لكان خيرا للاسلام لان المسلمين دخلوا التاريخ من الاسلام فيجب عليهم أن يفهموا معنى الاسلام ليؤدوا مناسكهم فى تلك العبادة كاملة غير منقوصة ، وليقوموا بواجبهم نحو الله والمسلمين ، وليدركوا انهم خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله . وانهم ما كانوا خير أمة الا بهدى رسول الله ، وأياديه على البشرية ، وفضله على العالم عامة ، وعلى المسلمين خاصة اذ أخرجهم من ظلمات الجهل الى نور الهدى ، وانتشلهم من وهدة الشرك والضلال الى ركب الحضارة والامل والعرفان ، فلنسلك مسلكه ، ولنترسم خطاه فى تأدية فرائض الله ، ولنشهد أنه رسول الله حقا ، قد بلغ الرسالة صدقا ، وأدى الامانة عدلا ، ونصح الامة ، وجاهد فى أمر الله حتى نشر دينه الحق .

فجزاه الله عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء ، ووفقنا للعمل بسنته ، ومتعنا بزيارته ورزقنا شفاعته يوم الزحام .

خص الله سبحانه وتعالى شرق الوطن العربى بقدر وافر من البترول جعلته أغنى بقعة فى العالم بانتاجه ومدخراته من زيت البترول الخام فالعرق وبه حقل كركوك العظيم والكويت به حقل البرقان وهو أعظم حقول العالم وبلاد العرب وبها حقل الغوار وهو أيضا من أعظم حقول العالم بالاضافة الى حقول البحرين وقطر وأبو ظبى والحقول المغمورة بمياه الخليج العربى وعشرات الحقول الاخرى هنا وهناك .

هذه الثروة الدفينة جعلت من هذه البقعة المباركة أعظم مورد لسد حاجة العالم المتزايدة للوقود وساهمت هذه المنطقة مساهمة فعالة فى السنين الاخيرة فى سد نهم العالم الى هذا السائل السحرى وستساهم لعشرات السنين القادمة فى تلبية حاجة العالم أجمع من البترول .

وقد كان لى شرف زيارة أرجاء هذه المنطقة فى نهاية العام الماضى للمرة الاولى فشاهدت عن كثب أرض البترول والتحول العظيم الذى طرأ عليها وبوادر المستقبل الباسم الذى ينتظرها .

ان مئات السفن من ناقلات البترول تاتى يوميا الى موانىء البترول بالمياه العربية لا لتنقل اى شىء سوى الذهب الاسود هذا بالاضافة الى خطوط الانابيب الجبارة التى تنقل بترول شمال العراق الى طرابلس وبانياس على ساحل البحر الابيض وبترول المملكة العربية السعودية من الظهران الى صيدا فى لبنان .

ان هذه المقادير الهائلة التى تندفع يوميا الى جميع أرجاء العالم ستتضاعف على مر الايام والبترول بهذه المنطقة ما زال صبيا يافعا رغم أنه يمثل ٥٦٪ من مدخرات العالم كله . وما ينتظر أن يكتشف منه فى المستقبل وخاصة فى مياه الخليج العربى تقدر بنحو خمسة عشر مرة المدخر الموجود منه حاليا وهناك حقول جبارة أغلقت بعد اكتشافها فى انتظار التوسعات فى معامل تكرير البترول فى الشرق والغرب لتسد حاجة العالم المتزايدة على مر الايام .

لقد استهلك العالم فى عام ١٩٦٤ نحو ٢٧ مليون برميل يوميا من الزيت الخام وينتظر أن يبلغ استهلاكه فى عام ١٩٨٠ نحو ٩٠ مليون برميل وفى عام ٢٠٠٠ نحو ١٣٥ مليون برميل من خام البترول . ان هذا التزايد والذى بلغ معدله فى عام ١٩٦٤ نسبة ٩ ٪ هو نتيجة للتطور العالمى واستخدام البترول بدلا من الفحم فى بعض البلاد الصناعية الكبرى كأوربا وأمريكا واليابان ولولا اكتشاف المدخرات العربية للبترول سواء فى شرق الوطن العربى أو فى ليبيا والجزائر كان من غير المؤكد سد حاجة العالم ولبدأنا منذ الان فى استخدام مصادر أخرى للطاقة كالفحم أو الرمال الاسفلتية أو الطفلة البترولية وغيرها ولذا فان النشاط فى البحث عن حقول جديدة للبترول مازال قائما على قدم وساق وخاصة فى الوطن العربى .

العراق

بدأت زيارتى للعراق من مطار بغداد وكان فى استقبالى بعض الاخوان من رجال وزارة النفط وقد شعرت بمجرد وصولى وأثناء اقامتى فى بغداد انى لم أغادر مصر فكل شىء رغم بعد الشقة لايختلف فى شىء عن بلدى وبغداد آخذة الآن فى نهضة شاملة فى الانشاء والتعمير ويبلغ مساحة العراق ٤٤٤ر٤٤٢ كيلو مترا مربعا وتعدادها ٦ر٣٠٠ر٠٠٠ نسمة وبها ثمانية حقول منتجة للبتردل وهى عين زالة وبطم فى شمال العراق بالقرب من

حقول البترول بعمان

الموصل وباى حسن وجمبور فى شمال بغداد ونفط خانه على الحدود الايرانية العراقية ويمتد هذا الحقل داخل ايران ويسمى نفط شاه ثم حقلى الرميلة والزبير فى جنوب العراق بالقرب من البصرة .

وحقل نفط خانه تابع للحكومة وتديره بمعرفتها أما باقى الحقول فان امتيازها ممنوح لشركات ثلاث هى شركة نفط العراق وشركة نفط البصره وشركة نفط الموصل وكان أول انتاج للبترول فى العراق من حقل كركوك فى عام ١٩٢٧ وهو من أكبر الحقول بالعالم وانتج حتى نهاية عام ١٩٦٤ نحو ٣ بليون برميلا من الزيت الخام وكان حقل رميله هو آخر ما يكتشف من حقول بالعراق واكتشف فى عام ١٩٥٣ وقد بلغ معدل انتاج العراق من البترول فى عام ١٩٦٤ نحو ١ر٢٢٦ر٧٠٠ برميل يوميا وبالعراق ثلاثة معامل لتكرير البترول أكبرها معمل الدورة بالقرب من بغداد وتبلغ طاقتها ٥٤٠٠٠ برميل يوميا وهى تابعة للحكومة العراقية ويديرها مهندسون وعمال عراقيون .

وجنوب البصرة تقع ميناء الفاو على شط العرب وهى ميناء العراق ويشحن منها أيضا انتاج حقلى الرملية والزبير من الزيت الخام وتشاهد فى الطريق اليها الاف من النخل والبلح من المنتجات الرئيسية بالعراق وتشاهد أيضا معمل تكرير عبادان الايرانى على الضفة الشرقية لشط العرب على مصب نهر قارون ومنه تصدر المنتجات المكررة من ايران .

ومن الفاو اخذت قاربا الى مرساة خور وتبعد عنها نحو ٢٢ ميلا وقد أنشأت هذه المرساة فى المياه العميقة ويمكن أن تستقبل أكبر الناقلات فى العالم ويصلها بحقلى الزبير والرميلة خطا أنابيب تحت الماء

وقد اسست فى مطلع عام ١٩٦٤ شركة النفط الوطنية العراقيه وينتظر ان تنشط قريبا فى التنقيب فى المساحات الشاغرة بالعراق ليتضاعف انتاجه بما فيه من امكانيات عظيمة .

الكويت

تبلغ مساحة دولة الكويت حوالى ١٥ر٤٤٧ كيلو مترا مربعا وتعدادها ٢٠٠٠٠٠ نسمة ومدينة الكويت هى عاصمتها والمدينة الرئيسية بها وقد بلغ انتاجها من البترول فى عام ١٩٦٤ نحو ٢ر١١٧ر٠٠٠ برميل يوميا . ولذا فانت تشاهد أثر هذا الانتاج الضخم فى حركة العمران الكبرى بها فتشاهد وانت بالسيارة من المطار الى المدينة مئات من المنشآت الحديثة فاذا أصبحت بالمدينة دهشت لما تراه من مبانى وعمارات أهلية وحكومية ومتاجر بها أفخر البضائع والسيارات العديدة التى تجوب الطرقات .

وامتد العمران على الشاطىء فهناك عدد كبير من المدن الصغيرة والمساكن الخاصة تراها وانت فى الطريق جنوبا الى المنطقة المحايدة فى طريق متسع معبد بالاسفلت يمكنك أن تواصل السير فيه بالسيارة حتى الظهران فى المملكة العربية السعودية . وكل هذا لم يكن موجودا منذ ثمانية عشر عاما حين صدرت أول شحنة من البترول فى عام ١٩٤٦ .

الا أن مشكلة الكويت الكبرى رغم غناها فى البترول هو فقرها فى الماء فالمياه الجوفية بها لا تصلح للشرب أو للزراعة لملوحتها ويحصل على الماء اللازم للشرب أو الزرع بتقطير ماء البحر وهناك مشروع لمد الكويت بالماء من شط العرب بالعراق بوساطة خط للانابيب . والعامل الآخر الذى يؤثر على الزراعة فى الكويت هو جوها القارى وكثرة الرياح المحملة بالرمال فالجو فى

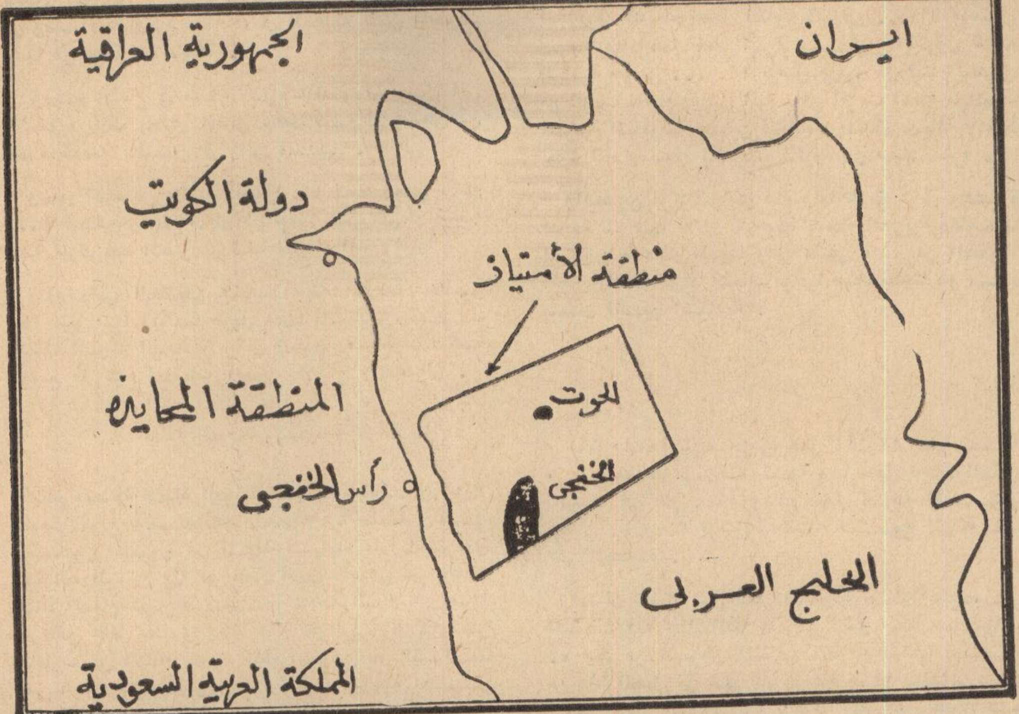

حقول البترول المغمورة بالمنطقة المحايدة

الصيف حار جدا وفى الشتاء تبلغ البرودة أحيانا درجة التجمد فتقضى على الاشجار المزروعة .

لاشك أن الكويت تبذل أقصى جهدها للاخذ بأسباب الحضارة فهناك المدارس والمستشفيات العامة وتنشأ عدد من المشروعات فى منطقة الشعبة الصناعية .

وقد أسست شركة البترول الوطنية الكويتية فى عام ١٩٦٠ وشركة ناقلات النفط الكويتية فى عام ١٩٥٧ وشركة الصناعات الكيماوية البترولية فى عام ١٩٦٣ .

وبالكويت سبعة حقول منتجة للبترول هى البرقان ، القرع ، الروضتين والصابرية والبحرة والمناقيش وأم قدير ويعتبر حقل البرقان أعظم حقل بترول فى العالم من جهة القدرة على الانتاج وكمية الزيت الخام المدخرة به فضلا عن أن آباره قليلة العمق ويبلغ متوسط عمقها ٤٨٠٠ قدم .

وتعمل بالكويت شركة نفط الكويت المحدودة ومركزها فى الاحمدى حيث يشحن الزيت فى ناقلات البترول . كما تعمل شركة شل الكويت فى امتياز لها بالمياه البحرية ومازالت فى مرحلة الاستكشاف . وينتج مع البترول كميات كبيرة من الغاز الطبيعى وتسعى الكويت للاستفادة منها فى الصناعات الحرارية والبتروكيميائية كما يحقق جانب منها ثانية فى باطن الارض أما الجزء الاكبر منه فيحرق .

ودولة الكويت رابع دولة فى انتاج البترول فى العالم وثانى دولة فى تصدير البترول .

المنطقة المحايدة الكويتيه السعودية

بمقتضى معاهدة وقعت فى عام ١٩٢٢ تملك كل من المملكة العربية السعودية ودولة الكويت نصفا مشاعا فى رقعة من الارض واقعة بينهما وتطل على الخليج العربى .

وقد منحت المملكة العربية السعودية ترخيص البترول بالبر والمياه الاقليمية للمنطقة لشركة جيتى الامريكية ومنحت دولة الكويت الترخيص لشركة أمينويل وقد اكتشف حقل وفرة فى عام ١٩٥٢ ونشأت شركة موبل وبل خطا للانابيب الى ميناء عبد الله بالكويت الذى شيد خصيصا لشحن نصيب دولة الكويت من الزيت كما أنشأت شركة جيتى ميناء سعود على ساحل المنطقة المحايدة ومدت اليه خطا للانابيب .

وقد حصلت شركة الزيت العربية المحدودة وهى شركة يابانية حق التنقيب عن البترول واستغلاله فى مياه الخليج العربى للمنطقة المحايدة من كلتا الدولتين واكتشفت حقل الحفتجى فى عام ١٩٦٠ ويبعد عن الشاطىء ٤٠ كيلو مترا كما اكتشفت حقلا آخر يدعى الحوت على بعد ٣٥ كيلو مترا شمال الحقل الاول وقد انتجت هذه الحقول فى عام ١٩٦٤ بمعدل قدره ٣٦٨ر٥٣٠ برميلا يوميا .

وحفر الآبار البحرية عملية مكلفة نظرا لارتفاع ثمن أجهزة الحفر المائية وما يقابل عملية الحفر من صعوبات وخاصة من الاحوال الجوية كما أن انتاج وتشغيل الآبار

البحرية يستلزم معدات خاصة ومد خطوط الانابيب تحت سطح الماء وأجهزة الكترونية لفتح وقفل الآبار في اى وقت الا ان وفرة انتاج الآبار البحرية يغطى مايصرف عليها من مصاريف باهظة .

ويجمع الانتاج فى محطة تجميع بالبحر ثم يرسل الى الشاطىء بخط بحرى لفصل الغاز منه ثم يشحن من منصة خاصة بالشحن فى رأس الحنجى .

وعمق المياه فى منطقة الحقل ١١٠ قدما وعمق الآبار ٥٠٠٠ قدم وتحفر الآبار من جهاز حفر عائم او منصة ثابتة تترك بعد الحفر لتركيب معدات البئر عليها .

وتقع رأس الحنتجى جنوب مدينة الكويت بنحو ١٥٠ كيلو مترا وبينهما طريق معبد بالاسفلت وقد انشات الشركة اليابانية برأس العجمى مدينة سكنية وجميع ما يلزم لعمليات الحفر والانتاج والتصدير .

المملكة العربية السعودية

تبلغ مساحة المملكة العربية السعودية ١٦٠٠ر١٦٠٠ كيلومتر مربع وتعدادها ٣٦٠٠ر٦٠٠٠ نسمة وتقع حقول البترول فى المنطقة الشرقية منها وكان أول اكتشاف للبترول بها فى حقل الدمام فى عام ١٩٣٩ وبلدة الدمام هى عاصمة المنطقة الشرقية وتصلها بالرياض خط حديدى يبلغ طوله حوالى ٥٠٠ كيلو متر وبالقرب من الدمام مدينة الظهران وهى مقر الشركة العربية الامريكية للبترول (أرامكو) صاحبة امتياز البترول وفى المنطقة ايضا مدينة الخبر وهى ميناءتجارى ايضا كما توجد واحة القطيف وهى غزيرة المياه بها نخل وزراعات كثيرة .

والمملكة العربية السعودية رغم انها صحراء شاسعة الا أن المياه الجوفية الصالحة للشرب متوافرة فى أماكن عديدة وتمتد الطبقات الحاملة لهذه المياه الجوفية الى البحرين وقطر وتحت مياه الخليج العربى بل أن عيونا من الماء العذب تتفجر فى مياه البحر فيما بينالسعودية والبحرين وتستطيع السفن أن تحصل منها على الماء العذب من وسط الماء الملح .

وبالمملكة العربية السعودية احدى عشر حقلا للبترول هى ابقيق والغوار وخريص ويقع فى منتصف المسافة بين الرياض ومدينة الظهران والفاضلى والخراسانية وأبو حدرية والدمام والقطيف والحقول البحرية السفانية ومنيعة وأبو سعفة .

ويعتبر حقل الغوار من أكبر حقول العالم ويبلغ طوله ٢٥٦ كيلو مترا ويتراوح عرضه بين ١١ و ٢٣ كيلو مترا وقد انتجت هذه الحقول فى عام ١٩٦٤ بمعدل ٩٠٠ر٦٩٥ر١ برميل يوميا .

ويوجد فى رأس تنورة معملا كبيرا لتكرير البترول تبلغ طاقته ٣٠٠ الف برميل يوميا كما توجد برأستنورة ارصفة الشحن لناقلات البترو ل.

البحرين

تبلغ مساحة امارة البحرين ٥٦٨ كيلو مترا مربعا وتعدادها ١٤٣٠٠٠ نسمة وهى مكونة من جزيرة رئيسية وعدد من الجزر الصغيرة وقد كان اكتشاف البترول بها فى عام ١٩٣٢ حدثا هاما بالنسبة للخليج العربى حيث انه لفت الانظار الى امكانيات وجوده بالمملكة العربية السعودية وهى على بعد أميال قليلة منها وبالبحرين حقل واحد للبترول هو حقل البحرين بوسط الجزيرة وقد بلغ معدل انتاجه اليومى ٤٩٠٠٠ برميل ويوجد بها أيضا معملا كبيرا لتكرير البترول طاقته اليومية حوالى ٢٤٠٠٠٠ برميل ويكرر كل انتاجالبحرين من الزيت الخام ويصل اليه باقى الزيت الخام منالمملكة العربية السعودية بخطين للانابيب يمتدان لمسافة ١٧ميلا تحت الماء وتشحن المنتجات المكررة من ميناء سترة .

والبحرين مركز تجارى هام ولها تاريخ عريق وحضارة قديمة تنم عنها الآثار الموجودة بانحاء الجزيرة وعاصمتها المنامة وبها مطار حديث وهى ملتقى لكثير من الخطوط الجوية العالمية وقد انشأت مؤخرا ميناء حديثا هو ميناء سلمان للسفن التجارية .

قطر

تبلغ مساحة شبه جزيرة قطر ٢٢٠١٤ كيلو مترا مربعا وتعدادها ٤٠٠٠٠ نسمة وبها حقل دخان الذى اكتشف فى عام ١٩٤٠ ويبلغ معدل انتاجه اليومى حوالى ٢٠٠٠٠٠ برميل وامتيازه ممنوح لشركة نفط قطر المحدودة .

كما ان لشركة شل لقطر المحدودة امتيازا بالبحر اكتشفت فيه حقل العد الشرقى الذى يبعد حوالى ٥٠ ميلا من الساحل الشرقى لقطر وقد بدأ الانتاج من هذا الحقل فى شهر فبراير عام ١٩٦٤ بمعدل٣٠٠٠٠ برميل يوميا كما اكتشف بالقرب منه حقل جديد هو حقل ميدان محزم ويصدر انتاج هذين الحقلين من جزيرة حالول . كما يصدر انتاج حقل الدخان من ميناء ام سعيد وبها معمل صغير لتكرير البترول .

وعاصمة قطر هى الدوحة وبها حركة تعمير واسعة ومنشآت حديثة وشاهدت فى ضواحيها مشروعاتوحدات سكنية وتجرى محاولات لتنشيط الانتاج الزراعى بها .

أبو ظبى ومسقط وعمان

لم يسعدنى الحظ فى الذهاب الى الجنوب من قطر فقد ركبت الطائرة من مطار الدوحة الى القاهرة رأسا .

فالى الجنوب من قطر وعلى ساحل شبه الجزيرة العربية تقع أمارات ساحل الصلح البحرى وأولها أبو ظبى وبها حقل مربان ويتبع الامارة ايضا حقل ام شايف بالبحر وقد بلغ متوسط الانتاج اليومى من هذين الحقلين فى عام ١٩٦٤ نحو ١٨٥٠٠٠ برميليوميا ويقدرمدخراتها من البترول نحو ٨ بليون برميل من الزيت الخام .

أما فى عمان ومسقط فقد أجريت أبحاث عن البترول منذ عام ١٩٣٧ وحفرت آبار عديدة وعثر على البترول بكميات تجارية فى حقل يبال فى قلب عمان وقداكتشفت شركة شل مؤخرا حقل ناتيا وهو أقرب الى الساحل ويبعد عنه حوالى ١٥٠ كيلو مترا وسينشا خط انابيب لتصدير انتاجه من مرفأ يقام بالقرب من مدينة مسقط .

لقد دبت الحياة فى الصحراء الجرداء بعد اكتشاف البترول وعلينا أن نستخلص منه نفعا دائما لنا وللاجيال القادمة .

مواكب الحج وكسوة الكعبة

فى عهد العباسيين والفاطميين

الدكتور محمد جمال الدين سرور

نظم الرسول صلى الله عليه وسلم الخروج للحج ، ودعا المسلمين الى اداء هذه الفريضة معه بعد ان اطمان الى ان جزيرة العرب أصبحت كلها تنضوى تحت لواء الاسلام ، فلقيت دعوته قبولا من نفوسهم . ووفد الى المدينة كثير من الناس يريدون أن يأتموا برسول الله فى حجته. وفى الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة من السنة العاشرة للهجرة ، سار الرسول من المدينة فى جمع كبير من المهاجرين والانصار وبعض قبـــائل العرب ، بلغ عددهم مايقرب من مائة الف ، تملا قلوبهم الغبطة لذهابهم الى بيت الله الحـــرام . ولما بلغوا ذا الحليفة احرم الرسول والمســلمون جميعـا ، ثم تابعوا سيرهم حتى وصلوا مكة ، فدخل الرسول المســجد الحرام وتبعه سائر المسلمين وطاف حول الكعبة سبع مرات ، ثم صلى ركعتين خلف مقام ابراهيم وبعد فراغه من الصلاة خرج من المسجد الى الصفا ، وسعى بين الصفا والمروة . وفى اليوم الثامن من ذى الحجة سار الى منى ، فاقام بها ليلة ، ثم خرج فى صباح اليوم التاسع الى جبل عرفات والمسلمون يتبعونه ، وهناك القى خطبة ، يعتبرها المسلمون دستور الاسلام .

تمت رسالة النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو واقف بعرفه حيث انزل الله تعالى هذه الآية : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لــكم الاسلام دينا » ، وقد تلاها الرسول على المسلمين حين نزولها ، فكان لها ابلغ الاثر فى نفوسهم .

افاض الرسول من عرفات بعد غروب الشمس الى المزدلفة ، فقضى بها ليلةثم خرج منهاقبل طلوع الشمس الى منى حيث رمى جمرة العقبة يوم النحر ، ثم نحـر الهدى ، وسار الى مكة فى هذا اليوم ليطوف ببيت الله الحرام طواف الافاضة ، ثم عاد الى منى ، فاقام بها ليالى ايام التشريق ، وكان يرمى الجمار فى هذه الايام عند زوال الشمس ، ونهى ان يبيت احـد ليالى منى خارجها ، فى اليـوم الرابع من ايام عيد الاضـحى ، ركب الرسول الى مكة ، فطاف بالبيت طواف الوداع ، وبعد ان قضى بمكة بضعة ايام انصرف راجعا الى المدينة

اقتدى الخلفاء بالرسول فى الخروج للحج على راس المسلمين . وكانوا فى بعض الاحيان ينيبون عنهم احد كبار رجال دولتهم ، وقد فاقت مواكب الحج فى عهد الخلفاء العباسيين مواكب الامويين فى الروعة والبهاء فكان يجتمع الحجاج ببغداد من مختلف الامصـــار الاسلامية الشرقية وقد اعدوا عدتهم من الابل والكسى والطعام ، ويسير فى مقدمة هذا الموكب هوادج يعلوها قباب مزينة بالديباج المطرز بالذهب ، يقيم فى احدها امير الحج .

وكان يختص امير الحجاج فى العصر العباسى بالنظر فى عشرة أمور ، أحدها جمع الناس فى مسيرهم ونزولهم حتى لايتفرقوا فيخاف عليهم التوانى والتاخير ، والثانى ترتيبهم فى المسير حتى لايعجز عنه ضعيفهم ولا يضـل عنه منقطعهم ، والرابع ان يسلك بهم أوضح الطـرق واخصبها ويتجنب اجدبها واوعرها ، والخـامس ان يرتاد لهم الميـاه اذا انقطعت والمـراعى اذا قلت ، والسادس أن يحرسهم اذا نزلوا ويحوطهم اذا رحلوا حتى لايختلط بهم ذاعر ولا يطمع فيهـم متلصص ، والسابع أن يمنع عنهم من يصدهم عن المسير ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج بقتال ان قدر عليه او ببذل مال ان أجاب الحجيج اليه ، والثامن ان يصلح بين المتشاجرين ويتوسط بين المتنازعين ولا يتعرض للحكم بينهم اجبارا الا أن يفوض الحكم اليه ، فان دخلوا بلدا فيه حاكم جاز له ولحاكم البلد أن يحكم ، فأيهما حكم نفذ حكمه ، ولو كان التنازع بين الحجيج واهـل البلد لايحكم بينهم الا حاكم البلد .. والتاسـع ان يقوم زائفهم ويؤدب خائفهم . والعاشر ان يراعى اتســـاع الوقت حتى يؤمن الفوات ، ولا يلجئهم ضيقة الى الحث فى السير ، فاذا وصل الى الميقات امهلهم للاحرام واقامة سننه ، فان كان الوقت متسعا عـدل بهم الى مكة ليخرجوا مع اهلها الى المواقف « التى تؤدى فيهـــا شعائر الحج » وان كان الوقت ضيقا عدل بهم عن مكة الى عرفة خوفا من فواتها فيفوت الحج بها ، فان زمان الوقوف بعرفه مابين زوال الشـــمس من يوم عرفة « التاسع من ذى الحجة » الى طلوع الفجر من يوم

النحر ، فمن ادرك الوقوف بها في شيء من هذا الزمان من ليل او نهار فقد ادرك الحج ، وان فاته الوقوف بها حتى طلع الفجر من يوم النحر فقد فاته الحج . فاذا قضى الناس حجهم سار بهم امير الحاج قاصدا المدينة لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجمع لهم بين حج بيت الله سبحانه وتعالى وزيارة قبر رسوله ، رعاية لحرمته وقياما بحقوق طاعته ، ثم يكون في عودته بهم ملتزما فيهم من الحقوق ما التزمه عند خروجه معهم لاداء شعائر الحج ، واذا ماعاد بهم الى بلدهم انقطعت ولايته عنهم .

ولما ساءت حالة الخلافة العباسية في مستهل القرن الرابع الهجري من جراء ازدياد نفوذ الاتراك قل الاهتمام بمواكب الحج ، كما عجز الخلفاء عن حماية رعاياهم من المسلمين وتامين طريقهم الى بلاد الحجاز ، وليس ادل على ذلك مما قام به أبو طاهر سليمان امير القرامطة ببلاد البحرين ، اذ اغار على مكة في ذي الحجة سنة ٣١٧ هـ ونهب هو واصحابه الحجاج ، وقلع باب البيت الحرام وقبة زمزم والحجر الاسود ، وفرق كسوة الكعبة بين اصحابه ، ونهب دور اهل مكة ، ثم عاد الى الاحساء حاملا معه الحجر الاسود ، فظل بها حتى ولي امارة القرامطة احمد بن ابي سعيد فاعاده الى مكانه بالكعبة سنة ٣٣٩ هـ اجابة لطلب الخليفة المنصور الفاطمي بعد ان ذهبت مجهودات الخلافة العباسية مع ابي طاهر سليمان بشان استرداده هباء .

وكان العباسيون وقتذاك يحتفظون بسيادتهم على كل من مكة والمدينة لاينازعهم فيها منازع . فلما اتخذ الفاطميون القاهرة مقرا لخلافتهم طمعوا في السيطرة على هاتين المدينتين ليثبتوا شرعية خلافتهم امام العالم الاسلامي واحقيتهم تبعا لذلك في رعاية الاراضي المقدسة بالحجاز ، اذ ظهرت نظرية جديدة تتضمن أن امير المؤمنين الحقيقي هو من استطاع بسط نفوذه على الحرمين المكي والمدني .

ولاشك أن حرص الفاطميين على نشر نفوذهم في بلاد الحجاز ونجاحهم في هذا السبيل وان جر عليهم منافسة العباسيين لهم ، فانهم جنوا من ورائه احترام العالم الاسلامي وتقديره ، فقد برهنوا على قدرتهم على درء الاخطار عن تلك البلاد بعد ان صدوا القرامطة عن مكة ووجهوا اهتمامهم الى العمل على حماية الاراضي المقدسة وتامين الوافدين اليها من المسلمين ، على ارواحهم واموالهم .

ولم يكن لدى امراء مكة والمدينة القوة التي تمكنهم من درء الاخطار عن بلاد الحجاز ، كما ان موارد تلك البلاد كانت لاتكفي لسد حاجة اهلها ، لذلك راوا انه من الخير لهم اكتساب صداقة الفاطميين والتقرب اليهم مادامو يرعون حقوقهم في الامارة .

وكان الخلفاء الفاطميون يعنون عناية كبيرة بالمظاهر الدينية ، فصاروا يحتفلون كل عام بسفر الحجاج الى الاراضي المقدسة بالحجاز ، ويختارون امير الحاج من بين كبار رجال دولتهم ، ويعهدون اليه الاشراف على راحة الحجاج ورعاية شئونهم فضلا عن العمل على الاحتفاظ بسيادتهم على كل من مكة والمدينة كما حدث في عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي اذ بعث الى الحجاز سنة ٣٦٧ هـ بادريس بن زيرى الصنهاجي اميرا على الحجاج ، فاستولى على الحرمين واقام له الخطبة من منابرهما .

كذلك اولى الخلفاء الكعبة كثيرا من اهتمامهم ، فصاروا يرسلون لها الكسوات مقتدين في ذلك بما فعله الرسول ، اذ كساها الثياب اليمنية ، كما بعث اليها كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كسوة من القباطي التي كانت تستورد من مصر . ولما ولي معاوية بن ابي سفيان الخلافة كسا الكعبة كسوتين ، احداهما من القباطي والاخرى من الديباج ، وصارت تكسى بالديباج الاحمر يوم التروية وهو اليوم الثامن من شهر ذي الحجة حتى اذا كان اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان كسيت بالقباطي المنسوجة من القطن . وكان عبد الملك بن مروان يبعث في كل سنة الديباج من الشام الى المدينة المنورة ، فينشر يوما في مسجد الرسول على الاساطين ، ثم يطوى ويبعث به الى مكة حيث يتخذ كسوة للكعبة .

اختصت مصر في العصر العباسي بصناعة كسوة الكعبة يقول الفاكهي في كتابه « المنتقى في اخبار ام القرى » رأيت كسوة من قباطي مصر مكتوبا عليها « بسم الله بركة من الله ، مما امر به عبدالله المهدى محمد امير المؤمنين - اصلحه الله - محمد بن سليمان ان يصنع في طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسلمة عامله سنة تسع وخمس ومائة .

ولما قدم الخليفة المهدى العباسي مكة سنة ١٦٠ هـ ، امر بنزع الكسوات التي كانت على الكعبة وكساها القباطي والخز والديباج ، وطلى جدرانها المسك والعنبر من اعلاها الى اسفلها . وحذا الخلفاء من بعده حذوه ، فصاروا يرسلون اليها كسوة كل عام .

ولم يكن الفاطميون اقل حرصا من العباسيين على رعاية الكعبة فاهتموا باعداد كسوتها بعد ان تيسر لهم بسط سيادتهم على بلاد الحجاز وكانت تصنع في دار الكسوة التي انشاها الخليفة المعز لدين الله . وقد اورد لنا ابن ميسر في كتابه « تاريخ مصر » وصفا للشمسية التي امر الخليفة المعز بصنعها للكعبة ، جاء فيه : كانت مربعة الشكل ، مصنوعة من ديباج احمر ، سعتها مائة واربعون شبرا ، وفي حافاتها اثنا عشر هلالا ذهبيا ، في كل هلال اترجة ذهبية ، بداخل كل منها خمسون درة تشبه بيض الحمام . وكانت مرصعة بالياقوت الاحمر والاصفر والازرق ، ونقشت في حافاتها الآيات التي وردت في الحج بحروف الزمرد الاخضر وزينت الكتابة بالجواهر الثمينة . وعطرت هذه الشمسية بمسحوق المسك ووضعت في القصر حيث يراها الناس من داخله وخارجه .

اتبع الخلفاء الفاطميون الذين جاءوا بعد المعز سنة اعداد كسوة الكعبة ، فارسلت اليها الكسوات من القباطي البيض في عهد العزيز والحاكم والظاهر والمستنصر . وقد امدنا ناصر خسرو الرحالة الفارسي الذي زار مصر سنة ٤٣٩ هـ بوصف لكسوة الكعبة التي شاهدها اثناء اقامته بمكة في الفترة التي بين غرة رجب سنة ٤٤٢ هـ الى ٢٠ ذي الحجة من هذه السنة ، فقال : انها كانت بيضاء مجزعة ، عليها شريطان بعرض ذراع ، وارتفاع الكسوة بين الشريطين نحو عشرة اذرع ، والاجزاء الموجودة فوق وتحت هذين الشريطين لها نفس المقاس ، وبهذا الوضع كانت تظهر الكعبة كأنها مقسمة الى اقسام ثلاثة ، كل قسم عشرة اذرع تقريبا ، وعلى جوانب الكسوة الاربعة ، نسجت محاريب بالحرير الملون وعليها رسومات بخيوط ذهبية

حياة المقر الشهابي ابن فضل الله العمري

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية في الجغرافيا والتاريخ والأدب

تتمة الوصف الشافي والبيان التاريخي الوافي (١١) عن مسجد الصخرة المشرقة والمسجد الأقصى

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

« صفة السور القبلى وما صاقبه من المساجد وغيرها »

السور القبلى ومساطبه ومحاريبه :

واول هذا السور من جهة الغرب مسطبة طولها من المحراب للشمال ستة أذرع ، وعرضها ستة ونصف . وبصدرها محراب . ويتلوها من جهة شرقها باب الزاوية الفخرية ، ويتلو باب الزاوية الفخرية من الشرق صفة عشرة اذرع وربع وعرضها ثلاثة ونصف . ويتلو هذه المسطبة باب جامع المغاربة وطول جامع المغاربة من محرابه لرأس دهليزه أحد وثلاثون ذراعا ونصف . وعرضه أحد عشر ذراعا ونصف . ومحرابه لطيف ،مركب على عمودين من رخام لطاف .

ومن ظاهر حائط هذا المحراب الى حائط جامع النساء خرجة فى الزاوية الفخرية التى الى جانبه ، وطول دهليزه احد عشر ذراعا وثلثا ذراع ، وعرضه أربعة أذرع وثلثا ذراع .

وفى باطن سوره الشرقى مسطبة لطيفة ، عرضها ذراع ونصف ، وطولها ثمانية أذرع ونصف وربع وثمن .

خزائن القناديل والحوائج :

وفى ثخائن السور خزائن لطاف للقناديل وحوائج القومة به . وله باب واحد يفتح للشمال سعته أربعة أذرع ، وارتفاعه خمسة أذرع .

جامع المغاربة وجامع النساء :

وقولنا جامع المغاربة ، لغلبة هذا الاسم على ألسنة الجمهور .

ولو قلنا مسجد المغاربة ، لما علم الجمهور بالقدس وكذلك جامع النساء . كل ذلك ليس بجوامع تقام فيها خطبة . وانما لكل منها امام مفرد ، يصلى فيه الصلوات الخمس لا غير .

ويتلو جامع المغاربة فضوة كبيرة يتلوها جامع النساء . وطوله من الشرق للغرب اثنان وستون ذراعا ونصف ذراع ، وعرضه من القبلة للشمال اثنان وعشرون ذراعا وثلثا ذراع ، وهو رواقان سقفهما اثنا عشر عقدا : كل رواق ستة عقود محمولة فى الوسط على ست عضائد .

ويصدره من الشبابيك خمسة : عرض الشباك الاول منها ذراعان ونصف ، وعمقه فى السور ثلاثةأذرع، وهو عرض السور جميعه فى هذه البقعة وارتفاعه ثلاثة أذرع وثلثا ذراع . وتتمة الشبابيك دون هـذا المقدار .

وبحائطه الغربى شباك مطل على حارة المغاربة .
وباب هذا الجامع يفتح للشمال . وبكل خد أربعة أعمدة رخام ابيض فى جسد واحد . طولها خارجا عن القواعد ذراعان الا ربعا . وأمامه شجرتان عظيمتان من الجوز ، تحتهما مصطبة يصلى الناس عليها .
ويدخل من الباب المذكور وينزل بخمس درج الى الاروقة المذكورة . ومن باب جامع النساء على مضى سبعة وعشرين ذراعا من جهة الشرق ، الباب الغربى من ابواب الجامع المسمى الآن « عمر ابن فضـل الله العمرى » بالمسجد الاقصى .

« صفة السور الشرقى »

السور الشرقى « وفيه مهد عيسى » !

تقدم أن فى قرنة السور القبلى « مهد عيسى » عليه السلام ، وشماليه رواق معقود على ستة عقود قد خربت مساطبه من العمائر القديمة ، وبعض أرضه مبسوطة بالفص . طوله ثلاثة وأربعون ذراعا ، ومن جانبه للقبلة كشف الى حد « مهد عيسى » .

مسجد باب الرحمة :
وشمالى هذا الرواق ، على مضى ثلثمائة ذراع ، « مسجد باب الرحمة » . وطوله من الشرق للغرب ثلاثون ذراعا ، وعرضه قبلة وشمالا أربعة عشر ذراعا ونصف . وسعة محرابه ثلاثة أذرع وربع . يصلى فيه امام مفرد . وهو معقود بالحجر المنحوت ست قباب : اثنتان مرتفعتان ، وأربعة مبسوطة على عمودين صوان بيض فى الوسط وساريتين فى وسطه ، طول كل عمود احد عشر ذراعا ،ودورته أربعة أذرع ونصف .

باب الرحمة :

وهذا المسجد متخذ باطن البابين المسميين : « بباب الرحمة » .

وهما بابان قديمان قد سدا . على كل منهما مصراعان من خشب مصفح من خارج بالحديد . طول كل منهما احد عشر ذراعا ،وعرضه ستة ونصف . وخلف كل منهما بابان بالصفة المذكورة الا انهما مصفحان بالنحاس الاصفر المنقوش ، قد سمرا وأحكم غلقهما . قيل‌انهما من بقايا العمائر السليمانية . سميـا « بأبواب الرحمة » .

ومنتهى السور الشرقى رواق طوله من القبـلة للشمال ستة عشر ذراعا ونصف . ومن الشرق للغرب سبعة أذرع وثلث ، ويعقبه فى أول السـور الشمالى « باب اسباط » وسيأتى ذكره ، ان شاء الله .

وليس فى هذا السور الشرقى الآن « عمر ابن فضل الله العمرى » باب يسلك منه للحرم الشريف . ولم يكن له فى الزمن القديم سوى البابين المذكورين .

ويقال : ان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنـه ـ غلقهما لما فتح القدس ، فلم يفتحا الى الآن (عمر ابن فضل الله العمرى) .

المقبرة خارج هذا السور :

وقد اتخذ الناس ظاهر هذا السور مقبرة يدفنـون فيها موتاهم ، وفيها قبر « شداد بن اوس » .

وادى جهنم وما فيه من عجائب المبانى

والآثار والنقوش والمعابد القديمة

وتلو المقبرة المذكورة واد عميق يعرف « بـوادى جهنم » ، يزرع . وفيه كروم وبساتين . ومنه يتطرق الى عين ماء ، وفيه أبنية عجيبة وآثار غريبة ونقوش ومعابد قديمة . وهو وقف على « المدرسة الصلاحية » وحد هذا الوادى من الشرق « طورزيتا » الذى يقال : ان الله تعالى رفع « عيسى عليه السلام » منه . وبه قبر « رابعة العدوية » ، يزار قصدا . وفيما بين‌السور الشرقى وصحن «الصخرة الشريفة» أشجار من الزيتون والميس والتوت والتين . تقدير عدتها مائة شجرة ، يستظل الناس تحتها ويصلون .

وصف الفصول الاربعة بالحرم المقدسى

قال الصاحب تاج الدين أحمد بن امين الملك :

« ولقد مضى على فى مجاورة الحرم الشريف الفصول الاربع ، فرأيت له فى كل فصل محاسن فى غيره لم تجمع، وهو انه من مبدأ فصل الربيع تبدو فيه من الازاهر المختلفة الالوان ما يستوقف بحسنه لب الذكى‌الاروع. وكل أحد ممن له معرفة بالاعشاب ياتى اليه ، ويأخـذ من تلك الازاهر ما علم منفعته ومضرته »

قال :« وأما ماشاهدته بالعيان ، أننى جلست وقتا فى بقعة تكللت بأزاهر من الشقائق والبهار والاقحوان والى جانبى فقير عليه أطمار رثة يبدى تبسما ، وتارة يعلن صوته بالتسبيح والتكبير ترنما ، ويقول : سبحان من جمع فيك المحاسن وكساك هذه الحلل الفاخرة ، وجعلك تحتوى على كنوز الدنيا والآخرة !

فقلت له : يا سيدى ! أما فضله وبركته ، فقـد صدق العيان فيها الخبر ، وقام بها الدليل والبرهان وتواتر بها الاثر ، لكن ما كنوز الدنيا ؟

فقال : ما من زهرة تراها الا ولها فى النفع والضرر خواص ، يعرفها أهل الاختصاص !

فقلت : لعل تظهر للعيان شيئا مما عرفت يزداد بك اليقين تبصرة ، وتكون هذه الجلسة معك عن صبـح النجاح مسفرة .

فاخذ بيدى ومشى خطوات الى جهة من جهـات الحرم . ومد يده أخذ قبضة من ذلك الكلأ ، فعاد هل معك خاتم أو درهم ؟

فقلت : نعم .

فاخرجت درهما مما معى . فعركه بذلك الكلا ، فعاد كالدينار فى صفرته . ثم أخذ حشيشة أخرى ، وعـركه بها . فعاد أبيض . أنقى مما كان أولا .

وقال : هذه رموز احتوت على تلك الكنوز . ولم يترك نبي الله سليمان شيئا من المواهب التي منحها الله تعالى اياها ، والمنافع التي وصلت اليه من الانس والجن على اختلاف صورها ومعناها ، الا وأودعه في هذا الحرم . فاين من يفهم تلك المعاني ، أو من كان لها يعاني ؟

ثم اخذ منهجا غير ما كنت أسلكه ، فسالته التثبت والتلبث ، فقال : الدنيء من صرف نظره الى العرض الادنى ، والسرى من صرف زمانه بالتهجد في هذا المغنى . اوصيك ان تغتنم الفرصة في ركعات تقدمها بين يديك ، فما سواها فان ، ولا تلتفت الا الى مايقربك من الرحمن .

فقلت : يا سيدي ! ومثلك من يفتح لي أبواب الصواب .

فقال : ما بعد السنة والكتاب من باب .

ثم فارقني مهرولا ، معلنا بصوته ومرتلا ، يقول ،

- سبحانك يادائم ! سبحانك يا قدوس ! سبحانك يارحمن ! سبحانك يا محيي النفوس !

فجعلت هذا الذكر لي ديدنا ، وكلما اشتاقت له مني عين أطربت بذكراه أذنا .

صفة السور الشمالي وفيه عدة أبواب

باب اسباط :

أولها من جهة الشرق باب يسمى : « باب أسباط » وهو تلو الرواق المقدم ذكره الذي هو نهاية السور الشرقي . وارتفاع هذا الباب خمسة أذرع ، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وربع وثمن ذراع .

ويعقب هذا الباب من غربه ، رواق معقود على عشر سوار . طوله اثنان وسبعون ذراعا ، وعرضه ثمانية أذرع . بصدره أربعة شبابيك مطلة على « بركة بني اسرائيل » وهي بركة قديمة عميقة .

ويعقب هذا الرواق ساحة ، وهي أرض كشف ببعضها مصب مياه لبركة بني اسرائيل . وبعضها كشف . قصد أن يبنى به أروقة . والى الآن « عمر ابن فضل الله العمري » لم تكمل . وطولها أربعة وسبعون ذراعا .

المدرسة الكريمية :

ويعقب هذه الارض « المدرسة الكريمية » وجاورت ما أمامها من الاروقة بحائطين : غربية وشرقية . وجعلوا مصيفين قدامها . وطول هذه المدرسة من الشرق للغرب خمسة وعشرون ذراعا . وجعل قدام هذه الاروقة مسطبة يصعد اليها بأربع درج بارزة في الحرم . طولها من القبلة للشمال ستة عشر ذراعا .

وهذه المدرسة بناها « كريم الدين بن عبد الكريم » ناظر الخواص الشريفة السلطانية الناصرية . ويعقب هذه المدرسة باب ، يسمى « باب حطة » ، عرضه أربعة أذرع وثلثا ذراع ، وارتفاعه ثمانية أذرع ، أمامه ممشاة مفروشة بالبلاط ، طولها مائة وثمانية وسبعون ذراعا ، وعرضها خمسة أذرع وكسر ، يصعد من آخرها بدرج الى ثلاث قناطر معقودة على عمودين رخام وساريتين ، يدخل منهن الى صحن الصخرة .

وبخدى هذا الباب مسطبتان لطيفتان ، عرض كل منهما ذراعان : الشرقية منهما لصيقه للمدرسة الكريمية المذكورة ، وتلو الغربية رواق ، طوله اثنان وسبعون ذراعا في العرض المذكور .

وفي سوره ثلاثة شبابيك للرباط العلمي الدواداري وبأوله من الشرق بالقرب شباك للتربة الاوحدية ، من بني أيوب .

باب شرف الانبياء :

ثم يتلو هذا الرواق باب يعرف « بباب شرف الانبياء » ، طوله ثمانية أذرع ، وعرضه أربعة . وأمامه ممشاة نظير المشاة المذكورة . وقد تقدم ذكر هذه أيضا .

ويتلو هذا الباب رواق طوله سبعة واربعون ذراعا ، وعرضه سبعة أذرع ونصف ، معقود على ثمان سوار . بأوله شباكان ، احدهما مفتوح يتوصل منه الى زاوية الصاحب أمين الدين المعروف « بامين الملك » . وتلوهما باب يصعد من باطنه الى « زاوية اللاوي » . وتلو الباب مسطبة ، فيها صهريج .

ويعقب هذا الرواق من الغرب رواق معقود على ثلاث سوار . طوله تسعة عشر ذراعا ونصف ، وعرضه من الشمال للقبلة تسعة أذرع . ويصلي به الآن (عمر ابن فضل الله العمري) بعض النسوة ، الصلوات الخمس ، خلف الائمة .

مدرسة آل ملك وخانقاه الاسعردي التاجر

وبأعلاه مدرسة الامير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار ، وخانقاه مجد الدين الاسعردي التاجر . وبأوله جوار الصهريج المذكور ، سلم يصعد منه الى المدرسة والخانقاه المذكورتين .

ويعقب هذا الرواق كشف ليس به اروقة . وهو صورة مبسطة عالية . وينزل من وسطها بست درج الى الحرم .

مدرسة الجاولي :

وباقصي ارتفاع هذا السور خمسة شبابيك لمدرسة الامير علم الدين سنجر الجاولي ، رحمه الله . وليس لها استطراق الى الحرم .

ومن حد هذا الكشف ، طالبا لجهة الغرب ، خلوتان لكل منهما باب يفتح للجهة القبلية من الحرم . وداخلهما كله في باطن السور الشمالي . وهي من جبل صخر أصم ، صفة مغارة . وقيل : يعرف قديما «بمغارة ابراهيم» . وفي الشرقية منهما شباك لطيف .

والى جانب هاتين الخلوتين ، خلوة لشيخ الحرم . وبها شباكان على الحرم الشريف . وطولها ستة عشر ذراعا ، وأمامها مسطبة في الطول المذكور ، وعرضها أربعة أذرع وثلث . وباعلى هذه الخلوة ، خلوة يصعد اليها بسلم ، بسبع درج في حد الباب الذي يفتح للشرق .

ويتلو ذلك رواق على عقدين ، طوله من الغرب طالبا للشرق خمسة عشر ذراعا ، وعرضه تسعة ونصف . وتلوه سلم مستطيل جدا ، يصعد من أعلاه الى مئذنة ، والى دار هناك « لبني جماعة » . وهذه المئذنة هي أقصى السور الغربي ، وارتفاعها ثلاثة وخمسون ذراعا ، وبأعلاها « درابزينات » خشب منقوشة ، وهي مكللة من العمد الرخام اللطاف باحد وثلاثين عمودا .

اما صفة السور الغربي فسيأتي في المقال التالي ان شاء الله .

« للترجمة بقية »

فلسطين فى شعر المهجر

الدكتور حسن جاد حسن

مأساة فلسطين الدامية التى بدأت فكرة شيطانية فى عقل (بلفور) المخمور ، بوعده المشئوم ، عام ١٩١٧ م ، والتى صارت فى عام ١٩٤٨ م بفضل الخيانات والمؤامرات الاستعمارية ، حقيقة مفجعة ، يتنزى بها قلب العروبة ، وتنفطر أكباد العرب ، وتذوب نفوس المسلمين ، وتهتز مشاعر الانسانية .. تلك المأساة قد تجاوبت بها الخواطر الشاعرة فى الآفاق العربية سخطا وغضبا ، وفاضت قرائحها أسى ولوعة ، وهى تعيش فى وجدان الشعراء شوكا يخز ، وغيظا يحتدم ، ولهبا يضطرم ، ودما يفور .

وكيف لا يغضب الضمير العربى لوطن سلب ، وحق اغتصب ، واخوة فى العروبة والاسلام ، أخرجوا من ديارهم بغير حق ، وأوذوا فى أرواحهم وأملاكهم بلا جريرة ، وشردوا فى ملافح القيظ وملاعب الرياح على مسمع من ضمير الانسانية ، ومرأى من عيون العالم المتمدن ؟

ولقد استيقظت الأمة العربية أخيرا على هذا الخطر الداهم والخطب الفادح ، وتنبهت لذلك العبث السادر بمقدسات العرب وحقوقهم ، بما تنفثه اسرائيل من سمومها فى نهر الأردن ، وما تبذله من حيلها فى استغلاله ، واستجابت لهذا الصوت العربى الأبى الذى انبعث من قلعة العروبة ، فالتقت على مستوى القمة فى مؤتمريها العظيمين اللذين بددا السحب القائمة ، وجمعا المشاعر على الخطب المشترك ، والهدف الموحد ، وارتفعا بالمسئولية الكبيرة على الجراح الصغيرة ، فانعقدت العزائم القوية الأبية على العمل الحازم الحاسم ، لاستنقاذ الوطن السليب ، والأخذ على يد العابث الأثيم .

واذا كنا قد استمعنا الى كثير مما فاض به الوجدان العربى الشاعر فى هذه المأساة الفاجعة ، وقرأنا كثيرا مما نبضت به أحاسيس الشعراء فى مختلف البلدان العربية ، فانه ليسعدنا أن نحدو قافلة الزحف المقدس بهذه الأنغام المثيرة ، التى انبعثت من وراء البحار فى أمريكا ، تهتف بها هناك حناجر عربية ، أفلتت من خلال القضبان ، وهربت من سجن الحكم العثمانى ، تنشد الحرية ، وتتلمس النور ، وتتحين الفرصة لمجابهة الظلم الفاشم ، ومناهضة الاستعمار البغيض .

ان شعراء المهجر قد ظلوا مشدودين الى وطنهم العربى برباط روحى وثيق ، يبكون آلامه ، ويعكسون آماله ، ويتجاوبون مع مشاعره ، ويعيشون فى قضاياه .

وهذه فلسطين كغيرها من أقطار العروبة، يحسون نكبتها ، ويستشعرون خطبها ومحنتها ويندبون بقوافيهم الباكية جراحها وآلامها ، ويتتبعون قضيتها منذ نبتت شجرتها الزقومية في عقل ذلك المعتوه الذى يجود من جيب غيره ، ويعطى ما لا يملك لمن لا يستحق ، كما يقول الشاعر القروى الثائر رشيد سليم الخورى :

الحق منك ومن وعودك أكبر
فاحسب حساب الحق يا متجبر
تعد الوعود وتقتضى انجازها
مهج العباد ، خسئت يا مستعمر
لو كنت من أهل المكارم لم تكن
من جيب غيرك محسنا يا (بلفر)

وهو الذى يقول فى تلك المحنة :

أبعد فلسطين يناح على فتى
وهل بقيت فى مقلة دمعة بعد ؟
ألا دمعة من لاجيء أستمدها
فابكيه بالبحر الذى جزره مد ؟

ويخاطب بريطانيا على لسان الثائر الفلسطينى :

يا مغريا بى عنكبوت دهائه
هلا غزلت بغير هذا المغزل
ان كنت يوما بالوعود مكرت بى
أنا غير عهدك بالزمان الأول
أغنانى الحق الذى أنا ربه
عن وقفة المتوسل المتسول
الأرض لى ، والدار لى ، والقول لى
والفعل لى، والسيف لى، والنصر لى

وفى هذه الانتفاضة الثائرة التى حقق أملها مؤتمر القمة ، يصيح الياس فرحات :

عليكم سلام الله يا آل يعرب
متى ينتهى مسعاكم المتنافر ؟
أليس لكم يا قوم بعد محمد
نبى لأصنام السياسة كاسر ؟
أما من فتى حر اذا هب للوغى
تهب البوادى خلفه والحواضر ؟

ويردد هذه الأمنية فى غيظ وحنق :

لو كان لى نفط الكويت جعلته
يمشى على جثث اليهود جنودا
ما أفقر المتمولين اذا همو
كسبوا بخسران البلاد نقودا

لقد تحققت أمنيته ، فها هى ذى الكويت تسهم مع اخوتها فى دعم جيش التحرير الفلسطينى ، ولا تضن بنفطها على فلسطين .

والياس هذا يرى فى (النقطة الرابعة) محاولة من أمريكا فى تعويض الأمة العربية عن نكبتها الفلسطينية . انها خدعة تفضحها (حكمة الأفعى) :

قالت الأفعى لأمريكا : اسمعى
ان تقليدك لى عين الشطط
أين منى أنت يا من سمها
بغية التمويه بالشهد اختلط
أنا لا يهتف بالسلم فمى
ويدى ترسم للحرب الخطط
أنا لا أنصر لصا ، ان من
ينصر اللص من اللص أحط
أنا لا أحمى جناة خانة
قذف الموج بهم من كل شط
خدعة ((سميتها رابعة))
كل أرقامك من هذا النمط
أنت فيك السم لا حصر له
وأنا السم بنابى فقط

ويخاطب ابناء فلسطين مستثيرا حمية العرب والمسلمين ، وما أحرى المسلمين فى بقاع الأرض أن ينهضوا لانقاذ فلسطين المسلمة التى ترتبط بها مشاعرهم ومقدساتهم، كما نهض العرب اليوم لاسترجاع فلسطين العربية :

أضحية الكذب المقنع والخيانة والرياء
أوت الذئاب الى مضاجعكم وأنتم فى العراء
أفتلبثون مشردين مصيركم بيد القضاء ؟
وعيونكم حيرى تفتش عن مفاتيح الرجاء
وقلوبكم ولهى مسعرة تفور بها الدماء
ان لم تعودوا للحمى الباكى وأنتم تهزجون
والحقد يزأر فى مقدمة الكتائب ، والمنون
فالعرب والاسلام فى الدنيا كزهر الزيزفون
والمسلمون أذلة تحت المقارع يرقصون

ويسهر ايليا أبو ماضى وقد ارقته هذه المأساة :

فخطب فلسطين خطب العلا
وما كان خطب العلا هينا
سهرنا له فكان السيوف
تحز بأكبادنا موهنا
وكيف يزور الكرى أعينا
ترى حولها للردى أعينا ؟

أما جورج صيدح فانه ينعى على الأخطاء التى قذفت باللاجئين الى هذا المصير :

بنو فلسطين قطعان مشردة
عن الحياة ملاك الموت راعيها
وكف صهيون بالأقداس عابثة
كأنما الله شىء ليس يعنيها
خطيئة العرب لا الأردن يغسلها
لا صبا بردى بالنشر يطويها
اقدارنا صنع أيدينا فما جرحت
الا بسهم وضعناه بايدينا

ومع احتدام المعركة كان صوته يدوى :

وطنى ماذا على النازح ان
ذكر القدس فصلى وسجد
رب أرض دنسوها ظمئت
لدم يصلح فيها ما فسد
قسما بالمسجدين ارتفعا
حيثما أسرى النبى المعتمد
ردهم ، لا ثبتت أقدامهم
قبل أن يقضى قضاء لا يرد

والياس قنصل ينفث هذه الشعلة الحارة الأرجنتين على اثر مذبحة دير ياسين :

طال اشفاقنا وأصبح عابا
من ترى جرأ اليهود الذئابا
فاترك اللين فالسياسة بطل
والذى فى القراب مل القرابا
ان سفك الدماء جرم ولكن
ان ذبحت اليهود تلق الثوابا
ومن الاثم زجهم فى قبور
ان أشلاءهم تشين الترابا

ويستثير الهمم فى وطنه المنكوب :

الى المجد سر واغنم أكاليل غاره
بهمة جبار له الخلد مأرب
وان بت مهضوم الحقوق ولم تثر
فلست بذى نفس الى الله تنسب
براها ورقاها لتغدو على الثرى
خليفته وهو العزيز المغلب

ويسخر زكى قنصل من « خرافة السلام » ويصور مأساة اللاجئين ، وأحلامه تبشر بصحوة العروبة ، وتتنبأ بوحدة الصف العربى فى مؤتمر اليوم :

لهفى على القدس انطوت اعلامه
وكبت بأشبال النضال خيول
مليون عان فى العراء تشردوا
لم يختلج لهوائهم مسئول
نصبوا على درب الرياح خيامهم

يذكى جراحهمو غد مجهول
ان يرقدوا فالذعر فى أحلامهم
واذا صحوا فالهول والترحيل
يا شائدين على الرذيلة دولة
للبطل يوم ضاحك ويزول
لا ترقصوا للنصر فهو بداية
ان الختام ندامة وعويل
صحت لعروبة من عميق سباتها
وتحفزت تحت البنود شبول

جمعتهم الجلى ووحد صفهم
ثار يزمجر فى الصدور جليل
يزهو صلاح الدين فى ابرادهم
ويجول فى أسيافهم ويصول
ارتئموا بالكيد ثورة حقدنا

ناب الكريم اذا استفز أكول

واخيرا يحلو لنا أن نردد مع الشاعر الكلاسيكى حسنى غراب نشيد الثقة والأمل والصبر ، وأن نستبشر مع فلسطين بالفرج المرتقب ، والنصر القريب ، فقد صحا العرب ، وهبت ليوث العرين ، تمهد طريق النصر لموكب العائدين :

صبرا فلسطين صبرا وارقبى فرجا
لا بد من عجب يأتى به رجب
والحرب آتية والسيف منتدب

لحل ما عجزت عن حله الكتب
فلينفقوا فى سبيل النصر ما كنزوا
من السبائك حتى ينفد الذهب
دون العرين أباة كالليوث لهم
بالسمر والبيض فى جد الوغى لعب
قوم اذاسئلوا أعراضهم بخلوا
بها ، وان سئلوا أرواحهم وهبوا

الحج بين حكمته وكيفيته

الأستاذ محمد محمد الشرقاوي

منذ ان دعا ابراهيم الخليل عليه السلام ربه فى أعماق التاريخ : « ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .. وافواج العرب تتوافد كل عام مرة لتعظيم البيت الحرام ، والتطواف حوله ، وازجاء المبرات والخيرات لساكنيه .. ولم تزل الكعبة منذ كانت أول بيت وضع للناس ـ محل تقديس واكبار ، وتوقير واعظام .. حتى أثارت مكانتها الدينية المرموقة حقد أبرهة قائد جيش الاحباش الذى ساق أمام جيشه فيلا .. ليهدم الكعبة ويصرف العرب عنها الى كنيسة بناها فى صنعاء باليمن .. ثم كانت هزيمته السماوية التى حكاها القرآن الكريم فى سورة الفيل .. حيث أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل .. فكان ذلك سببا فى دعم القداسة المتوارثة للكعبة .. حتى ان الرجل فى الجاهلية كان يلقى عندها قاتل أبيه فلا ينال منه منالا وفى ذلك يقول الله تعالى : « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » وفى آية أخرى : « فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

وقديما كان الحج الى الكعبة رمزا نفسيا لاستجماع الارواح كلها فى معنى واحد .. هو انسانيتها لا غير .. ففى أشهر الحج التى تبدأ ببداية شوال ، وتنتهى بنهاية العاشر من ذى الحجة ـ تبطل المنازعات ، وتحقن الدماء ، وتكبح الشهوات ويتلاقى الأعداء فى صور الأصدقاء ، وتفرض البقعة المباركة حرمتها على كل كائن حولها من انسان وحيوان ونبات ، كما تنشر أمنها على كل حاج يسعى اليها ، ويصبح الجميع وكأنهم أبناء رجل واحد لا يستشعرون الا الأخوة .. فى اطار الانسانية ، ولا يتحرك فى جنباتهم أى مشعر لنزوة بهيمية ، أو نزعة شيطانية ، لان النفوس فى ظلال البيت العتيق قد ثابت الى انسانيتها وآوت الى مثابتها وأمنها .. وهذا المعنى الأساسى للحج هو الذى ركز عليه الاسلام حين فرض الحج وجعل موسمه موصولا بموسم الصوم مباشرة .. ليكون امتدادا للتقويم الخلقى بعد تهذيبه بالصيام مع موافقته للاشهر الحرم « ذى القعدة وذى الحجة والمحرم » وهى فرصة السلام العام عند العرب .. وبذلك يتامن طريق الحج « يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام » .

والاسلام يستهدف من وراء الحج فوق ما تقدم .. انتزاع المسلم من اقليمه الخاص .. الذى درج فيه ، والتصق به ، واعداده للحركة العليا على الصعيد العام ، وتدريبه على مجاهدة العواطف البيئية التى تشده الى الأرض لتحقيق حكمة الحج فى المساواة بين الناس على اختلاف اجناسهم وتباين لغاتهم وألوانهم .. الامر الذى يستعصى قبوله على ذوى القلوب المتحجرة .. أمثال جبلة ابن الايهم الذى أسلم بعد تحرير الشام من الروم .. فلما ذهب ليطوف بالكعبة داس اعرابى وسط الزحام على طرف ثوبه .. فضربه جبلة .. فاختصما الى عمر .. الذى قال : « كتاب الله القصاص » ورد جبلة : أتسوى بين الامير والسوقة ؟

فقال عمر : « الاسلام سوى بينكما » فاستمهله جبلة .. الى أن هرب ، وتنصر ـ فالحج .. هو الاسلوب الواقعى لتجميع الامم فى هيئة متحدة ، ومجلس أمن مشترك ، وعصبة سلام .. لأن الانسانية كلها تندمج فى أيامه المعدودة بعضها فى بعض .. لا فرق بين أكبرها وأصغرها ، وأبيضها وأسودها . تاركة وراءها على حدود الحرم دنيا الناس .. بحيث لا يدخل الحرم من الانسان .. الا الانسان نفسه .

واذا كان الفيلسوف الفرنسى « جان جاك روسو » قد دعا فى وسائله التربوية الى الرجوع للطبيعة .. فان الحج بتنظيماته ومناسكه قد عاد بالناس الى طبيعتهم المجردة فى طبيعة جرداء .. مع طهر وأمن وايمان فى أسلوب غاية فى النظام والدقة .

ولعل وقوع الحج فى قلب الصحراء القاحلة .. ذات التقلبات الجوية القاسية مع دورة الفلك فى حوليات قمرية متنوعة الطقس يتناولها المحرور مرة ، والزمهرير أخرى .. مما يجعل الحاج متقمصا ثوب الرائد الكاشف .. الذى لا يعرف غير الواجب ، ويتسامى باخلاصه فوق اعتبارات الزمان والمكان .. فاذا كانت الحركة الكشفية العالمية تعنى الريادة .. فان الحج يحقق الريادة والعبادة فى وقت واحد ..

ان من يرى الحجيج فى عرفات ـ يوم الحج الاكبر ـ يرى الوحدة مجسمة فى أمة ـ يرى جماعة محددة المعالم، موحدة الهدف .. زيهم واحد ، ومنسكهم واحد .. تحدوهم فكرة وحدوية .. الى هدف أصيل .. يلبون بدعاء روحانى علوى .. معناه أكبر من مبناه .. ومغزاه أعمق من معناه .. فهم يعتنقون فكرة الهية .. ويعملون على تعميقها فى القلب ، وعرضها على الحياة .. فكرة الانسانية العابدة .. للمعبود الواحد .. امتزجت الالوان فى لون واحد .. هو الاسلام ، وتداخلت اللغات فى لغة واحدة هى لا اله الا الله محمد رسول الله ، وانتظمت الآمال فى سلك واحد هو الظفر برضا الله والفوز من عذاب النار .. كل هذا فى اطار من الشروط المفصلة ، والتعاليم المنظمة .. من أخل بها وقع تحت طائلة الاثم والجزاء ..

فالحج بهذا المنهاج .. تربية روحية .. عسكرية .. اجتماعية .. بأسلوب عملى نظامى .. لا نجد له فى أساليب التقويم الشامل مثيلا ..

ولو انصفت مراكز رعاية الشباب فى العالم الاسلامى لأرسلت بشبابها الى هذا المعسكر الالهى الجامع ليعيشوا تجربتهم .. ثم يعودوا مفعمين بالقيم الروحية الباقية فيكونوا مراكز للاشعاع الروحى فى محيطهم .. لا تخرج مثله الجامعات .

ولو انصفت الدول الاسلامية لاتخذت من هذا الموسم وتحت قبته الزرقاء الصافية مؤتمرا سياسيا واجتماعيا وثقافيا وعسكريا على مستوى القمم ثم تركز أعماله فى نشرات يعود بها المسلمون الى اوطانهم وهذا ما تشير له الآية الكريمة : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم »

ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات .. » فقوله تعالى « منافع » تركيز لكل ألوان الاعجاز البلاغى .. لأنها تفتح الباب لكل ما يعود على الاسلام والمسلمين بالخير .. ولكن نظرة المسلمين – مع الاسف – لا تمتد الى أكثر من النصف الثانى للآية الكريمة فحسبوا أن الحج ذكر الله فحسب .. ونسوا .. أو تناسوا .. أن قبل ذكر الله شهود منافع الناس .. ولذا فاننا لا زلنا فى انتظار الوقت الذى نجنى فيه ثمار هذا المؤتمر الاسلامى فى سائر القطاعات الدنيوية والدينية .

كيفية الحج

ساختار هنا نظام « التمتع » لانه أجمع للخير وأيسر للحاج .. على النحو الآتى :

أولا : عند الميقات – وهو رابغ لأهل مصر والشام وبلاد المغرب والسودان وكل من جاء عن طريق السويس والبحر الاحمر يتجرد المسافر من ثيابه ، ويغتسل أو يتوضأ والغسل أفضل ويلبس ثوبين أبيضين غير مخيطين « ازار ورداء »

ثانيا : يصلى ركعتين سنة الاحرام .. ثم يقول عقيبهما: اللهم انى نويت العمرة فيسرها لى وتقبلها منى » ويلبى بالكلمات المأثورة : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

ثالثا : يردد هذه التلبية فى كل أحواله الا فى الطواف وعند رمى الجمار فلا يلبى .

رابعا : يمتنع عن الطيب والادهان ولبس المخيط والحلق وقص الأظافر ، وستر الرأس ، والاحذية التى هى فوق مقدم القدم ، والجماع ، والقبلة واللمس بشهوة ، والتعرض للصيد بالاشارة له أو الدلالة عليه ، اقتناصه .. ولا يقطع شجر الحرم ولا عشبه .. ومن فعل شيئا مما تقدم بغير عذر فعليه ذبح شاة ولا يأكل منها والذبح هنا لا يتقيد بوقت ولكنه يتقيد بالحرم .. وان فعل شيئا مما تقدم لعذر فهو مخير بين ثلاثة : اما الذبح أو صوم ثلاثة أيام أو اطعام ستة مساكين كل مسكين ½ صاع من بر .

ما عدا الجماع .. فانه ان وقع فى الاحرام بالحج قبل عرفة فسد الحج .. وان وقع بعد عرفة وقبل الحلق أو التقصير صح الحج وعليه ذبح بدنه « وهى من الابل ما دخل فى السنة السادسة »

وان وقع بعد الحلق أو التقصير .. وقبل الطواف الافاضة فعليه شاة .

وأما الصيد فالواجب فيه قيمته يشترى بها ذبيحة أو طعام أو يصوم بعدد أنصاف الصيعان فى هذا الطعام اياما .

خامسا : يبدأ فى مكة بالطواف حول البيت مبتدئا من الحجر الاسود سبعة أشواط يرمل فى الثلاثة الأولى « والرمل هز الكتفين مع السرعة » ويتمهل فى الباقى وكلما مر بالحجر استلمه ان أمكن وكبر رافعا يديه والا أشار اليه .

سادسا : يصلى بعد الطواف ركعتين فى مقام ابراهيم ان تيسر والا ففى أى مكان بالمسجد .

سابعا : يصعد على الصفا مكبرا داعيا مستقبلا القبلة

ثامنا : يهبط سائرا الى المروة متمهلا الا بين الميلين الاخضرين فيسرع .. ثم يرجع الى الصفا وهكذا سبع مرات أولها الصفا وآخرها المروة .

تاسعا : يحلق ربع الرأس على الاقل .. أو يقصر من شعره قدر أنملة .. وبذا انتهت عمرته وحل من احرامه وجاز له كل المحظورات السالفة الذكر .

عاشرا : فى يوم ٨ من ذى الحجة يخلع ملابسه مرة ثانية فى منزله بمكة ويغتسل أو يتوضأ ويصلى ركعتين ويقول بعدهما : » اللهم انى نويت الحج فيسره لى وتقبله

الحادى عشر : يتوجه الى منى للمبيت بها فى طريقه الى عرفات .

الثانى عشر : فى يوم ٩ من ذى الحجة بعد طلوع الشمس يتوجه الى عرفات وفيها يصلى الظهر والعصر جمع تقديم كل منهما ركعتان فى جماعة بآذان واحد واقامتين ولا يفصل بينهما بنفل .

الثالث عشر : يبقى فى عرفات الى أن تغرب الشمس داعيا مستغفرا .

ينصرف ولا يقف .

الرابع عشر : بعد الغروب يتوجه الى المزدلفة ويصلى فيها المغرب والعشاء جمع تأخير فى وقت العشاء فى جماعة بآذان واحد واقامة واحدة ويبيت بها ويبقى عند المشعر الحرام وقتا بين طلوع الفجر وشروق الشمس داعيا مستغفرا .

الخامس عشر : فى الصباح الباكر يتوجه الى منى آخذا معه ٧٠ حصاة ويذهب الى جمرة العقبة وهى الكبرى فيرميها بسبع حصيات بعد طلوع الشمس وقبل الزوال مكبرا مع كل حصاة .. قاطعا التلبية مع أول حصاة ثم يلبى ، ويمتنع عن المحظورات الآنفة الذكر .

السادس عشر : يذبح دم التمتع وهو دم الشكر لله ويأكل منه ان شاء ويجوز هذا الذبح فى منى أو فى مكة كما يجوز تقديم هذا الذبح على يوم النحر سواء بعد الاحرام بالحج أو قبله بشرط التحلل من العمرة .

السابع عشر : يحلق أو يقصر وبعده يحل له كل المحظورات ما عدا النساء .

الثامن عشر : يذهب الى مكة فى نفس يوم ١٠ من ذى الحجة وهو أفضل ويجوز فى يوم ١١ أو ١٢ .. فيطوف طواف الافاضة وهو ركن فى الحج ، وان أخره عن هذه الأيام صح وعليه شاة وبعدها هذا الطواف يحل له النساء بالاضافة الى حل سائر المحظورات .

التاسع عشر : يعود ثانية الى منى ويقيم بها ليرمى فى ثانى أيام العيد الجمرات الثلاث كل جمرة بسبع حصيات ويكون الرمى فيما بين الظهر والمغرب ويجوز ليلا مع الكراهة ويقف عند كل جمرة ويدعو الا الكبرى فلا يقف بعدها .

العشرون : يفعل فى ثالث أيام العيد ما فعله فى ثانيه

الحادى والعشرون : ان شاء اقتصر فى الرمى على ذلك وارتحل الى مكة ، وان شاء بقى فى منى الى اليوم الرابع للعيد ويرمى الجمرات الثلاث اما قبل الزوال أو بعده .

الثانى والعشرون : فى الطريق الى مكة بعد انتهاء الرمى ينزل بمكان اسمه « المحصب » ساعة من نهار .

الثالث والعشرون : يدخل مكة ويطوف بالبيت طواف الوداع سبعة أشواط بلا رمل ولا سعى ويصلى بعد الطواف ركعتين وبذا يتم حجه على طريقة التمتع .. وميزتها الجمع بين العمرة والحج عملا بقوله تعالى « وأتموا الحج والعمرة لله » مع مراعاة اليسر فيما بين النسكين حيث انه سيبقى بينهما حلالا يتمتع بكل شىء حتى النساء وبذلك تقل أيام احرامه الى أدنى حد ممكن .

والمرأة فى كل ما تقدم كالرجل الا فى الأمور الآتية :

١ – لا تكشف المرأة رأسها وتكشف وجهها .

٢ – تلبس المرأة المخيطات كما تشاء والاحذية .

٣ – لا ترفع صوتها بالتلبية .

٤ – لا ترمل فى الطواف ، ولا تسرع فى السعى بين الصفا والمروة بل تمشى فى كل ذلك على هينتها .

٥ – لا تحلق رأسها ولكن تقصر ويكفى أن تأخذ من شعرها قدر أنملة على الأقل .

٦ – لا تزاحم الرجال فى استلام الحجر .

أبو الدرداء

الأستاذ عبد المقصود حبيب

كان من ديدن العرب قبل الاسلام أن يحتكموا في خصوماتهم الى رجال منهم – بمثابة الحكام بينهم – يعرفون فيهم أصالة الرأى وكثرة التجارب .

ولما جاء الاسلام وانتشر فى شبه الجزيرة فى حياة الرسول عهد الى رجال من صحابته بالقضاء بين الناس فى الاقاليم البعيدة عن مجالس الرسول .

وجاء أبو بكر .. فاتبع نفس النظام .

ولكن لما جاء عمر بن الخطاب على ولاية المسلمين اتسعت الدولة وأصبح – مع التوسع المطرد – من المتعذر على الخليفة أو على ممثله فى الاقطار أن يجلس للفصل بين الناس فى نزاعاتهم بجانب أعماله الاخرى التى تقتضيها ولايته الحقة .

لذلك رأى عمر أن يتولى هذا الأمر رجال يقتصرون عليه ولا يدخل فى اختصاصهم أى عمل غيره . وكان هذا أول وضع للقضاء بمعناه الصحيح .. بناء على الدستور الذى وضعه له أمير المؤمنين « فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا تقاوله . آس بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك .. البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين الناس الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا »

وكان أول من تولى هذا المنصب الصحابى « أبو الدرداء » تولى قضاء المدينة .. وهو من المدينة .. من الخزرج .

عرفت عنه الحكمة وسلامة التفكير .. لذلك ارتقب النبى عليه الصلاة والسلام اسلامه فى شوق له وحرص عليه فقد وعده الله بذلك قال الرسول « ان الله وعدنى اسلام أبى الدرداء فاسلم »

جاء اسلامه فى العام الثانى للهجرة .

وكان قبل اسلامه – مثل جميع (رجالات) العرب – يعمل فى التجارة يتمتع بالذكاء والفطنة وبالحكمة والتعقل والامعان فى الشىء قبل الدخول اليه أو التماسه .. كما كان جنديا بمعنى الكلمة فيه كل صفات المحاربين العرب من شجاعة واقدام وفروسية وجلد وتفنن فى اكتساب النصر .

ولحكمته .. آمن بالاسلام مقتنعا فملأ الايمان شغافه وسيطر على كيانه ونقله من حاله الى حال آخر من النورانية .. من عالم المادة الى عالم الروح .. تغلغلت فى نفسه تعاليم الاسلام وتعلق بالرسول الكريم .. فترك تجارته وتفرغ للعبادة حيث تعذر عليه الجمع بينهما ، وهو عن ذلك يقول « كنت تاجرا قبل البعث فلما جاء الاسلام جمعت التجارة والعبادة فلم يجتمعا فتركت التجارة ولزمت العبادة » .

ولم يكن ذلك بمستكثر على أبى الدرداء فقد نزلت فيه آية كريمة .

روى أن رجلا قال له :

– يا معشر القراء .. ما بالكم أجبن منا وأبخل اذا سئلتم وأعظم لقما اذا أكلتم ؟.

وقابل أبو الدرداء هذا التجنى والسفه فى القول .. بكرمه وحلمه لم يرد الاساءة لمن أساء اليه بل أعرض عنه فى خلق عظيم .

وعلم عمر بن الخطاب بذلك فامسك بالرجل .. وأمام الرسول عليه الصلاة والسلام اخذ الرجل المسىء يعتذر عما بدر منه ويطلب العفو بحجة أنه كان مازحا مع أبى الدرداء .

ونزل الوحى بعد ذلك على الرسول الأمين « ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب »

وشهد له أصحاب الرأى بالحكمة والتعقل والفضل والعلم .. والتفقه بالدين والنقد السليم والايثار بالحق والعدل .. وأولهم رسول الله . قال فيه عليه الصلاة والسلام « عويمر – أبو الدرداء – حكيم أمتى » .

وقال عمر بن الخطاب .

– حدثونا عن العاقلين

قيل له

– من العاقلان ؟

قال :

معاذ بن جبل وأبو الدرداء

ومعاذ بن جبل هذا احد فقهاء الدين الذين أوفدهم عمر بن الخطاب من الحجاز الى الشام ليعلموا الناس القرآن وأصول الدين وقال عن أبى الدرداء وهو ينصح صحابه حين حضرته الوفاة :

– التمسوا العلم عند أربعة :

وأول هؤلاء الاربعة « أبو الدرداء »

وكان ورعا غاية الورع يخشى أن يخدش دينه ويخشى أن يشك فى نفسه ميلا عن تعاليم الاسلام .. فقال فى التعبد .

جاءه « سلمان » وهو من آخى الرسول بينه وبين أبى الدرداء بعد الهجرة – يوما ليزوره فوجد أم الدرداء غاضبة فقال لها :

ما بك ؟

قالت :

– ان أخاك يقوم الليل ويصوم النهار وليس له فى شىء من الدنيا حاجة .

فبقى سلمان فى الدار الى أن عاد أبو الدرداء .. وامتد سماط الطعام ولم يأكل أبو الدرداء فسأله سلمان فقال له :

– انى صائم

فظل معه حتى أفطر .. ثم بات عنده ومنعه من القيام للصلاة والعبادة طول الليل وقال له :

– ان لربك عز وجل عليك حقا ولاهلك عليك حقا ولجسدك عليك حقا .. اعط كل ذى حق حقه صم وافطر وقم ونم وآت أهلك .

ولما جاء الفجر قاما وتوضآ وخرجا للصلاة .. وبعد الصلاة توجه أبو الدرداء الى الرسول الكريم يخبره بما حدث من سلمان .

فقال الرسول :

ـ يا أبا الدرداء ان لجسدك عليك حقا مثل ما قال لك سلمان .

هذا الايمان العميق .. وهذا الامتلاء بالعقيدة .. دفع أبا الدرداء الى الدفاع عن دينه بكل ما يملك وقد أوردت المصادر أنه كان فى الصفوف الاولى يوم أحد .. وأمره الرسول عليه الصلاة والسلام أن يرد من كانوا على الجبل فردهم وحده وأبلى فى هذا اليوم بلاء حسنا .

ورآه الرسول وهو يجرى وراء الأعداء وقد فل سلاحهم فهم يفرون أمامه بالهزيمة فقال « نعم الفارس عويمر غير آفة » .

ولما جاء عمر بن الخطاب واتسعت رقعة الدولة العربية وكثرت المسئوليات على الخليفة وولاته فى الأمصار .. رأى أن يتخصص قاضى للحكم بين الناس .. فكان أبو الدرداء أول من وقع عليه الاختيار ليعين قاضيا بالمدينة.

« ولم يكن هذا الاختيار اعتباطا فقد كان عمر نقادة يعرف قيم الرجال وقد عرف فى أبى الدرداء فضله وعلمه وتفقهه فى الدين والمامه بدقائقه وخشيته لله وايثاره الحق والعدل »

ترى كيف كان أبو الدرداء فى هذا المنصب ؟

اذا نظرنا الى فقرات من دستور القضاء الذى رسمه عمر لأبى موسى الاشعرى الذى عينه قاضيا بالكوفة « لا يمنعك قضاء قضيته بالامس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق لا يبطله شىء واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم .. الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة واعرف الأشياء والأمثال ثم قس الامور عند ذلك ثم اعمد لأحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى » .

واذا قارنا هذا بما سار عليه ابو الدرداء فى منصبه وجدناه لا يخرج عنه فهو كان يلتزم جانب الحرص بل والحرص الشديد فى نظر ما يعرض عليه من قضايا الناس فيحقق ويدقق حتى لا يضيع الحق من صاحبه وحتى لا يتمتع المذنب بالفرار من العقوبة .

وكان دائم التفكير فى قضاياه .. لا ينتهى منها بمجرد أن يحكم فيها ولكنه يعيد التفكير فيها مرة بعد مرة حتى يقطع الشك باليقين ويطمئن تمام الاطمئنان بأن حكمه عدل لا ظلم فيه ولا خطأ .

وجاء فى المصادر « كان ابو الدرداء اذا قضى بين اثنين ثم ادبرا عنه نظر اليهما فقال : ارجعا الى ، أعيدا على قضيتكما »

وما ذلك الا ليستوثق من صدق ما سبق أن سمعه منهما .

ومن ابرز صفاته كقاض المعاملة بالرفق .. رفق الذى يعرف تركيب النفس البشرية .. رفق الذى يلتمس العذر للناس فليس فيهم من هو معصم يأويه من الذلل ويمنعه من ارتكاب الخطأ .

ويقول :

ـ لا تكلفوا الناس ما لم يكلفوا ولا تحاسبوا الناس دون ربهم . ابن آدم عليك نفسك فان من تتبع ما يرى فى الناس بطل حزنه ولا يشف غيظه .

ومن دعائم قضائه عدم رد الخطأ بالقسوة على طول الخط فهناك من يستقيم أمره بالنصح والتحذير والتبصير بما اوقعه فيما يؤاخذ عليه .

وفى هذا روى أنه مر على قوم يسبون رجلا اقترف ذنبا .

فقال لهم :

ـ أرأيتم لو وجدتموه فى قليب ألم تكونوا مستخرجيه

قالوا :

ـ نعم .

قال :

ـ فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذى عافاكم

قالوا :

ـ أفلا تبغضه .

قال :

ـ انما أبغض عمله فاذا تركه فهو أخى .

وكما شارك أبو الدرداء فى ارساء قواعد العدل بين المسلمين وكما شارك بسيفه فى أحد .. شارك أيضا فى الفتوحات الاسلامية الواسعة .

فلما توجه جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص لفتح مصر كان أبو الدرداء أحد كبار القواد والصحابة فيه .. وحاز نصيبا من فتح الاسكندرية ثم عاد الى الشام ليعين قاضيا فى دمشق وليشارك فى سنة ٢٨ هجرية فى فتح قبرص مع معاوية بن أبى سفيان وعدد من الصحابة .

ونقف عند انسانيته العظيمة التى هزتها ذلة الهزيمة على وجوه الاسرى من أهل قبرص وهى فى أحسن ساعات الانتصار لدين الله ـ أحب شىء اليه .. ويصور ابن جبير هذه الانسانية الرائعة بقوله « لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم الى بعض ورأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكى .

فقلت :

ـ يا أبا الدرداء .. ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله .

فقال :

ـ ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله اذا هم تركوا أمره .

بينا هى أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا الى ما ترى »

وعاد الى دمشق بعد فتح قبرص ليعيش عالما زاهدا رب حكمة وصاحب كلمة يدعو الناس الى الحلال والسعى وراء الطيب من الرزق والى التسامح والعفو عند المقدرة .

وكانت له ابنة على درجة عالية من الجمال والذكاء اسمها « الدرداء » وهى من كنى بها هو وزوجته « أم الدرداء » .

سعى اليه يزيد بن معاوية ليتزوجها فرفض .. وقبل أن يتزوجها واحد من عامة الناس .

ولما سئل عن ذلك قال :

ـ انى نظرت للدرداء ... ما ظنكم بها اذا قامت على رأسها الخصيان ونظرت فى بيوت يلتمع فيها بصرها ؟ أين دينها منها يومئذ ؟

رضى الله عنه .. كان ذا مبدأ وعقيدة .. حريصا عليهما عند كل الناس .. وظل كذلك نبراسا للخير والهدى والاقتداء الحسن وضوءا مشعا للمثل العليا فى أسمى مواقفها . الى أن مات .

ومن المفارقات اللطيفة أن قالت زوجته التى عاشرته وعاشت مدة بعد موته :

ـ اللهم ان أبا الدرداء خطبنى فتزوجنى فى الدنيا . اللهم فانا أخطبه اليك واسألك أن تزوجنيه فى الجنة .

فقال لها أبو الدرداء .

ـ فان أردت ذلك فكنت أنا الاول فلا تتزوجى بعدى وكان ... فقد توفى هو قبلها وكانت لا تزال على حسنها وجمالها وذكائها مما دفع معاوية الى أن يخطبها لنفسه .. ولكنها اعتذرت والوفاء لأبى الدرداء يملأ اعطافها .. وقالت

ـ لا والله لا أتزوج زوجا فى الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء ان شاء الله فى الجنة .

أساس البناء

الأستاذ أنور الجندي

عندما تطلعت الامة الى فجر اليقظة كانت تحمل أملين كبيرين الاول بناؤها من جديد واعطاؤها قوة الحركة والاندفاع فى مجال الحضارة حتى تصل الى مستوى الأمم الراقية (الثانى) بناء شبابها على نحو يمكنه من حمل أمانة النهضة والقدرة على مواجهة كل التحديات .

ذلك أن النفوذ الأجنبى الذى سيطر على هذه المنطقة انما كان يهدف الى جعل هذه الأمة تابعة لأسواق الغرب ومصانعه واقتصادياته ، ولما كان ذلك عسيرا بالدرجة الاولى لما تملك هذه الأمة من مقومات فكر وشخصية وتاريخ وتراث ، فقد كانت حملته الكبرى موجهة نحو القضاء على هذا الكيان والتشكيك فيه واذابته وتمييعه ، واحلال قيم جديدة غريبة فى مكان قيمه الأساسية .

ولقد كانت هذه الأمة بمقوماتها قادرة على صد كل عدوان ، والدفاع عن نفسها ضد كل مغير ، لا تقبل ابدا السيطرة أو العبودية ، فقد اعطتها « قيمتها » الأصلية معينا نابضا بالحيوية من الحرية والقوة والكرامة . كما منحتها كل هذه المقومات القدرة على الحركة فى حيوية مكنتها دائما من تقبل الجديد ، فلم تقف يوما موقف الجمود ازاء التطور ، ولم تتخذ موقف التخلف أمام الفكر الانسانى الوافد من الشرق اوالغرب بل كانت لها القدرة على مواجهة هذا الفكر ، وتقويمه ، وامتصاص ما يزيدها قوة على الحياة والحركة دون ان تكون مستوردة أو تابعة .

ولقد كانت دائما تأخذ مكانها فى الصدارة والقيادة وتستمر فيه ما حافظت على مقوماتها الأساسية ، هذه المقومات التى مزجت فى دقة وقوة بين : الروح والمادة والعلم والدين ، والعقل والوجدان . وكان هذا طابعها الواضح الذى يعطيها « ملامح شخصيتها » المتميزة عن غيرها ، فاذا ما تخلت عن مقوماتها الأساسية واجهت الأزمة والتجمد والانهيار .

ومن هنا كانت مؤامرة « التغريب » التى فرضها النفوذ الأجنبى على هذه الأمة من أجل القضاء على مقوماتها ، هذه المقومات التى تحمى الامة من الموت أو الانسحاق أو التبعية ، فلقد كان الغرب يصر دائما على ان هذه الأمة لا تستطيع أن تصبح فى مصاف الدول الراقية الا اذا أخذت « حضارة الغرب » وكان الغرب حريصا على ألا يعطيها هذه الحضارة الا مرتبطة بثقافته وفكره ومفاهيمه . وكان يظن ان الحضارة ملتزمة لنا بفكرها وثقافتها . وان على الأمة أن تأخذ قيم الغرب فى الفكر حتى تعد نفسها لحضارته .

غير ان هـذه الأمة كانت مؤمنـة أساسا بان « الحضارة » ليست ملكا للغرب وحده ، وانما هى ملك للانسانية كلها ، وقد شاركت فيها من قبل وبنت فى كيانها حائطا عريضا ، بل ان جذور هذه الحضارة كانت من صنعنا ، وان دورنا فى انشائها كان كبيرا ، فضلا عن انها ليست حضارة الغرب وحده ، بل هى عصارة الثقافات والحضارات التى صنعتها مصر وبابل واشور ويونان والرومان والعرب والمسلمون جميعا .

وان هذه الحضارة باعتبارها : تلك النهضة العلمية فى مجال التكنولوجيا والآلة والكشف والصناعة والذرة فانها تستطيع أن تنتقل من مكان الى مكان دون ان يترتب على ذلك استيراد المذاهب والنظريات والمقومات الفكرية وان لكل « أمة » فكرها ومفـاهيمها وقيمها ومقوماتها الأساسية التى تستطيع بها ان تصنع نهضتها وتقيم عليها بناء حضارتها .

وقد فعلت ذلك اليـابان من قبـل وكذلك فعلت الهند .

كان هذا الفهم القائم فى ضمير امتنا فى مطالع اليقظة وفجرها ، وكان ذلك تماما هـو المعنى الحى القائم فى روح فكرها ، هذا الفـكر القائم على ذلك المزيج المتسق من الروح والمادة والعلم والدين والعقـل والوجدان ، وكان هذا هو التحـدى الأول ليقظتنا ، تحدى النفوذ الغربى الذى كان حريصا فى العمـل للقضاء على هذه القاعدة الأساسية لأمتنا .

وقد استطعنا بناء الحضارة الجديدة على المقومات الأساسية لفكر الأمة وروحها ، وبذلك حطمنا النظرية الكاذبة التى عاشت عـلى أقلام دعـاة « التغريب » سنوات وسنوات من ان استيراد الحضـارة لابد أن يمتزج به استيراد الفكر والثقافة .

ونحن نرى اليوم اننا قد أصبحنا فى مجال النهضة العملية والصناعية وفى مجال الآلة والكشف والصناعة والذرة وبناء الصواريخ التى تسبق سرعة الصوت على قدم المساواة مع الحضارة الغربية ، ومع ذلك فقد أقمنا ذلك البناء الحضارى على مقومات « فكرنا العـربى الاسلامى » الواضحة المعالم . ودون ان نستبدل قيمنا الروحية والفكرية والاجتماعية بقيم الغرب .

وهذه هى معجزة مقوماتنا القادرة على ان تاخـذ « الحضارة » فى أغلى درجاتها ، ثم تبنى حياتهـا عـلى أساس قاعدة عريضة من فكرنا وقيمه .

وقد حقق هذا تحررنا من « العقـد » النفسية ، فلقد كنا ننظر الى الغرب نظرة الاكبار ، وننظـر الى أنفسنا نظرة القلة ، وكنا نجرى وراء الغرب نقلده فى سذاجة على قاعدة ابن خلدون التى تقـول « ان المغلوب مولع بتقليد الغالب » أما اليوم فقد انحلت هـذه العقدة ، فقد أخذنا « الحضارة »واصبحنا نقف فيهـا على نفس المستوى الذى تقف فيه الأمم المتحضرة . ولم يعد هناك سبيل لذلك الاحساس بالقصور الذى كـان يدفعنا الى « التقليد » ، ولنا من مقومات فكرنا فيض غزير من « القيم » التى تنشىء الاجيال وتصنع الرجال وتبنى القيادات فى مختلف المجالات .

وليس معنى هذا اننا وقد بلغنا مكان الأمم المتحضرة ان نغلق فكرنا ، فما كان ذلك شاننا ابدا خلال تاريخنـا الطويل الخصب ، بل كنا دائما ، ناخذ ونعطى ، بفكر مفتوح ، قادر على أن يواجه فى ظل قاعدته الاصيلة ومقوماته الأساسية ، كل فكر ، فياخذ منه ما يزيده قوة وحياة ، ويمده بالقدرة على الحركة والتطور .

وبذلك تبدو الصورة واضحة « أمة تبنى على أساس من قيمها ومقوماتها » لتكون منارا عاليا يعـلو فيه من جديد صوت الشرق واسمه ، ومن هنا كانت المرحـلة القادمة من البناء غاية فى الأهمية .

تلك هى بناء « الانسان » الذى يعطى هذه النهضة « قوة الاستمرار » وقوة الروح ، الانسان الذى سيحمى هذه الحضارة . ولطالما كان بنـاء « الانسان » هو الصعب العسير ، هذا الجيل الجديد ، سيكون احوج بالدرجة الأولى الى مفاهيم امته وقيمها الروحيـة والفكرية والاجتماعية لتكون أساسا وقاعدته لنظرته الى الأمور ، وتقويم المذاهب والنظريات ، حتى لا يـكون مستوردا أو تابعـا ، أو ضـائعا فى متاهات الرؤى والطوبيات ، فهو اذا عرف قدر ميراثه وتراثه وقيمه أحس بكرامته ، وعرف أثره فى بناء الحضارة ، وتطوير الانسانية ، فلا يعتوره الشعور بالنقص ولا القصـور ، ولا يجده مضطرا لأن يندفع وراء بريق الفكر الوافد من الشرق أو الغرب ، الذى لن تغلق أمامه الابواب ، وسيظل بين ايدينا ناخذ منه وندع ، حسب حاجتنـا ووفق مفاهيمنا ، وعلى ضوء ملامح شخصيتنا الأصيلة ، ان بناء « الانسان » سيعطى هذه النهضة قوتهـا على البقاء والاستمرار ، هذا الجيل الجديد الذى سيحمل على اكتافه أمانة الحضارة الجديدة ، لابد ان يتكون على قاعدة ضخمة عالية من الايمان بالله ووطنه وأمته وقيمه ، مفطوما عن الشهوات ، محررا من المفاهيم الخاطئة ، مبرأ من شبهات الفكر وشكوك العقيدة ، طامحا مؤمنا .

ان المقومات الأساسية التى اتخذناها قاعدة لبنـاء امتنا ، ستكون نفس المقومات التى تكون قاعدة بنـاء الانسان ، وان شباب هذه الأمة فى ظل مفاهيم فكرنا العربى الاسلامى ، ستحرره من « أزمة الفكر » كمـا حررت الوطن من « ازمة الحضارة » سيجد من مفاهيمه الأساسية ما يهديه الى بناء كيانه قويا حيا قادرا على حمل الأمانة وحماية النهضة . سيتحرر هذا الشباب من الانحلال والترف والمادية ويسترد ثقته بالقيم الفكرية والروحية والاجتماعية .

بل هو الإسلام الذي أرسى كل هذه القواعد

الأستاذ إسماعيل كشميري

بينا فى مقالينا السابقين كيف وضع الاسلام منذ مئات السنين قواعد المجتمع الصالح وكيف انه بين للبشرية الطريق القويم الذى يجب ان تسير عليه حتى تصل الى هدفها المنشود .

وقد قلنا فى هذين المقالين ان المبادىء العليا والمثل القيمة التى اهتدى اليها العالم اليوم بعد دراسة لجميع عصور التاريخ ومختلف الحضارات والمدنيات التى ازدهرت على ظهر الأرض وهدف منها الى تحسين حال المجتمع والدولة والعالم ونظم بها علاقات الافراد بالأفراد والافراد بالجماعات والجماعات بالدولة والدولة ببقية دول الأرض ، قلنا ان هذه المبادىء السامية – وهى سامية بلا شك – جاء بها الاسلام منذ أقدم العصور الأمر الذى جعل من هذا الدين دينا صالحا لكل زمان وكل مكان .

واذا كانت دعوى المدعين ان هـذا الدين ظهر فى صحراء العرب حيث لا ثقافة ولا مدنية ونزل فى أناس أجلاف لم يكن لهم اتصال بأى جزء آخر من العالم الأمر الذى يتنافى معه تمشى هذه المبادىء مع مقتضيات العصر الحديث ، فان هذا الادعاء مردود عليهم ، وهو يؤيد تمام التأييد ما ذهب اليـه العلماء والمثقفون والمنصفون من ان الاسلام الذى ظهر فى هذه البقاع وبين هؤلاء الأجلاف انما تضمن اسمى المبادىء التى تنظم حياة الانسان سواء بوصفه فردا فى مجتمع أو بوصفه مجتمعا فى دولة أو دولـة تؤلف جزءا من الأرض .

وهذا الكلام الذى نقـول ليس كلاما نلقيه على عواهنه ، بل هو كلام يؤيده الواقع والحق . وكـله مذكور فى الكتاب الكريم بصورة لا تقبل الشـك ولا المواربة .

والحق ان القرآن الكريم لم يخل من مبدأ ولانصيحة تصلح لمختلف العصور ومختلف البيئات . وقد ذكرنا فى المقالين السابقين طرفا من هذه المبادىء والأصول التى احتواها الكتاب الكريم وقارناها بما جاء فى ميثاق حقوق الانسان الذى يعتز به العالم اليوم ويفخر .

واليوم نعرض لجانب آخر من هذه الجوانب .

يحاول العالم اليوم ان يزيل التمييز العنصرى من جوانبه وأن يحمى طوائف الاقلية التى تعيش بين أغلبية تخالفها فى العقيدة والدين . وقد سبق القرآن الكريم الى هذا وبين ان الناس سواسية لا يفضل احدهم على الآخر الا بالتقوى .

تقول الفقرة الثانية من ديباجة الاعلان العام لميثاق حقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ ما يلى :

« ان عدم رعاية حقوق الانسان والاستهتار بها امر يؤدى الى اعمـال وحشية لا يرضى عنها ضـمير الانسان . والواجب أن يكون هناك عالم يستطيع الانسان ان يعيش فيه حرا ويتمتع فيه بحرية الكلام وحـرية العقيدة ويتحرر من الخوف والحاجة . وهذه الأهداف هى أسمى ما يصبو اليه الانسان » .

وتقول المادة الثانية من ميثاق حقوق الانسان :

« لكل فرد ان يتمتع بكل حقوقه وحرياته التى ينص عليها هذا الميثاق بدون تمييز سواء من جهة الجنس او اللون او العنصر أو اللغة أو الدين او المعتقد السياسى أو غيره أو الاصل الوطنى أو الاجتماعى أو من جهة التمييز بالنسبة لمقدار ما يمتلكه الفرد أو محل ميلاده أو غير ذلك من الأمور » .

والقرآن الكريم – الذى نزل قبل ميثاق حقوق الانسان بمئات السنين – يتضمن كل المبادىءوالنصوص

التى تكفل للانسان حقوقه فيما يتعلق بالاحتفاظ بحياته وممتلكاته ودينه ثم احتفاظه بمعتقده وحريته فى التعبير عن رأيه . أما التمييز بين الناس من حيث اللون والجنس واللغة والثروة والحسب والنسب فهذا أمر يحرمه القرآن ويبين بغضه له . وكيف يتسنى للاسلام ان يقبل مثل هذا التمييز وهو يصف الانسان بانه (اشرف المخلوقات) وانه (خليفة الله فى ارضه) والقرآن الكريم يسوى بين الناس كافة بلا تمييز . يقول الله عز وجل :

(يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

وفى حين يسوى القرآن الكريم بين الناس يكفل لكل منهم حقوقه فى الثقافة ونصيبه فى التعليم كما يحميه من الاستغلال ويمنحه حرية اعتناق الدين الذى يريد . والقرآن يكفل كذلك حق الانسان فى الملكية . ولغير المسلم فى الدولة الاسلامية حقوق مرعية ، فللذميين ولغير المسلمين حقوق معينة متساوية . وفى الحديث الشريف :

(الناس كلهم سواسية) .

والاسلام يبيح لغير المسلمين الذين يعيشون فى كنفه ان يعيشوا حياتهم التى يريدون وان يمارسوا عباداتهم دون تدخل من جانب الدولة . واكثر من هذا فان الاسلام يعطى غير المسلمين الذين يعيشون داخل حدوده الحق فى تعليم اولادهم العلوم التى يختارونها لهم وان يتصرفوا فى أحوالهم الشخصية حسب قوانينهم وتعليماتهم . وبديهى ان حياة غير المسلم وممتلكاته وعرضه تكفلها الدولة .

والاسلام لم يضع هذه القواعد السامية ليتبعها المسلم داخل اطار الدولة الاسلامية وحسب ، بل انه يطالب المسلم بان يراعيها حق المراعاة خارج هذا الاطار أيضا . يقول القرآن الكريم : (يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط . ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى) ويقول : (لا تظلمون ولا تظلمون) . وفى الحديث الشريف : (ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء) .

على ان الاسلام وصل الى ارقى ما يصل اليه دين وبشر بمبدأ هو أسمى ما يصبو اليه اى مجتمع على وجه الأرض ، فهو يأمر باعطاء الزكاة والصدقة الى كل محتاج بصرف النظر عن دينه من كتاب الخراج لأبى يوسف وهو يبيح اعطاءها حتى لليهود والنصرانى .

من هذا يتبين ان الاسلام يبشر بالاخوة ولا يقبل التمييز . وفى حين تمارس اكبر الدول الديمقراطية فى العالم اليوم التمييز العنصرى وتعامل الزنجى فيها معاملة بعيدة عن الانسانية ، يعين النبى محمد عليه صلوات الله وسلامه - منذ اقدم العصور - رجلا أسود اللون ليؤذن للصلاة فى مسجده .

ويؤمر زنجيا آخر على راس جيش يتضمن رجالا من اشرف القبائل واعزها فى البلاد .

ولم يكتف الاسلام بتبيان ذلك وحسب ، بل انه يقرر ان لغير المسلم الذى يلجأ الى دولة اسلامية بينها وبين دولة هذا الرجل عداء وحرب ، له ان يعود الى بلده آمنا مطمئنا . ليس هذا وحسب ، بل ان له ان ياخذ معه كل ممتلكاته أيضا .

وقد يقول بعض الجهلاء ان الشريعة الاسلامية تميز بين الرعية - المسلم وغير المسلم - ، ولكنا نرد عليهم بان هذا التمييز لا يعنى تمييزا فى المعاملة ولا فى حقه فى الحياة ، بل هو على العكس من ذلك ميزات يتمتع بها غير المسلم فى الدولة الاسلامية ، ففى حين يقتضى على المسلم ان يزكى عن امواله ، فان غير المسلم غير ملتزم بان يدفع شيئا . واذا كان للمسلم ان يجند فى جيش بلاده ، فان غير المسلمين لم يكونوا مطالبين بذلك من (تاريخ الطبرى الجزء الأول) . واكثر من هذا فانه كان لغير المسلم ان يتقاضى أمام قضاة من دينه وملته . وكانت ممتلكاتهم فى حماية الدولة . ولم يكن عليهم مقابل ذلك الا ان يدفعوا مبالغ زهيدة للدولة تتراوح بين ١٢ و ٤٨ درهما فى السنة .

وفى الطبرى ان الجزية لم تكن تجمع فى الدولة الاسلامية الا من الذكور وكانت النساء والأطفال معفين منها . وكانت الجزية تتدرج فى نسبتها ، ففى حين كان يؤخذ من الغنى ٤٨ درهما فى السنة كان يؤخذ من الرجل المتوسط الحال ٢٤ درهما وممن كان يعمل بيديه ليعيش - كالفلاح - ١٢ درهما . واذا كان من المتعذر عليهم ان يدفعوا هذه الجزية نقدا فقد كان مسموحا لهم ان يقدموا بدلها اشياء بقيمتها . وكان المحتاج من غير المسلمين معفى من الجزية ، وكذلك المريض والعاجز والراهب ومسلوب العقل .

ويقول الطبرى أيضا ان غير المسلم اذا انخرط فى جيش المسلمين بارادته ورغبته فانه كان يعفى من دفع الجزية . وقد ضمن هذا المبدأ كثير من المعاهدات منها معاهدة (جرجان) .

وكان الخلفاء يامرون الناس بالا يتعرضوا لاموال غير المسلمين فى البلاد التى يغزونها . واذا ما قتل احد المسلمين ذميا فان القاتل يقتل ، واذا ما اغتصب من غير المسلم ارضه وممتلكاته فانه كان يحصل على تعويض مناسب . وكان الذميون يستشارون فى فرض الجزية عليهم وكان يطلب اليهم الحلف بان فرض هذه الجزية لا يضرهم ولا يضر مصلحتهم . وكان للذمى ان يمتنع عن أداء الجزية للدولة اذا احس منها تهاونا فى حمايته فى أى ناحية من نواحى الحياة .

واذا انتقلنا من هذه الناحية لناحية حقوق المرأة والطفل فانا نرى نفس الشىء ونفس المعاملة .

يقول ميثاق حقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ ما يلى :

المادة ١٦ : « لكل رجل بالغ ولكل امرأة بالغة - بصرف النظر عن الجنس او الجنسية او الدين - الحق فى ان يتزوج وان يكون أسرة . ولا يتم الزواج الا برضا الطرفين » .

وفى ٢٠ نوفمبر ١٩٥٩ أعلنت الأمم المتحدة ميثاقا لحقوق الطفل قالت فيه انه اسمى ما وصل اليه التشريع فيما يختص بحماية الطفل الصغير . وفى المبادىء العشرة التى تضمنها هذا الميثاق حاول واضعوه ان يشرحوا آخر ما وصل اليهم علمهم من منح الطفل الحماية الخاصة والفرص المواتية التى تساعده على الحياة بصورة سليمة عادية بحرية وكرامة . وقد تضمن الميثاق أيضا وجوب معاملة الطفل معاملة حسنة طيبة وتسهيل حصوله على التعليم والعناية به اذا ما اصيب بمرض أو عاهة وان يحمى من الاهمال والقسوة والاستغلال .

وكلنا يعرف ان المراة قبل الاسلام لم تكن تعامل معاملة الانسان ، فهى لم يكن لها حق الانتساب الى مجتمعها ، بل كانت تواد ساعة ان تولد . وما ان جاء الاسلام حتى حرر المراة من هذه القيود المميتة واباح لها حقوقا متساوية مع حقوق الرجل سواء من ناحية الواجبات او من ناحية المميزات . وحين يسوى الاسلام بين الرجل والمراة فى هذا العالم ، يسوى بينهما كذلك فى العالم الآخر ، فكل من المراة والرجل سيحاسب على اعماله سواء بسواء . وللمراة فى الاسلام ان تعمل لترتزق ولها ان تحتل أى وظيفة يعمل فى مثلها اى رجل.

اما حقوق المراة عامة فقد كفلها الاسلام فيما يلى :

١ - حرم الاسلام قتل البنات . يقول القرآن الكريم : (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق . نحن نرزقهم واياكم . ان قتلهم كان خطا كبيرا) ويقول : « واذا الموءودة سئلت . باى ذنب قتلت » .

٢ - والقرآن يحل المراة محل الاعزاز . يقول الكتاب الكريم :

(يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقال :

(يايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) وقال :

(ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف . انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) .

٣ - ثم ان المراة مسئولة عن اعمالها . يقول القرآن الكريم :

(هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق) ويقول :

(ليجزى الله كل نفس ما كسبت) ويقول :

(الا تزر وازرة وزر اخرى ، وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) .

٤ - والاسلام يحرم رمى المراة الشريفة بما ليس فيها . يقول الكتاب الكريم :

(والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ، واولئك هم الفاسقون) ويقول :

(ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) .

٥ - ويقر الاسلام بحق المراة فى الميراث . يقول القرآن الكريم :

(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) ويقول :

(يوصيكم الله فى أولادكم ، للذكر مثل حظ الانثيين) .

والقرآن الكريم زاخر بالآيات التى تقر بحقوق المراة وتحض على حسن معاملتها واحلالها محل الاعتزاز والاحترام سواء كانت بنتا او زوجا أو مطلقة واذا كان القرآن قد حفي على حسن معاملة الأم حين قال :

(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) فقد حض كذلك على حسن معاملة الزوجة . يقول القرآن الكريم :

(وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا) . وفى المراة المطلقة يقول الله عز وجل :

(الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان) .

(لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن) .

اما الطفل فهو يجد اكبر العناية فى الاسلام . يقول القرآن الكريم :

(يوصيكم الله فى اولادكم) . وقد تضمن الاسلام اسمى المبادىء من حيث العناية بالطفل فهو يكفل له حقه فى الميراث وهو لا يزال فى بطن امه .

ولليتيم منزلة خاصة فى الاسلام ، فهو يحمى حقوقه كاملة ويحرم اغتصاب أمواله ويحض على دفعها له تامة غير منقوصة :

(ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) .

اما من حيث معاملة الوالدين فيكفى ان نقول ان الاسلام يامر الولد بحسن معاملتهما واكرامهما حتى ولو كانا غير مسلمين . والاسلام يحض ايضا على حسن معاملة الاقارب .

إنسان الإسلام

٣

إيجابي ..!

الأستاذ إبراهيم عوضين

وايجابيته مستمدة من ايجابية الهه ، لأن الاسلام يربط انسانه بعقيدة واحدة ، تتجه الى فاعل واحد .

« ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم » .

(٧ ـ المجادلة)

وينبعث عن هذا الفاعل نور يضيء للانسان ظلماء الحياة ، ويهديه سواءالسبيل ، فيرى الكون الذىيعيش فيه ، ويرى نفسه ، ويحس منزلتها من هذا الكون احساسا قائما على الحقيقة ، وليس احساسا وهميا أو ظنيا او معتمدا على الخداع والاغترار .

ولأن الاسلام يربط انسانه باله مغاير لكل ما سمع من اساطير وخرافات حول الآلهة التى يبلغ بها الصلف والجهل الى درجةاهمال عبادها ، وعدمالشعور بوجودهم .. بل ربما الأنفة من أن تعلم وجودها هى كما يقول كثير من فلاسفة اليونان ، وكما قال أفلوطين فى القرن الثالث الميلادى .

لكن انسان الاسلام يرى الهه مغايرا لكل ذلك فهو يحس به ، ويحفل بوجوده ، لأنه خالقه ورازقه ، وهو مالك أمره كله فى الدنيا والآخرة .

« فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون » .

(٨٣ يس)

يرى انسان الاسلام الهه واحدا ، حيا لا يموت ، صمدا مقصودا فى الحاجات ، رقيبا لا يغفل .

« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .

(١١ الشورى)

ولقد عنى الاسلام عناية بالغة بتقدير تلك الحقيقة فى تصور انسانه ، وتاكيدها فى تفكيره ، لكى تصبح حياة ذلك الانسان مثلا حيا ، وترجمة عملية لهذه الحقيقة ، فارى الاسلام انسانه يد الله ـ سبحانه ـ تتدخل جهرة ، وعينه تلحظ ، وسمعه يرعى احوالهم اليومية ، واعمالهم الشخصية ، وحياتهم الفردية والجماعية .

أراه عناية الله تتدخل فى شان أسرة صغيرة فقيرة مغمورة ، لتقرر حكم الله فى قضية بين المراة وزوجها حين لم يجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها رأيا .

« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما .

(أول المجادلة)

« ان الله سميع بصير » .

وأراه تلك العناية تعترض ـ فى صراحة ـ تصرف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الرجل الأعمى الفقير ابن أم مكتوم .

« عبس وتولى . أن جاءه الأعمى » .

« وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى »

« أما من استغنى .

« فانت له تصدى .

« وما عليك الا يزكى .

« وأما من جاءك يسعى وهو يخشى »

« فانت عنه تلهى .

« كلا انها تذكرة .

« فمن شاء ذكره » .

(١ ـ ١٢ عبس »

ولم يكن ذلك التدخل وقفا على الاحداث الصغيرة ، فقد شمل ـ كذلك ـ الأحداث الكبرى ، مثل حادثة الهجرة .

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا .

« فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى .

« وكلمة الله هى العليا .

« والله عزيز حكيم » .

(٤٠ التوبة)

ومثل حادثة بدر ..

« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون .

« يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون » .

(٥ ـ ٦ الأنفال)

وكذلك فى كل موقف من مواقف الاسلام الكبرى .

يرى الانسان الهه فى هذه القوة الايجابية ، فتمتلىء نفسه به اطمئنانا ، ويكتنفها مزيج من اليقظة والراحة ، والتوكل والفاعلية ، والخوف والطمع ، ويتجه اليه بالعبادة فى معناها الفسيح الشامل لكل سلوك خير ، وفى معناها المحدود الكامل .

ومن ثم تتلبس النفس الانسانية بشفافية لم تكن تعهد التلبس بها ، وتمازجهاحساسية لم تكن تستشعرها من قبل .

ومن ثم تتغير نظرة انسان الاسلام الى الكون الذى يعيش فيه ، فيراه على حقيقته مجردا من كل خادع ، ويرى من بين ذلك الكون نفسه ، ويحس منزلتها من الكون ، ومركزها فيه .

الكون ملك الله ، والانسان صنع الله ، خلقه ربه واستخلفه فى هذا الكون بعد أن سخره له ، وذلل صعابه .

ومن ثم فوجود الانسان ليس وجودا نظريا ـ ولا يمكن ان يكون كذلك ـ وحياته ليست حياة زهد وتصوف ـ ولن تصح بذلك وحده ـ لانه ليس روحا مجردة . كما أنه ليس جسما مجردا .

***

فانسان الاسلام يرى انه معد فى واقع مقصود احياؤه وانهاضه ، فاذا لم ينهض هذا الواقع فلا قيمة لهذا الاعداد فى ذاته ، ولذا فهو انسان يختلف عن كل انسان .

لأنه ـ بتصوره الاسلامى ـ أصبح يجد فى أعماقه ويؤرقه هاتفا يغريه بالعمل ، ويدفعه اليه ، ويلح عليه ، ويؤرقه كيما يحقق ما رآته بصيرته ، ويجعل تلك الرؤى واقعا ماثلا .

ولأنه ـ بتصوره الاسلامى ـ أصبح يرى العمل ترجمة واقعية للايمان .. فى حياته ، وفى كتاب ربه ووحيه .. فكلما ذكر الايمان فى القرآن ذكر العمل بلفظه أو بمدلوله .

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

(٦٩ المائدة)

« واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا » .

(٨٨ الكهف)

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم ، فى سبيل الله .

« أولئك هم الصادقون » .

(١٥ الحجرات)

فليس هناك ايمان هو مجرد مشاعر فى الوجدان ، أو مجرد تصورات فى الذهن لا ترجمة لها فى واقع الحياة .

ومن ثم عمل الاسلام على تكوين انسانه بحيث لا يقر مع السلبية التى قرت معها الانسانية فى عصورها الغابرة ، وبحيث لا يظل مجرد مستقبل لا يتحرك الا عندما يصدر الأمر له ، اذ مثل هذه الشخصية ـ المستقبلة ـ فقط ـ غير جديرة بما ثبت تصميم الانسان له .

ولذلك اهتم الاسلام بان يبث فى نفس انسانه شعورا بالذاتية ، واحساسا بالوجود ذى الارادة الموجبة ، والفاعلية المنتجة ، فلفت الانظار الى خصائص مذخورة فى طبيعة التصميم الانسانى ، حباهم بها ربهم لتكون أداة العمل والحركية فى هذا الكون ، يحققون بها وجودهم فيستخلصون من الكون معرفتهم بالكون وخالقه ، كما استخلصوها من العقيدة .

« قل انظروا ماذا فى السماوات والارض » .

(١٠١ يونس)

« وفى الأرض آيات للموقنين .

« وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

(٢٠ ـ ٢١ الذاريات)

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

(٥٣ فصلت)

فالاسلام بهذا يوجه المسلمين الى استغلال مالديهم من قوى ، وينبههم الى آثارها ، والى انه ما يحق لأمثالهم ـ وقد أوتوا المعرفة من مصدر المعرفة الاصيل ـ أن يحصروا أنفسهم فى دائرة محدودة من هذا الكون ـ ليست لهم ـ ينتظرون فى كل آن أن ينزل عليهم من فوق ما يرجونه ، فان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، ولكن الذى يمطر الذهب والفضة انما هو العرق والجهد .. وان الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها .

ولقد عبر عن ذلك المعنى ـ رسول الاسلام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أصدق تعبير فى قوله :

« لا تكونوا امعة تقولون : ان أحسن الناس أحسنا ، وان ظلموا ظلمنا . ولكن وطنوا أنفسكم أن احسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا فلا تظلموا » .

فانسان الاسلام يجب أن يانف من موقف المقلد الأعمى ، الذى لا يعرف لما لا يعمله سرا سوى أنه يقلد من سبقوه .

ولذا عمد الاسلام الى تسفيه هذا السلوك ، وتبغيضه الى نفس الانسان ، والسخرية ممن يجهلون ذاتهم ، ويطمرونها ـ هكذا ـ فى وحل التقليد .. موضحا مدى ما يتورطون فيه من خطأ ، وما يتهاودون اليه من درك .

« واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا .

« أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .

« ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء .

« صم بكم عمى فهم لا يعقلون » .

(١٧٠ ـ ١٧١ البقرة)

« البقية ص ١٦٨ »

أثر العلم في السلوك الإنسانى

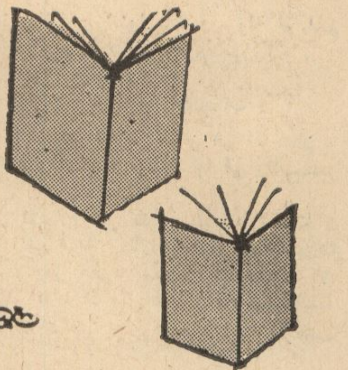

الدكتور محمود البسيونى

ان السلوك الانسانى معقد ، ويزداد تعقيدا كلما استند الى العادات الآلية المتوارثة من البيئة بدون تفكير او علم ، فالسلوك الذى لا يوجد وراءه دليل يدعمه ويقويه انما يعتمد على اتجاهات وآراء غير مفحوصة ، واذا استمر فيه الانسان أدى ذلك الى التخلف . نسمع احيانا عن شخص يعتقد أهله أنه حسد لأنه كلما يعمل عملا يجانبه التوفيق ، ولذلك تجدهم يحرقون له فى البخور ما يقتل العين الحاسدة التى سببت هذا الانحراف فى السلوك . فقد توضع رموز من الورق على شكل شخص او عين شخص ، يلقى بها فى النار كتعويذة لقتل الأرواح الشريرة التى تسببت فى عدم النجاح الذى منى به هذا الشخص .

والسؤال الذى نسأله هنا ببساطة هو : لماذا يستجيب السذج فى حل مشكلاتهم حينما يجابهون بالفشل ، بهذا الطريق السلبى الذى لا دعامة وراءه ، وليس له سند علمى ؟ ومن الغريب أن مثل هذا السلوك ينتشر اكثر ما ينتشر بين الطبقات الساذجة التى لم تتح الظروف لها فرصا من التعليم المثمر ، فارتكنت على عادات أساسها السلبية .

ان الفشل الذى قد يعترى الانسان حينما يجابه مشكلاته قد يرجع فى حالات كثيرة الى الطريقة التى يجابه بها تلك المشكلات ، فالشخص الساذج لا يتصرف بحكمة ، وانما تدفعه نفسه فى تهور بأن يأتى أفعالا لا تتسم بالروية ، ولا بالتعقل ، وهذا من الطبيعى لابد أن يؤدى فى النهاية الى نتائج غير مرضية ، ولا تحقق ما يصبو اليه الشخص . واذا كان سلوكه ينبنى على هذا النهج غير العلمى تجده يكثر الظنون ، ويلصق غيره بالتهم ، ويستنتج النتائج بدون مقدمات ، وعلى ذلك تجد تكيفه الاجتماعى غاية فى الصعوبة : فهو لا يستريح لمن حوله ان كانوا موضوعيى التفكير ، كما أن الاشخاص الذين يتعاملون معه لا يستريحون له لأنه دائما يظهر ذو نزعات شخصية ، وكل قول يسمعه ينحرف به انحرافات تسىء اليه والى من معه .

ومما يزيد فى انتشار هذا النوع من السلوك المنحرف ارهاف السمع ، أى أن الشخص يفتح أذنيه لكل ما يسمع صوابا كان أم خطأ . وكما أن الدين يقاوم السلبية ، ويحض على العلم ، ولا يسوى بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، فان العلوم الحديثة ايضا تؤكد اهمية السلوك العلمى ذى الطابع الموضوعى الذى لا يتأثر بالاهواء ولا بالتيارات العاصفة . ولذلك كلما ادرك الانسان الموقف الذى يجابهه ادراكا شاملا ، وحدد نوع المشكلة التى يجابهها ، ووعى بمغزاها ، وتعمق فى مفهومها ، ثم بدأ يدرس الاحتمالات المختلفة لحل المشكلة فى اطار الموقف الكلى الذى أدركه ، واذا استطاع أن يجد فى أحد هذه الاحتمالات ما هو صحيح ، وأن هناك كثيرا من الحقائق تدعم هذا الاحتمال - عند ذلك لو أنه سلك السلوك الذى تدعمه الحقائق ، فسيجد أن احتمال نجاحه فى مجابهة الموقف كبيرا .

اذا أخذنا مثلا من الماضى ربما يبين ما نقصد اليه من المجابهة العلمية لحل المشكلات التى قد تكون فردية أو جماعية ، فمثلا قبل عام ١٩٥٢ كانت هناك مشكلة الاحتلال الأجنبى قائمة ، وكانت الأحزاب تتبارى فى الكلام عن الاستقلال وعن جلاء الجيوش الأجنبية ، لكن شيئا من ذلك لم يتم وظلت هذه الجيوش الأجنبية زهاء ثلاث وسبعين عاما ترزخ على صدر الوطن ، ثم حدث فى بضع سنوات قليلة من قيام ثورة ٢٣ يوليو ان جلت القوات الأجنبية عن أرض الوطن ، مرة بالتفاوض ، وأخرى بالحرب وبتجنيد الرأى العام العالمى ليساند قضية الجلاء .

وحينما نسأل انفسنا لماذا نجحت فكرة الجلاء فى السنوات الأخيرة ولم تفلح فى فترة السبعين عاما التى مضت ؟ والجواب على ذلك يسير ، لأن المستعمر كان يعرف طريقه الى الزعامة الوطنية فيستغلها لمصلحته ، ويجعلها تنحرف بأساليبه عن طريقها السوى ، ثم بعد ذلك تتعاون معه ، فهو الذى يجىء بها وهو الذى يصرفها ، والأكثر من هذا هو الذى يشكل هذه الزعامة أحيانا ويدفع لها الأموال الخفية لاقامتها ، ولذلك كان بديهى أنه فى كل محاولة ينادى بها المصريون بالجلاء كان يسقط الشهداء من الشباب ، ويضيع الأمل فى تحقيق الهدف الكبير ، بل ان المستعمر ظهر بوجهه السافر حينما خرجت دباباته تحاصر سراى عابدين لتملى على الملك وزارة معينة - لا شك أنه كانت هناك مقاومات ومحاولات جادة وخفية لاجلاء المستعمر ، ولكن المتصدرين للأمر كانوا هم الذين يخونون القضية ، وهم الذين لا يريدون حقيقة للمستعمر أن يجلو ، ففى جلائه خطر محقق على حياتهم وشر قد يطيح بهم . وقد شهدنا أنه حينما حدث مخطط ايجابى ، بدأ بمقاومة المستعمر بكل الوسائل المادية والمعنوية ، واعلان عدم التعاون معه ، وهجره العمال الذين كانوا يشتغلون فى معسكراته ، وأخذت الهجمات السرية تؤرق راحة الجند ،

بدا يحس المستعمر أن خروجه أصبح أمرا لا مفر منه ، واذا لم يخرج صاغرا بكرامته ربما اضطر الى ذلك بوسائل مزرية .

المهم هنا أن السلوك فى الحالة الثانية كان سلوكا ايجابيا ، درست فيه أخطاء الماضى والأسباب الحقيقية التى لم تعجل بالجلاء ، وحينما حطمت الثورة هذه الأسباب التى منها : عزل الملك ، وتوحيد الرأى العام ، والغاء الأحزاب ، وتكتيل جهود الشعب وراء القيادة الثورية لمجابهة العدو فى المفاوضات ، لم يجد المستعمر امامه فرصة ليلجأ الى وسائله الملتوية فاضطر الى ان يذعن للأمر ويحمل عصاه على كتفه ويرحل .

مانريد ان نؤكده هو أن السلوك المثمر ذو طابع علمى وأساسه مخطط مدروس ، ولابد أن يوصل الى نتائج مضمونة ، والدراسة هنا قد تعنى الاستفادة بما حققه الغير وما لم يستطع تحقيقه أى الاستفادة مما نجح أو فشل فيه ، كما تعنى ادراك العواقب ، واعداد العدة لكل احتمال ، حتى اذا ما استقر الرأى بعد الدراسة على نهج معين كان هذا النهج أفضل الطرق ضمانا لتحقيق نتائج محددة .

وللسلوك العلمى أهمية خاصة فى مجتمعنا ، وفى علاقاتنا الانسانية ، فقد تعودنا منذ أزمان بعيدة أن نصل الى اكتساب مغانم قد لا تكون لنا ، ونستخدم الوساطات ، وذوى الجاه من أهل السلطان ، مطية لتحقيق مآربنا ، وحينما ننجح فى تحقيق ما نبغى ، نكون قد استولينا على حق غيرنا بالطرق الملتوية ، وقوضنا أركان العدالة الاجتماعية .

ولكن حينما نتنبه للاصلاح نضع من النظم ما يكفل عدم تحقيق المآرب بالطرق الملتوية ، فالتعليم أصبح مجانا حتى المرحلة العالية ، ارتبط به نظام موضوعى لتفضيل الأصلح الذى هو أكثر مجموعا فى الشانوية العامة ، ويرتب المتقدمون حسب المجموع ضمانا لعدم اتخاذ الوساطة ، والمحسوبية ، والجاه سلما للوصول على حساب الكفاية والاجتهاد .

وحينما تلاحظ الناس وقوفا فى صفوف أمام شباك التذاكر ، أو المصعد ، أو فى الجمعيات التعاونية ، انما تدرك مباشرة ان هناك موضوعية علمية فى التصرف والسلوك ، فلا تمييز لأحد على الآخر ، كل يأخذ دوره حسب الوقت الذى جاء فيه . أما اذا رأيت بعض الناس يزاحم البعض الآخر ولا يهتم بالصف الواقف ، ثم يدخل الى خلف النافذة ليحل مشكلته قبل الواقفين انتظارا لدورهم ، فتدرك مباشرة أن هناك خللا فى تنفيذ المبادىء الموضوعية ، وأن المحسوبية والوساطة بل واستغلال النفوذ ما زالت هى الأساليب المتبعة فى حل المشكلات ، ان الذى يقوض أركان المبادىء ، غالبا ما يكون هو الحارس عليها ، فتتغلب عليه العادات القديمة المتخلفة دون أن يقوى على موضوعية السلوك ويتحمل نتائجه .

سمعت ذات مرة عن نجل شخصية تشغل منصبا حكوميا مرموقا ، وكان هذا النجل مثار تعب للمدرسة والمدرسين ، وكان سلوكه مع زملائه نابيا استنادا لمركز أبيه ، وحارت المدرسة فى أمره ، حتى اضطرت الى تبليغ الوالد بسلوك الابن ، فجاء الوالد الى المدرسة وفى طابور الصباح نادى على ابنه ، واسمعه رأى المدرسة فيه ، وضربه أمام الجميع قائلا ما معناه : يجب أن تكون مثلا يحتذى لغيرك ، ولا يجب أن تعتمد على أن والدك يشغل منصبا كبيرا فتسىء فى سلوكى مستندا الى أن والدك سيحميك ، فانت كأى تلميذ فى المدرسة ، ولا يميزك عن غيرك الا اجتهادك . وقد كان ما فعله الوالد حادثا طريفا بالنسبة لسلوكنا فى مجتمع كان يتسم بالطبقية والتناقض حتى أن غيره من أولياء الأمور ذوى الجاه ، كانوا لا يتورعون — بدلا من ان يؤدبوا ابناءهم ، ان ينقلوا الناظر أو المدرس الذى يشكو من سوء سلوك الابن .

ان الدين قد حض على العلم ، وجعل منه أساسا لكل سلوك قويم حتى فى الانتفاع بالقرآن ، انه لم ينزل للحفظ فحسب ، فقد جاءت آياته فى مواقف دنيوية لتهدى الناس للصراط المستقيم ، وقد سمع محمد — صلى الله عليه وسلم — يقول : « وهل ينفع القرآن الا بالعلم ؟ » فاذا لم تتبحر فى العلم فانك لا تستطيع أن تفسر آياته ، وتدرك مكنونها ومغزاها ، وبالتالى صداها فى السلوك — وجاء على لسانه أيضا « اذا أتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى الى الله عز وجل فلا بورك فى طلوع شمس ذلك اليوم » ، وقال أيضا : « لموت قبيلة خير من موت عالم » ، وقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم مسلمة » وقال : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » ، وقال : «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وانما العلم بالتعلم » .

وقد أكد القرآن أهمية العلم والعلماء ، وفى آيات كثيرة متفرقة وبالأمثلة القصصية وضح القرآن : ان فوق كل ذى علم عليم ، ولم يسو بين العالم والجاهل « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، وجعل الابتهال اليه أن يطلب الانسان منه عز وجل أن يزيده علما ، « رب زدنى علما » ووضح القرآن ايضا : أن أكثر الذين يخافون الله هم العلماء ، « انما يخشى الله من عباده العلماء » . وقال : « علم الانسان ما لم يعلم » وحض القرآن على السؤال والاستفسار ان كنت لا تعلم « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

وقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عبارات كثيرة تدل على الاهتمام البليغ بالعلم والحض عليه ، قال لابنه الحسن : يا بنى : احفظ عنى أربعا ، وأربعا ، لا يضرك ما عملت معهن : (بان) أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب وأكرم الحسب حسن الخلق .. » وقال يصف تواضع العالم : « العالم من عرف قدره ، وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره ، وان من ابغض الرجال لعبدا وكله الله تعالى الى نفسه ! حائرا عن قصد السبيل ، سائرا بغير دليل ، ان دعى الى حرث الدنيا عمل ، وان دعى الى حرث الآخرة كسل ، كان ما عمل له واجب عليه ، وكان ما ونى فيه ساقط عنه » وروى عنه فى النصح باكتساب العلم على أساس أنه ذو قيم باقية بيتا من الشعر قال :

ففز بعلم تعش حيا به ابدا
والناس موتى واهل العلم احياء

وعلى بن أبى طالب له آراء فى العلم قالها منذ زمن بعيد وهى لا تختلف عما يهدى اليه كبار الفلاسفة والكتاب الغربيون فى عصرنا هذا ، فقد رأى جون ديوى الفيلسوف الأمريكى المعاصر أن العلم هو الطريقة التى يتبعها الانسان ليؤكد الاتفاق على أمر يختلف فيه الناس ، فهو الذى يبدد الشك باليقين ، والحيرة بالاطمئنان ، والتعصب بالحياد الموضوعى — وحينما قال على : « قطع العلم عذر المتعللين » ، انما كان يبين أمرا فى وقت مبكر أصبح جليا واضحا فى القرن العشرين . وحينما ربطت التربية الحديثة بين العلم والسلوك ورأت أن القيم التى يتعلمها التلميذ فى

المدرسة ان لم تنعكس فى سلوكه فانه لا يكون قد تعلمها، وهى فى ذلك لم تأت بجـديد . ان قوام الفلسفة البرجمسية كان دائما يقيس قيم الأشياء بما تؤديه من تحسين فى سلوك البشر وحياتهم ، وخرجت الفلسـفة البرجمسـية على الفلسفات الاخـرى بربطها العلم بالسلوك ، والتفكير بالنتائج ، وحينما فعلت ذلك انمـا كانت تؤكد تعـاليم الاسـلام ما جاء منه على قول الرسول :« خيركم من عمل بما علم » ، وما جاء عـلى لسان ابى طالب « لا تجعلوا علمكم جهلا ، ويقينـكم شكا ، اذا علمتم فاعملوا ، واذا تيقنتم فاقدموا » .

فتعاليم الدين ايجابية ، وهى تقيم السـلوك على دعائم من العلم ، والعلم لا يقتصر على المعرفة فحسب لأن هناك نفرا من الناس يعرف العلم ويحفظه عن ظهر قلب ، ويتصرف فى الحياة كأنه لا يعلم ما يعلم ، فقـد ربط الدين بين العلم والعمل ، بين المعرفة وتحسـين السلوك وتنقيته من الأهواء ، ثم طالب الانسان اذا توصل الى اليقين ان يقدم ، والاقدام ليس بمجرد عمل وانمـا انطلاق ودفعة الى الأمام ، وقيام بالمقامرة .

ان الانسان اذا لم يجعل من العلم نبراسا ، فانـه قد لا يجد طريقا آخر للسلوك غير التخمين ، وتقبـل الشـائعات بدون مناقشة ، والاقـدام على مواقف لا يستطيع أن يقدر عواقبها . أما اذا اتخذ العلم هـاديا فمعنى ذلك أنه يتوخى الحقائق ، ويسلك مختارا الاتجاه الذى تدعمه الحقائق فهو فى هذه الحالة فى مأمن من الزلل ، كما أنه بطريق العلم يكون قد طرح جانبا كل الأهواء والأمزجة العارضة .

حينما تعلم مثلا أن الجدرى ينتقل عدواه باللمس وأن هناك تطعيم يعطى مناعة ضد المرض - فى هـذه الحالة يقتضى السلوك العلمى أن تتحصن ضـد المرض وتستخدم ما وصل اليه العلم ، واذا فهمت من علـم الكهرباء أن الأسلاك العارية خطـرة قد تؤدى الى الحريق ، أو الى ماس كهربائى ، او الى هزة كهربائية فى جسم الشخص - عند ذلك يجب تجنب الأسلاك العارية وكسوتها بشريط اللحام حتى لا تؤدى الى هذه النتائج الخطرة . اذا علمت مثلا ان الجو سيكون باردا ومطيرا فلابد أن تلبس ملابس شتوية ثقيلة وتحمل معك مظلة أو ترتدى بالطو مطر يقيك من الأمطار ان اضطرتك الظروف أن تكون بالشـارع . فالعلم يكيف السلوك ويعدله رضى بذلك الانسان أم لم يرض ، وان هو اهمل العلم ، عرض نفسه لأخطار مخيفة قد لا يستطيع التغلب عليها ويواجه الموقف بغير ذكاء قال على بن ابى طالب : « لا ترى الجاهل الا مفرطا أو مفرطا » أى أن الجاهل ليس لديه ميزان للامور فهو يفرط كل ماليه حيث لا يعرف قيمة لأى شىء . والافراط هو نوع من المغالاة الزائدة عن الحد فى ممارسة الأشياء ، والتفريط نوع من التبذير أو الاسراف الذى لا أساس له .

بقية مقال « انسان الاسلام

فالتقليد الاعمى عود بالحياة الى التخبط والانفعالات والضرب على غير هدى فى متاهات كلها تشعب وظلمات .

« والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه .

« والله سريع الحساب .

« أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقـه موج من فوقه سحاب .

« ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يـده لم يكد يراها .

« ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

(٣٩ - ٤٠ النور)

وهكذا يفصل الاسلام فى تلك القضية فى صـراحة ووضوح ، ليحرر الانسان من التقليد ، وليبث فيه من الثقة والايمان ما يكفل له التلاؤم مع الكون الذى يعيش فيه ، والاستفادة من كل ما أوتيه فى كينونته ووجوده .

فلا يعيش عالة ينتظر العون عندما تقف فى طريقـه عقبة ، أو تختلط عليه السبل .

فالعقل وسيلة الانسان يحقق بها ما يريد ، متعاونة مع وحى الله .. ومظاهر الكون والطبيعة كلهـا تخدمه وتجنبه على كل ما يقابله من فروض .

« أفلم ينظروا الى السـماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج .

« والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج .

« تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » .

(٦ - ٨ ق)

التثقيف الصحى فى الإسلام

الدكتور يوسف محمد عيد

الاسلام دين عنى بأمور الدنيا والآخرة ، ولهذا نرى أن كل ما ينصلح به حال الفرد والجماعة فى حياتهم قد خصص له فى تعاليمه مبادىء قويمة واضحة جلية كلها منصبة على حفظ قوام الجسم سليما معافا ليظل يعمل ويناضل فى معترك الحياة حتى يؤدى رسالته على الوجه الاكمل .

وفى هذه المقالة سنوضح بمشيئة الله بعض هذه الارشادات والنصائح والتعاليم الطبية التى تدخل تحت باب التثقيف الصحى الاسلامى .

فلقد ورد فى الآثار « النظافة من الايمان » لانها تمهد السبيل اليه والسبب يؤدى الى المسبب ، فهو جزء من الكل وهما متممان لبعض .

واول مظاهر العناية بالنظافة فى الاسلام : الوضوء . والوضوء فى اللغة مشتق من وضأ الشىء أى ظهر جليا فهو يبرهن على أن النظافة التى تنتج عنه تنير معالم الوجه وتكسبه النور والجلال « فهو وضاء الجبين » وكذلك الغسل الذى أوجبه الاسلام ، هو أحد هذه المظاهر ايضا .

ولو تتبعنا مناسك الوضوء لوجدناأنه عنىبالاستنشاق وهو ينظف الانف مما علق بها من ذرات التراب التى تدخل مع الهواء عند الشهيق . ويتبع ذلك نظافةالفم ورعاية الاسنان واللثة بالمضمضة والسواك .

فكم من امراض يمكن أن تتقى بالمحافظة على الاسنان ولهذا رغب سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في استعمال السواك . فقد ورد عنه « لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة كما يتوضأون »

وورد عنه أيضا : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»

وورد فى الآثار ان النبى - صلى الله عليه وسلم - كان اذا دخل بيته يبدأ بالسواك .

ولو فسرنا أهمية نظافة الفم واستخدام السواك بمنظار الطب لوجدنا أن العناية بالاسنان واللثة يقى الانسان من أمراض كثيرة . لان تقيح اللثة « بيوريا » وتسويس الاسنان يكون بؤرة صديدية .

يتسبب عنها أمراض كثيرة منها :

١ - أعراض روماتزمية فى المفاصل .

٢ - سوء الهضم والتهاب بالمرارة .

٣ - التهاب فى الكليتين مزمن قد يترتب عليه

٤ - ارتفاع فى ضغط الدم .

من هذا تطل علينا حكمة الهدى النبوى بالعنايةبالفم ولاسنان وحفظهما فى مستوى عال من النظافة .

ومن مناسك الوضوء غسل اليدين ، وفى هذا ضمان ووقاية من كثير من الامراض لاننا نعلم عن طريق الطب أن كثيرا من أمراض الجهاز الهضمى تتسبب من دخول الميكروبات عن طريق الفم بواسطة تلوث اليدين بالميكروبات ، ولهذا نرى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قد حث على غسل اليدين ليس فى الوضوء فقط ، ولكن قبل الاكل وبعده ، فقد ورد عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : « من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ اذا حضر غذاؤه واذا رفع » .

ولقد فسر الوضوء هنا بغسل اليدين لانه جزء منه ومن تعاليمه عليه السلام أنه نهى أن ينام شخص وفى يده غمر فقد ورد عنه - صلى الله عليه وسلم : «من نام وفى يده غمر ولم يغسله فأصابه شىء فلا يلومن الا نفسه » والغمر ريح اللحم وزنخه .

ومن الاخذ بأسباب النظافة أيضا العناية بالمأكل والمشرب ، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام : « تغطوا الاناء وأوكئوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء لم يغط ولا سقاء لم يوك الا وقع فيه من ذلك الوباء » .

هذه الارشادات ينضوى تحتها الوقاية من امراض كثيرة لان المحافظة على المأكولات والمشروبات تبعدها عن التلوث الذى قد يتسبب فى أمراض كثيرة من امراض الجهاز الهضمى لان تركها معرضة للهواء والاتربة يهيىء الفرص لكثير من الميكروبات أن تعيش فيها . فاذا أكلت كان ذلك سببا لظهور أمراض خطيرة منها على سبيل

امثال الدسنتاريا بانواعها والنزلات المعوية والتيفود والكوليرا .

هذه الاوامر النبوية تدخل تحت باب الطب الوقائى بلغة العصر ومن هذا يتضح جليا سبق الهدى الدينى فى هذا المضمار .

وان المحافظة على الماء نظيفا خاليا من الميكروبات والطفيليات لمن الامور التى قررها الدين حيث قال الرسول الكريم « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل » .

والملاعن أى ما يستوجب اللعن وهو الطرد من رحمة الله .

وقال « لا يبولن أحدكم فى ماء ثم يستحم فيه »

فى هذه النصائح أمر صريح باحترام الماء والامتناع عن أى شىء يلوثه ، وهذا الهدى النبوى يساعد على استئصال مرضين خطيرين «البلهارسيا» و «الانكلستوما» وغيرها .

هذه الامراض المتوطنة تعمل عملها فى هدم صحة المجتمع الريفى فى بلادنا ، وتقلل من انتاجه الفكرى والجسمانى ، وتكلف الدولة الملايين من الجنيهات سنويا فى مكافحتها بدون جدوى لان سبب العلة ما زال قائما وهو تفشى العادات السيئة من التبول والتبرز بجوار الماء .

ومن احاديث الرسول - عليه الصلاة والسلام - ما تامر بعزل المريض . فقد قال : « فر من المجذوم فرارك من الاسد » .

ولقد روى أنه كان فى وفد قبيلة ثقيف رجل مجذوم فارسل اليه النبى - عليه الصلاة والسلام - « أن قد بايعناك فارجع » .

لم يقتصر هدى الرسول فى الوقاية من الامراض المعدية الى هذا الحد بل شمل الحجر الصحى بلغة الطب الحديث حيث قال : « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، واذا وقع بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » .

هناك نواح أخرى من التثقيف الصحى تعرض لها الاسلام .

فلقد نهى القرآن والنبى الكريم عن التخمة ، قال الله تعالى : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه . بحسب ابن آدم أكيلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

والتخمة ، أى الاسراف فى الاكل ، باب واسع من ابواب الامراض ، فهى تؤدى الى أمراض كثيرة منها البدانة أى السمنة وأمراض السكر وتصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم والذبحة الصدرية وغيرها .

لم يقف هدى الدين الى هذا الحد من الاوامر التى تستهدف الخير عن طريق النهى بل تعداها الى الاوامر الايجابية التى تدعو الى الاخذ بأسباب مقومات الحياة والتى بلغت ذروتها فى الامر بالتجميل وبحسن المظهر حيث قال الله تعالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد »

ومن هذه الاوامر ما يدعو الى ممارسة الرياضة حيث قال النبى صلى الله عليه وسلم : « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل » .

لان الرسول الكريم يعلم أثر الرياضة الحميدة فى المجتمع ، وبهذا يكون ديننا قد سبق الامم فى هذا العصر فى الدعوة الى الرياضة التى تعتبر من اقوى دعائم التهذيب الخلقى والجسمى .

هذا القدر من الهدى النبوى يظهر جليا مدى اهتمام الاسلام بصحة الفرد فهو لبنة المجتمع وبصلاحه يصلح ، والمؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف ويظهر ايضا سبق الاسلام فى كل ما دعا اليه .

ولا غرو ، فالنبى الكريم لا ينطق عن الهوى بل علمه من علم الله الذى لا يخفى عليه خافية . ويكفى الاسلام الذى امتاز بانه الدين الصالح لكل زمان ومكان أن جعل للمتبع لهذه الارشادات أجرين :

أجر فى الدنيا ، وهو الصحة والعافية

وأجر فى الآخر وهو المثوبة من الله وحسن الجزاء .
ونعم أجر العاملين .

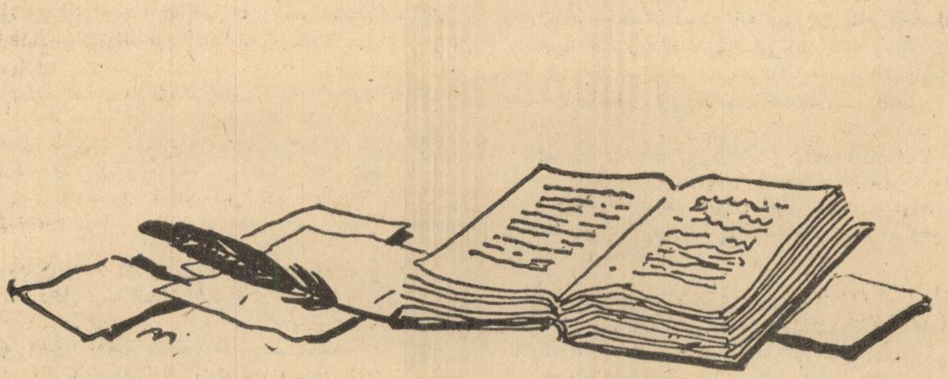

حول تشريعات الحج ومناسكه

الأستاذ حسن الشيخة

لكل أصل من اصول العبادات أسباب وحـكم ، كتشريع الصلاة ، والزكاة والصيام ، والحج ومناسكه ، وهى مواضع اداء فريضته ، وان كانت فى أصلها أوسع من ذلك ، فالاصل أن النسك هو العبادة ، وأن الناسك هو العابد ، ولكنها خصصت فى الاصطلاح الشرعى بأعمال الحج ، قال تعالى : « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم » .. فما هى الحكم التشريعية للحج ومناسكه ؟ هذا هو موضوع هذه الكلمة فى هذه المناسبة الطيبة ، مناسـبة أداء فريضة الحج .

اصل الحج هو القصد للزيارة بمعناه اللغوى . قال الشاعر :

يحجون بيت الزبرقان المعصفر

وخص فى تعارف الشرع بقصد بيت الله اقامة للنسك وفى ذكر أسباب تشريع مناسكه تظهر حكمة تشريعه ، وقد خصت بزمن معين ، وأماكن معينة .

ان حكمة تشريعات الحج ومناسكه ترتد الى أصـول تاريخية ، منها ما هو من بدء الخليقة ، ومنها ماهو عند ظهور الاسلام ، فهى ذكريات طيبات ، وكتاب تاريخى جمع بين دفتيه كثيرا من الآثار الباقيات ، هذا الى أن العبادات كلها ملحوظ فى أدائهـا الجانب الالهى ، من اطاعة الاوامر ، والشكر على النعماء ، والشرع لم يكلف الناس بشىء لا يدخل تحت مقدرتهم ، ولم يتعبدهم بما يحتاجون فى تعرف أسراره الى ما يخرج عن طوقهم ادراكه ، والجانب الالهى معروف ، أما الجانب التاريخى فى الحج ومناسكه فهو الذى أذكر منه اليوم هوامش ، مستأنسا بما ذكره المفسرون والفقهاء فى أسـباب تشريعات هذه الفريضة ومناسكها .

١ ـ تخصيص الزمان :

زمان الحج هو المأخوذ من قوله تعالى : « الحج معلومات » .

والاشهر المعلومات هى شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة على مذهب ، أو ذى الحجة كله على مذهب آخر ، وقد قالوا فى أسباب هذا التخصيص أن الله حقن فيها الدم الطاهر من أن يراق ، دم اسماعيل أو اسحاق وان آدم عليه السلام تعارف هو وحواء فيهن ، وانـه سبحانه قبل فيهن توبة آدم وزوجه حواء ، فتذكيـرا بهذه النعم جعل الله الحج فى هذه الاشهر المعلومات .

٢ ـ تخصيص المكان :

أمكنة الحج هى مكة والبيت الحرام ، وما هو حولهما من أمكنة وآطام ، ويرتد هذا التخصيص ـ فى رأيى ـ الى أسباب قوية ، منها أن هذه الامكنة هى التى كانت قبل هجرة محمد بن عبد الله ـ صلوات الله عليه ـ ميدان بدء الجهاد الاكبر فى الدعوة الاسلامية ، وما لقى فيها الداعى الى هذا الدين من العنت والارهـاق ، والتحزب والشقاق ، والتعرض للقتل والاعدام ، وليس بعد هذه من شرور تنزلها قريش بهذا الداعى الى دين الله .

وقد رأى المشرع الاعظم ان يكون المسلمون على ذكر دائم لهذه الامكنة التى لولا ثباته ويقينه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ما قام فيها هذا الدين ، وفى ذكر هذا السبب توجيه عام لمن يتصدى لامر على حق وصدق هو الثبات ، وتحمل الاذى ، والصبر على المكاره «اصبروا وصابروا ورابطوا » . وكما كان ابتداء الدعوة الى الدين الجديد ثورة ، وأكبر من ثورة ـ فان كل ثـائر بحاجة قصوى الى أن يتخذها قدوته ، وهـذا الثائر المعاصر : جمال عبد الناصر ، لولا ثباته ويقينه ، واقتداؤه بالثورة الاسلامية ، لكان لمصيرنا وجه غير ما نراه من النجاح والفلاح .

هناك سبب قوى غير ما تقدم فى تخصيص المكان ، هو اجتماع المسلمين فى صعيد واحد للتعارف والتشاور واجتماع الكلمة فى شئونهم العامة ، بعيدين عن أعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر ، وها هى ذى اجتماعات العرب فى العاصمتين ، القاهرة والاسكندرية ، قد أثمرت أطيب الثمرات ، واوفر البركات .

هناك سبب ثالث فى هذا التخصيص المكانى ، هـو التذكير دائما بأن خير دين أخرج للناس كان نبعـه الفياض من الصخور والرمال والجدب ، كمـا قد كان حال الجزيرة العربية عند ظهور الاسلام ، ولولا أن التجارة كانت هى المرتزق الاول لكانت الاقامة الدائمة بهذه الامكنة عذابا لا يطاق احتماله .

« لايلاف قريش ايلافهم . رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جـوع وآمنهم من خوف » .

وفى هذه الصورة القصيرة تصوير لحياة العرب فى جزيرتهم عند ظهور الاسلام .

٣ ـ الاحرام :

شرع الاحرام فى الحج والعمرة لتمثيل الحالةالطبيعية فى الناس ، دون تكلف ما يخرجها عن صورتها الاصلية ، فالناس لم يخلقوا من التزين والتطيب ، ولبس المخيط والتانق فيه ، وكل ما يشتهون ، فلدوام التـذكير بهذه الصور الاصيلة ، شرع الاحرام الذى هو فى الحج كتكبيرة الاحرام فى الصلاة ، كلاهما يحرم على الناس ما كان مباحا لهم من قبل ..

وهناك شبه قوى بين الاحرامين ، ففى الصلاة يقف المصلى امام ربه بعد تكبيرة الاحرام ، يؤدى له فرضه الذى فرضه عليه ، مقيدا غير حر فى تصرفاته ، وفى احرام الحج ابتداء للمثول بين يدى الخالق ، فمن الادب أن يكون انسانا طبيعيا لا تكلف فى شىء منه ، واذا كان لمقابلة العظماء أصول من الادب معروفة ، فما ظننا بالمصلى والحاج ، وكلاهما يقف بين يدى الله ؟

٤ ـ الطواف بالبيت :

البيت أطهر مكان فى الارض ، واشرف بقعة خلقت ، شرفه الله ، وجعله حرما آمنا ، يلوذ بحماه الخائف ، والضعيف ، أعد للطائفين والعاكفين ، والركع السجود ،

وهو معظم من قبل ظهور الاسـلام ، ولذلك كانت قريش تسابق على سدانته ، وكانت هذه السدانة اشرف شىء عندهم ، وفى الطواف به تصميم على التوبة النصوح بطلب المغفرة من الله ، ورجاء عفوه عما فرط من السيئات .

وليس بالقليل هذه الذكرى العطرة التى تحملها جوانب هذا البيت ، ذكرى ما قام به ابو الانبياء ابراهيم ، وابنه اسماعيل من رفع قواعد هذا البيت العتيق .

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا » .

٥ ـ الرمل :

الرمل : الاسراع فى الخطو ، وقد روى أن رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ وأصحابه دخلوا مكة ، وكفار قريش قد وقفوا عند باب ندوتهم ، ينظرون اليـهم ويستضعفونهم ، ويقولون . أوهنتهم حمى يثرب !.
فلما دخل رسول الله المسجد اضطبع ـ وضع رداء على كتفه الشريف ـ وقال : رحم الله امرأ أبدى من نفسه جلدا .

فتذكيرا بهذا التاريخ شرع الرمل فى الاشواط الاول من الطواف بالبيت تجلدا ونشاطا .

٦ ـ استلام الحجر الاسود :

العلم بان هذا الحجر لا يضر ولا ينفع متفق عليـه ، كما قال عمر بن الخطاب : انى لاعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا انى رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك .

ولكن المسلمين امروا بتعظيمه ، لانه مبدأ الطواف بالبيت المعمور ، والطواف اقبال على المولى سبحانه ، فاستلامه هو ابتداء هذا الاقبال ، والابتداء فى الامر يعطى حكمه .

٧ ـ السعى :

شرع السعى بين الصفا والمروة لانه قيل ان آدم وحواء استقرا عليهما ، وان الصفا سمى بذلك لانه جلس عليه آدم صفى الله ، وان المروة سميت بذلك لانه جلست عليه امرأته حواء ، وقيل انه كان فوقهمـا صنمان فى الجاهلية ، ولما جاء الاسلام كسر الاصنام واستحب السعى بينهما ، وقيل ان هاجر ام اسماعيل سعت بينهما لتجد ماء تسقى به ولدها الطفل ، وعلى أى تقدير فعندى أن احدى هذه الروايات صحيحة ، ولذلك استحب السعى بينهما .

٧ ـ الوقوف بعرفة .

الوقوف بعرفة أحد ركنى الحج ، وهو حصن مكة ، ومشرف على البيت الحرام ، وقد وجب على الحجاج الاجتماع والوقوف يوم عرفة لانه اليوم الذى اتم فيه الله النعمة على المسلمين ، وانزل على نبيه عليه الصلاة والسلام : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

فتذكارا لهذه النعم اتخذنا ذلك اليوم عيدا ،ومجتمعا عاما ، فيه من كل الاجناس والنحل الاسلامية ماهو خليق بالتعارف بينها ، ولعظم شأنه روى عنه صلى الله عليه وسلم : « الحج عرفة » .

٨ ـ الوقوف بمزدلفة :

مزدلفة هو المراد بقوله تعالى . « فاذكروا الله عند المشعر الحرام » ويقال انه سمى بهذا الاسم لكونه مهبط آدم عليه السلام ، وازدلافه الى امرأته حواء ، فتذكيرا بذلك وجب تحية هذا المكان ، والوقوف فيه برهة من الزمان .

٩ ـ رمى الجمار .

الاصل فى مشروعية رمى الجمار هو فعل الخليلعليه السلام ، لما عرض له الشيطان للاغواء ، فرماه ليرد كيده ، فتذكارا لذلك شرع رمى الجمار .

١٠ ـ مقام ابراهيم :

مقام ابراهيم حجارة كان يقوم عليها الخليل عليه السلام حين نزوله وركوبه الابل لما كان يذهب لزيارة زوجه هاجر وولدها اسماعيل ، وقد قال فيه القرآن « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » ، تيمنـا بمكان وقف عليه ابو الانبياء فى حله وترحاله .

١١ ـ الهدى :

الهدى : هو ما يهدى الى الحرم ، وقد شرعت اراقة دمه تقربا الى الله تعالى ، وشكرا لنعمه القيام باتمام اداء النسكين : الحج والعمرة ، وتوسعة على فقـراء مكة ، قال تعالى :

«جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماللناس والشهر الحرام والهدى والقلائد » .

وقال عز من قائل :

« ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله » .. وغير ذلك كثير من الآيات التى جاء فيها الهدى الذى هو ختام اداء النسكين .

شركة مصر لتجارة السيارات

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت .. القاهرة

تعتبر أولى شركات القطاع العام المصرح لها بالاستيراد والوكيلة عن الشركات العالمية الآتية :-

توكيلات عالمية

مصانع سيارات فولكس واجن — مصانع أوناش بيلي
مصانع سيارات مرسيدس — مصانع موتورات كمنز
مصانع سيارات فولفو — مصانع موجهارت بالمجر
مصانع س. أ. ف دلوكاس — مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا
مصانع جرارات دافيد براون

محطات الخدمة :

• ورشة مرسيدس
١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ - ٧٣٠٢١
بالقاهرة

• محطة خدمة سيارات نصر
بالقاهرة
١٢ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٤٩٧١٠

ورش فولكس فاجن
٥ شارع النيل بإمبابة ت ٨٠٠٦٨٢ - ٨٠٩٨٤٩
٤ شارع الادريسي بمنشية البكري بمصر الجديدة
تليفون ٦٠٤٠٦
٣ شارع رياض بالأزاريطة بالإسكندرية
تليفون ٢٥٨٩٦

MERCEDES - BENZ

مختارات الشعر الديني

من شعر ابن عربي في التصوف

- ٣ -

الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل

من قافية الباء

امنية ومناجاة

وقال محيى الدين بن عربى :

تريد جفونى أن ترى نور وجهكم
فتشـهدكم عينى ويرعاكم قلبى

ترفق بمن أضحى قتيـلا بحبكم
وبالكلف المشتاق والواله الصب

أتاكم من الكون الغريب لترفعـوا
بفضـلكم عنه مشاهدة الحجب

يناجى الذى فى قلبـه من وجودكم
بما جاء منكم فى الصحائف والكتب

يتمنى ابن عربى فى قوله هذا أن يكون ممن يدخلون فى قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » وهو قول من يثبت المشاهدة للمقربين يوم القيامة • وهو يرجو الله أن يمن عليه بهذا الكشف فقد قتلـه الحب والكلف والشوق والوله والصـبابة حين لم تستطع نفسه الحبيسة فى الجسد أن تنطلق من سجنها، وهكذا لا يظفر باللحاق الا العشاق •

ويرى جمهور الفقهاء أن رؤية المؤمنين لربهم فى الدنيا بالقلوب وفى الآخرة بالانكشاف المنزه عن المقابلة والجهة والمكان • ويقولون ان الرؤية نوع من الكشف والعلم للمرئى يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بأبعاده ، فجاز أن يخلق هذا القدر بعينه من غير أن ينقص منه قدر من الادراك من غير مقابلة لهذه الحاسة أصـلا • وهذا ليس غريبـا ولا مرفوضـا فانه ثابت بالنسبة الى الله فانه يرانا من غير مقابلة ولا جهة •

وربما أراد ابن عربى أن القلب والعين شىء واحد فهو يتمنى أن يراه بعين قلبـه الذى به البصيرة وبه الايمان والحب •

كما يقول أنه رفع هذه المناجاة راجيا أن يرفع الله عن عينى قلبـه الحجب المانعة حتى يشاهد نور الله ، وهو انما يناجى ما صورته الصحف والكتب المقدسة من صفات الله حتى استقرت معرفتها فى القلب ، فهو لا يناجى الا بما صورته هذه الصحف من صـفات الحق ولذلك فهى حرية بالاستجابة ، فيرفع الحجاب ستر الحجاب ويتجلى المراد لتنعـم العين والفؤاد • والله أعلم •

روح الكهف

وقال مشيرا الى علم موسى وعلم الخضر فى سورة الكهف :

لله عبد مشى المختص فى طلبـه
وقد أقام له البرهان فى طلبه

لقد تزكى بما زكاه خالقـــه
لكن تصح له دعواه فى نسبه

وانصف الغير بالاقرار معترفا
بما درى منه من علم ومن نسبه

اعد ألفا ولم يحصل فأعلم أن(م)
النقص نعت له منه ومن تعبه

أين الثـلاثة من ألف أعد له
فلا تقف عند ما يديه من سببه

فكل شخص على علم ويجهله
الغير منه وذاك العلم فى كتبه

ومن تحقق بالآداب أجمعها
فكل علم يرى منه فمن أدبه

لو استعرض قارىء هذه الأبيات قصة موسى والخضر عليهما السلام فى سورة الكهف لانت له هذه الأبيات وذهبت منها الجفوة البادية فيها لأول وهلة : والقصة أن موسى اختصه الله بالنبوة والكلام ولكنه طلب زيادة العلم من عبد لعله لا يكون نبيا • وأعد موسى ألوفا من الأسئلة يستفيد علمها ولكنه لم يظفر بغير اجابات ثلاث على أمور لم يدر سرها ولا يصح أن تكون عنده قياسا فى الشريعة ، وهذه الثلاثة أمر السفينة والغلام والجدار • وهنا علم موسى — ويجب أن يعلم كل انسان — أن العلم الموهوب لا يتعدى الأجزاء التى قسمت على الأفراد بحيث يجهل كل فرد ما علمه غيره وليس موصوفا بالاحاطة الا علم الله واهب العلوم •

وبالنظر الى الأبيات أن العبد هو الخضر وأن المختص هو موسى والطلب فى شطرى البيت الأول السعى الى الخضر ومعرفة البرهان منه • ودعوى الزكاة والرفعة من موسى انما هى مقصورة على ما أحاط به من علم • وقد اعترف هو بذلك فأنصف علم الخضر مقرا بما أوله له من السر والحكمة •

وفى البيتين الثالث والرابع أشار ابن عربى الى ما كان أعده موسى من الأسئلة لمعلمه ولكنه لم يفز بغير ثلاثة • ويتعجب ابن عربى لقلة ما ظفر به موسى بالنسبة لما كان أعده • وقد أشار فى آخر الأبيات الى أن كل علوم الأنبياء معطاة لهم فى كتب وأن علم الله محيط • كما جعل العلم فرعا من الأدب وجعل الأدب جامعا •

قلوب المؤمنين وقلوب المتكبرين

وقال فى معنى قوله تعالى •• ويطبع الله على كل قلب متكبر جبار فى سورة المؤمن :

العلم افضل ما يقنى ويكتسب
والعلم أزين ما حل النفوس به

بالعلم يطبع رب العالمين على
قلب العبيد فلا كبر يحل به

لأنه يجد الأبواب مغلقة
بفطرة هو فيها أو بمكسبه

قل كيف شئت فان الأمر يقلبه
ولا تخف من غوى فى تطلبه

وكيف يدخل كبر من حقيقته
فقر وعجز وموت عند منتبه

شخص يرى قرصة البرغوث تؤلمه
الى مكاره يلقى فى تقلبه

فالحس يعلم هذا من يقوم به
لدى اقامته أو حال مذهبه

يصف ابن عربى فى هذه الأبيات قلوب المؤمنين المفطورة على الخير ويتعجب من أن يدخل الكبر الى قلب الانسان مع فقره وعجزه وموته ، ويوضح نهاية عجز الانسان بتألمه وهلاكه من قرصة برغوث ، ويوجب على الانسان الذى يحس بهذا الضعف أن يرفض الكبر ولا يدخله الى قلبه أبدا ، ولا يكون ذلك الا بالعلم الموهوب أو العلم المكسوب •

وفى تفصيل الأبيات كلام :

ففى الأبيات الثلاثة الأولى يصف العلم بأنه أفضل ما يكتسبه الانسان وأغلى ما يدخره وأحلى ما يتزين به • واذا طبع الله به قلب عبد من عبيده جعل بينه وبين الكبر حجابا • واذا حام الكبر حوله ليدخله وجد أبواب القلب مغلقة دونه فترده عنها اما بفطرة الخير واما بالأدلة التى اكتسبها العقل من العلم •

وفى الأبيات الثلاثة الثانية يؤكد ابن عربى أنه لا خوف من الشيطان اذا عمر القلب بالعلم لأن الانسان حينئذ سيستعمل أدلته ويستنكف أن يدخل الكبر الذى هو خلق الجبارين الى هيكل فقير عاجز ميت • ثم مثل ابن عربى الضعف أمام قرصة البرغوث •

وفى البيت الأخير اتخذ من الحس شاهدا على القول فى كل ما رزق الحس من المخلوقين فانها جميعا تحس بأدنى الآلام فى كل الاحوال •

الوحي والعلم

وقال من روح سورة المدثر :

العلم منه ما أنا كاسب
فرهن نفسي ما الذى أوجبه
ما أعجب الامر الذى قلته
على صحيح العلم ما اعجبه
وقد يقول الحق من عنده
من اقدر الخلق ومن أكسبه
الا أنا فالفعل منى به
فلا تقل فى العبد ما أكذبه
يصدق فى الفعل اذا قال لى
برهاننا الكاتب ما أكتبه ؟

وهذا القول من غامض اشارات ابن عربى ولكنه يتضح اذا قيس بسورة المدثر وروحها • وفى الكلام يرى ابن عربى أن العلم الالهى - وكل علم حق فانما هو الهى - انما هو من الله سواء ألقى الى المرء وحيا أو الهاما ، أو قولا أو خطا • وكل العلم من الله ولا كسب للمرء فيه فاذا رهن الانسان نفسه للتعلم فانما هو طريق من الله لالقاء العلم •

وحقا ان الناس سيتعجبون من هذا القول ولكنهم مهما تعجبوا فان الأمر الذى لا مرية فيه هو أن الله هو الذى يلقى علمه وحيا أو تعليما وكل فعل يبدو من الانسان فانما هو بأمر الله ومشيئته وان كان مرئيا من الانسان • وحيث كانت الحقيقة كذلك فانه يجب أن لا يكذب الموحى اليه فيما يقوله فانما علمه الله اجتباء واصطفاء •

واذا لم يكن ذلك مفهوما فهل يستطيع البرهان أن يوضح الأسباب التى جعلت الكاتب كاتبا ؟ وانه لأمر عجب • والله أعلم •

أحوال الصوفى

وقال يخاطب صاحبا له فى حالة تخصه فى العلم الالهى :

فلا تتعب ولا تتعب
وكن كالحول القلب
اذا ما لم تكن هذا
فلم تعثر على المطلب

يوضح ابن عربى أحوال الصوفى الذى يتنقل من حال الى حال من غير أن يسعى له وانما عليه أن يقيم فى الحال الذى يقيمه الله فيه حتى يأذن له بغيره فيجده منتقلا اليه •

ولا يريد ابن عربى نصيحة صاحبه بأنه يجب أن يكون حولا قلبا لا يستقر على حال من أحوال الدنيا وانما عليه أن يطلب كل آن أحسن مما هو فيه ، ولكنه يطلب من صاحبه الصوفى أن يكون مثل هذا من حيث لا يطلبه•

ويقول ان الصوفى اذا لم يدع نفسه بين يدى الله ينقله من حال الى حال كما يشاء فلن يعثر على طلبه من الترقى الى درجة العارفين• ونصيحة علماء الصوفية للعبد دائما أن يكون كالميت فى يد الغاسل •

على الله التكلان

وقال مناجيا مولاه سبحانه وتعالى :

أيا خير مصحوب ويا خير صاحب
عليك اتكالى فى جميع مطالبى
عليك اتكالى ثم أنت وسيلتى
اليك فحل بينى وبين مطالبى
وكن عند ظنى لا تخيبه انه
من أكرم مطلوب وأفقر طالب
لقد ترجم الايمان عنكم بأنكم
ضمنتم لأمثالى جميع المطالب

وهذا من أوضح ما قاله ابن عربى فى المناجاة • انه ينادى ربه فى الحالين التى يقبل فيها العبد عليه أو يقبل هو على عبده فيجعل فيهما اتكاله على الله فى جميع مطالبه •

وحيث وكل امره الى الله فلا ضرورة لأن يطلب منه ، أليس هو أعلم بما ينفع العبد ، وقد تعود مطالبه التى يتخيل فيها الخير مضار ، فالأفضل أن يحول الله بينه وبين مطالبه التى يرى الوكيل أنها لا تنفع •

ويرجو ابن عربى أن يكون الله عند ظنه الحسن فيه وما أبعد ما بينه وبين الوكيل فهو غنى كريم ، أما ابن عربى فذليل فقير وليس أقدر على سد حاجاته من الغنى الكريم •

وايمان ابن عربى يؤكد له بما جاء فى الآيات الكريمة أن الله سيجيبه لأنه مطيع ومضطر كحال الصوفى دائما فهو فى اضطرار والله سبحانه يجيب المضطر اذا دعاه •• والله أعلم •

بطلة كربلاء

الشاعر عبد الله شمس الدين

الحب والإكبار بينَ   يديك خير تحيّة
يا طلعة النور المقدّس   دُمْتِ أمجدِ قِصَّةِ
يا بنتَ مَنْ لَبِسَ الرِّداءَ   فِدًا بأرهب ليْلَة
وعلى بطولته تَسلَّق   نورُ فجْرِ الهجرة
يا أُخْتَ مَنْ وَهَب الحيا   ةَ فِدًا لأسمح مِلَّةِ
يا مَنْ بنور الله : قَدْ   مَزَّقْت أحلك ظلمة
فى « كربلاءِ » وقفتِ شا   مِخَةَ السَّنا فى عِزَّةِ
ووفيْتِ أشبال « الشهيد   الحُرِّ » شَرَّ مكيدةِ
ووصلْتِ حَبْلَ النور فوق   جبين أكرم أُمّةِ

يا بنت بنت النور . مِنْ وافى بخير نُبُوَّةِ
كرُمَتْ على يَدِهِ الحياةُ فكان أرحم رحمة

* * *

أنا مِنْ ظلالك أجتلى للنور أجمل صورةِ
أنا فى رحابك إنْ دعَوْتُ رأيْتُ نورَ «خديجةِ»
حملَتْ رسالتَها وأدَّتْها بخيْر عزيمةِ
وهِىَ التى قَطَعَتْ مَعَ المختار أَجْهَدَ رحْلَة
يا نبْتَةَ «الزهراءِ» وهْىَ عروسُ أهل الجنَّةِ
يا بنْتَ أكرم «نبتتيْنِ» لَأَنْتِ خير حفيدةِ

* * *

هذا الرحاب لعاكفيه غلائلٌ من رحمة
الغيْبُ طرّوزَ من ستائِرِهِ جلال الهيْبَةِ
والنور توَّج من قداسته . جمالَ الطلعة
والخلد عطَّر من شذاهُ الفاطِمىُّ سكينتى
يا زينبَ «الأمجاد» دُمْتِ وأنتِ أمجد قصَّةِ
الحب والإكبار بيْنَ يديْكِ خير تحيَّة

عيد الأم

الشاعر نجاتى عبد الرحمن

إنه «أُمى» يوم عيد الأُمهات قبِّلينى
أنت روحى ، أنت زين الوالدات أنت أُمى

* * *

أنت ذخرى وحياتى فى الوجود وهنائى
أُذكرينى بالدعا عند السجود للسماءِ
أَنت أُمى

* * *

لك يا أُماه فضلٌ وكرامة لك قلبى
أنت لى فى الكون أَمنٌ وسلامة أَنت حبى
أَنت أُمى

خلق الله جناح الأُمهات من حَنَان
وجناحًا مثله من رحمات وأَمان
أَنت أُمى

* * *

كم تحملت لأَجلى من عذاب يوم حملى
ليس بين الله والأُم حجاب إن دعت لى
أَنت أُمى
ظلِّلِينى بجناحيك لأَحيا مطمئنا
أَنت دنيا لا أَرى غيرك دنيا تُتَمنَّى
أَنت أُمى
إن بكت عيناى كفكفت دموعى بيديك
بغيتى فى يقظتى أوفى هجوعى ناظريك
أَنت أُمى
أَنت صفوى ومنايا وحياتى أَنت سعدى
أَنت حصنى وملاذى ونجاتى أَنت مجدى
أَنت أُمى

* * *

سأُناجى من فؤادى كل آن حسن فعلك
ذكرى عيد الأُم من أَشهى الأَمانى ذكرى فضلك
أَنت أُمى

غرَّد الطير وغنَّى يوم عيد الأُمهات
وروى لحنا فلحنا وأَشاع البشريات
أَشد يا طير وغنِّ

شاطرْ النيل التهانى وأَعد عذب الأَغانى
إنه عيد الأَمانى والليالى المشرقات
غنِّ يا طير وهنِّ

* * *

واطلعى شمس الصباح واملإِى هذى البطاح
بسرور وانشراح ثم حيِّ الوالدات
بالأَمانى والتمنى

* * *

إن عيد الأُم عيد ضاحكٌ الوجه سعيد
نحن بالأُم نشيد ونُعدُّ الحسنات
ونغنى ونُثنى

إنما الأُم نعيم وَهِيَ السعد المقيم
وَهِيَ الظل الكريم وهْيَ فيض الرحمات
وهى كهفى وهى حصنى

* * *

نحن بالأُم نغالى نحن بالبر نوالى
نحن فى عهد «جمال» نحتفى بالطيبات
وعلى مسعاه نثنى

صيحة

الشاعرة روحية القليني

من قلوب الشعب دوَّت صيحةٌ ... ما رئيسٌ لحمانا غيرَ ناصر
هو منا وإلينا وبنا ... قد حمى الأوطان من سوءِ المصائر
عزمةٌ جبارةٌ أقصى بها ... كل محتل لوادينا وغادر
هو رمزٌ لسلامٍ دائمٍ ... وعلى الأعداءِ كالأُسْد الكواسر
واشتراكى بشعبٍ طامحٍ ... عهدُه فى صفحةِ التاريخ زاهر
أمم العُرْب جميعا بايعتْ ... جمع الشَّمل على صدقِ الأواصرِ
كانت الأَرض بوادينا ضياعا ... كم قضى الفلاحُ طولَ الليل ساهر
يبذر الحب ويجنى غيره ... عرق الفلاح يجنيه جواهر
ثورة عملاقة قد غيرت ... صفحة التاريخ من فوق المنابر
صيحةٌ دوت كرعد قاصف ... صاغها من قلبه أعظمُ ثائر
قال فى صدق وفى عزم لنا ... ذلك الظلمُ له لابد آخر
إن يكنْ بالأَمس ليلٌ مظلم ... وضياءُ الفجر للأَجيالِ باكر

كيفَ كنا كيف أَصبحنا سلوا من تشاءُون سلوا حتى المكابِر
قد غدونا أُمةً جبارة نَمحَقُ الظلمَ ونمحو كل جائر
وسمونا فوق هامات العلا نسبِق الأَمجاد فى ماضٍ وحاضر
وغدا فى القدس لُقيانا غدا نلتقى بالسيفِ فى بأَسٍ نغامر
لن أَذوق النوم سُهدا دون أَن أَدفع الصهيون فى جوف المقابر
وتُظِلُّ الْعُرْبَ جمعا رايةٌ نسجها الودُّ والوانُ المفاخر
فى ربا نجد نغنى (وحدةً) والصدى الغريد يسرى فى الجزائر
يومها يهدأُ قلب ثائر ونغنى مثلما غرد طائر
أنا ياربى دعاءٌ خالصٌ من صميم القلب من صدق المشاعر
صنْ لمجدِ العُرْب قلبا مخلصا صنْ إلهَ الكون للأَجيالِ ناصر

ليلة عيد

الأستاذ حسين القباني

كانت سهام جالسة فى شرفة منزلها الصغير الأنيق ، تنظر فى سعادة وابتسام الى طفلها عاكف الذى تجاوز عامه الثانى بأسابيع وهو يتواثب صائحا مهللا حول خروف العيد فى الحديقة .

العيـد ..!

ان كلمة « العيد » ترن فى أذنيها رنينا رهيبا ، وتعيد الى ذهنها ذكريات عيد آخر ، وان الذكريات لتتجمع وتتكاثر حولها ، فاذا هى تعيش فيها ، واذا هى تذكر بوضوح كل ما حدث فى تلك الليلة .. ليلة العيد .

فى تلك الليلة .. ليلة العيد التى دار عليها عام كامل ، كانت سهام قد فرغت من هدهدة طفلها الرضيع ووضعته فى مهده ، ثم تجملت وأطالت النظر الى أديم المرآة التى كانت تعكس لها وجها جميلا فائق الجمال ، وجسما لينا ملفوفا ناضج الانوثة والفتنة ، وشعرا ذهبيا متهدلا على الكتفين ، وابتسامة عذبة تنم عن السعادة والرضا .

وغادرت مخدع الطفل لتتفرغ لزوجها الطبيب الشاب الدكتور وجدى ، وبعد ان تناولا طعام العشاء ، تقدما نحو المقعد الوثير بجانب الراديو ، وقد أحس كل منهما بأفراح الحياة تنثال فى قلبه ، وبأهازيج الهناء تتردد فى سمعيه ..

كانا يزمعان فى تلك الليلة .. ليلة العيد ، بعد العشاء ، أن يقضيا السهرة معا بمفردهما ، يجددان عهود الحب الحلال ، بينما يملأ هذا الصوت الجميل نفسيهما بالسحر والنشوة وهو يردد :

« يا ليلة العيد انستينا »

واقتربا من المقعد الكبير الوثير بجانب الراديو ، وبسط الدكتور وجدى ذراعيه ليأخذ سهام ، زوجته ، بينهما .. ولكن جرس التليفون يرن ، واذا المتحدث يستغيث بالدكتور وجدى لينقذ طفلا فى حالة خطرة ، واذا وجدى يذكر واجبه كطبيب ، وينسى كل شىء عداه ..

وبعد دقائق معدودة كان يهرع الى سيارته وهو يؤكد لزوجته أنه سيعود فى أسرع وقت ممكن ..

ولكنه لم يعد فى تلك الليلة .. ليلة العيد .. ولا فى الليالى التالية .

لقد أصيب فى حادثة اصطدام ، ثم نقل الى المستشفى حيث أجريت له جراحة عاجلة فى سلسلته الفقرية ، وأنقذت حياته ، ولكنه فقد نصفه الأسفل كله ، لقد صار مقعدا مشلول الساقين ..

ان سهام لترسل الزفرات حرى وهى تستعيد هذه الذكرى .. الذكرى التى تبدو لها كأنها حلم مفزع رهيب .

ومنذ أدرك الزوج أنه أصبح فى الحياة نصف ميت أو نصف حى ، وهو يرفض أن يزوره فى المستشفى أحد غير أخيه الشقيق .. رفض فى اصرار عنيف أن يرى زوجته الحبيبة وطفله الرضيع ، ولكنه أرسل اليها .. الى سهام ، زوجته ، خطابا ، وأنها لتذكر هذا الخطاب كلمة كلمة كأنما حفرت ألفاظه الدامية فى قلبها سكين محماة .. قال فى خطابه أنه سيحررها من زواجهما بعد خروجه من المستشفى ، فهو لا يستطيع أن يستغل حبها وحنانها ووفاءها لتقضى الشباب وأفراح الحياة معه ، وهو المقعد المفلوج ، ولسوف يذهب الى والديه .. هناك فى أعماق الريف ليقضى ما تبقى من عمره فى صبر ودعة وهدوء .

« .. قد تبدو لك هذه الحقيقة المجردة ، قاسية مروعة يا سهام ، ولكنها هى الحقيقة على كل حال ، فطبيعة الحياة لا تحتمل - طويلا - الأوهام ومغالطة النفس ، انك يا سهام لن تترددى فى الوقوف بجانبى الى آخر العمر ، ولكن .. كيف أستطيع أن احتمل نظراتك الحزينة الوادعة .. كيف احتمل عبراتك التى ستذرفينها خلسة فى سكون الليل ، وأمارات الحرمان التى ستغافلك حتما وتطل من عينيك ، لا .. لا يا سهام .. اننى كطبيب - سابق - أعرف من غيرى بدخائل النفس البشرية ، فليس لنا من ثم سوى الذكرى .. ذكرى الشهور الجميلة التى قضيناها معا كالحلم .. وداعا ! » .

ورددت سهام هذه الكلمات الأخيرة من خطابه لنفسها ، فلما بلغت الكلمة الأخيرة أخفت رأسها بين يديها ، وتركت الدموع الحبيسة تخفف عن قلبها الأحزان .

لقد رفض وجدى توسلاتها الأخيرة فى أن تراه ، ولو مرة واحدة ..

وكانت سهام تجلس فى الشرفة - كما تجلس الآن - حين رن جرس التليفون ، فانتفضت ، ثم نهضت حائرة ، وازداد وجهها شحوبا ، ثم حملت نفسها فى تثاقل الى موضع التليفون فى الردهة بجانب الراديو ، انها لا تريد أن تتناول السماعة وتنصت الى المتحدث ، فقلبها يشعر أنه هو .. ماهر ، ابن عمها ورفيق صباها الذى كان يهواها فى جنون ويتمنى الزواج منها ، ولولا معارضة امه لكانت هى ، سهام زوجة له الآن .

ولكن سهام لم تندم حين تزوجت من وجدى ، فهى لا تذكر البتة أنها سعدت فى حياتها كما سعدت فى خلال هذه الشهور العشرين التى قضتها معه ، والتى انتهت فى تلك الليلة .. ليلة العيد .

اما ماهر ، فقد أسرع اليها بعد المأساة ، قادما من مقر عمله بالاسكندرية وان سهام لا تدرى كيف علم بهذا الخطاب الذى أرسله زوجها ، ولكنها تذكر كيف أخذ ماهر يثنى على موقف وجدى النبيل ، ثم شرع يذكر لها أنه لن يقيم وزنا لمعارضة أمه ، وأنه لن يتزوج من ابنة خاله التى يريدون فرضها عليه ، وأنه - من ثم - سينتظرها هى .. سهام ، سينتظر فى صبر قرارها الأخير ، وأنه لواثق من النهاية ، فليس من شك فى أنها لن ترضى بتحطيم قلبيهما لتفنى شبابها وحياتها مع زوج لا يريدها ..

ولم يستطع ماهر ان يتمادى فى الصبر ، فحدد يوما ، قبل العيد التالى بشهر ، ليعرف فيه قرارها النهائى ، وفى صباح اليوم المحدد ، اتصل بها تليفونيا من الاسكندرية ، وقال انه سيحضر اليها فى تمام السادسة مساء ليعرف قرارها الأخير .

ان سهام لا تدرى ماذا تفعل ! ففى أعماق نفسها حرب مشبوبة الأوار ، لا ترحم .

ودقت الساعة فى ذلك اليوم الرابعة حين رفعت سهام سماعة التليفون ، بعد أن توالى الرنين ، وأنصتت الى ماهر وهو يقول لها انه وصل ، وانه سيزورها فى الموعد المحدد . ووضعت السماعة وتهالكت فى مقعدها وأمسكت رأسها بين يديها وقد خيل اليها أن شرايينها ستنفجر ، وأنه سيغشى عليها من هول ما تشعر ، ثم مضت الى الشرفة مترنحة لتجلس فيها كما تجلس الآن ، وكان غياب الخادم عند أهلها ثلاثة أيام قد ضاعف الوحشة فى قلبها وجعلها تشعر أن هذا السكون المخيم على المسكن ، انما هو سكون رهيب زاخر بالأشباح الراقصة حولها .

ودقت فى ذلك الحين الساعة تعلن الخامسة ، وهى فى موضعها لا تكاد تجرؤ على رفع رأسها . لقد كانت ترجو أن تستغرق فى النوم حتى لا تسمع رنين جرس الباب الخارجى حين يحضر ماهر فى تمام السادسة .. انها اذا لم تفتح الباب ، فسوف يعود من حيث أتى وقد عرف أنها رفضته .

كانت تشعر أنها على وشك الانهيار تحت ضغط الحياة ونداء الشباب ، وكانت تحس فى أعماق نفسها أن هذا كله ، سيدفعها ، رغما عنها ، الى فتح الباب حين تسمع رنين الجرس والى القاء نفسها بين ذراعى ماهر فى يأس وخنوع واستسلام .. ولكن لا .. محال انها تنهض وتزم شفتيها ، وتنظر الى الشمس الغاربة عند الأفق .

وظلت ترنو الى منظر الغروب الساحر عندما شرعت الشمس تنحدر نحو المغيب وهى ترسل أشعتها الوردية فتلمس أعالى السحب كأنما تلقى اليه بتحية الوداع .. الى لقاء .

وخطر لها فجأة أنه ليس هناك وداع الى غير لقاء فى هذه الحياة ، فالغائب لن يفقد الأمل فى العودة الى لقاء من يحب ما دام هناك حياة ، وحتى بعد الموت سيلتقى من كان حيا بالذى سبقه الى عالم الخلود ، فكيف .. كيف يودعها زوجها فى خطابه الأخير وداعا لا لقاء فيه أو بعده .. ان هذا مستحيل .

وفجأة تردد فى أذنيها همس رقيق كأنه غناء ساحر يسكب فى روحها الشعور بأنه لا يأس من رحمة الله فى الحياة .. وبعد الحياة .. وأن وقوفها بجانب زوجها فى محنته قد يعيد اليه صحته وقوته رغم قوانين الطب الموضوعة .

وشعرت سهام منذ تلك الليلة .. ليلة العيد ، بالهدوء يغمر نفسها ، وبجمال التضحية اذا احتاج الأمر الى تضحيتها ، فكل شىء فى الحياة لا يساوى نظرة شكر من زوج مريض، ولا ابتسامة هانئة لطفل سعيد يعيش بين والديه ..

وفى تمام السادسة مساء رن جرس الباب الخارجى يعلن وصول ماهر فى الموعد المحدد ، وشاع الاضطراب فى كيانها كله ، ولم تدر ماذا تفعل بعد أن عقدت عزمها على الوقوف بجانب زوجها فى الحياة ، وبعد الحياة ..

ان رنين الجرس يدوى فى أذنيها ويكاد يحطم أعصاب سمعها ، انه رنين متصل ملح رنين شاب يصر على أن يصل الى ما يريد .

وشعرت سهام أن أعصابها ستنهار اذا استمر هذا الرنين لحظة أخرى ، فضغطت على أسنانها فى غضب مكتوم ، وانطلقت الى الباب ففتحته فى عنف وهى تهتف :

ـ ماهر .. هل جننت ؟

وكان الشاب قد بسط ذراعيه حين فتح الباب ، ولكنه لم يلبث أن تخاذل فى شحوب عندما رأى وجه سهام ، فتمتم مضطربا :

ـ سهام .. ماذا تعنين ؟

ـ أعنى أنه كان يجب عليك ، وأنت محام مثقف ، أن تدرك معنى رفضى لفتح الباب ..

ـ ولكن ..

ـ ولكن واجبك ، كابن عم ، وانسان ، كان يحتم عليك أن تعيننى على الوقوف بجانب زوجى ، ان الحياة ليست جديرة بأن نحياها اذا خلت من القلب الرحيم ، ومن الشعور النبيل ، ومن العاطفة السامية المطهرة ..

ـ أهذا هو قرارك الأخير ؟

ـ هذا هو القرار الذى سيسعدنى مدى الحياة ..

وأطرق الشاب برأسه ، ومضى ..

وأغلقت سهام الباب فى رفق ، وتراجعت مترنحة ، وألقت بنفسها على أقرب مقعد ، ووضعت رأسها بين يديها ، وتركت الدموع تنحدر من عينيها ، واستيقظ الطفل عاكف من النوم ، فنفضت عن نفسها تلك المشاعر المدمرة ، وأسرعت اليه ، وراحت تغسل فى بسماته آلام الحياة ..

وقبل أن تأوى الى فراشها فى تلك الليلة ، قبل هذا العيد بشهر ، رن جرس التليفون ، فتناولت السماعة وهى تشعر باحساس غريب ، سار ، يشيع فى نفسها ، غير أنها ما كادت تنصت الى الكلمات الأولى حتى سقطت السماعة من يدها ، وتهالكت فى شبه اغماء ، ولكنها جمعت نفسها بسرعة ، وألقت على ثوبها المنزلى معطفا ، وارتدت حذاء خفيفا ، وحملت طفلها ، وانطلقت من البيت ، واستقلت أول تاكسى مر بها ، وطلبت من السائق أن ينطلق باقصى سرعة الى حيث يقيم زوجها بالمستشفى ..

وهناك ، فى مدخل المستشفى ، استقبلها الدكتور محمود ـ زميل زوجها والذى استدعاها بالتليفون ـ وحاول أن يهدىء من روعها ، ولكنها هتفت به فى ذهول :

ـ أرجوك .. صارحنى بالحقيقة .. هل .. هل حقا ؟

ـ تمالكى نفسك يا سيدتى ، فالسرور الشديد كالحزن الشديد ، خطر على الأعصاب .. فهدئى من مشاعرك ، الواقع أنى لم أدر كيف أحمل النبأ السار اليك .

ـ النبأ السار !

ـ نعم .. ان وجدى فى طريقه الى الشفاء

وكادت سهام أن تسقط مغشيا عليها لولا أن أسرع الطبيب الى تقديم مقعد اليها ، وبعد أن هدأ من مشاعرها ، قال :

ـ كان هناك أمل أخير ضئيل فى عملية جراحية سابعة قد تنتهى بشلل تام يعقبه موت سريع ، أو شفاء تام بعد فترة من النقاهة .. ولم يكن وجدى فى حاجة الى من يقنعه باجراء هذه العملية الخطيرة ، وانما كان يصر على اجرائها ويلح فى الاسراع بها ، كان يقول دائما انه سيكون الرابح .. فى كلا الحالتين!

وبعد فترة من الصمت ، استطرد الطبيب يقول :

وأصر وجدى على أن تجرى له العملية دون أن نخبر أحدا الا أخاه الشقيق ، فقد كان يريد ألا يملأ نفس أحد بهذا اللون من القلق الرهيب أثناء العملية ، وقد أجريناها له منذ أسبوع .

وهتفت سهام ضارعة وهى تشهق :

ـ ونجحت ؟

ـ نعم . وتمت للطب معجزة أخرى ..

ووثبت سهام متهللة وهى تهمس بصوت مختنق :

ـ وهل يمكن أن أراه الآن ؟

ـ لقد طلب منى أن أدعوك لزيارته .. تفضلى معى الى غرفته ..

ولم تدر سهام كيف وصلت الى غرفة زوجها الحبيب ، وانما هى تذكر بقلب خافق كيف رات زوجها الحبيب بقامته الطويلة ، وكتفيه العريضين ، وجهه الشاحب من أثر المرض ، ويديه المبسوطتين لاستقبالها ..

*

وانجابت غيوم الذكريات عن ذهن سهام ، فوثبت واقفة وراحت تنظر فى سعادة وابتسام الى طفلها عاكف وهو يتواثب مهللا حول خروف العيد فى الحديقة ، وفجأة سمعت نفير سيارة زوجها وهى مقبلة الى البيت من بعيد ، فخفق قلبها هناء ، كما تعود أن يخفق كلما سمعت هذا الصوت ، وما لبثت أن رأته مقبلا على الحديقة بقامته الطويلة وكتفيه العريضين ووجهه الناضج بالصحة والشباب ، فأسرع الى عاكف يحمله بين يديه ، ثم يرفع وجهه الباسم اليها ويقول : « سوف يحضر الجزار فى الثامنة هذه الليلة .. وسنقضى السهرة معا بجانب التليفزيون » .

باب الرياضة
اعداد: ناصيف سليم
12

دور الجمهورية العربية المتحدة في الدورات الرياضية الإقليمية

* الدورة العربية * الدورة الإفريقية

دورة البحر الأبيض المتوسط

حلال الايام القليلة القادمة يتوقف نشاطنا الرياضى المحلى ، لنستعد للدورة الافريقية الأولى فى مختلف اللعبات التى تنظمها الكونغو برازافيل فى يونيو القادم . وتشترك فيها كل الدول الافريقية المستقلة .

وهذه اول مرة تخرج فيها فكرة اقامة دورة رياضية للدول الافريقية الى حيز الوجود . ولم يتحقق ذلك الا بعد استقلال كثير من دول أفريقيا أو قيام الجمهورية العربية المتحدة بدور القيادة الرياضية فى هذه الدول .

وكانت الجمهورية العربيـــة المتحـدة قد نجحت فى السنوات الثلاث الاخيرة فى ان تكون اتحادات افريقية لعدد كبير من اللعبـــات الرياضية .. فى كرة القـــدم والسلة .. والملاكمة .. وتنس الطاولة . وأقيمت دورات كل عامين لهذه اللعبات . ولكن هذا لم يكن يكفى لابراز الكيان الافريقى فى عالم الرياضة، لأن كل لعبة كانت تقيم دورتها فى وقت غير الوقت الذى تقيم فيه بقية اللعبات دوراتها .

وكان عدد الدول التى اشترك فى هـــذه الدورات أقل من عدد الدول التى استقلت حديثا فى أفريقيا .

اما اليوم فان الدورة الافريقية الاولى التى تنظمها الكونغو برازافيل فى شهر يونيو القادم فانها لكل اللعبات الرياضية فى وقت واحـد ،

وسيجتمع الشباب الرياضى الافريقى كلـه فى صعيد واحد ، وسيكون لهذا اثره الكبـير فى دعم الروابط ، وتبادل الثقافات والمعـارف والخبرات .

موقف الاستعمار

ولم يكن سهلا أن تتفق الدول الافريقيـة كلها على اقامة هـــذه الدورة الاولى ، لأن الاستعمار لا يرضى عن التقاء الشباب الافريقى كله فى مكان واحد ، ولا أن تتوحـــد الرابطة ويتجه الشباب الحر نحو هدف واحـــد . فوضع العراقيل منذ وجدت فكرة قيام هـــذه الدورة فى سبيل عدم اقامتها .. وكانت أول محاولة لنا فى ذلك عام ١٩٢٩ . أرادت مصر ان تقود شباب أفريقيا الى ميدان الرياضة ، لكى يتنبه الى مصيره ، ولكى يقف على قدميه منافسا للاستعمار الغربى ، ولكن الاستعمـار ابى ذلك ، وباءت المحاولة بالفشل . واتجهنا الى دورات أخرى نقيمهـــا ، دورات للدول العربية . دورات لدول البحر الابيض المتوسط التى تضم سبع دول عربية ، ونجحنا ، برغم كل العراقيل، ثم عدنا لنوقظ شباب أفريقيا . ولنجد انه على استعداد تام للمنافسة الرياضية والنجاح فى عالم الرياضة . وكان أن تقــرر اقامة أول دورة افريقية فى يونيو القـــادم بالكونغو برازافيل .

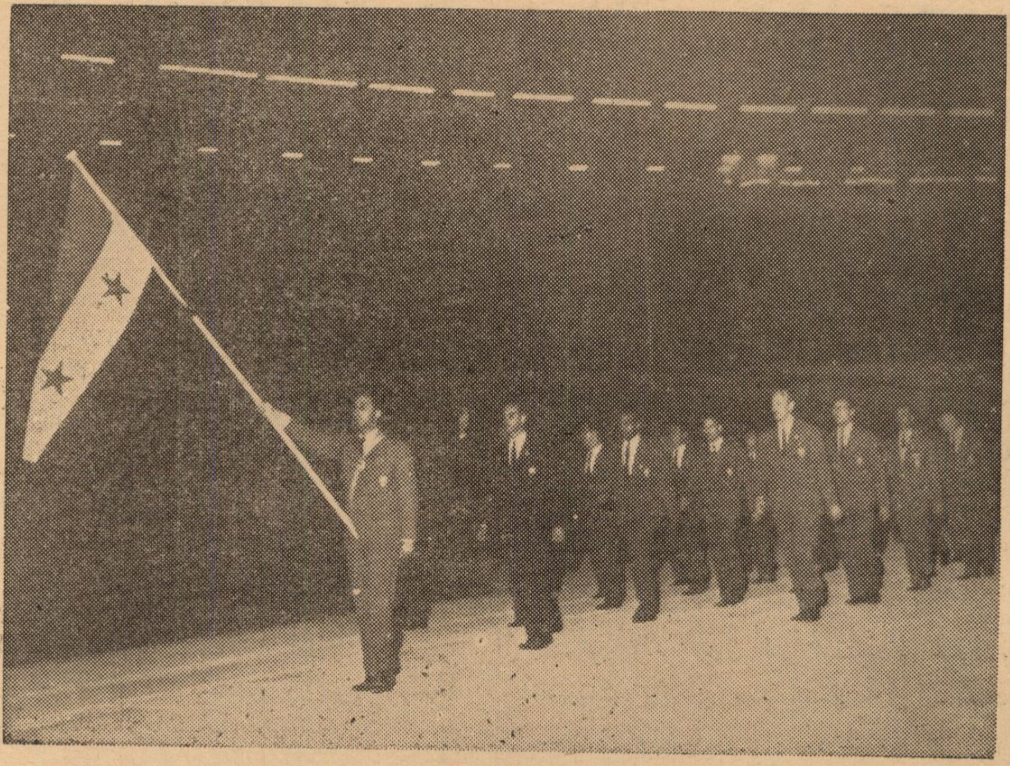

بعثة الجمهورية العربية المتحدة فى دورة البحر الابيض المتوسط ببيروت عام ١٩٥٩ يتقدمها بطل كرة الماء اسماعيل رمزى حاملا العلم ومن خلفه عز الدين مختار مدير فرقنا المشتركة فى الدورات

دور الجمهورية العربية المتحدة

ولكى تبوء بالفشل كل محاولات الاستعمار التى يبذلهـــا فى سبيل عدم اقامة الدورة الافريقية ، وقفت الجمهورية العربية المتحدة الى جانب الكونغو برازافيل مساندة لهـا ، مساعدة اياها فى اقامة المنشآت الرياضية ، وفندق عالمى كبير .. كما أعلن السيد الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك وأعطينا الكونغو برازافيل قرضا قيمته ٣ ملايين من الجنيهات لاقامة المنشآت الخاصة بالدورة. حتى تفوت على الاستعمار وفرنسا بالذات الفرصة ..
وكان الاستعمار يبغـى أمرين لا ثالث لهما : اما أن تلغى فكرة اقامة دورة افريقية . أو تقام تحت اشراف فرنسا لتشرك فيها من تشاء وتمنع من تشاء ، ولكى تطمئن على مصالحها الباقية عند بعض الدول .

موقف آخر غريب

ولانعجب لهذا الموقف تجاه الدورة الافريقية الاولى ، فقد كانت للاستعمار مواقف ومواقف فى دورة البحر الابيض المتوسط التى نظمتها مصر لأول مرة عام ١٩٥١ بالاسكندرية . وهذه الدورة خاصة بكل بلد يقع على ساحل البحر الابيض المتوسط ، يشترك فيها باللعبات التى يستطيع أن ينافس فيها . وهذه فكرتنا لأن دول البحر الابيض لها تاريخ حضارى مشترك .. هى منبع كثير من الحضـارات الرياضية وغير الرياضية ، ولذلك نلمس من آثارنا واثار اليونان وايطاليا ذلك . فكرت مصر فى اقامتها ونجحت ، ثم وجدنا اسرائيل تدعى حق الاشتراك فيهـا ، ضاربة بتاريخ فلسطين صاحبة الارض المغتصبة عرض الحائط . وحاولت بعض الدول الغربيـة مساعدتها ، لتمكينها من الاشتراك مع العرب فى دورة رياضية .

ولكن رجالنا استطاعوا ايضا ان يردوا سهم اسرائيل الى نحرها ، وضاعت فرصتها ، فقد كان القانون الاساسى لدورة البحـر الابيض المتوسط ينص على أنه لا يجوز الاشتراك لأية دولة غير مؤسسة فى الدورة الا بموافقة ثلاثة أرباع الدول المشتركة فيها أصلا ، وهـذا النص يقف سدا منيعا دون دخول اسرائيل دورة البحر الابيض المتوسط ، مهما حاولت دول الغرب ، لأن هذه الدورة تضم من الدول العربية : الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ولبنان والمغرب وتونس وليبيا والجزائر .

ولما كانت هذه الدورة تقام كل اربع سنوات فى عواصم مختلفة ، فان اسرائيل تنتهز فرصة اقامتها فى بلد غير عربى وتسعى للاشتراك ، ولكن البلد الاوربى المنظم للدورة مثل ايطاليا التى نظمتها عام ١٩٦٣ فى نابولى ، لا يستطيع أن يشرك اسرائيل ، لأن معنى ذلك أن يخسر سبع دول عربية اذا لم تشترك سقطت الدورة. ومعروف أن الدول الباقيـة فى الدورة هى اليونان . مالطة . اسبانيا . فرنسا . تركيا. يوغوسلافيا . اى ان عدد الدول العربية اكثر من نصف عدد الدول المشتركة، زد على ذلك أن يوغوسلافيا واليونان دولتان بيننا وبينهما ارتباط فى الشئون الرياضية وصداقة تفوت على اية دولة أخرى فرصة التلبية لرغبـة اسرائيل .

واعتقد أن فرصة اسرائيل فى هذه الدورة قد انتهت الى الأبد ، لأن تونس وقع عليهـا الاختيار لتنظيم الدورة القادمة عام ١٩٦٧ . وبعد ذلك بأربع سنوات قد تكون يوغوسلافيا هى المنظمة أو اليونان . لأن الدورة نظمتهـا مصر عام ١٩٥١ وبرشلونة عام ١٩٥٥ وبيروت عام ١٩٥٩ وفزنا ببطولتها . ونابولى عـام ١٩٦٣ .

الدورة العربية

ونكمل موضوعنا هذا بالحديث عن الدورة الاقليمية الثالثة التى تساهم فيها الجمهورية العربية المتحدة بنصيب وافر ، وهى الدورة العربية . وهى تقام ايضا كل اربع سنوات ، اى فى العام التالى دائما للدورة الاولمبية ، كما ان دورة البحر الابيض المتوسط تقام فى العام

السابق للاولمبياد ، ليكون احتكاك الواقعة على شاطىء البحر الابيض بمثابة تدريب واختبار.

وستقام الدورة العربية هذا العام فى القاهرة وعين الفريق عبد الرحمن امين مديرا لهـا ، وقد رؤى ان توزع مبارياتها فى مختلف الالعاب على الأقاليم، حتى تتاح الفرصة لأبطال الدول العربية كى يشاهدوا أقاليم مصر ، ويتعرف اهلها عليهم .

وقد نظمت مصر الدورة العربيـة الاولى عام ١٩٥٣ ، ونظمتها سـوريا عام ١٩٥٧ ، ونظمها المغرب عـام ١٩٦١ . ولم نشترك فى الدورة الثانية لظروف خاصة . وقد أفادت هذه الدورة شباب الدول العربية الى حـد كبير نتيجة الاحتـكاك والمنافسات وتبادل الخبرات .

وقد رؤى ان يضاف الى دورة هذا العام نشاط ثقافى ، وأن تنشأ مكتبة رياضية أثناء الدورة ، يتزود فيها الشباب العربى بالمعرفة والثقافة الرياضية ..

***

وبعد .. فقد وضح تماما الدور الكبير الذى تقوم به جمهوريتنا الفتية ، فى سبيل نهضة رياضية فى افريقيا والدول العربيـة . وهى بهـذا تسجل نصرا ضخما للعروبة والاسلام ، ولا ادل على ذلك من أن دورة البحر **الابيض المتوسط فى نابولى تطبع باللغة العربية** رسمية لها ، فى اى مكان أقيمت فيه .

وقد رأينا النشرات والنتائج فى دورة البحر الأبيض المتوسط فى نابولى تطبع باللغة العربية الى جانب الانجليزية والايطالية . ولا عجب.. فلم توجد دورة رياضية فى العالم تضم سبعة دول كلها تتحدث لغة واحدة غير دورة البحر الابيض المتوسط ، علما بان باقى الدول فى هذه الدورة ليس بينها دولتان لغتهما واحدة.

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

تقدم

السلاسل الآتية خلال شهر ابريل ١٩٦٥

المكتبة الثقافية : العدد (١٣٠) تصدر يوم ١/٤/١٩٦٥

التفكير عند الإنسان

للدكتور أحمد فائق

تطلب من الباعة ومن دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ١٩ ش ٢٦ يوليو ت ٥٥٠٣٢ ، ٧٧٧٤١

العدد الثانى

مجلة الفكر المعاصر

تصدر فى ٣/٤/١٩٦٥

(فكر مفتوح لكل التجارب)

تلاحق اتجاهات الفكر فى العالم وتضع القارئ فى تيار عصره

الثمن ٥ قروش

رئيس التحرير
د. زكى نجيب محمود

تطلب من باعة الصحف ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابى ت ٤٦٣٨٤

تراث الإنسانية

(العدد ٤) المجلد الثالث تصدر فى ٥/٤/١٩٦٥

سلسلة تتناول بالبحث والتعريف والتحليل روائع الكتب التى أثرت فى الحضارة الإنسانية

تطلب من الباعة ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابى القاهرة ت ٤٦٣٨٣

أعلام العرب (٤٠) يصدر يوم ١٩٦٥/٤/٧

الجوينى إمام الحرمين

للدكتورة فوقية حسين محمود

يطلب من الباعة ومن مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقى بالفجالة ت ٩٠٨٩٢٠ / ٩٠٥١٤٧

مجلة الكتاب العربى (العدد ١١)

يصدر فى ١٠/٤/١٩٦٥

المجلة التى تعرض الكتب وتحللها بأقلام فئة مختارة من الكتاب المتخصصين

تطلب من الباعة ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابى ت ٤٦٣٨٣

المكتبة الثقافية (١٣١)

رحلات الحيوان والطيور

دكتور مريد يني

تطلب من الباعة ومن دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ١٩ ش ٢٦ يوليو ت: ٥٥٠٣٢ / ٧٧٧٤١

اسرائيل صنيعة الاستعمار

تحقيق من إعداد
• نرجس محمود كامل
• ليلى عبد الباقى

فلسطين ستبقى غنوة يرددها كل عربى حر مابقيت ارضها السليبة فى أيدى حفنة المرتزقة والقراصنة .. فلسطين ارض العروبة التى قبلتنا .. قبلة الاشواق لن تغمض لنا عين طالما انت أسيرة فى أيد الصهاينة .

فلسطين .. ياقطعة من وطنى الكبير .. كيف كنت ؟

وكيف أصبحت ..! وما طريق الوصول اليك ؟

انت دائما امام مخيلتنا .. اتصورك وانت تشاركين ارض الوطن الكبير فى حريتك .. واتخيلك وانت تحاولين فك قيودك وتستنجدين بأخوتك ليفكوا السلاسل ويزيلوا الصهاينة منك وأرى جمال يصمم على ذلك ويحقق قول الله سبحانه وتعالى :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم »

والقوة من مبادىء الوحدة ، والوحدة نادى بها الرئيس عبد الناصر لاجتماع ملوك ورؤساء الدول العربية والقوة من معانى الاستعداد .. والجيش العربى اليوم قادر والحمد لله ..

وكما قال الرئيس جمال عبد الناصر :

الحل الوحيد لقضية فلسطين ان تعود الامور سيرتها الاولى وان ترجع الى النقطة التى بدا الخطر منها وان تعود فلسطين عربية كما كانت .

ولكى تظهر الحقيقة أمام الراى العام العالمى نلقى ضوءا على فلسطين العربية وكيف صنع الاستعمار منها اسرائيل لتكون شوكة فى جنب الامة العربية ..

التقت مجلة منبر الاسلام مع فضيلة الاستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى عضو لجنة كبار العلماء ..

وحدثنا عن الجهاد فى تحرير فلسطين وماذا يجب على المسلمين عمله قائلا :

٢

يتحدث التاريخ عن الشعوب ، ويصور لنا حياة الامم فنستطيع ان نحكم لها او عليها .

وعندما نقرا عن بنى اسرائيل نرى لهم تاريخا عجبا من المتناقضات حتى كان الله خلق هذه الطائفة نموذجا فى الانسانية غريبا فلا نجد لها اثرا محمودا ولا تاريخا مستحسنا .

تحدث الله عن اسرائيل فكشف لنا عن ذلتها تحت سلطان فرعون ، وعن هوانها فى الشخصية والكرامة ولما اذن الله أن يرى ما يعمله من أمرها بعث اليهم موسى عليه السلام ليتخلص من فرعون ويعيش بهم احرارا فى رحاب سيناء ، ومدن فلسطين

وكان هذا الانتقال كافيا لادراكهم قيمة الحرية بعد الاستعباد ولكن الانفس التى شبت على المذلة والهوان تنطوى على الاسفاف والمخادعة .

لهذا تعب موسى وهارون فى بنى اسرائيل حتى بذل فيهم موسى من الارشاد اضعاف مابذل غيره فى أمم سابقة ولم يزدهم ذلك الا عتوا ، وفسادا ، ونقضا للعهود ، واسرافا فى المآثم أكثر مما عرف عن سواهم فى تاريخ البشرية من اجرام وتقتيل للانبياء ، واهل الصلاح الداعين الى الخير فيهم ..

سجل الله على بنى اسرائيل هذه المخازى .. واوصى بها من بعد الى عيسى ومحمد .. وكم فعلوا بعيسى ، وصنعوا مع محمد عليهم جميعا صلاة الله وسلامه ..

هذه اسرائيل التى تصيدها الاستعمار وجمع فلولها من الافاق ، ودفع بها الى فلسطين ، فجعلها شوكة فى حلق العروبة ومثار قلق فى الاوطان العربية ، ومخلبا يختطف به مواطن العرب واحدا بعد واحد .

وان العروبة التى نكبت بهذا الجرح فى كرامتها ، وهذا الجور على وطن من اوطانها ليعز عليها كثيرا أن تترك فلسطين تخطف من يدها ، وتئن من جراحها .

هذه اسرائيل التى ضرب الله عليها الذلة ، وشردها فى كل وطن وابتلاها بالجشع فى الكسب الخبيث وسلط عليها الخوف دائما على المال ، والتطلع الى وطن يجمع أشتاتها ووصفها بالخيانة فى قوله تعالى « ولاتزال تطلع على خائنة منهم »

ان العروبة التى خلقت فى عزة ونشات على الاباء وامتزج دمها بالاستعلاء لايرضيها أن تترك فلسطين لطائفة ذليلة فى شخصيتها ، خبيثة فى ملكها : مهما استندت الى أعوان من الطغاة أو محاولات من مؤامرات المستعمرين

ان العروبة وان اصابها تفرق ، او هزها تخاذل لتدرك اليوم واجبها ، وتقوم قومة الحق فى صف واحد لتدفع هذه الصليبية المتحركة فى طيشها وغرورها

وان النهضة الحماسية التى توثقت بين العرب والبوادر الناجحة التى انبثقت عنها جهود الجمهورية العربية لتبشر بقرب الامل واشراقة الفجر الباسم بعد ظلام كان .

وواجب العرب الا يتخلفوا عن وحدتهم والا تلعب بنفوسهم الهواجس الرخيصة او يتسللها بعضهم عن التضامن الذى اهتزت له الدنيا .

وان كل متردد بين العرب ليعتبر طاعنا للعروبة بخنجر من خناجر اسرائيل وخارجا عن عهد الوطن

وذلك اشد على الشعور العربى من ظلم الاستعمار وظلم ذوى القربى اشد مضاضة .. على المرء من وقع الحسام المهند .

اسرائيل شوكة فى جنب الامة العربية

ويحدثنا الاستاذ محمد زكى عبد القادر رئيس تحرير جريدة الاخبار عن اسرائيل ودورها فى خدمة الاستعمار بقوله :

حينما أنشئت اسرائيل فى سنة ١٩٤٨ كانت بمثابة جسم غريب طرأ على المنطقة العربية . وقد أيدت الدول الغربية الكبرى وجود اسرائيل منذ ذلك الحين حتى الآن وساندتها بالسلاح والمعونة الاقتصادية وزادت على ذلك فاصدرت انجلترا وفرنسا وامريكا ماسمى بالبيان الثلاثى فى شهر مايو سنة ١٩٥٠ ضمنت به حدود اسرائيل والحالة القائمة بينها وبين الدول العربية .

وكان واضحا منذ المراحل الاولى لانشاء اسرائيل انها وجدت لكى تشق اجماع الدول العربية ولكى تكون حربه موجهة الى صدورهم حتى يقبلوا ان يكونوا دائما فى ظل النفوذ الاجنبى فاذا فكروا فى التخلص منه لوحت الدول الاستعمارية باسرائيل وجعلت منها اداة للمساومة تارة وللتخويف تارة اخرى .

واستطرد بقوله : والواقع انه حينما انشات اسرائيل خرجت البلاد العربية منهزمة من المعركة ، وكان يشملها حينئذ شعور من المرارة وعدم الثقة بالنفس والتوجس من المستقبل وكان أكثر البلاد العربية حينئذ اما محتلا بقوات اجنبية او خاضعا لنفوذ سياسى او اقتصادى اجنبى وعانت الجامعة العربية فى هذه المرحلة حالة من التفكك والتخاذل حتى لقد تساءل العرب عن جدوى استمرارها .

ولكن ما ان استرد العرب انفاسهم حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فى القاهرة وشدت من عزائمهم وجعلت من برنامجها تقوية الصف العربى والاستعداد للمعركة الحاسمة مع اسرائيل والمتامل فى الوضع الحاضر الذى توجد فيه البلاد العربية واسرائيل بالمقارنة الى الوضع الذى كان قائما حينما وجدت اسرائيل يلاحظ ان البلاد العربية ازدادت قوة وتماسكا بينما ازدادت اسرائيل توجسا وخوفا وازداد اعتمادها على الدول الكبرى التى ساعدت على انشائها والمعركة الاخيرة القائمة الان بين حكومة بون والدول العربية ليست الا وجها من المعركة الكبرى القائمة بين الاستعمار والتحرر فالمساندة الكبرى التى تلقاها اسرائيل من حكومة بون وغيرها ليست مبذولة من أجل خاطر اسرائيل بالذات ولكنها مبذولة لوقف التقدم والتحرر فى البلاد العربية . ومن ثم ابقاؤها فى دائرة النفوذ الاستعمارى .

والخلاصة ان اسرائيل شوكة فى جنب البلاد العربية ستظل تغزها وتزعجها وتعرقل سيرها الى الامام ولذلك فان اضعافها والقضاء عليها ينبغى أن يكون هدفا عربيا قوميا لا لان اسرائيل دولة تستحق كل هذا العناء ولكن لان وجودها ذاته مستندة الى الغاية التى وجدت من اجلها تعد تهديدا خطيرا ومستمرا للكيان العربى

وتخطىء اية دولة عربية اذا ظنت ان اسرائيل بعيدة عنها فان اى خطر يهدد أى بلد عربى مجاور لاسرائيل سيهدد حتما سائر البلاد العربية مهما تبلغ المسافة بينها وبين اسرائيل .

وتقابلنا مع الدكتورة طلعت الرفاعى بجامعة الدول العربية فحدثتنا عن الوسائل الاساسية تجاه قضية فلسطين لتحريرها من أيدى الاسرائيليين والاستعماريين.

فقالت :

من غير اليسير ان تكون هناك وسائل تنفصل بعضها عن بعض بالنسبة لهذه القضية الكبرى فكل وسيلة فى هذا المجال تغذى الوسائل الاخرى وتدعمها واهم مايخطر لى الآن هو تضامن العرب قبل كل شيء لان اتفاقهم الحقيقى هو القنبلة الذرية التى تقضى على آخر فلول العدوان والاستعمار ولم يذل تسلط اسرائيل الاول ومبعث قوتها هو ان العرب لن يتفقوا .. ولكن خيب الواقع احلام اسرائيل واتفق العرب واجتمعوا فى مؤتمرى القمة حيث توحدت كلمة العرب وتجلى تضامنهم فى اروع صوره .

ففى اتفاق العرب ينشأ التخطيط المتكامل للنهوض بالبلاد العربية فى شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وترسم الخطة الناجحة لاستئصال الداء .. ولا بد من توافر الوعى الكامل لدى كل عربى مهما كانت امكانياته لتكون فلسطين قضية نعيشها كل يوم

ففى العمل الدائب المخلص انتصار لفلسطين فى القضاء على الجهل والامراض الاجتماعية وتوجيه للقوى الجماهيرية حول ادراك قضية فلسطين .

وهناك ناحية لايخفى اثرها على احد هى الفلسطينيون انفسهم الذين عدى ادراكهم وتفوقهم وتحفزهم يكونون الطلائع الاولى لاسترداد الحق واعادة الوطن السليب الى ابنائه .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

دكتور احمد شلبى

وعن مدى خطورة اسرائيل على وحدة الدول العربية حدثنا الدكتور احمد شلبى قائلا : عقب اعلان الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨ اقيم احتفال كبير باندونيسيا حيث كنت اعمل آنذاك ، ووقف الخطباء العرب والاندنيسيون يباركون هذا الحدث الضخم ويعلنون ابتهاجهم به ، وجاء دورى فى الكلام ، فاشتركت مع القوم فى بهجتهم وتبريكهم ولكنى - كاستاذ للتاريخ - اضفت ان الوحدة الحقيقية التى يجب ان نسعى لها هى تلك التى لايقف عدو موقف الفاصل بين اجزائها ، وذكرت ان الاستعمار وضع اسرائيل فى موقع استراتيجى بحيث تقسم العالم العربى قسمين فتحول دون الوحدة الحقيقية التى تنشدها .

ودار الزمن وقام الانفصاليون بحركتهم ، ومن الواضح أن هؤلاء ماكانوا يستطيعون ان يعلنوا هذا الانفصال المشئوم لولا وجود اسرائيل ، فان وجود اسرائيل حاجزا بين مصر وسوريا حمى حركتهم وهيا لها ماسموه نجاحا .

ان الوحدة الصحيحة لاتتم الا بزوال اسرائيل حيث يتوافر الامن داخل الوطن العربى ، وحيث لايوجد دم غريب ، واخيرا حيث تعود الارض العربية الى الاتصال والارتباط وفى ذلك ضمان السلامة على ان هذه الوحدة الحقيقية التى ننشدها والتى هى غايتنا القصوى لاتتم الا بوحدة سريعة تكون حول اسرائيل دائرة او طوقا يضيق حولها حتى يقضى عليها ، ولو عدنا الى التاريخ لراينا ان نور الدين زنكى وصلاح الدين الايوبى ادركا فى نضالهما ضد الصليبيين أن الاحاطة بهم هى خير اداة للانتصار عليهم ، وعندما امتد ملك نور الدين وصلاح الدين فشمل حلب فى الشمال ودمشق فى الشرق ومصر فى الجنوب كان ذلك بدء النجاح لانتصار العرب والمسلمين ، ولم تطل بعد ذلك مقاومة الصليبيين فانهزموا وولوا الادبار ، وستضع الوحدة العربية نهاية اسرائيل فتطهر أرضنا الطيبة من هذا الوباء الذى يمثل الاستعمار والاستغلال .

وحدثنا العقيد محمد فرج عن دور الجيش فى تحرير فلسطين قائلا منذ أن صدر وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ حتى قيام الثورة العربية فى مصر بقيادة جمال عبد الناصر وقضية فلسطين فى نظر الاستعمار والحكام العرب قضية مصلحة وليست قضية شعب طرد من ارضه وعاش حياته لاجئا ممزقا لايعرف لنفسه وطنا ولا يجد له مستقرا .

فلما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ جعل جمال عبد الناصر قضية فلسطين هدفا من اهدافه الكبرى وحمل لواء الدعوة لهذه القضية واتخذ الخطوات الايجابية لكى تقف هذه القضية على قدميها ولكى يبدا العرب حكومات وشعوبا فى معالجة القضية بما يحفظ للعرب كرامتهم وعزتهم وأرضهم

وهذا الموقف من جانب جمال عبد الناصر ليس بمستغرب فهو اولا قد حارب فوق ارض فلسطين بأمل أن يكسب المعركة الدائرة ضد العصابات الصهيونية وكان اشتراكه فى هذه الحرب نابعا من ضميره العربى وقلبه الزاخر بالايمان بالعرب وبالقومية العربية وهو ثانيا قد نذر نفسه لمواجهة الاستعمار فى كل بقعة عربية بامل ان يطرده من الوطن العربى كله وخاصة من فلسطين التى احس بمدى وعمق النكبة فيها

ولم ينس جمال عبد الناصر فى غمرة الاعمال والمسئوليات والتبعات فلسطين فمد يده الى قطاع غزة ليجعل منه نقطة البداية بل نقطة الانطلاق الى فلسطين وهو لايؤمن بالقوة كوسيلة للوصول الى الحق وانما يؤمن ايمانا راسخا بالوسائل السلمية فدعا فى المؤتمرات التى حضرها وفى تصريحاته وفى محادثاته السياسية الى ضرورة عودة اللاجئين الى ديارها وتطهير الارض المقدسة من اليهود واستطاع ان يكسب قضية فلسطين صفة دولية وأصدقاء دوليين وأصبحت القضية موضع الرعاية والعناية من جانب رؤساء الدول العربية والدول المحبة للسلام الداعية الى العدل والحق

ولكن جمال عبد الناصر يؤمن أيضا ان استخدام القوة من أجل الحصول على الحق المغتصب واجب لابد منه وخاصة ان الاستعمار يقف من وراء اسرائيل ويسعى حثيثا الى بقائها واستمرار وجودها لتكون قنطرته الى الامة العربية التى اخذت تنفض عن كاهلها الاستعمار بكل صوره والوانه وبدات تشق طريقها كامة لها ماضيها المجيد وحاضرها الفريد ومستقبلها السعيد ومن هنا اتجه جمال عبد الناصر الى شباب فلسطين فكون منهم جيشا وطنيا فى قطاع غزة واهتم بتسليحه وتدريبه ليكون نواة جيش التحرير الذى يحمل مهمة الكفاح المسلح من أجل انقاذ ارضه وبلده وكرامته

وعندما أحس بالخطر الصهيونى واستعداده للتوسع لتحقيق آماله التى تقوم اساسا على مبدا « من النيل الى الفرات » وباتخاذ الخطوات الفعالة لتحويل مياه الاردن دعا دعوته التاريخية لعقد مؤتمر ملوك ورؤساء الدول العربية وكانت هذه الدعوة نقطة تحول بالنسبة لفلسطين من ناحيتين فقد اجمع الملوك والرؤساء العرب على مساندة قضية فلسطين بمختلف الوسائل والسبل وفى هذا كسب كبير للقضية التى وقف منها الملوك والرؤساء العرب فى الماضى موقفا سلبيا بل موقفا كانت

السلبية فيه نصرة كبيرة للقضية وللعرب ونصرا كبيرا لليهود وللصهيونية .. ومن ناحية اخرى فقد قامت منظمة تحرير فلسطين وبدا الاعداد لجيش التحرير الفلسطيني ومما لايختلف فيه اثنان ان وجود جيش التحرير ومساهمة جميع الدول العربية في وجوده ماديا ومعنويا امر له اهميته وله خطورته ومازالت الاعمال التاريخية البطولية التي قام بها جيش التحرير الجزائري ماثلة امام اعيننا مسجلة في تاريخ العصر الحديث بما يدعو الى الفخر والاعتزاز

وحين يدق النافوس وتدعو فلسطين ابناءها لانقاذها سيكون جيش التحرير مقدمة لكل العمليات العسكرية بل سيكون الدعامة الاولى في المعركة .. ومرجع ذلك ان جنود هذا الجيش عاشوا في فلسطين وتربوا فوق ارضها وعاشو في رباها فهم معنويا أحق الناس بالكفاح البطولي والقتال العظيم يستمدون من علاقاتهم بالارض الطيبة ومن ماساة وطنهم واهلهم القوة والعزم والجلد والرغبة الجامحة للانقاذ ولو ادى هذا الى مرحلة من الاستشهاد تفوق المرحلة العظيمة التي وصل اليها كفاح شعب الجزائر الذي قدم مليونا ونصف مليون من الشهداء .. هذا فوق ان جنود هذا الجيش عاشوا شبابهم متعطشين الى العودة الى بلدهم المغتصب والى ارضهم الحبيبة والى ديارهم المنتزعة والى الخيرات الكثيرة التي تزخر بها بلدهم والى مستقبل عربي كريم فتكون امتهم قطاعا عربيا يسعى مع الركب العربي المتحرر الى تحقيق المبادىء الثلاثة الخالدة .. الحرية والوحدة والاشتراكية .

ان جيش التحرير حين يخوض غمار المعركة لن يكون وهو الطلقة الاولى التي ستكون نارا تحرق اليهود وبداية لعهد تزول فيه من ارض فلسطين الطاهرة آثام اليهودية وتشرق فيه شمس الحياة الكريمة في ظل القومية العربية والمجد العربي المتكامل

ان جيش التحرير حين يخوض غمار المعركة لن يكون معتديا ولكنه معتدى عليه من جانب الصهيونية والاستعمار منذ سنة ١٩١٧ ومازال معتدا عليه وواجبه الوطني يحتم عليه أن يرد العدوان وان يصد عن نفسه وان يدفع عن وطنه شانه في ذلك شان المسلمين الاوائل اتباع محمد واصحابه حين حاربوا قريشا دفعا عن انفسهم وصدا عن الدعوة وسعيا الى الحق .

وكما نصر الله اتباع محمد واصحابه في كفاحهم البطولي من أجل الوجود والبقاء فان الله تبارك وتعالى سينصر جيش التحرير الفلسطيني في معركته القادمة ضد مغتصبي ارضه ممزقي وطنه مشردي اهله وسيكون نصر الله عظيما كبيرا بامره واذنه وبركته .

ثم التقينا بالاستاذ انور الجندي لنعرف راى سيادته في موقف امريكا لاستخدام اسرائيل كقاعدة لاستنزاف خيرات الامة العربية فاجاب بقوله :

الواقع أن النظرة العميقة لايجاد الدول الغربية الاستعمارية لاسرائيل وتاييد بقائها وحمايتها بكل الوسائل انما يستهدف مخططا بعيد المدى في فرض سلطانها على الامة العربية والعالم الاسلامي جميعا .

ولقد كان الاستعمار يستهدف اساسا من فرض نفوذه على العالم العربي في السيطرة على مقدراته وثرواته وخيراته والحصول عليها لقاء قدر قليل من « قيمة » هذا التراث .

وكان ا لاستعمار يجعل من نفوذه العسكري والسياسي في الامة العربية وسليته الى فرض سلطانه في الحصول على هذه المعدات

فلما تقلص ظل الاستعمار العسكري عن أغلب اجزاء العالم العربي ، حل محله « الاستعمار الجديد » الذي تمثله « أمريكا » وهو الذي يستهدف فرض سلطانه عن طريق الضغط السياسي والاقتصادي .

ولما كانت الدول العربية ماتزال في حاجة الى مرحلة طويلة لانماء اقتصادياتها وتحريرها من النفوذ الاجنبي وما تزال أغلب مقدراتها تحت سلطان معاهدات جائرة تلتزم بتوريدها للعالم الغربي ولامريكا نصيب الاسد في هذه المقدرات ، وخاصه في مجال النفط الذي تصدره الدول كما تستفيد دول اخرى من مرور الانابيب بها ومن هنا فان امريكا تجعل من اتخاذ العالم العربي موقفا موحدا ضد اسرائيل وسيلة للضغط في مجال التعامل الاقتصادي القائم بينها وبين بعض هذه الدول .

فهي تهدد بقطع معوناتها او ايقاف معاملاتها مع هذه الدول العربية اذا اتخذت موقفا ايجابيا في مسالة تحويل مياه نهر الاردن او غيرها من مواقف تتصل بالتصميم العربي للوقوف صفا واحدا في مواجهة اسرائيل واهدافها التوسعية .. وبذلك تستغل أمريكا موقف الدول العربية او مقاومة اهداف المانيا الغربية وارتباطاتها الاقتصادية والتزاماتها ازاء هذه الدول ومعاهداتها واتفاقياتها الاقتصادية لتفرض عليها موقفا معاكسا للاهداف العربية تحت ضغط قطع هذه المعونات أو ارباك اقتصادها الوطني بحصار اقتصادي او تجنيد معاملاتها مما يؤثر على كيانها الداخلي وحياتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

ومن هنا يصدق القول ان امريكا تتخذ من اسرائيل قاعدة لاستنزاف خيرات الامة العربية في هذه الفترة الدقيقة من حياة العرب ، ولعل هذا يدفعهم الى اتخاذ موقف ايجابي ازاء هذا التحدى يحملهم على تحرير اقتصادهم من النفوذ الغربي كما فعلت الجمهورية العربية المتحدة بعد العدوان الثلاثي مما حقق لها حرية الحركة والقدرة على مواجهة اسرائيل ومن هم خلف اسرائيل دون أن تتاثر حياتنا الاقتصادية اذا ماحاولت المانيا الغربية او امريكا او غيرهما اتخاذ مثل هذا الموقف .

ولما كانت مقدرات الوطن العربي متكاملة وتستطيع ان تحقق كفاية ذاتية فان الاوان قد آن لينظم العرب خطة شاملة في هذا المجال ترفع عن كاهلهم نفوذ امريكا الذي قد يؤخر خطوهم في سبيل الوحدة الكبرى .

وسالنا السيد الاستاذ عبد العليم المهدى :

لقد تحقق وعد بلفور وقامت اسرائيل .. فاين وعد العرب بتصفية اسرائيل واجاب عبد العليم المهدى بقوله :

ماهو الغرض من السؤال ؟.. اهو تحقيق تاريخي ؟ .. سواء أكان وعد بلفور اول النكبة ام وسطها ، فان النكبة قد وقعت ، وتحقق وعد بلفور لليهود ، وقامت اسرائيل خنجرا مسموما في ظهرنا نحن العرب .. ومضت ١٧ سنة سوداء على غرس هذا الخنجر في مكانه من قلب الامة العربية .. لماذا تذكر وعد بلفور وتآمر الاستعمار على تهويد فلسطين ، ولا تذكر وعد العرب للشعب الفلسطيني بالعودة ، أو تآمر بعض العرب على قضية فلسطين ، وهم يغرقونها بالدموع !

لماذا لايكون السؤال عن اقرب الطرق الى يافا وحيفا واللد والرملة وبئر سبع التي تحول مسجدها الى مخزن للخمر ؟!..

ان جوابى على « منبر الاسلام » يدعونى الى البدء من حيث انتهى بنا التاريخ .. لسنا اليوم - فى عام ١٩٦٠ - على استعداد لضياع الوقت فى حديث النكبة لاننا نحتاج الى كل لحظة للعمل من أجل تصفية اسرائيل ، ليس ثأرا للدماء العربية الزكية التى روت ارض فلسطين فقط ، وليس تحيزا لشعب فلسطين من اجل وفائنا له بالوعد ان يعود .. وليس استجابة لارواح الابطال والمجاهدين العرب والمسلمين الذين استشهدوا لانقاذ المسجد الاقصى .. ليس من أجل هذا أو ذاك .. ولكن حماية لنا نحن كل انسان عربى .. وكل جيل عربى . من تحقيق الامل الاسرائيلى .. تلك اللافتة المضيئة فى مدخل برلمانهم فى تل أبيب وهى تقول :

« يااسرائيل .. من الفرات الى النيل »!

أهذا هو وقت الحديث عن وعد بلفور ؟..

لقد علمتنا ثورة ٢٣ يوليو ان الفضل فى قيامها الى معركة الحق الاعزل ضد الباطل المسلح فى فلسطين عام ١٩٤٨ .. وعلمتنا هذه الثورة أن الحق الهيوب لم يعد له مكان وسط عالم تنتشر فيه رائحة البارود .. وعلمنا زعيمنا عبد الناصر ان الطريق الى فلسطين ليس مفروشا ببساط أحمر ، ولكنه مفروش بالدم !

اننا يجب ان نعيش عصرنا .. عصر عبد الناصر الذى ايقظ العرب جميعا بدرس فلسطين .. يجب أن يكون حديثنا الان عن المدافع الاسرائيلية التى تضرب مشروع تحويل الروافد العربية ، فى المنطقة المحايدة عند الحدود السورية .. يجب ان يكون حديثنا عن اختلاف ثلاث حكومات عربية ، مع مجموعة الدول العربية ، حول الموقف العربى من حكومة المانيا الغربية ، وهى تسلح اسرائيل ، وتعترف باسرائيل ، وتتحدى العرب جميعا .. يجب أن نتحدث عن تصريحات الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة فى لبنان منذ أيام ، وكأنه مكلف بارهاب العرب بقوة اسرائيل . او داعية لالمانيا الغربية وجه الاستعمار الجديد . يجب أن نتحدث عن موقف حكومة ليبيا وحكومة المغرب .. فكلا الملكين متضامن مع « الحبيب » فى وقفة الدول الثلاث ضد عشر دول عربية اجمعت على مقاطعة المانيا الغربية سياسيا واقتصاديا ، ان هى اقدمت على الاعتراف باسرائيل ، وواصلت امدادها السلاح لقتل العرب ، وليمتد ملكها من الفرات الى النيل !

فليكن حديثنا اليوم عن غضبة الشعب العربى فى طرابلس لبنان ، وفى صنعاء اليمن والشعب الابى فى السودان ضد حكومة بون .. لنذكر مبادرة الكويت الى تلقى الاشارة العربية .. وجلال موقف الجزائر ، وروعة موقف العراق ، من الجمهورية العربية المتحدة ، وهى تخوض معركة التحدى السياسى ضد المانيا عميلة الاستعمار الجديد .. وهل ننسى السعودية ، ثم سورية ، ثم الاردن ؟ .. ان حاضرنا يوحى بالامل .. ويجب ان يزخر بالعمل .

قلنا : وأى عمل يمكن البدء به من اجل انتزاع هذا الخنجر المسموم من ظهر العرب ؟.

فقال : كما تعمل اسرائيل على الاقل .. انها ثكنة عسكرية .. كل سكانها جنود . نساؤهم وشيوخهم واطفالهم وليس الشباب فقط . كلهم جنود . انهم ٢ مليون آدمى ، القت بهم كراهية البشرية لهم ، فى حجرنا نحن مائة مليون عربى .. فماذا ننتظر وقد وقعت فى حجرنا الافعى ؟.. لقد عاشت فى الدفء ١٧ عاما .. ماذا ننتظر ؟!

قلنا : اسرائيل ليست وحدها . هناك الاستعمار الغربى كله من ورائها ..

فقال : وقد ركع الاستعمار الغربى هذا فى عام ١٩٥٦ يوم حرمناه من بترول العرب ، ومن عبور قناة السويس ومن التحرك الى الامام شبرا اكثر من شاطىء بورسعيد !

قلنا : الم يستفد الاعداء من درس حرب السويس ؟..

فقال : وكذلك افدنا نحن العرب .. كان ايماننا بالنصر هو الذى حقق النصر . كانت وحدتنا الوطنية والقومية أقوى من الاساطيل ومن الجيوش .. « وكان الله قائدنا فانتصرنا » كما قال زعيمنا عبد الناصر .. ونحن اليوم اقوى مما كنا الف مرة فى عام ١٩٤٨ .. لقد اشتعلت فى العرب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، واصبحت الحرية فى أرض العرب حقيقة ، وتأكدت الوحدة املا ومصيرا ، واختلطت مشاعر الشعب العربى فى كل مكان ، من الخليج الى المحيط ، ولم تعد للحكومات العربية الملتوية أو الرجعية قدرة على التحرك الى الخلف .. ان من ورائها شعبا عرف قدره بالثورة .. وكانت مصر النموذج . وكانت الجمهورية العربية المتحدة دولة الوحدة الاولى .

دعونا من حديث المؤامرة الكبرى على ضياع فلسطين واشتغلوا بحديث الوحدة الاشتراكية العربية على انها التصفية الاكيدة لاسرائيل .

قلنا : وماذا تعنى بالوحدة الاشتراكية ؟..

فقال : ان ثورتنا اليوم امانة ومكاشفة .. يجب ان تكون الحقيقة فى كمالها وجلالها امام الجماهير العربية باقصى مايمكن من الصفاء والوضوح » .. ان وحدة الملوك والرؤساء ، وحدة افراد وحكومات ، ولكن وحدة الشعب العربى هى الوحدة الطبيعية والحقيقية ، ولن يتحد الشعب العربى فى أى بلد عربى حتى يتحرر الانسان العربى .. أى حتى يملك كل فرد عربى نصيبا عادلا من ثروة وطنه .. من أجل ذلك صنعنا فى مصر العرب اشتراكية العرب . وقطفنا نحن ثمارها .. ودعونا قومنا الى الوحدة بمفهومها الاجتماعى .. أى بالاشتراكية العربية .

قلنا : سيطول بنا الانتظار حتى ننتزع الخنجر المسموم من ظهر العرب ..

فقال : ومايدريكم .. لعل الساعة قريب . ان اتفاق عشر حكومات عربية على مواجهة تحديات المانيا الغربية امر جديد فى السياسة العربية .. وان الشعب العربى فى ليبيا ، وتونس ، والمغرب ، لينظر الآن الى حكوماته نظرة تدعونا الى الامل !

قلنا : ولكن الدول العربية العشر المتحدة فى هذا الموقف العزيز تستطيع أن تبدأ العمل .

فقال : ان قرارات مؤتمر القمة العربى لا يمكن أن تكون حبرا على ورق .. ان الشعب العربى فى مصر قادر على تحقيقها بكمالها وجلالها .. ولكننا نذكر فى هذا المقام قول رسولنا العربى الامين : « اللهم احمنى من أصدقائى .. اما اعدائى فانا بهم كفيل »

واخيرا هذه هى الحقيقة نعرضها امام الراى العام العالمى لتكون حافزا للدفع الثورى فى تحرير فلسطين

كانت الدولة الفاطمية أول دولة مستقلة فى مصر الاسلامية ، لها نظمها وتقاليدها وأهدافها ، وقد كان هدف الفاطميين أن يؤسسوا امبراطورية واسعة الارجاء مقرها مصر وينشروا مذهبهم الدينى فى العالم الاسلامى . وفضلا عن ذلك كانوا يسعون بكافة السبل والوسائل الى التفوق على منافستهم الخطيرة ، ألا وهى الدولة العباسية السنية المذهب وبزها فى ميادين القوة والبذخ والترف . لهذه الاسباب مجتمعة كان من الطبيعى أن يسعوا الى استغلال موارد الثروة حتى تكون لهم منها قوة وأداة فعالة تعاونهم على تحقيق غايتهم وادراك مآربهم .

وكان من الطبيعى أن يصاحب التقدم السياسى والاقتصادى تقدم اجتماعى وفنى يظهر أثره واضحا فى مجموعة العمائر التى ما يزال عدد كبير منها باقيا حتى الآن والتى انشأها الخلفاء والوزراء ، وهذه العمائر متعددة الاشكال والاغراض فمنها المساجد والقصور والمناظر والحصون والقلاع وما اليها .

ويرجع نشاط العمارة فى عهدهم الى عوامل مختلفة ، فقد استهلوا عهدهم ببناء مدينة القاهرة واتخاذهاعاصمة، وعملوا على تزيينها بالمبانى الرائعة حتى تنافس بغداد عاصمة العباسيين وقرطبة عاصمة الأمويين فى المغرب وساعدهم على ذلك توفر المال لديهم بسبب استتباب الأمن مما ساعد على تقدم الزراعة واتساع نطاق التجارة أضف الى ذلك أنهم كانوا يشجعون المهندسين من أهل الذمة ويستقدمون اذا لزم الامر غيرهم من البلدان الأخرى .

ومن المساجد الهامة فى قاهرة الفاطميين مسجد الصالح طلائع الذى بنى فى عهد الخليفة الفائز بنصر الله أبوالقاسم عيسى . ويقول المقريزى عن طلائع بن رزيك « انه أبو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين قدم فى أول أمره الى زيارة مشهد الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه بارض النجف من العراق فى جماعة من الفقراء وكان من الشيعة الامامية ، وامام مشهد على رضى الله عنه يومئذ السيد ابن معصوم ، فزار طلائع وأصحابه وباتوا هنالك ، فرأى ابن معصوم فى منامه على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقول له قد ورد عليك الليلة أربعون فقيرا من جملتهم رجل يقال له طلائع ابن رزيك من أكبر محبينا . قل له اذهب فقد وليناك مصر ، فلما أصبح أمر أن ينادى من فيكم طلائع بن رزيك فليقم الى السيد ابن معصوم ، فجاء طلائع وسلم عليه فقص عليه ما رأى فسار حينئذ الى مصر وترقى فى الخدم حتى ولى منية بنى خصيب . فلما قتل نصر بن عباس

الخليفة الظافر ، بعث نساء القصر الى طلائع يستغثن به فى الاخذ بثأر الظافر ، وجعلن فى طى الكتب شعور النساء فجمع طلائع عندما وردت عليه الكتب الناس وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير عباس فعندما قرب من البلد فر عباس ودخل طلائع الى القاهرة فخلع عليه الوزارة ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين فباشر البلاد احسن مباشرة واستبد بالأمر لصغر سن الخليفة الفائز بنصر الله الى أن مات فأقام من بعده عبدالله بن محمد ولقبه بالعاضد لدين الله وبايع له ، وكان صغيرا لم يبلغ الحلم فقويت حرمة طلائع وازداد تمكنه من الدولة الى ان مات سنة ٥٥٦ هـ »

وكان طلائع شجاعا كريما جوادا فاضلا محبا لأهل الأدب جيد الشعر رجل وقته فضلا وعقلاوسياسة وتدبيرا وكان مهابا فى شكله عظيما فى سطوته وجمع أموالا كثيرة وكان محافظا على الصلوات فرائضها ونوافلها شديد المغالاة فى التشيع صنف كتابا سماه – الاعتماد فى الرد على اهل العناد – جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن امامة على بن أبى طالب رضى الله عنه والكلام على الأحاديث الواردة فى ذلك ، وله شعر كثير يشتمل على مجلدين فى كل فن فمنه فى اعتقاده .

يا أمة سلكت ضلالا مبينا
حتى استوى اقرارها وجحودها

ملتم الى أن المعاصى لم تكن

الا بتقدير الاله وجودها
لو صح ذا كان الاله بزعمكم
منع الشريعة أن تقام حدودها

حاشا وكلا أن يكون الهنا
ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

ويقع مسجد الصالح طلائع وهو آخر آثار الفاطميين فى مصر ، خارج باب زويلة مباشرة فى حى الدرب الاحمر ، وقد بنى لتدفن فيه رأس الحسين التى كانت فى مدينة عسقلان ، وكانت فى خطر من وقوعها فى أيدى الصليبيين، فلما فرغ طلائع من بناء المسجد غلبه أهل القصر ولم يمكنه الخليفة من ذلك وقال لا يكون الا داخل القصور الزاهرة وبنى مشهد الحسين الموجود الآن ودفنت الرأس به لكى يفوز الخليفة بهذا الفخار .

ومسجد الصالح طلائع صغير ومساحة الصحن ٢٣ مترا مربعا تقريبا ، وله حرم يتكون من ثلاثة صفوف من البواكى وحول الصحن من نواحيه الثلاثة صف واحد . لوحة (٢) وأقواس البواكى مبنية من الآجر وترتكز على اعمدة من رخام من أنواع مختلفة تعلوها قمم بيزنطية . وتحمل الاعمدة كتلا من الخشب عليها زخارف نباتية وكتابية جميلة تدل على عظمة الفن الاسلامى وروعته انظر لوحة (٣) .

واجمل فى الحرم القبة التى تعلو المحراب ثم سلسلة من الجامات والدوائر المصنوعة من الملاط التى تزين المسافات المحصورة بين الاقواس وعددها احدى وعشرين قوسا ، وهى مختلفة الاشكال ، والعجيب فى هذه الجامات انها ليست كاملة الاستدارة والجزء الاعلى منها أعرض من الأسفل لتبدو كاملة الاستدارة اذا نظرنا اليها من اسفل .

وللمسجد مميزات كثيرة أهمها أنه المثل الاول للمساجد المعلقة أى التى يصعد اليها بدرجات ترتفع عن سطح الارض وترتكز على أقبية تستعمل كأسواق وحوانيت .

والى عهد قريب كان كل هذا الجزء السفلى مختفيا لأن سطح الارض ارتفع حوالى العسرة أقدام ، ولكن الحفر كشف عنها ، وقد جاءت كلمة المعلقة من الشرق القديم مثال لذلك هو حديقة بابل المعلقة التى كانت ترتكز على أقبية مبنية من الاسمنت ، ولما أزيلت الابنية التى تخفيه ظهرت حقيقة غريبة هى أن للمسجد بروزا فى كل من ركنيه الشمالى الشرقى والشمالى الغربى والمسافة التى بينهما يشغلها بهو من خمسة أقواس يشبه البهو ذا الثلاثة أقواس الموجود فى مسجد السيدة رقية الذى بنى قبله بنحو سبع وعشرين سنة ، وكان يشغل احدى هذين البروزين سبيل والسبيل هو مكان يرتوى منه المارة من الناس بالماء .

والواجهة الخارجية للمسجد من الحجر وهى ذات فجوات وكل فجوة عليها قوس مدبب وهى ظاهرة جديدة من مظاهر الفن البيزنطى والحوائط مبطنة من الداخل بالآجر .

وهناك ميزتان ترجعان الى الأثر السورى ، الميزة الاولى هى الحرم ذو الثلاثة صفوف من البوائك ، والميزة الثانية المداخل الثلاثة الموجودة فى الواجهات الثلاث .

وهناك تأثير آخر جاء عن طريق أرمينية وهى الدروع التى تستعمل كحلية ونجدها فوق واجهة السبيل . وجاءت هذه الدروع عن طريق أوربا وكانت على نوعين نوع مستدير ونوع آخر على شكل طائرة الاولا مستدير من أعلى ومدبب من أسفل، وهذان النوعان كانا مستعملين فى العصور الوسطى .

ويظهر هذا الرسم أيضا بعد قرن من الزمان تقريبا فى كنيسة سان مارك فى البندقية فى الدهليز وأعلى الحرم. ويظهر كذلك فى حائط كاتدرائية بالرمو فى ايطاليا وقد تم بناؤها فى سنة ١١٨٥م .

وقد ظهر هذا النوع من الزخارف فى الفن الاسلامى على يدى المهندسين الثلاثة الذين جاءوا من الرها الى مصر بناء على طلب بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمى لتجديد بناء أسوار وأبواب القاهرة ، وقد استخدموه لتزيين باب النصر ، ثم يعود فيظهر بعد سبعين سنة فى واجهة مسجد الصالح طلائع سنة ٥٥٥هـ – ١١٦٠ م فوق نافذة السبيل الذى يشغل الركن المجاور لباب زويلة . وقد اندمج فى الفن الاسلامى فهو يظهر على اناء من البرنز .

كما نرى أن المعمار استخدم العمد التى تظهر رءوسها فى البناء كروابط لزيادة متانة الحوائط الخارجية لمسجد الصالح طلائع . ونجد فى عصر الدولة الفاطمية أقدم نموذج لهذا النظام حيث ظهر فى بناء مدينة المهدية بشمال افريقية . ولم يظهر هذا النظام فى العمارة فى سوريا قبل الاسلام ولكن المؤرخ المقدسى قد ذكر ان جده وهوفلسطينى الأصل استعمل هذه الظاهرة المعمارية كذلك عندما عمل فى عكا لحساب ابن طولون اذ يقول :

- « أراد ابن طولون أن يبنى فى عكا حصونا لا يمكن اختراقها كحصون صور فاستدعى المهندسين من كل النواحي فلم يعرف أحدهم كيف يضع الاساس فى الماء ثم ذكر بعضهم لابن طولون اسم جدى أبو بكر المهندس ، فلما حضر شرحوا له الأمر فقال ان الامر هين ، دعهم يأتون بدعائم من الخشب الصلب فعومها فوق الماء على امتداد أسوار المدينة ثم ربطها بعضها الى بعض ثم بنى فوقها بناء ضخما من الحجر والاسمنت ، وبعد كل خمس صفوف من البناء وضع عمودا ضخما . وأخيرا ثقل البناء لدرجة جعلت الدعائم تغوص فى الماء شيئا فشيئا الى أن استقرت على الرمال فتوقف عن البناء سنة كاملة ليستقر البناء ثم بعد ذلك بدأ البناء من جديد » .

وقد استعملت هذه الطريقة فى بناء حصون الفاطميين ومسجدى الصالح طلائع والظاهر بيبرس أحد سلاطين المماليك ، كما أنها كانت مستعملة فى سوريا أيام الحروب الصليبية وبعدها ، وكذلك فى بناء المرفأ الصناعى فى قيصرية فقد بنى بأحجار طول الواحد منها خمسين قدما وعرضه ثمانية عشر قدما وسمكه تسعة أقدام .

كما أن المقريزى عمدة مؤرخى مصر الاسلامية ينسب هذا النظام الى الصليبيين فيقول « ان الفرنجة أتوا الى هذا المكان بعمد من الجرانيت وضعوها متشابكة فى الحوائط حتى يأمنوا عليها من التفكك بفعل المياه أو السقوط اذا ضربت » .

وبنى فى الجامع صهريجا عظيما وجعل له ساقية على الخليج قريب من باب الخرق وهو ميدان أحمد ماهر الآن ، تملأ الصهريج المذكور أيام النيل وجعل المجارى اليه ، وذلك لسهولة حصول المصلين على الماء وتوفير الراحة لهم .

أما عن تاريخ المسجد فلم يعطنا المقريزى شيئا عنه ، ولكن يستدل عليه من النقش الموجود فى واجهة المسجد أنه تأسس سنة ٥٥٥ هـ — ١١٦٠م . ويوجد هذا النقش فى أقصى اليمين من الواجهة الشمالية الشرقية ونصه :

« أمر بانشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة فتى مولانا وسيدنا الامام عيسى أبو القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الاكرمين السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الاسلام غياث الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو الغارات طلائع الفائزى عضد الله به الدين وامتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر ألويته وفتح له وعلى يديه مشارق الارض ومغاربها فى شهور سنة خمس وخمسين وخمسماية والحمد لله » .

واقتران اسمى الخليفة والوزير معا فى اللوحات التأسيسية وغيرها ظاهرة شائعة فى أواخر حكم الفواطم وذلك لازدياد نفوذ الوزراء واستئثارهم بالسلطة حتى لقد

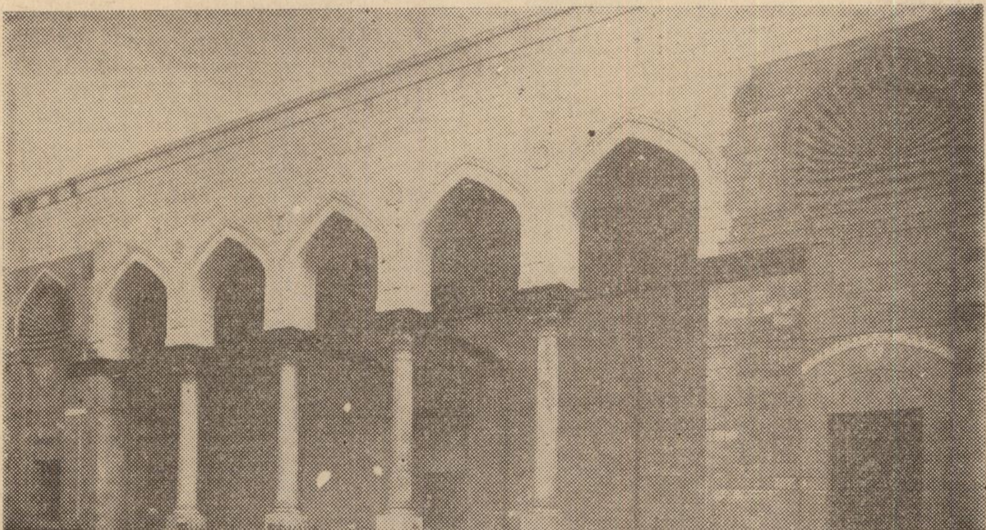

المنظر الخارجى لمسجد الصالح طلائع

اطلق على طلائع بن رزيك فى هذا النص الملك الصالح ، ويرجع السبب فى ذلك الى تهاون كبار رجال الدولة فى اختيار الخلفاء ومبايعة الاطفال بالخلافة ليسهل على الوزراء والحجاب الانفراد بالسلطة .

ولم يكن اقتران اسم الوزير مع الخليفة فى العمارة فقط بل ذكر ذلك فى الشعر أيضا فنجد أن عمارة اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ - ١١٧٤م كان شاعرا نابه الذكر بين شعراء البلاط فى عصر الفائز وقال قصيدة فى مدح الخليفة ووزيره فى قاعة الذهب فى قصر الخلفاء الفاطميين نذكر بعض أبياتها :

ليت الكواكب تدنو لى فانظمها
عقود مدح فما أرضى لكم كلمى
ترى الوزارة فيه وهى باذلة
عند الخلافة نصحا غير متهم
خليفة ووزير مد عدلهما
ظلا على مفرق الاسلام والأمم
زيادة النيل نقص عند فيضهما
فما عسى يتعاطى منة الديم

وبعد أن أنشد هذه القصيدة خلعت عليه الخلع الموشاة بالذهب ودفع اليه الوزير خمسمائة دينار ، كما يلاحظ أن الوزير هو الذى دفع المال . وكان عمارة شافعى المذهب وعلى الرغم من ذلك أفاض فى مدح الفاطميين ويشير الى هذا الاختلاف فى العقيدة الذى كان بينه وبين الفاطميين فى هذا البيت :

مذاهبهم فى الجود مذهب سنة
وان خالفونى فى اعتقاد التشيع

واذا قارنا ما قيل فى مدح الخلفاء والوزراء فى أواخر الدولة الفاطمية مع ما كان يختص به الخلفاء فقط أول أيامها من مدح الشعراء تبين لنا صدق ما نقول عن أفول نجم الخلفاء فى أواخر أيامهم وصعود أفق الوزراء شيئا فشيئا حتى انطفأ نور الخلافة فى مصر على أيديهم .

وحسبك قول الشاعر ابن هانىء الأندلسى المولود فى اشبيلية ببلاد الاندلس فى مدح الخليفة المعز لدين الله الفاطمى مشبها اياه بالنبى محمد عليه السلام وانفراده بالحكم :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار
فاحكم فانت الواحد القهار
وكانما أنت النبى محمد
وكانما أنصارك الانصار
هذا الذى تجدى شفاعته غدا
حقا وتخمد أن تراه النار

وللمسجد منبر يعتبر أجمل منابر مصر بعد منبر مسجد مدينة قوص فى صعيد مصر الذى يعرف بالجامع العمرى ، وقد عمل هذا المنبر كما يشير الى ذلك نقشان احدهما فوق بابه والآخر فوق المقعد « عمله سيف الدين باكتيمور الجوكندار سنة ٦٩٩هـ - ١٣٠٠م » وذلك لان مسجد الصالح طلائع قد أصيب أثر زلزال سنة ٧٥٢هـ - ١٣٥٣م ببعض التهدم والتلف ، ولم يصب رواق الحرم بسوء ، وقد تناول المسجد جملة اصلاحات وترميمات فى عصور مختلفة ومنها اضافة هذا المنبر .

ومهما يكن من شىء فان مسجد الصالح طلائع هو آخر المساجد الفاطمية فى مصر ، فنجده قد جمع معظم مميزات

احد أعمدة المسجد وتاجه الجميل الذى تظهر فوقه النقوش والزخارف الجميلة

العمارة طوال العصر الفاطمى ومن هنا جاءت أهميته ، وسيظل اسم الصالح طلائع فى الاذهان دائما لبنائه هذا المسجد الجميل خارج باب زويلة .

وعلى الرغم من ذلك فان الصالح طلائع لما حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم فى جملة وصيته « ما ندمت قط فى شىء عملته الا فى ثلاثة الاول بنائى هذا المسجد على باب القاهرة فانه صار عونا عليها ، والثانى توليتى لشاور الصعيد الاعلى ، والثالث خروجى الى بلبيس بالعساكر ، وانفاقى الأموال الجمة ولم آتم بهم الى الشام وأفتح بيت المقدس واستأصل شأفة الفرنج » .

وقد تحققت هذه الامور الثلاثة اذ لم تدفن رأس الحسين فى هذا المسجد كما أراد ، وبالتالى كان هذا المسجد خارج أبواب القاهرة فكان يحتمى به العدو المهاجم ، وأما عن شاور ، فانه بعد وفاته قام من بعده ابنه رزيك وحسنت سيرته وعزل شاور بن مجيد السعدى عن ولاية قوص ، ولكن هذا لم يقبل العزل وحشد وسار على طريق الواحات وجمع الناس وهاجم القاهرة فلم يثبت رزيك وفر فقبض عليه ببلدة اطفيح، واستقر شاور فى الوزارة . وأما عن الندم الثالث فقد ظهر خطر الفرنجة بشكل واضح بعد وفاته وقد قيض الله للمسلمين صلاح الدين الايوبى القائد العظيم الذى أمكنه هو وخلفاؤه من بعده من صد الفرنجة عن الدول الاسلامية .

الذهب فى العصر الاسلامى

الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش

عرفت المدنيات القديمة عنصر الذهب ، فهو يوجد طليق على حالته الفلزية فى الرمال وشواطىء بعض الانهار ، ، واستخدم المصريون القدماء هذا الفلز فى زينتهم وفى معاملاتهم المالية وفى حروبهم ، وتكاد تكون مناجم الذهب فى بلاد النوبة خالية الوفاض لانها كانت احدى ينابيع ثروة الذهب عند المصريين القدماء بالاضافة الى منطقة أوفير فى بلاد بونت (الصومال) التى كانوا يجلبون الذهب منها .

وقبيل الفتح الاسلامى كانت أهم مصادر الذهب تتلخص فى المناطق التالية :

١) كشمير فى أعالى نهر السند ، حيث كان يمر على ويهند قصبة القندهار ويسمونه نهر الذهب ، وفى منابعه مواضع يحفرون فيها حفيرات ، وفى قرار الماء وهو يجرى فوقها ، ويملاونها من الزئبق حتى يمر العام عليها ، فيعمل الزئبق على اذابة تبر الذهب الذى يحمله الرمل كأجنحة البعوض رقة وصفرا كما يقول البيرونى فى كتابه الجماهر فى معرفة الجواهر .

٢) جبال شكنان ومنها ينبع نهر جيحون .

٣) سفالة الزنج فى شرق أفريقيا وهى مصدر تجمع الذهب الناتج من منطقة السودان وكانت تشمل غرب ووسط أفريقيا ، وذهبها فى غاية الحمرة يوجد على تدوير الخرز ، والمسالك الى مناجمه شاقة من جهة المفاوز والرمال ، لذلك يستعد لها التجار من سجلماسة فى حد تاهرت من أقاصى أرض المغرب بالزاد الكافى والماء ، ويحملون الى السودان الذين هم وراء تلك الفيافى أثوابا ملونة تعرف بالمبجبجيات عرفوا ولوع الزنوج بها وهى حمر الاطراف ملونة بصنوف الالوان ، ويبايعونهم بالذهب بالاشارات من بعيد ، على حد قول البيرونى فى كتابه المذكور .

٤) أرض البجة على مسافة بضعة عشر يوما من اسوان ، كما ذكر فى كتاب أشكال الاقاليم ينتهى بعدها الى حصن

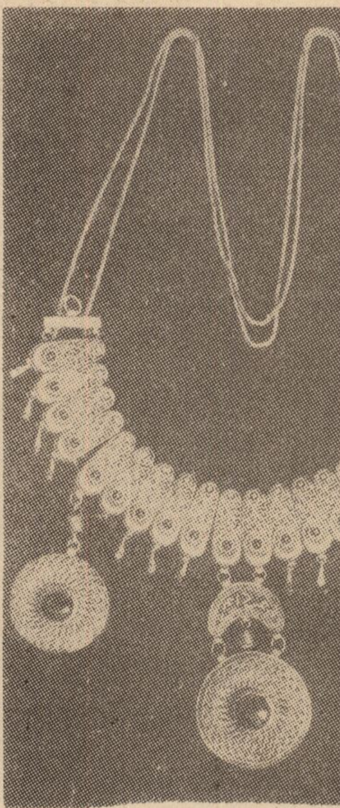

عقد من الذهب : مصر
القرن ٧ هـ «١٣م»

هيذاب ، ويسعى القوم هناك لاستنباط الذهب من الرمال والرضراض تحت ارض مبسوطة .

٥) ذهب الامبراطورية البيزنطية وكان يتركز فى مناطق امتصاصه فى كنائس سوريا ومصر .

٦) ذهب امبراطورية ساسان وكان يتركز فى قصور ومعابد ايران .

الفتح الاسلامى :

ثم بعث الله رسوله بالحق فى واد غير ذى زرع ، وظهر الدين الاسلامى ينير الطريق الى الهدى فى وقت قد فسدت فيه القلوب ، وعبدت الاصنام فكان العرب يعبدون اللات وهو صنم من ذهب ، بل كان الذهب نفسه هو المعبود الذى يسعى اليه كل ذى سلطة وجاه ، فهو الذى كان يتحكم فى الرقاب ، وهو الذى يثير الحروب بين الامم ، وكذلك كانت الفضة ممثلة فى الدرهم الساسانى والذهب ممثلا فى الدينار البيزنطى وهو النوموسيما ، ونزلت الآية الكريمة :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

لقد كان الفتح الاسلامى يهدف الى الهداية الى دين المكنوز فى الاديره والكنائس وأهل الثراء الى التداول فيعم الرخاء الاقتصادى بين الشعوب وبين البشر ، بدلا من أن يكون مصدرا للسيطرة والحروب .

لقد كانت الحكمة فى هذه الآية أن يخرج الذهب الحق ، فكانت الكرة الأولى لهذا الفتح البلاد التى تجمع فيها ذهب العالم المعروف وقتئذ ، وتشمل البلاد التى تبتلع الذهب وهى بلاد ما بين النهرين وايران الخاضعتين لآل ساسان ، والبلاد التى تمتص الذهب وتكتنزه فى الاديرة والكنائس وهى مصر وسوريا الخاضعتين للبيزنطيين ، فكانت أولى نتائج الفتح الاسلامى أن هذه الكميات الضخمة من الذهب المكتنز فى القصور الفارسية والأديرة البيزنطية عادت مرة أخرى الى التداول النقدى لصالح البشر .

ثم اتجهت الفتوحات الاسلامية ومن ثم التبادل التجارى والاقتصادى الى كافة البلاد الكبرى المنتجة للذهب سواء فى آسيا أو أفريقيا ، وتمكنت من امتصاص الانتاج كله تقريبا ، فاتجهت الى القوقاز وارمينيا التى طردت منها الاحتكارات البيزنطية ، والى اسيا الوسطى فى اتجاه

مناجم التاى التى نشر فيها الاسلام آلويته على الشعوب التركية ، والى وادى السند وساحل ملبار الذى يصل اليه ذهب التبت والدكن ، والى الساحل الشرقى لافريقية الذى تصل اليه السفن العربية لشحن الذهب القادم من الداخل ، والى بلاد النوبة وشمال السودان الذى وجه اليه والى مصر منذ عام ٦١٥م حملات ضد قبائل البيجا .

ولكن امتداد الفتح الاسلامى الى شمال افريقيا هيأ للحضارة الاسلامية الحصول على مورد من أهم الموارد التى غذت التيار الرئيسى للذهب الجديد المتجه الى البحر المتوسط من القرن التاسع الى القرن الحادى عشر ، ألا وهو بلاد السودان ، واصبحت سجلماسة التى اسست بالاقليم تافيلت عام ٧٥٧-٧٥٨ م مدينة كبرى من مدن القوافل ، ومرسى المتاجر السودانية ترحل منها فى كل خريف « قافلة الذهب » .

ولكن ماذا فعلت الحضارة الاسلامية بكل هذا الذهب؟

لقد انشا الخلفاء المدارس والمستشفيات فى جميع انحاء الوطن الاسلامى ، لم يذهب هذا الذهب الى جيوب أهل الثراء بل ذهب الى بيت المال لكى ينفق منه فى سبيل الله ، فى بغداد انشىء أكبر بيمارستان كان على رأسه الطبيب ابو بكر الرازى ، كما انشئت المدرسة النظامية ، وفى القاهرة انشىء اكبر بيمارستان فى الشرق كان على رأسه الطبيب ابن النفيس وابن أبى اصيبعة ، كما انشئت دار الحكمة فى عهد الحاكم بأمر الله عام ٣٩٥ هـ بالقاهرة ، وقد حملت اليها الكتب من خزائن القصور ، وحمل اليها من خزائن الحاكم من الكتب ما لم ير مثله مجتمعا لاحد السلاطين قط ، واجريت الارزاق على من فيها من العلماء والفقهاء والاطباء ، يقول «المقريزى» وابيح دخولها لسائر الناس ، فوفدوا اليها على اختلاف

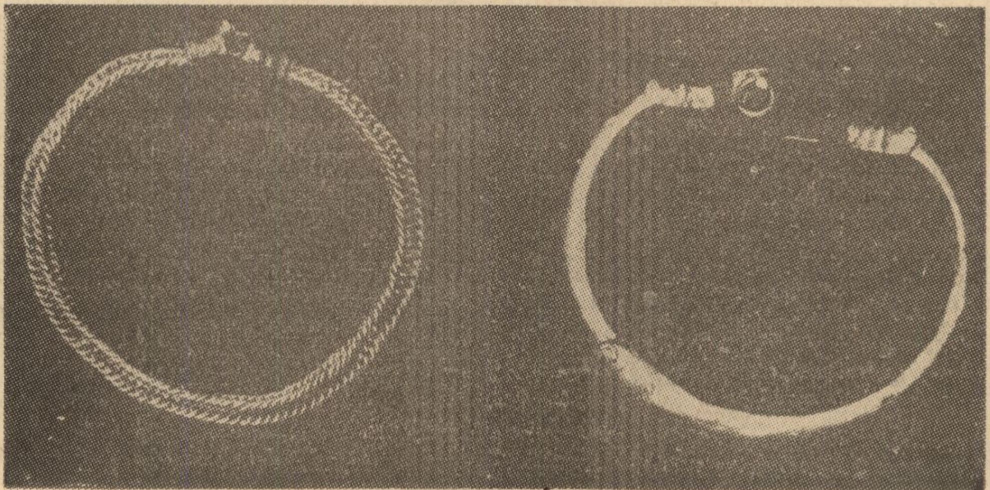

سوران من الذهب
مصر ـ القرن ٨ هـ «١٤م»

طبقاتهم ، فمنهم من يحضر للقراءة ، ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعليم ، كما أباح الحاكم المناظرة بين المترددين الى دار الحكمة ، فيعقدون الاجتماعات والمناظرات ،وازدهرت العلوم والفنون والحرف فى شتى الميادين ، كما ازدهرت التجارة والمعاملات الاقتصادية فى الوطن الاسلامى جميعه ، وذلك بفضل الروح الاسلامية التى تحرم اكتناز هذا المعدن النفيس .

ومن اروع الفنون الاسلامية فى الصياغة الصورة رقم ١ وهى تبين عقدا من الذهب ، صنع فى مصر فى القرن السابع الهجرى والصورة رقم ٢ تمثل سواران من الذهب وقرطا من الذهب أيضا .

الدينار الاسلامى فى عهد عبد الملك بن مروان :

تجمع المصادر الاسلامية مثل « فتوح البلدان » للبلاذرى ، « شذور العقود » للمقريزى ، « النجوم الزاهرة » لابى المحاسن على أن السبب فى ضرب النقود العربية والتحرر من الدينار البيزنطى « النومسيما » أن أوراق البردى التى كانت تصدر من مصر الى بيزنطة كانت تسجل عليها عقيدة الايمان المسيحية (باسم الأب والابن وروح القدس) تلك العقيدة التى أشار اليها انجيل متى ، فكتب عبد الملك بن مروان الى عامله فى مصر عبد العزيز بن مروان بابطال هذا الطراز من الكتابة على البردى ، وأمره أن يكون طرازها شهادة التوحيد (شهد الله أنه لا اله الا هو) ، ولما وصلت أوراق البردى الاسلامية الى امبراطور الروم المعاصر جستنبان الثانى احتج على خليفة المسلمين وهدده بانه ان لم يعد كتابة العقيدة المسيحية على البردى المصرى ، فسيضطر الى نقش الدنانير البيزنطية التى ترد الى الشرق العربى بعبارات تسىء الى الرسول صلى الله عليه وسلم ،وغضب عبد الملك من هذا التهديد ، وأشار عليه أهل الرأى من المسلمين بضرب نقود عربية عليها شهادة التوحيد والرسالة المحمدية ، وصب صنج من زجاج لا تستحيل الى زيادة او نقصان لتعير عليها هذه النقود وتضبط أوزانها ، فعمل عبد الملك الخليفة الأموى بهذه المشورة وضرب النقود العربية كابلغ رد على تحدى الامبراطور البيزنطى والصورة رقم « ٣ » ، « ٤ » تبين لنا نماذج من هذه الدنانير الاسلامية .. العليا ذات تاثير بيزنطى والسفلى عندما تحررت من هذاالتاثير واصبحت الاسلامية صرفه ، وسحبت العملة القديمة تدريجيا من التداول وأعيد صهرها وضربها بالقالب الجديد .

وهكذا ظهرت العملة الاسلامية خلف « الدينار » الصلدى الذهبى البيزنطى كما خلف الدرهم «الدراخمة» الفضية الفارسية ، ودخلت هذه العملة فى التداول من شمال الهند الى الاندلس ، وانتشر الدينار على نطاق واسع فى كل من الجزء الغربى من المحيط الهندى من جزيرة سيلان وساحل ملبار الى جزيرتى سقطرى ومدغشقر .

لقد احتل الدينار فى العالم جميعه المكان الاول فى التداول النقدى ، ولم يقتنع بمكانته فى العالم الاسلامى، بل أوغل فى التقدم نحو الجنوب ونحو الشرق ونحو الشمال الى أبعد مما وصلت اليه العملات البيزنطية والفارسية ، لقد وجد الدينار الاسلامى فى شمال روسيا وفى انجلترا وفى ايطاليا وفى فرنسا ، فكانت قوته أعلى مرتبه من قوة الدولار فى العصر الحاضر ، بفضل قوة المسلمين المتماسكة وبفضل ازدهار التجارة والصناعة فى الوطن الاسلامى مما كان الغرب فى مسيس الحاجة اليها دائما فى عمليات التبادل .

وسوف نوضح فى مقالات تالية ، كيف تدهور هذا الدينار وتسرب الذهب من الوطن الاسلامى الى اوروبا بمعونة التجار اليهود .

وبعد !!

فان الوطن الاسلامى اليوم يملك أعظم ينابيع الثروة ، وهو الذهب الاسود ولكن الغرب يحتكره فى صناعاته وفى تصنيعه ، وكما هيا الله للمسلمين عبد الملك بن مروان الذى حرر الاقتصاد الاسلامى من ربقة النومسيما البيزنطى عام ٦٩٤م ، فلسوف يعلى الله كلمة المسلمين فى القرن العشرين ويحرر الاقتصاد الاسلامى جميعه والذهب الاسود من الاحتكارات الاجنبية على يد قائد نهضتنا الملهم جمال عبد الناصر .

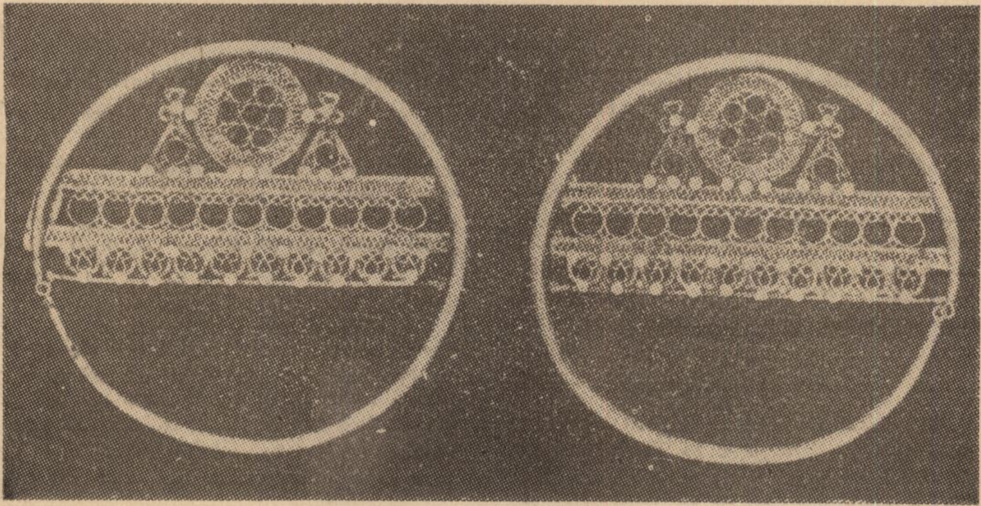

قرط من الذهب : مصر ـ لقرن ٨ هـ «١٤م»

باب العلم

الشهب

الدكتور محمد جمال الدين الفندى

الشهب فى الاصل جسيمات مادية مختلفة الحجم والتركيب تهيم فى أسراب فى الفضاء سابحة من حول الشمس . ويرى فريق من العلماء أن رأس اى مذنب من المذنبات انما يتكون من أكداس من الشهب ، تنفصل رويدا رويدا منتشرة على طول الذيل لتكون أسراب الشهب التى تكون أهم مصدر من مصادر الاخطار والاهوال التى تعترض سبيل المسافر عبر الفضاء الكونى القريب .

ونحن نرى الشهب التى تدخل جو الارض كومضات من الضوء تظهر على هيئة خطوط مضيئة فى السماء وقد نطلق عليها اسم «النجوم الهاوية أو المتساقطة» . والسبب فى ظهور هذه الخطوط المضيئة هو احتراق الشهب أو تحول لونها الى البياض تحت وطأة درجات الحرارة العالية التى تتولد فيها عندما تحتك بغلاف الارض الجوى .

وقد تبلغ جسيمات الشهب من الصغر الحد الذى يجعل الشهاب الواحد يعادل جزءا واحدا من ألف جزء من الجرام ، الا أنه نظرا لتحركه بسرعة فائقة يكتسب طاقة تعادل طاقات رصاص البنادق ! ويدخل جو الارض الخارجى كل يوم فى المتوسط نحوا من عشرين مليون شهاب يحدث أغلبها خطوطا ضوئية يمكن مشاهدتها ليلا بالعين المجردة . وعندما تأخذ فى الاعتبار الخطوط المعتمة التى تستلزم من أجل رصدها استخدام المناظير المكبرة ، يصبح القدر الكلى للشهب التى تعترض سبيل الارض أو تلحق بها أضعاف أضعاف هذا الرقم .

وبطبيعة الحال يهبط حطام هذه الشهب وأكاسيدها على التدريج خلال جو الارض حتى يصل الى السطح . وقد يدخل جانب كبير منه فى عمليات التكاثف داخل السحب ، وينزل مع ماء المطر . ويقدر فريق من

العلماء أن غبار الشهب هذا يسبب زيادة فى كتلة الارض قدرها نحو ٤٠٠٠ رطل كل ٢٤ ساعة .

ولقد لاحظ علماء الطبيعة الجوية أن لغبار الشهب واتربتها تأثيرات واضحة على اثارة السحب وعمليات الهطول التى تسبب الفيضانات العالية ، لانها تكون أهم مصادر نوى التكاثف التى تتجمع عليها جزئيات بخار الماء العالق فى الهواء من أجل أن تكون نقطا من الماء أو بلورات من الثلج داخل السحب المطيرة . ولقد زاد الاعتقاد بأن دخول الارض فى أسراب سميكة من الشهب الهائمة فى الفضاء القريب يعقبه غالبا حدوث الهطول المتواصل على الارض بعد أن تترسب أتربة الشهب المحترقة وتصل الى طبقات الهواء القريبة من سطح الارض ، تلك الطبقات التى تثار فيها السحب ، وينزل منها المطر .

وأنت عندما تعمد الى رصد الشهب يمكنك أن ترى مثلا من خمسة الى عشرة شهب خلال الساعة الواحدة اذا ما كانت السماء خالية من السحب والانوار والاضواء الكاشفة وما على شاكلتها « اى كانت السماء حالكة الظلام ». ولكن ليس معنى ذلك انك تستطيع أن تخرج وتتوقع رؤية الشهب فى الحال ، لانه من الضرورى ان تعتاد عيناك أولا الظلام وتألفاه – أى ينفتح انسان العين او « النني » ، وكذلك تصبح شبكية العين أكثر حساسية بحيث تتأثر بكميات الضوء الصغيرة – . وينجم عن ذلك كله أن تزداد قدرتك على رؤية الاجسام الخافتة الضوء . والمعروف عموما انه عند المسنين تتطلب ألفة العين للظلام على هذا النحو عشرين دقيقة فى المتوسط ، الا أنها تتم سريعا جدا عند الصغار .

ويعج الفضاء الخارجى باسراب الشهب التى تسبح فيه بلا هوادة ، ولكننا لا تتاح لنا فرصة رؤيتها الا اذا دخلت غلاف الارض الجوى واخترقت او ابيضت من شدة الحرارة . وقد يستغرق المنظر فى بعض الحالات كسرا من الثانية مع اعتام ملحوظ . ولكنه يكون أحيانا ساطعا بضوء يفوق اشد النجوم لمعانا ، وعندها نعرف باسم « الكرات النارية » . ولقد حدث أن شوهدت حالات من « الكرات النارية » هذه بلغ فيها البريق الدرجة التى أثارت المنطقة كلها .

وكثيرا ما يظل جسم الشهاب الداخلى باردا جدا بينما ترتفع درجة حرارة الاجزاء الخارجية الى حد كبير بسبب احتكاكها بالهواء . وينجم عن عدم التساوى فى التسخين بهذا الشكل حدوث تمدد متفاوت القدر ، ومن ثم ضغط عظيم قد يحمل مادة الشهاب كلها على الانفجار بصوت مرتفع يسمع فوق مساحة واسعة ، الا أن مثل هذه الحالات نادر الحدوث .

وعلى الرغم من أن متوسط سرعة الشهب هو نحو ٢٦ ميلا فى الثانية ، الا أن هذه القيمة ليست هى سرعة تصادمها مع الارض أو جوها . فالارض تجرى فى مسارها حول الشمس بسرعة متوسطها ١٨ر٥ ميلا فى الثانية ، وعلى ذلك اذا تم تصادم الشهاب مع الارض وهو يتحرك فى الاتجاه المضاد تكون سرعة التصادم هى محصلة السرعتين ، اى ٤٤ر٥ ميلا فى الثانية . اما اذا كان الشهاب يسير بالصدفة مع الارض ولحق بها فان سرعة التصادم سوف تكون فى المتوسط ٧ر٥ من الاميال فى الثانية « اى الفرق بين السرعتين كما هو ظاهر » .

وانسب الاوقات لمراقبة السماء من أجل رصد الشهب هو بعد انتصاف الليل . ويبلغ ما يشاهد منها فى مثل ذلك الوقت نحو ضعف ما قد يرى منها قبل منتصف الليل . والسبب فى ذلك أنه أثناء تلك الفترة نكون نحن فى النصف الامامى من الارض وهى تسبح حول الشمس ، مما يجعلنا نرصد منها نوعين من الشهب : تلك التى ترتطم بجو الارض ، وتلك التى تلحق بنا . أما قبل انتصاف الليل فاننا نكون على النصف الخلفى للارض فلا نشاهد من الشهب الا ما يلحق بنا .

واذا ما حدث ان نفذ جسم الشهاب من غلاف الارض الجوى وسقط على سطحها سمى نيزكا . والنيازك نادرة الحدوث نسبيا . وقد امكن التعرف على نحو ١٠٠ نيزك مما سقط على سطح الارض . ويعطى العلماء النيازك اهمية عظمى ، نظرا لانها المادة الوحيدة التى يحصلون عليها خالصة من الفضاء الكونى . وتختلف « النيازك » اختلافا كبيرا جدا من حيث الحجم والتركيب : فهناك نيازك الحديد ، والنيازك الحجرية ، والنيازك التى تتكون من خليط الحديد والحجر .

ولقد أمكن التعرف على نحو ٤٠ عنصرا مختلفا فى أحجار النيازك . وأكثر هذه العناصر شيوعا الحديد ، والاوكسيجين ، والسليكا ، والمغنسيوم ، والنيكل ، والكبريت ، والكلسيوم ، والالومينيوم . وأنت يمكنك التعرف على حديد النيازك عن طريق وجود خطوط على أسطحها بعد تذيبها بحامض الكلوردريك المخفف . وليس من السهل عليك أن تسير الى ابعد من ذلك فى سبيل التعرف على النيازك ، فهذه مسألة فنية بحتة .

وهناك حالات أحدثت فيها النيازك تلفا عظيما . ففى عام ١٩٠٨ سقطت مجموعة من النيازك فى سيبريا فقتلت نحو ١٥٠٠ شخص واسقطت الاشجار على مساحة ١٠٠ ميل مربع ، كما سمع صوت التصادم على بعد ٤٠٠ ميل .

ويذكر القرآن الكريم الشهب فى عدة آيات منها قوله تعالى فى سورة الجن :

١ – « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا » .

٢ – « ... ... فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » .

ندوة الشهر

نحو أخلاق مثالية

اعداد : عبد الرحمن الشربيني

نحن احوج ما نكون الى استعراض هذا الموضوع من حين الى حين .. لاننا محتاجون الى الكثير من الاخلاق حاجتنا الى الكثير من العلم ..

ان الاخلاق هى عماد الامم كما انها عماد الافراد .. ومهما تبلغ الامم من المجد السياسى او الاقتصادى دون أن يكون لها رصيدها من الاخلاق ، فسوف تتبخر كل هذه الامجاد من أمد بعيد .

لذلك فان القائمين بالدعوات الدولية وايقاظ الوعى الاجتماعى مطالبون بان يولوا هذا الموضوع أكبر جانب من العناية الحقة .

ومنذ أيام .. كانت جمعية الشبان المسلمين على موعد مع لفيف من رجال الفكر حيث رسموا فى ندوتهم معالم الطريق القويم .. الى الخلق القويم .. فى ندوة تحدث فيها :

١ ـ الاستاذ انور احمد مدير عام الشئون الاجتماعية وتحدث عن اخلاق الموظف .

٢ ـ الاستاذ القاضى مصطفى حسنين وتحدث فيها عن أخلاق القاضى .

الاستاذ انور احمد

ـ ما عسى أن تكون الاخلاق المثالية للموظف ؟

الموظف ما زالت تحوطه هالة من الاهمية ترجع فى ظروفها الى عشرات الاعوام الماضية ، حينما كان المستعمر يحكمنا ويحكم الوظائف عندنا ، وعندماحرصت دول الاستعمار على توجيه الوظيفة وجهة خاصة تبدو بريئة فى ظاهرها ، وان كانت فى باطنها لا تقصد الا الى تثبيت الاستعمار وخدمته .

واذا كنا نعانىمنبقايا ماغرسه الاستعمار بين الموظفين وما جعلهم يشبون عليه ، فليس كل الموظفين فىالدولة يستحقون أن نوجه اليهم اللوم ، فان منهم من هو مثالى ، ومنهم من هو ليس كذلك . واذا كانالاستعمار هو المسئول الاول عما يبدو لنا فىفريق من الموظفين ، فانضع أيدينا على جراحنا ونحاول فى صراحة وشجاعة أن نتعرف على ما فينا من عيوب .

ولست أقول أن الموظف المثالى مثلا هو الموظف الذى لا يرتشى ، او الموظف الذى لا يسرق ، فتلك صفات يجب أن تكون أساسية فى الموظف .. وبغيرها لا يصح أن يكون موظفا فحسب ، وانما لا يصح أن يكون مواطنا .. فاذا ما ارتكبها فهو مجرم يقع تحت طائلة العقاب ..

انما حديثنا هو عن موظف لا يسرق ولا يرتشى .. ومع ذلك ليس من الاخلاق المثالية فى شىء .. هذا الصنف الذى صنعه الاستعمار كما أراده ان يكون .. اننا نريده نحن أن يتحلى بالاخلاق المثالية وأن نصنعه كما تريده الاخلاق أن يكون .

وأستطيع أن أشير أشارات عابرة الى أخلاق الموظف المثالية التى نرجوها له فاقسمها فى علاقات الموظف الى ثلاث : أخلاقه مع الجمهور.. أخلاقه مع الرؤساء.. أخلاقه مع المرءوسين .

الموظف مع الجمهور

فمع الجمهور يجب أن يفهم الموظف طبيعة الوظيفة وما عسى أن تكون ! ! وذلك لكى تحدد هذه المعرفة الصلة بينه وبين الجمهور فلا يعتقد أنه سيف مسلط على رقابه .. ان الموظف أجير لدى الجمهور ، يتقاضى مرتبه من الضرائب التى يدفعها.. ان هذا الهرم العالى من الموظفين منالساعي الىوكيلالوزارة ، انما يستولون على مرتباتهم من الضرائب التىيدفعها الجمهور للحكومة ، فلا ينبغى من هذا الجهاز أن يكون من الذين قال فيهم أبو العلاء :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ان الموظف ان عرف ذلك ، تحددت صلته بالجمهور ، فلا يتعالى عليه لانه انما يجلس فى مكتبه لخدمته وقضاء مصالحهم .

وما أكثر ما يشكو الجمهور من بعض الموظفين الذين يملأهم عقد النقص ومركباته ، فيفرغون فى الجمهور ما يقاسونه من رؤسائهم مع الارباح المركبة .

وعلى الموظف أن يعدل فى معاملته للجمهور عدلا مطلقا ، أعنى العدل الذى لا يميل مع الهوى فقط وانما العدل الذى لا يخشى معه أحدا ما دام ضميره مستريحا لانه فى جانب الحق . وألا يكون من الذين قال فيهم قاسم أمين : « أعرف قضاة يحكمون بالظلم ليشتهروا بالعدل » .

عليه أيضا ألا يستفز أو يضيق صدره بالشكوى فيحنق ويندفع وراء غضبه .

اننا شعب يحب الشكوى لفرط ما قاسينا فى عهود الظلم السوداء ، فأصبحنا نشك فى أى موظف ، بل أصبحنا ننظر اليه نظرة الطير للصائد ، لا نظرةالجيش للقائد .

فعلى الموظف الا يستفزه الجمهور فيثور ، لانه لو ثار قضى على الحق ..

« ولا يجر منكم شنآن قوم على الا تعدلوا.. اعدلوا هو أقرب للتقوى » . .

وهذه مرتبة عليا فى المثالية . .

ولكى يعاون المسئولون الموظف على اداء رسالته ، يجب على أولى الامر أن يصدروا الاوامر بعدم الالتفات الى الشكاوى المجهولة التى تقدم فى الموظفين . وقد فعلت ذلك بعض الوزارات والمصالح والحمد لله ، لان الشاكى المجهول انما شخص جبان يختفىوراء ستار ، فان كان صاحب حق فليتقدم به وكتابه بيمينه ، وما اروع الدستور السماوى فى تشريعه الحكيم وهو يقول :

« يايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ، أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ».

الموظف مع المرءوسين

اما مع المرءوسين فيجب ان يكون الاخ الاكبرلمرءوسيه من الموظفين ، وعليه أن يدرك أن الرئيس كلما ارتفع درجة كلما زادت اعباؤه ، وطولب بالمزيد من المثالية . انهم هم الذين يعاونونه وينجح بهم ، فعليه أن يحسن معاملتهم .

ورضى الله عن الحاكم الذى قال « بينى وبين الناس شعرة لا تنقطع ، اذا أرخوها شددتها ، واذا شدوها أرخيتها .. »

لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عنف . .

اعرف رؤساء كبارا صغارا .. كبار فى وظائفهم ، صغار فى نفوسهم ، يظنون ان الرئاسة هى استعباد ، وانهم لن يكونوا رؤساء الا اذا سادوا وتكبروا على الموظفين .

الموظف مع الرؤساء

اما مع الرؤساء فيجب على الموظف أن يواجه رئيسه بمنتهى الصراحة ، لا ينافق وانما يعتمد على عمله .. يواجه الرئيس الرأى ولو خالفه ذلك الرأى ، عليه أن يقول كلمته رضى الرئيس أو لم يرض ، أخذ بها أو لم يأخذ .

انى اكون خائنا لرئيسى اذا انا نافقته فوافقت على رأيه لمجرد أن أرضيه .

هذا هو ما أدعو اليه الموظفين بعد ان قضى أولو الامر بأن تكون الترقية بين السواد الاعظم منهم بالاقدمية المطلقة ، وبذلك لم يعد هناك مجال لان ينافق الموظف أو يداهن . انما عليه أن يتحرر .

واخيرا . .أن الموظف المثالى هو الذى يعود الى داره آخر النهار فيخلو لضميره يحاسبه ، فلا يخجل منه لانه ادى واجبه .

الاستاذ مصطفى محمد حسنين

ــ قال عن أخلاق القاضى :

ان الحديث عن المثالية فىأخلاق القاضى موضوع شائك للغاية ، ووجه الحرج فيه هو اننى قاض ، وأن المثالية شىء بعيد المنال ، فالمثل الاعلى أعلى ، أى أنه فوق متناولنا لا نستطيع أن نلمسه بسهولة ؛ هو بعيد بعيد وان كنا نتمنى أن نصل اليه .

فاذا قلنا نحو أخلاق مثالية للقاضى ، فمعناه أن نحدد الاخلاق البعيدة المنال التى يجب أن يتحلى بها القاضى . .ولو أنها بعيدةجدا الا أننىأراها لا بد أن تتوفر فى كل قاض يتولى القضاء وبدونها لا يصلح له .

ضمير القاضى

لقد اشترط القانون بعض الصفات التى يجب انتتوفر فىالقاضى . .وهذا كله لا يعنينا لانه لا حكم لاحد على القاضى سوى ضميره .. وهذا يجعل القاضى يحس دائما بثقل العبء وخطورة المسئولية .. لانه لا يتعامل الا مع ضميره . .وضمير القاضى مستمد من صفة من صفات الله . .الحق ..

وفى رأيى أن كل قاض يستشعر البعد عن الحق يجب عليه أن يتنحى .. وعندى أيضا أنه من مذهب الخير ان يحكم القاضى فى عشر قضايا بالبراءة حينما يتسرب الشك الى يقينه ، خير من أن يظلم احدا فى قضية واحدة . .ولعل الشارع كان حكيما حينما رأى تفسير الشك لمصلحة المتهم دائما ، فيتعين علىالقاضى أن يحكم بالبراءة .

قال الامام الغزالى عن اخلاق القاضى : الورع ؛ وحسن الخلق ، والعلم ..

فالورع ضرورة لا ريب فيها .. لان القاضى الذى يكون على صلة بالله لا بد انه سيراعى ما امر به الله ..

وحسن الخلق يجب أن يتصف به القاضى فيكون عفوفا ، يحافظ على المعنى المقدس الذى يحس به وهو يجلس الى محراب القضاء .

والعلم .. العلم الغزير يجب ان يكون عدة القاضى بالقدر الذى لا تتأثر به العدالة .

القاضى والجمهور

لقد قيل .. هل للقاضى ان يختلط بالجمهور أو لا يختلط ؟ .. وفى رأيى أن الاختلاط بالجمهور هو من أهم وسائل العلم للقاضى .. والعلم بالناس كالعلم بالقانون سواء بسواء .. والقضاء عمل انسانى قبل كل شىء ..يجب أن يعرف الناس ويدرسأمورهم ويحس بأحاسيسهم ويدرك ما هم فيه .. فاذا طالبنا القاضى بالا يتصل بالناس فنحن انما نطالبه بالعزلة عن المجتمع . .

وانما ليس معنى هذا أن يكون مبتذلا مع الناس .. اننى أطالب فقط بأنتكونصلته بالناسبحذر وباحتياط بالقدر الذى لا تتأثر به العدالة .

عيوب فىالقانون

وهناك فجوة دائما بين القانون والعدالة التى كثيرا ما تصطدم بقواعد القانون . هذا هو القانونالجنائى.. لقد أصبح لا يتمشى فى كثير من مواده مع ظروفنا الاجتماعية .

وشىء اخير .. على القانون وعلى القائمين على امر هذا القانون أن يتنبهوا له .. ان القاضى يفصل فى حوالى مائتى قضية فى اليوم .. وهنا موطن الخطورة على قدسية العدل ، وعلى الكمال المنشود فى هذا العدل ، وأن كان الكمال المطلق لله وحده .

سيدة النساء
فاطمة الزهراء

إعداد عائشة حسنى

ـ هى سيدة النساء كانت حياتها كالزهور التى تزهر وتذبل فى ربيع العمر ، الا أننا مازلنا نرى حتى اليوم ثمار هذه الزهور النادرة ومازالت رائحتها تعطر عصور الاسلام جيلا بعد جيل ٠

من هى :

فاطمة بنت محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمها خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وأصغر بنات الرسول ٠ ولدت وقريش تبنى الكعبة بمكة المكرمة قبل النبوة بخمس سنين٠ وسميت فاطمة لأن الله فطمها وحجبها عن النار ٠

عن أبى جعفر قال : دخل العباس على على وفاطمة واحدهما يقول للاخر أينا أكبر فقال العباس ولدت ياعلى قبل بناء قريش البيت بسنوات وولدت أنت وقريش تبنى البيت ورسول الله ابن خمس وثلاثين سنة قبل النبوة بخمس سنوات ٠

زواجها من على :

كان على ابن أبى طالب ابن عم أكثر من أخ عزيز لها كما كان يمتاز عن فتية قريش بالشجاعة والعزيمة والزكاء ٠ وليس بين شباب المسلمين جميعا من هو أسبق منه الى الاسلام أو أقرب الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

كان على يحب فاطمة ويفضلها على غيرها من بنات جنسها من المسلمات ٠

وهنا نترك أنس رضى الله عنه يحدثنا عن زواج على من فاطمة ٠

روى عن أنس انه قال : (كنت عند رسول الله صلى ا لله عليه وسلم ـ فجاءه جبريل وبعد أن أفاق النبى من غفوته استحلفته بالله أن يخبرنى بما حدث فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان الله عز وجل يأمره بأن يزوج فاطمة من على ٠ فانطلق وادع لى أبا بكر وعمر وعثمان وطلحه والزبير وبعدهم من الأنصار ٠ فانطلقت وأحضرتهم وبعد أن اتخذوا مجالسهم قال : ان الله عز وجل جعل المصاهرة نسبا لاحقا وأمرا مفترضا وحكما عادلا وخيرا جامعا وشج به الأرحام والزمها الأنام ٠ ثم أن الله سبحانه وتعالى أمرنى ان أزوج فاطمة من على وأشهدكم أنى زوجت فاطمة من على على أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك على على السنة القائمة والفريضة الواجبة فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما وجعله مفاتيح الرحمة ومعان الحكمة وأمن الأمة ، أقول هذا واستغفر الله لى ولكم ٠

واستطرد أنس قائلا : وكان فى ذلك الوقت على رضى الله عنه غائبا فى حاجة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قد بعثه فيها وأمر الرسل بطبق فيه تمر فضع فى أيدينا وبينما نحن كذلك أقبل على فتبسم اليه رسول الله وأخبره بما حدث فقال على : رضيت يارسول الله ثم خر ساجدا شكرا لله فلما رفع رأسه قال له رسول الله بارك الله لكما وعليكما واسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب ٠

وبذلك تحقق دعاء النبى لهما اذ لم يبق من أولاد النبى غير فاطمة وكانت ذريتها هى الذرية الصالحة الطيبة المثمرة ٠

وهكذا تم زفاف سيدة النساء بلا ضوضاء لكنه بالسرور يملأ أرجاء القلوب بالسعادة والصفاء وكانت تبلغ من العمر ثمانية عشر وعلى بن أبى طالب كان يبلغ من العمر الحادية والعشرين وكلاهما شخصيتان يحيط بهما جلال الايمان ونور الهدى ، متكافئتان متعادلان من كل الوجوه ٠

حياتهما كلها مليئة بالفضيلة والكمال والمحبة والاخلاص ٠ كما عرف على بالمروءة ومساعدة المحتاج

وعن ابن عباس انه قال : كان مع على رضى الله عنه أربعة دراهم لايملك غيرها فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فانزل الله تعالى : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون)

وعن ابن عباس أيضا أنه قال : لما نزل قوله تعالى . (انما أنت منذر ولكل قوم هاد) قال رسول الله : (انا المنذر وعلى الهادى وبك ياعلى يهتدى المهتدون)

أنجبت فاطمة من على زينب وام كلثوم التى أحيت بهما ذكرى أخواتها ثم أنجبت الحسن والحسين ومحسن ورقيه ولكنها فقدت محسن ورقية صغيران ٠

وعاشت فاطمة فى بيت روجها حياة مليئة بالخشونة والفقر اذا قورنت بحياة أخواتها اللواتى كان لهن حظ كبير من النراء والنعيم ولكنها كانت راضية موفقة فى هده الحياة مؤمنة بما قسم الله لها

منزلتها عند رسول الله :

كان رسول الله يحب فاطمة حبا شديدا وكان يعتبرها المثل الأعلى ويمثل كل شىء بها دائما ٠ فحدث ان امرأة من قريش سرقت بعد أن أسلمت وبلغ الرسول أمرها فأشفقت قريش ان تقطع يدها ، فاستشفعوا لها عند الرسول حتى جاء أسامه بن زيد ليشفع فيها وكان الرسول يشفعه ، فلما فعل ، قال - صلى الله عليه وسلم - (لاتكلمنى ياأسامه ، فان الحدود اذا انتهت الى ، فليس لها مترك ، فلو كانت بنت محمد فاطمة لقطعت يدها) ٠

كما كانت معه يوم خرج الى قريش وقد نزل قوله تعالى : وانذر عشيرتك الأقربين) فجعل ينادى :

يامعشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا ٠٠

- يابنى عبد مناف ، لا أغنى عنكم من الله شيئا

- ياعباس بن عبد المطلب ، لا أغنى عنك من الله شيئا ٠

- ياصفية بنت عبد المطلب ، لاأغنى عنك من الله شيئا ٠

- ويافاطمة بنت محمد سليتى ماشئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئا ٠

فقالت فاطمة بهمس وكلها حنان وتاثير : لبيك ياأحب والد وأكرم داع ٠

وروى أن النبى خرج وهو آخذ بيد فاطمة فقال من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمد وهى بضعة منى وهى قلبى وهى روحى التى بين جنبى من آذاها فقد أذانى ومن آذانى فقد آدى الله كما قال رسول الله أول من يدخل الجنة على وفاطمة

وعن عائشة قالت : أقبلت فاطمة كان مشيتها مشية رسول الله فقال رسول - الله - صلى الله عليه وسلم - مرحبا : يا ابنتى ثم أجلسها عن يمينه وأسر لها حديثا ، فبكت ثم أسر لها حديثا فضحكت ، فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن ؟ فسألتها عما قيل لها فقالت :

ما كنت لأفشى سر رسول الله ٠ حتى قبض رسول الله فسألتها فقالت أسر الى فقال :

ان جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة وأنه عارضنى به العام مرتين ولا أراه الا قد حضر أجلى وانك أول أهل بيتى لحوقا بى ونعم السلف أنا لك فبكيت ، فقال ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة ، أو نساء العالمين ، فضحكت لذلك ٠

وعن عائشة أن النبى قال : (ان سيدات نساء أهل الجنة أربع : مريم بنت عمران ، فاطمة بنت محمد ، خديجة بنت خويلد ، وأسية بنت مزاحم ٠

بهذه الروايات تتصح لنا منزلة فاطمة عند النبى فكانت أحب بناته وقد ازداد بعد موت أخواتها كما تضاعف أيضا بمولد الحسين ٠

ولم يكن حب النبى لها أقل من حبها له بل كان المثل الأعلى لحياتها ، فقد صحبته الى شعب أبى طالب ، حيث عاشت هناك بين أسوار الحصار سنين عديدة ، ثم عادت الى مكة بعد انهيار الحصار ، لتشهد بعينها موت أمها خديجة ، ثم هجرة أبيها الى يثرب ٠٠ وأغلقت دار محمد بمكة وأخذها معه الى يثرب كما أغلقت دور المسلمين ٠

وكان اذا حدث خلاف بين الزهراء وعلى يعرض على النبى فيهتم به ويحاول جهده أن يوفق بينهما •

فحدث أن النبى – صلى الله عليه وسلم – كانت تبدو عليه علامات القلق والاضطراب ، فأمضى وقتا ثم خرج ووجهه الكريم يفيض بشرا ، فقال أحد الصحابة : يارسول الله ، دخلت وأنت على حال ، وخرجت ونحن نرى البشرى فى وجهك !

فأجاب عليه الصلاة والسلام : وما يمنعنى وقد أصلحت بين أحب اثنين الى :

صفاتها :

كانت رضى الله عنها ذات عقل ودراية ، تجيد الشعر وتعرف مسائل الفقه والشريعة لها المام بالتاريخ •• سلسة القيادة تساعد الفقراء والمحتاجين كزوجها على لايأخذها الغرور يوما لعلو منزلتها فى الاسلام •

كانت تشابه النبى فى أحاديثها ورواياتها وبذلك كان لصحبتها الروحانية له أثر فى رفعة شخصيتها كما أنها ألقت عليها شعاعا من النور •

كانت محبوبة من الجميع تحب أولادها وتعنى بشانهم وكانت فى صلاتها وعبادتها فى مبراتها وخيراتها من أكثر السيدات أنسا فى محفل ربات الخدور •

وروى عنها أحاديث نبوية كثيرة ونظمت قصائد كما أظهرت دراية ومهارة فى حل كثير من المعضلات •

وكان لدخول فاطمة فى صميم المعركة منذ طفولتها أثر واضح فى حياتها التى ابتعدت فيها كل البعد عن المرح • كما كان لموت أمها المبكر الوحشة المؤلمة •• وكذلك شغلها الشاغل بالنبى باستمرار وتتبعه من قريب وبعيد وقد ظهر أثناء غزوة أحد حيث كانت تضمد الجراح وتواسى المصاب وتسقى الظمآن ••

امتازت بصفاتها كابنة وزوجة وأم بمزايا قل أن تجتمع فى سواها • كما كان لمولدها أثر جليل وعظيم حيث اختارت قريش محمدا حكما لها فى وضع الحجر الأسود بعد خلاف شديد وبعد تجديد بناء الكعبة المكرمة وبذلك كان مولدها بشرى لوالديها

زارت قبر أبيها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وأخذت بيدها حفنة من ترابه واستنشقتها بشوق وأخذت تبكى ثم قالت :

أغبر آفاق السماء فكورت
شمس النهار وأظلم العصران
الأرض من بعد النبى كئيبة
أسفا عليه كثيرة الأحزان
فاليبكه شرق البلاد وغربها
ولتبكه مضر وكل يمانى
ياخاتم الرسل المبارك وصفه
صلى عليك منزل القرآن

ولم يسمعها انسان حتى بكى معها وبعد أن فاضت دموعها رجعت الى بيتها

اعترضت حادثة الفدك فى فترة الأحزان التى مرت بها فاطمة بعد وفاة أبيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفدك هذه عزبة نخل كانت للرسول يصرف منها على أهل بيته والباقى على المسلمين • وبعد وفاته طلبت السيدة فاطمة فدك من أبى بكر فحرر لها حجة بذلك على قطعة من الجلد وأعطاها لها • وبينما هى عائدة الى دارها قابلها عمر وسألها عن مجيئها فاخبرته بما حدث فاخذ منها الحجة ورجع الى أبى بكر يخبره بان على هو الذى يريد أن يملكها منها وجعل أبو بكر يمحو الحجة بان مزقها فى الحال • فراجعت فاطمة أبابكر وهى تعلم علم اليقين قول أبيها (اننا معشر الانبياء لانورث) ودارت المناقشات حول ذلك أمام الجموع وأخيرا تعهد لها أبو بكر أن يدفع اليها مايخصها من نصيبها وينفق باقيها فى شئون المسلمين فقامت على الفور من مكانها وزارت قبر أبيها لتشهده على ماكان من هضم حقها •

ثم نهج عمر فى خلافته على منوال أبى بكر فى صرفه فدك وكذلك عثمان وعلى من بعده وهكذا كانت الى عصرين متواليين

وفاتها :

توفيت رضى الله عنها ليلة الثلاثاء فى شهر رمضان سنة ١١ هـ وهى تبلغ من العمر ٢٨ سنة ودفنت بالبقيع ليلا وصلى عليها على وقيل العباس رضى الله عنه •

لقاء مع أول سيدة نزعت الحجاب وحاضرت بين الرجال فى غزة

إعداد نجاة الزنيرى

قطاع غزة .. الجزء الغالى الباقى من فلسطين الذى تمسك أهله ولاجئوه بجنسيتهم الفلسطينية وظلوا شوكة فى حلق الصهيونية وصخرة تتحطم عليها مؤامرات المتآمرين ..

قطاع غزة .. مركز الانطلاق وملتقى التجمع ومحط الانظار لابناء فلسطين فى كل مكان .

قطاع غزة .. الذى ظل صامدا كالطود الشامخ خلال سنوات النكبة يصد محاولات الغادرين ..

كان لقائى هذا الشهر مع سيدة ولدت وعاشت فى غزة وعاصرت نكبة فلسطين واصبحت من المكافحات من اجل قضية الوطن السليب ..

السيدة عصام حمدى الحسينى ـ مفتشة لغة عربية ودين فى مديرية التعليم والثقافة بغزة وعضو المجلس الأعلى للكشافة والمرشدات وعضو مؤتمر المرأة العاملة .

كانت رئيسة أول جمعية نسائية تكونت عقب انتهاء الانتداب سنة ١٩٤٨ ـ وقد مارست هذه الجمعية كل الوان النشاط بالنسبة للاجئين من اعمال الاسعاف لجمع التبرعات وعقد الندوات والمحاضرات الثقافية والعلمية والتربوية .. وقد حلت هذه الجمعية تمهيدا لتشكيل اتحاد نسائى عام .

تعتبر السيدة عصام حمدى اول من نزعت الحجاب سنة ١٩٥٠ وخرجت الى الندوات والقت المحاضرات بين الرجال لشرح قضية فلسطين وقد تعرضت من اجل هذا لهجوم الكثير من العقليات الرجعية التى تبغى عرقلة التقدم والتطور للمرأة .

كتبت عدة مقالات عالجت فيها مشاكل اجتماعية وسياسية وقد نشرت لها هذه المقالات فى جرائد فلسطين ـ ولها روايات وطنية مثلت على مسرح الجمعية النسائية والمدرسة التى كانت ناظرتها حينذاك ـ ولها

كل أسبوع حديث اذاعي بعنوان « من الفتاة والى الفتاة » باذاعة القدس .. ولها احاديث اخرى باذاعة صوت العرب بالقاهرة وفي الاردن القت المحاضرات الثقافية والوطنية في المحافل النسائية .

اول من انشات التعليم الثانوي في غزة ، كان كل اللواء الجنوبي به مدرسة ابتدائية واحدة واستطاعت ايام الانتداب أن تكون ثلاثة فصول ثانوية ، ولما جاءت الادارة المصرية تمكنت من تكوين الفصول الرابع والخامس والسادس وحتى سنة ١٩٥٠ كن ١٥ طالبة ونجحن بنسبة ١٠٠ ٪ .

وفي خان يونس باشرت نفس النشاط من سنة ١٩٥٩ الى سنة ١٩٦٢ وقد أحدثت تطورا في مراحل التعليم هناك فكان في خان يونس ثلاث فصول ثانوي فقط وقد أصبحت بفضلها ٢٣ فصلا ثانويا .

المجلس الأعلى للكشافة والمرشدات

ولما سالتها عن سبب مجيئها الى القاهرة قالت لي انها جاءت لمقابلة المسئولين برعاية الشباب بخصوص المجلس الأعلى للكشافة والمرشدات الذي تكون في غزة وباعتبارها عضو فيه .. وذلك لان الحاكم العام هناك يهتم بالكشافة والمرشدات لانهما من أهم وسائل تربية الجيل تربية منظمة تتعهد الطفل من سن ٦ سنوات الى سن ٢٥ سنة لخلق جيل واع باشراف علمي صحيح .

وتقول السيدة عصام ان المرشدات الفلسطينيات ذخيرة المستقبل الذي سيشهد تحرير فلسطين على يد أبنائها الأشداء ـ فالجيل الفلسطيني الجديد يتطلع الى اليوم الذي سيعود فيه الى وطنه السليب ـ انه يدرك أن معركته مع الاستعمار الصهيوني معركة نضال مرير . وفتيات هذا الجيل يتسلحن بالعلم ويتدربن على كافة أنواع النشاط المهني حتى يكن طليعة الزحف المقدس فيقبلن على التعليم في مختلف مراحله ليكن الدعائم التي ستقوم عليها فلسطين عندما تعود اليهم فلسطين ـ كذلك جاءت للوقوف على النشاط النسائي بالقاهرة .

تاثير مؤتمري القمة العربيين على قضية فلسطين

وسالتها عن المدى الذي وصلت اليه قضية فلسطين عقب مؤتمري القمة العربيين فقالت : ان قضية فلسطين تمثل تحالف الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية ضد الأمة العربية والقومية العربية .. وتمر القضية في الوقت الحاضر بأدق مراحلها .. فعلى أثر انعقاد مؤتمري القمة العربيين نالت دفعة قوية زادت بها حيوية القضية وتجسد كيان الشعب الفلسطيني في منظمة التحرير الفلسطينية التي التقت فيها كل العناصر الفلسطينية التي شردها الاستعمار فتآمر مع الصهيونية في غفلة من الزمن ـ ولما احست الصهيونية بخطورة القوة العربية الجديدة حاولت كسب مواطىء لأقدامها تقف عليها وتضمن بها ثباتا وكانت آخر هذه المحاولات وثيقة تبرئة اليهود من دم السيد المسيح ـ لكن ـ لا بد لشعب فلسطين من أن يعود الى وطنه وأن يسترد حقوقه .

ما هو دور المراة في غزة ؟

كفاح المراة ظهر واضحا جليا في جميع المراحل التي مرت بها فلسطين على مر التاريخ .. منذ أن قاومت الاحتلال التركي الذي كان يحاول تمزيق فلسطين والبلاد العربية كخطوة ايجابية للقضاء على القومية العربية .. حتى عام ١٩١٧ حين اصدرت انجلترا على لسان وزير خارجيتها « بلفور » وعدها المشئوم بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .. الى سنة ١٩٤٨ عندما جلت القوات البريطانية عن فلسطين وفقا للخطة المتفق عليها بينها وبين الصهيونية واعلنت قيام اسرائيل واعترفت بها امريكا قبل اعلان قيامها بدقائق ..

ساهمت المراة في جميع هذه المراحل قدر مساهمة الرجل وتعرضت لجانب كبير من الوحشية والتعذيب والبربرية وقد شهد

العالم اجمع كيف كانت العصابات الصهيونية تبقر بطون هؤلاء النساء وتقتل اطفالهن .. وذلك لاشاعة الذعر فى قلوب العرب حتى يرحلوا عن ديارهم ويتركوها للغاصبين .. لكن رغم كل هذه الظروف التى عاشتها المرأة العربية الفلسطينية حتى بعد اعلان قيام اسرائيل فقد صنعت المعجزات .. ذلك أن المرأة الفلسطينية حافظت على كيان أسرتها وطابعها العربى .

وتلاقت أهداف الصهيونية والاستعمار فى صعيد واحد مجرم ضد عروبة فلسطين وتعاونا فى العمل على تشريد مليون عربى من فلسطين كانوا يعيشون آمنين فى وطنهم فى مدنهم وقراهم ومزارعهم .. وقد وزع هؤلاء النازحون فى أنحاء الوطن العربى وقد وفد منهم الى قطاع غزة عام ١٩٤ (١٨٩ر٢٢٨) وهم يعيشون فى معسكرات موزعة فى انحاء القطاع من رفح حتى جباليا ..

واجه اللاجئون بعد نزوحهم عن مدنهم وقراهم وبيوتهم أقسى المشاكل فقد اصبحوا بلا بيت ولا وطن .. واجهوا قسوة الشتاء وضراوة الصيف .. ونقمة الطبيعة بصبر وايمان وجلد .. سكنوا الخيام المهلهلة التى كانت تجرفها السيول والرياح فتعرضهم للموت والفناء .. وظلوا صابرين مصممين على الثبات فى معسكراتهم على حدود أرضهم حتى يحين موعد الزحف المقدس فيلتقون بأرضهم السليبة ووطنهم المغتصب .

وظهرت التكتلات النسائية والجمعيات ولكن كان الانتداب يقاومها دائما ويعرقل نشاطها ..

واشتركت المرأة فى المظاهرات واعتقلت وسجنت واستشهدت .. واذكر اسم السيدة (مهيبة خورشيد) ويقال انها حملت السلاح فى يافا .

اشتركت المرأة الفلسطينية عمليا فى الازمة وعاشت على دوى المدافع وغبار المعارك جنبا الى جنب مع الرجل تحمل الفأس بيد وتحمل السلاح باليد الاخرى لأنها تتوقع الغدر دائما من اسرائيل .. فهى عندما تبنى لاتنسى أن تحمل السلاح الذى يحمى بناءها ويصون أرضها وعزتها وكرامتها .. واشتركت فى عمليات الاسعاف والتمريض .

وبعد سنة ١٩٤٨ .. وبعد ان اخذت نصيبها من التعليم تطورت المرأة فى غزة وتبلور نشاطها وهيأها تعليمها للكفاح على مستوى من النضج والفهم . واشتركت فعليا فى التعريف بالقضية بعد ان كسرت القيود التى كانت تعرقلها كالرجعية والجهل .

وكنت انا اول من رفع الحجاب والقيت المحاضرات بين جموع الرجال فاخذت موقف الريادة وكنت وقتها ناظرة مدرسة فأصبحت قدوة لباقى السيدات .

وانشئت أول جمعيات نسائية واقيمت المعارض التى تظهر نشاط الطالبات ومشاركتهن فى المجتمع مشاركة ايجابية .

لقد أثرت طبيعة المرأة الثورية فى تربية اطفالها .. فمنذ ان يبدأ الطفل فى تعلم النطق يبدأ بكلمة فلسطين .. اى طفل فى الطريق يعى القضية .. يعرف قضية بلده بشكل عجيب كأى رجل ناضج ويتحدث بانفعال وحماس واندفاع .. والمرأة الام أملها كبير فى جيل العودة الذى تعده حاليا .. فقد هيأتها النكبة للعمل واستشعرتها بالمسئولية .. والطالبة فى المدرسة تلعب دورا كبيرا فى الحركة الوطنية .. والنشاط المدرسى يولى اهتماما كبيرا بتربية الطالبة لتكون مواطنة صالحة واعية بقضية وطنها .

لكن ما زال نشاط المرأة حتى الآن على شكل فردى بالدرجة الأولى وجماعى بدرجة بسيطة .. ما زالت فى حاجة الى تخطيط لأعمالها .. وسوف ينتظم نشاط المرأة تلقائيا خلال تنظيمات الرجل .

مشاكل المرأة فى غزة

وسألت السيدة عصام عن المشكلة التى تعانيها المرأة فى غزة .. فقالت لى :

- لا اعتقد أن للمرأة هناك مشكلة أساسية خاصه .. فمشكلة المشاكل هى قضية العودة .. ان قضية فلسطين هى محور اهتمام كل طالب .. كل عامل .. كل موظف .. كل فلاح .. كل امرأة عربية زوجة وبنتا .. العودة أولا لتستقر على أرض بلدها ولتفكر بعد ذلك فى مشاكلها الخاصة التى لا اراها مشاكل بل صعوبات يمكن ان تحل ..

فى قطاع غزة توجد المرأة العاملة.. والموظفة .. والمدرسة .. والممرضة .. لكن ليس لها مشاكل عمل بالشكل الموجود هنا كذلك بالنسبة للاحوال الشخصية فمشاكلها فى هذا المجال محدودة وليست بالشكل الملح هنا ..

ان مسئولية المرأة فى غزة وفلسطين اكبر من أى مسئولية فى اى بلد لأن مسئوليتها هى اعادة بلد .. اعادة وطن سليب .. القلق من أجل المصير .. العودة .. العودة .. تلك هى مشكلة الجميع والتى تشغلهم عن اى مشكلة خاصة .. الشعب هناك مجروح فى كرامته.. فى عزته .. ليس له بلد .. ليس له بيت .. كل المشاكل تتضاءل أمام الهدف الاوحد وهو العودة .

جغرافية قطاع غزة

بقى ان نعرف أن قطاع غزة يمتد على الساحل الجنوبى الشرقى لحوض البحر الابيض المتوسط ، يبدأ من رفح جنوبا وينتهى عند بيت حانون شمالا . يبلغ طوله ٤٥ كيلو مترا وعرضه ٨ كيلو مترات وتبلغ مساحته ٢٠٢ كيلو متر مربع . ويبلغ عدد السكان ٣٦٠ الف بينهم ٢٥٠ الف لاجىء من شتى انحاء فلسطين .

ويشمل قطاع غزة على رفح فى الجنوب وخان يونس ودير البلح وغزة وبيت حانون وبنى سهيلا وخزاعة وعبسان . وغزة أكبر مدن القطاع وهى مركز الحكم وفيها المجلس التشريعى والمقر الرسمى للحاكم العام ودار الحكومة . ويقيم اللاجئون فى قطاع غزة فى ثمانية معسكرات هى :

معسكر جباليا - معسكر الشاطىء - البريج - معسكر النصيرات - معسكر النازى - معسكر دير البلح - معسكر خان يونس - معسكر رفح .

وتعتبر غزة مؤسسة ثقافية كبرى فنسبة التعليم فى القطاع كله أصبحت عالية جدا .. وفى غزة تعبأ القوى وتشحن لكى تنطلق منه الشرارة عند ساعة البدء وتسترد بقية أجزائها وتستكمل كيانها .

نابليون لاديوست الذى أصبح محمد ناصر لطيف

فى مكتب فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر التقيت به . وعلت وجهى الدهشة ، فانا أعرفه من قبل ، انه مسـيحى من الفلبين .. التقيت به فى الاسكندرية فى زيارة له الى اخوانه فى معسكر أبى بكر الصديق للشعوب الاسلامية ، لذلك اندهشت لوجوده فى الازهر الشريف . ولكن سرعان ما زالت دهشتى حينما تقدم منى مصافحا ، وقال : اتدرى لماذا انا هنا ؟

قلت : لا .

قال : اليوم قررت أن أشهر اسلامى .

فقلت له : ما الذى أعجبك فى الاسلام ؟

قال : سماحته ، ويسره ، وسهولته ، وبساطته .. اشتراكيته وعدالته .

اتذكر يوم التقينا فى معسكر أبى بكر الصديق ، تلك الامة الاسلامية التى اجتمعت على صعيد واحد من مختلف الاجناس والالوان .

منذ ذلك اليوم أصبحت فى دوامة من التفكير .. كيف ائتلف هؤلاء القوم .. كيف يجلس الابيض والاسمر كيف يجلس الاوربى والاسيوى والافريقى جنبا الى جنب يأكلون معا ، ويشربون معا .. وكان سؤالى لاحد المشرفين .. فاجابنى بقوله :

ـ ان الاسلام الذى جمعهم جميعا صفا واحد .. انه الاسلام الذى ألف بين قلوبهم .. انه الاسلام الذى لم يفرق بين عربى وعجمى ولا بين أبيض واسود ولا غنى ولا فقير الا بالتقوى .

ان هذا اليوم الذى زرت فيه معسكر أبى بكرالصديق كان هو اليوم الذى تزعزع فيه الايمان بدينى .

لقد بكيت حينما سمعت هذا النشيد الذى ينشدونه وهو نشيد الزحف المقدس

لقد شدنى نشيد الزحف المقدس .. أحد أحد .. لم أفهمه فى لحظته .. ولكن الايمان الذى انبعث من قلوب الهاتفين به هو الذى جعلنى أبكى .. وحينما شرح لى الاخ المشرف معنى النشيد ، كنت على وشك ان أقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ومنذ هذا الوقت وأنا أتبادل الآراء والافكار فى المناقشة عن الدين الاسلامى . وما زلت أذكر كيف سألتهم عن الصوم .. لان صيام رمضان كان اول شىء يجـذب انتباهى منذ وصولى .. وقد عرفت أن الصوم يعنى التعاون الاخوى بين المسلمين عامة ، وأصبحت شغوفا بتفسير تلك الامور أيها الاصح .. وقرأت الكتب التى تبحث فى الاسلام .. الصوم .. الحج. الصلاة والقرآن الكريم ، واخيرا اكتشفت ان الحقيقة المطلقة فى الاسلام فاستأذنت أقاربى فى ذلك فوافقوا فحضرت الى الازهر الشريف .. لكى أشهر اسلامى . وحينما حصلت على ذلك لم أستطع اخفاء شعورى بتوجيه الشكر الله لاننى أصبحت من عباده وشكرا للسبيل الذى أوصـلنى للحقيقة .

وهنأت الاخ محمد وخرجت من الازهر الشريف كعبة المسلمين وحمدت الله على أن انتشار نور الاسلام فى العالمين يهدى بنوره وحقه من يشاء . والله متم نوره ولو كره الكافرون .

أنت تسأل ... ؟ والمفتى يجيب ...

فضيلة الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون

س ١ : من احمد رجب شارع ابراهيم حسين ـ البساتين

يقول انه يريد الزواج من ابنة عمته وقد رضع من أمها مع أخت لها أكبر منها بسبع سنوات ـ ويسأل ان كان يجوز هذا الزواج أو لايجوز ؟

الجواب : اذا كان السائل قد رضع من عمته التى يريد أن يتزوج ابنتها خمس رضعات فأكثر فيحرم عليه باجماع الآراء أن يتزوج من بنات عمته لأنهن جميعا أخواته من الرضاعة سواء من رضع معها أو من لم يرضع معها ـ لقوله تعالى « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة » وقوله صلى الله عليه وسلم « يحرم من الرضاع مايحرم من النسب » وأما اذا كانت مرات الارضاع أقل من خمس فبعض الفقهاء يقول بالتحريم كذلك لأن الرضاع عندهم يثبت ولو بمرة ـ ويرى الامام الشافعى عدم التحريم فى هذه الحالة لأن الرضاع المحرم عنده ما كان خمس رضعات فأكثر ونحن نختار هذا المذهب ونفتى به ـ فاذا كان السائل قد رضع من عمته أقل من خمس رضعات جاز له على رأى الامام الشافعى رضى الله عنه أن يتزوج بمن يشاء من بنات عمته .. والله أعلم .

س ٢ : من سائل لم يذكر اسمه

يقول توفيت سيدة وتركت زوجها وبنتها وأمها وأختها الشقيقة وأخا لأب وأخا لأم ويطلب معرفة نصيب كل فى تركة المتوفاة ؟

الجواب : للزوج الربع فرضا ـ وللبنت النصف فرضا ـ وللأم السدس فرضا ـ والباقى للأخت الشقيقة تعصيبا ـ ولا شىء للأخ لأب لأن الأخت الشقيقة صارت عصبة مع البنت لقوله صلى الله عليه وسلم « اجعلوا الأخوات مع البنات عصبة » ـ وبذلك صارت كأخ شقيق فانفردت بالباقى دون الأخ لأب ـ ولا شىء للأخ لأم ـ لانه محجوب بالفرع الوارث وهو البنت ـ والله أعلم .

س ٣ : من نفس السائل :

يقول توفيت سيدة عن زوج وابن وأم وأخ لأب وأخ لأم ويسأل عن توزيع التركة بين هؤلاء الورثة ؟

الجواب : للزوج الربع فرضا ـ و للأم السدس فرضا ـ والباقى للابن تعصيبا ـ ولا شىء للأخ لأب لوجود الابن اذ هو عصبة أقرب من الأخ ولا شىء كذلك للأخ لأم لحجبه بالفرع الوارث وهو الابن ـ والله أعلم

س ٤ : من نفس السائل

توفيت امرأة عن بنت لها وابن أخيها الشقيق ـ وبنت أخيها ـ ويسأل عن توزيع التركة ؟

الجواب : للبنت النصف فرضا ـ والباقى لابن الأخ الشقيق تعصيبا ولا شىء لبنت الأخ ـ لأنها من ذوى الأرحام ـ ولا ميراث لذوى الأرحام مع أصحاب الفروض والعصبة ـ والله أعلم .

س ٥ : من زكريا ابراهيم درويش ـ مصانع الطائرات ـ حلوان

يسأل عما اذا كان الشرع يبيح قيام الجمعيات التى تؤسس لتيسير الحج أم لا ؟ ويقول أن هذه الجمعيات تقوم باشتراك عدد من الأفراد يساهم كل منهم بمبلغ قدره جنيه وخمسة قروش شهريا لمدة أربع سنوات وفى كل عام يختار ربع عدد الأعضاء لتأدية فريضة الحج ـ ويسأل ان كان هذا الحج صحيحا ـ وما هى الحجة الرجبية وما الغرض منها ؟ وهل هى فريضة أم تطوع ؟

الجواب : الجمعيات التى تؤسس لتيسير الحج مباحة شرعا مادامت لاتتعامل بشىء محرم كالربا مثلا ـ وهى لاتخرج عن أن جماعة من المسلمين يتعاونون معا على أداء فريضة الحج فيجمعون الاشتراكات من أفرادها ومجموع هذه الاشتراكات لاتسمح الا بحج ربع عدد الأعضاء فيستهمون فيما بينهم ـ فمن أصابته القرعة ساعدته الجمعية على أداء الفريضة نظير مايسدده لها من أقساط شهرية لمدة أربع سنوات وهى المدة التى تستغرق حج أفراد الجمعية ـ وهذا أمر مباح ومشروع ويدخل فى باب التعاون على البر الذى دعا اليه الاسلام فى قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ـ والحج صحيح ـ أما اذا دخلها ربا أو تعامل بمحرم ـ فهى حرام .

وأما الرجبية فانها ليست حجة وانما هى زيارة لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ولذلك تسمى الزيارة الرجبية وليست الحجة الرجبية ـ فاذا ذهب الشخص الى مكة بعد الزيارة الرجبية أو قبلها فطاف بالبيت الحرام وسعى بين الصفا والمروة وكان محرما بنية العمرة فليس ذلك بحج ـ انما هى عمرة ـ وهى ليست بفرض وانما هى سنة

س ٦ : من محمود محمد السنهورى من كفر الشيخ حسن مركز المحمودية ـ بحيرة

يقول انه واخوته وأخواته الأشقاء لهم اخ لأب ـ ولهذا الأخ أخوان شقيقان ذكران وقد توفى الأخ لأب ولم يتزوج وترك أخوية الشقيقين ـ وأخوة وأخوات لأب ـ ويسأل عن نصيب كل منهم فيما تركه المتوفى من الأطيان الزراعية والماشية ؟

الجواب : ان تركة المتوفي لأخويه الشقيقين تعصيبا بالتساوى بينهما ولا شىء للسائل ولا لأخوته وأخواته الأشقاء لأنهم أخوة لأب للمتوفى ولا ميراث للاخوة لأب مع وجود الاخوة الأشقاء والله أعلم

س ٧ : من ـ ع ٠ لّ ٠ م الصعيدى ـ من ميت غمر دقهلية

يقول انه يداوم على التدخين من سنة زوجتـه التى يبادلها الحب ـ وكلاهما يخلص للآخر ولكنـه اثنـاء الخـلاف وتهديدها له كثيرا بأنها ستترك له المنزل الى منزل أهلها أقسم قائلا : « على الطلاق بالثلاثة ان خرجت من هذا المنزل فى غيـابى فلن تدخليه » ويقول ان هذا اليمين كان بقصد التهديد فقط حتى يحافظ على الحياة الزوجية وحتى لاتخرج فى غيابه خصوصا وأن أهلها فى بلد آخر بعيد ـ وقد خرجت زوجته الى منزل أهلها وبعد خمسـة عشر يوما تم الصلح بينهما وعادت الى منزل الزوجية وقد مر أكثر من سـنتين على اليمين المذكور ـ وقد سأل بعض الناس فمنهم من قال له لاشىء حسب نيتك ـ ومنهم من أفتاه بافداء اليمين بالصوم ثلاثة أيام مع النية ـ وقد فعل ذلك ولكنه ما زال قلقا ويطلب افتاءه فى هذه المشكلة ؟

الجواب : ان صيغة يمين الطلاق المذكورة فى السؤال هى من الطـلاق المعلق على شرط ـ والطـلاق المعلق على شرط اختلف فيه الفقهاء ـ فيرى بعض الفقهاء وقوع الطلاق اذا وقع الشرط المعلق عليـه ولا عبرة بقصد الحالف ـ ويرى البعض الآخر أن الحالف اذا كان يقصد التهديد فقط ـ كما هو الحال فى السؤال ولا يقصـد وقوع الطلاق فلا يقع الطلاق ـ وقد أخذ بذلك القانون رقم ٢٥ لسـنة ١٩٢٩ المعمـول به الآن فى محاكم الأحوال الشخصية ـ بالجمهورية العربية المتحدة

س ٨ : من محمد أبوالمجد أمين ـ طالب بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

يقول انه يداوم على التدخين من سنة ١٩٥٢ وحلف على المصـحف ألا يدخن ولكنه عاد الى التدخين بعد شهر من هذا اليمين ثم حلف على المصحف مرة أخرى بعدم التدخين ولكنـه عاد الى التدخين ثانية ـ ويسـأل عما اذا كان لهـذا اليمين كفارة أولاكفارة له ؟

الجواب : ان الحلف على المصحف كاليمين بالله ومن حلف بالله على شىء أنه سيفعله فى المستقبل أو لن يفعلـه فتلك هى اليمين المنعقدة فاذا حنث فيها وجبت عليه الكفارة ـ وهى كما نصت عليه الآية الكريمة عتق رقبة ـ أو اطعام عشرة مساكين من أوسط مايطعم الحالف به أهله أو كسوتهم ـ على أن يكون الاطعـام غداء وعشـاء أو غدائين أو عشـائين مشبعين فان لم يستطع فعليـه أن يصـوم ثلاثة أيام متتابعـات ٠ قال تعالى « لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخـذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسـط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم » ٠ وبذلك يتبين للسائل أن عليه أن يكفر عن يمينه على المصحف بالاطعام أو الكسـوة على الوجه المذكور فان لم يستطع ذلك فعليه أن يصوم ثلاثة أيام متتابعات ـ والله أعلم ٠

س (٩) : من محمد عبد الرحمن على الجلاد ـ طالب بمعهد أبو كبير الاعدادى الازهرى

يسأل عن كيفيـة توزيع تركة بين زوج وأم وجد ؟

الجواب : ان للزوج النصف فرضا وللأم الثلث فرضا ـ والباقى للجد تعصيا ـ ان كان هذا الجد جدا لأب ـ أما أن كان جدا لأم فهو الجد الفاسد ـ وهو من ذوى الأرحام فلا يرث شيئا لأن ذوى الأرحام لاميراث لهم مع أصحاب الفروض أو العصبيات ـ وحينئذ فان السدس يرد على الأم فيأخذ الزوج النصف فرضا والباقى للأم فرضا وردا ولا شىء للجد لأم ـ والله أعلم ٠

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

ان عيد الاضحى هو عيد الفداء ، عيد الزحف المقدس الى بيت الله الحرام .. حيث ينبعث الحجاج ملبين دعوة سيدهم رافعين أصواتهم .. لبيك اللهم لبيك ـ معلنين الجهاد من أجل الحرية ، تاركين الولد والجاه ، باذلين الجهد والمال ، متزودين بأقدس زاد .. محققين المساواة فى محراب رحابها الاسلامى الكبير ،

والتعاون فى أجل مظاهره وأسمى معانيه ، والفداء فى أفضل صوره وأسمى مراميه ـ فالقربان الاسلامى ليس ثمنا للغفران ولكنه شكر لله ـ تعالى شأنه ـ واحسان للجياع وبرهان على التقوى والصلاح .. والمجلة اذ تهنىء الأمة العربية الاسلامية بعيد الجهاد والتضحية تناشدهم المزيد فى هذا الميدان خاصة فى هذه الآونة العصيبة التى نجتازها الشعوب العربية من أجل مواجهة التحديات الاستعمارية الاسرائيلية حتى تكون أعيادنا احياء لبادئنا وأمجادنا وعلو شأننا سياسيا واقتصاديا وعسكريا ..

المدينة المنورة .. و « منبر الاسلام »

السيد/محمد حبيب جلال ـ طالب بالجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية

يشكو فى رسالته من سرعة نفاد أعداد مجلة منبر الاسلام ، مما يتعذر معه اقتناء نسخته هذا فضلا عن زملائه بالجامعة .. ويطالبون بالعمل على زيادة الكمية المطبوعة حتى تتاح الفرصة لجمهور قرائها الغفير الارتواء من معينها الخصب ، وزادها الخالد ، وآرائها الحرة المتحررة الهادفة ـ التى تمثل فى مجموعها طفرة علمية مباركة فى تاريخ الفكر الاسلامى والمجلات الاسلامية .. والسيد رئيس التحرير يطيب له ـ يا أخى ـ أن يطمئن قراء المجلة جميعا معلنا أن هذا الأمر موضع دراسة علمية عملية سوف تؤتى ثمارها المرجوة قريبا بعون الله .. هذا والمجلة تحيى فيك النزعة الاسلامية الكريمة .

« اعجاز القرآن » .. والبحوث الاسلامية

السيد/عادل الداكز ـ لبنان طرابلس الميناء سارع غازى محل ممدوح الداكز

ان من المؤلفات التى تتناول موضوع الاعجاز فى القرآن ـ يا أخى ـ كتاب **اعجاز القرآن** للأستاذ عبد الكريم الخطيب وهو دراسة كاشفة لأسرار البلاغة ومعابيرها .. وهى تقع فى كتابين الأول : « فى دراسات السابقين » ، والثانى : يتناول الاعجاز « فى مفهوم جديد » وثمن الكتابين معا ١٢٠ قرشا مصريا بما فى ذلك تكاليف البريد .. وعنوان الناشر : القاهرة ـ ٤١ شارع شريف ـ دار النشر للجامعات المصرية هذا مع تمنيات المجلة لك بدوام التوفيق فى بحوثك الاسلامية ..

رغبة سامية .. ولكن ؟!

السيد/غزال عبد الهادى الصفتى ـ كفر الدوار ـ كفر سليم

ان ادارة المجلة ـ يا أخى ـ تحتفظ لنفسها فى « أرشيف » المجلة بخمس نسخ فقط من كل عدد مما يتعذر معه تلبية رغبتك السامية فى الحصول على نسخ من الأعداد التى نفدت

بريد التعارف

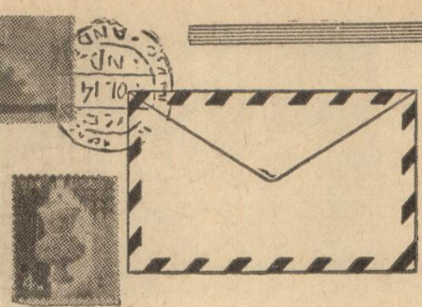

الاسم : مكرم سيد احمد البرزنجي
البلد : الجمهورية العراقيه
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب جامعى
الهواية : التعارف وتبادل الآراء والطوابع والصور والزيارات مع الشباب المسلم
العنوان العراق - كفرى - مكتبة الجهاد

الاسم : احمد ابراهيم عيسى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٣ سنة
المهنة : طالب بكلية الشريعة
الهواية : الخطابة والاطلاع والتعارف
العنوان : شبراخيت بحيرة شارع احمد عرابى

الاسم : فتحى محمد احمد حسانين
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٥ سنة
المهنة : شاعر
الهواية : تاليف الشعر الدينى
العنوان : علوان - منقباد - اسيوط

الاسم : سامى عبد الغنى أحمد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بالمدرسة الخديوية الثانوية
الهواية : القراءة والمراسلة وجمع الصور
العنوان : الدرب الاحمر ٥٠ زقاق الخشابين رقم ٧

الاسم : محمد رمضان عمار
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٣٠ سنة
المهنة : سائق بمصنع ٢٧ الحربى بشبرا
الهواية : قراءة الكتب التاريخية والاسلامية والفناء الكتب الدينية والمراسلة
العنوان : القاهرة - المساكن الشعبية بالاميرية بلوك ٦٣ مدخل ٣ شقة ٦ تبع قسم المطرية

الاسم : فتحى عبد السلام صالح
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب ثانوى بالمعهد النموذجى - الازهر
الهواية : الكشافة وقراءة الصحف والمجلات
العنوان : مدينة البعوث الاسلامية بالقاهرة

اقرأ فى هذا العدد :

معالم الطريق		٣
زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة		٦
فى عيد الوحدة السابع	السيد الاستاذ حسين الشافعى	١٠
خليل الله ابراهيم	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	١٢
من حضارة الاسلام	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	١٧
الاسلام والقومية العربية	الدكتور أحمد الحوفى	٢٢
من معالم الهدى	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى	٢٥
سياستنا تجاه اسرائيل	الاستاذ محمود كمال	٢٩
مالا يجوز الخلاف فيه	فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى	٣٣
خواطر مستشار	المستشار على على منصور	٣٧
أيهما الذبيح	الدكتور على عبد الواحد وافى	٤٠
مقارنة الاديان	الدكتور أحمد شلبى	٤٤
الفتوة	الاستاذ محمود الهجرسى	٤٦
الزار خرافة	الاستاذ على الجندى	٤٨
ولله على الناس حج البيت	الدكتور محمد سلام مدكور	٥١
حول وثيقة المجمع المسكونى	الاستاذ عبد العزيز العلى	٥٨
دعوة الميثاق	الاستاذ حسنى عبد المجيد	٦٣
حديث الاحدى عشرة امرأة	الاستاذة عزيزة مريدن	٦٧
من قصص القرآن	الاستاذ البهى الخولى	٧٠
حل الازمات فى الإسلام	الدكتور فؤاد فخر الدين	٧٤
الى وفد الله فى مؤتمر الحج	فضيلة الشيخ عبد الله المشد	٧٧
العيد الاكبر والحج	فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى	٨٠
مع الذكريات فى موسم الحج	فضيلة الشيخ عطية صقر	٨٢
المجمع المسكونى	الدكتور محمد صلاح مجاور	٨٥
تأملات فى كتاب الله	الدكتور حسن محمود	٨٧
الاسرار والمساواة فى الحج	الدكتور الحسينى هاشم	٨٩
دروس من فريضة الحج	الدكتور سعد الدين الجيزاوى	٩٠
مظاهر الوحدة فى الحج	فضيلة الشيخ عبد الله المراغى	٩٢
المسلمون يقهرون انتفاضات الفرس والروم	الاستاذ عبد المنعم الادفوى	٩٤
نوح بين القرآن وبين كتب العهد القديم	الاستاذ بهاء القيانى	٩٦
حول رباعيات عمر الخيام	الاستاذ مبشر الطرازى	١٠٠
حول الحضارة الاسلامية	الاستاذ عبده بدوى	١٠٣
ابن الابار	الاستاذ محمد سيد جاد الحق	١٠٤
الحج ولماذا فرض على القادرين	الاستاذ محمد عطية الابراشى	١٠٥
بيت الله الحرام	الدكتور عبد الغنى الراجحى	١٠٧
لبيك اللهم لبيك	الاستاذ محمد فتحى محمود	١١٠
العالم فى مرآة الاسلام	الاستاذ عبد العليم المهدى	١١٢
امة قدسها القرآن	الاستاذ معوض عوض ابراهيم	١١٥
اعجاز القرآن البيانى	الدكتور حفنى شرف	١١٧
حول مشكلات المرأة العاملة	الدكتورة طلعت الرفاعى	١٢٠
اضواء على التاريخ الاسلامى	الاستاذ محيى الدين الالوائى	١٢٢
الاسلام بين العقل والنقل	الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى	١٢٦
الاشهر الحرم	الدكتور عبد الحميد لطفى	١٢٨
عوامل الفشل فى اسرائيل	الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور	١٣١

٢٣ ٢

البيعة الاولى فى الاسلام	الاستاذ عبد العال شعيب	١٣٤
عبد الناصر صانع الاسلام	الاستاذ كامل عبد المجيد	١٣٧
الحج عبادة وثقافة وتعارف	الاستاذ أحمد مسلم ابراهيم	١٤٠
البترول فى شرق الوطن العربى	الاستاذ حسن محمد الخولى	١٤٣
مواكب الحج وكسوة الكعبة	الدكتور محمد جمال الدين سرور	١٤٧
حياة المقر الشهابى	الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى	١٤٩
فلسطين فى شعر المهجر	الدكتور حسن جاد حسين	١٥٢
الحج بين حكمته وكيفيته	الاستاذ محمد محمد الشرقاوى ...	١٥٥
أبو الدرداء	الاستاذ عبد المقصود حبيب	١٥٧
مقوماتنا أساس البناء	الاستاذ أنور الجندى	١٥٩
بل هو الاسلام	الاستاذ اسماعيل كشميرى	١٦١
الانسان والاسلام	الاستاذ ابراهيم عوضين	١٦٤
أثر العلم فى السلوك الانسانى	الدكتور محمود البسيونى	١٦٦
التثقيف الصحى فى الاسلام	الدكتور يوسف محمد عيد	١٦٩
حول تشريعات الحج ومناسكه	الاستاذ حسن الشيخة	١٧١
الشعر الدينى	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	١٧٤
بطلة كربلاء	الشاعر عبد الله شمس الدين	١٧٧
عيد الام	الشاعر نجاتى عبد الرحمن	١٧٩
صيحة	الشاعرة روحية القلينى	١٨٢
فى ليلة عيد (قصة)	الاستاذ حسين القبانى	١٨٤
باب الرياضة	الاستاذ ناصف سليم	١٨٨
اسرائيل صنيعة الاستعمار	اعداد نرجس كامل ... ... ليلى عبد الباقى	١٩٤
مسجد الصالح طلائع	الاستاذ محمود وصفى	١٩٦
الذهب فى العصر الاسلامى	الاستاذ أحمد سعيد الدمرداش ...	٢٠٢
الشهب	الدكتور محمد جمال الفندى	٢٠٦
ندوة الشهر	الاستاذ عبد الرحمن الشربينى	٢٠٨
فاطمة الزاهراء	اعداد عائشة حسنى	٢١٠
لقاء مع أول سيدة نزعت الحجاب	اعداد نجاة الزنيرى	٢١٣
لماذا أسلمت	... ...	٢١٧
انت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون	٢١٨
مع القراء	اعداد فؤاد هيبة	٢٢١
بريد التعارف	... ...	٢٢٢

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجموعة اسطوانات

الصلاة

وتحتوى على ٧ إسطوانات
شاملة .. الآذان . الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا

فى منتصف كل شهر عربى
سلسلتى

كتب إسلامية

دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة إسلامية جامعة
بأقلام أساتذة متخصصين